

THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190349

UNIVERSAL
LIBRARY

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الوهاب النويري

السفر الثالث

[الطبعة الثانية]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٣٨ - ١٩٣٠ م

فهرس

السفر الثالث

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

للنورى

القسم الثانى من الفن الثانى

فى الأمثال المشهورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من الصحابة
رضى الله عنهم ، والمشهور من أمثال العرب ، وأوابد العرب وأخبار الكهنة ،
والزجر ، والقال ، والطيرة ، والفراصة والذكاء ، والكنايات
والتعريض ، والآحاجى ، والألغاز وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

صحيفة

فى الأمثال ١

ما تمثل به من أقوال النبى صلى الله عليه وسلم ٢

ومن كلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه ٤

ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٥

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه ٥

ومن كلام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ٦

ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ٦

صفحة

ومن أمثال العرب المرتبة على حروف المعجم :

٦	حرف الهمزة
١٨	» الباء
١٩	» التاء
٢١	» الثاء
٢١	» الجيم
٢٤	» الحاء
٢٦	» الخاء
٢٧	» الدال
٢٨	» الذال
٢٩	» الزاء
٣٠	» الزاي
٣١	» السين
٣٢	» الشين
٣٣	» الصاد
٣٥	» الضاد
٣٦	» الطاء
٣٦	» الظاء
٣٧	» العين
٣٩	» الغين
٤٠	» الهاء

صحة

حرف القاف ... ٤٢ ...

» الكاف ... ٤٤ ...

» اللام ... ٤٦ ...

» الميم ... ٤٨ ...

» النون ... ٥١ ...

» الهاء ... ٥٢ ...

» الواو ... ٥٣ ...

ما جاء فيا أوله (لا) ... ٥٤ ...

حرف الباء ... ٥٧ ...

ومما يمثل به من أشعار الجاهلية :

امرؤ القيس بن حجر ... ٥٨ ...

زهير بن أبي سلمى ... ٥٩ ...

الناجعة الذبياني ... ٥٩ ...

طرفة بن العبد ... ٦٠ ...

أوس بن حجر ... ٦٠ ...

بشر بن أبي خازم ... ٦١ ...

التماس وهو جرير بن عبد المسيح ... ٦١ ...

الأقوه الأودي ... ٦١ ...

تميم بن أبي مقبل .. ٦٢ ...

حميد بن ثور ... ٦٢ ...

علي بن زيد ... ٦٢ ...

صفحة

الأسود بن يعفر	٦٣
علقمة بن عبدة	٦٣
عمرو بن كلثوم	٦٤
الحارث بن حلزة	٦٤
حاتم الطائي	٦٤
المرقش الأصغر	٦٤
النمر بن قواب	٦٤
مهلهل بن ربيعة	٦٥
طفيل الغنوى	٦٥
عروة بن الورد	٦٥
الأعشى ميمون بن قيس	٦٥
لقيط بن معبد	٦٦
تأبط شراً	٦٦
المختب العبدى	٦٦
المنزق العبدى	٦٦
أفنون التخلي	٦٦
الأضبط بن قريع السعدى	٦٧
سويد بن أبى كاهل	٦٧

ومما يمثل به من أشعار المخضرمين :

ليد بن ربيعة	٦٧
كعب بن زهر	٦٨

النايفة الجعدى ٦٨

أمة بن ابى الصلت الثقفى ٦٨

حسان بن ثابت ٦٩

الخطيئة ٦٩

متم بن نورة ٦٩

أبو ذؤيب الهذلى ٦٩

الخنساء ٧٠

عمرو بن معد يكرب ٧٠

معن بن أوس ٧٠

زياد بن زيد ٧٠

أمين بن حريم بن فاتك الأسدى ٧١

ومما يتنزل به من أشعار المتقدمين فى صدر الاسلام :

القطامى ٧١

الطرماح بن حكيم بن الحكم ٧١

الكيت بن زيد الأسدى ٧١

الساور بن هند ٧٢

عدى بن الرقاع ٧٢

الفرزدق واسمه همام بن غالب ٧٢

جرير بن الخطفى ٧٣

الأخطل واسمه مالك بن غياث ٧٣

الصلتان العبدى ٧٤

صحيفة

- ٧٤ ... كثير عزة ...
- ٧٥ ... جميل ...
- ٧٥ ... عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ...
ومما يمثل به من أشعار المحدثين :
- ٧٦ ... ابراهيم بن هرمة ...
- ٧٦ ... بشار بن برد ...
- ٧٧ ... أبو العتاهية ...
- ٧٨ ... سلم بن عمرو الخاسر ...
- ٧٩ ... صالح بن عبد القدوس ...
- ٨٠ ... ابن ميادة ...
- ٨٠ ... أبو نواس الحسن بن هاني ...
- ٨١ ... ابو عينة المهلب ...
- ٨١ ... عبد الله بن أبي عتبة المهلب ...
- ٨١ ... العباس بن الأحنف ...
- ٨٢ ... مسلم بن الوليد ...
- ٨٢ ... منصور التمرى ...
- ٨٣ ... العتاني ...
- ٨٣ ... أشجع السلمي ...
- ٨٤ ... الجرهمي ...
- ٨٥ ... محمود الوراق ...
- ٨٥ ... محمود بن حازم الباهلي ...

صحيحة

- السموئل بن عاديء ٨٥
- محمد بن أبي ذرعة الدمشقي ٨٦
- أبو الشيص ٨٦
- علي بن جيله بن عبد الرحمن الأتباري ٨٦
- الجلال الحارثي ٨٦
- عبد الصمد بن المعتدل ٨٦
- الحمدوني ٨٧
- العتبي ٨٧
- أبو سعيد المخزومي ٨٧
- دعبل بن علي الخزاعي ٨٨
- اصحاق بن إبراهيم الموصلي ٨٨
- المؤمل بن أميل ٨٨
- إبراهيم بن العباس ٨٨
- أبو علي البصير ٨٩
- سعيد بن حميد ٨٩
- علي بن الجهم ٨٩
- ابن أبي فنن ٩٠
- يزيد بن محمد المهلب ٩٠
- عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ٩٠
- أحمد بن أبي طاهر ٩٠
- أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ٩١

صحيفة

- أبو عبادة البحرى ... ٩٣
- ديك الجن ... ٩٥
- ابن الرومى ... ٩٥
- عبد الله بن المعتز ... ٩٦
- عبد الله بن عبد الله بن طاهر ... ٩٦
- ابن طباطبا العلوى ... ٩٧
- منصور الفقيه المقرئ ... ٩٧
- ابن بسام ... ٩٨
- جملة ... ٩٩
- الصنوبرى ... ٩٩
- أبو الفتح كشاجم ... ١٠٠
- ومما يمثله من أشعار المولدين :
- أبو فراس الحمدانى ... ١٠٠
- أبو الطيب المتنبي ... ١٠١
- السرى بن أحمد بن السرى الموصلى ... ١٠٣
- أبو بكر محمد بن هاشم الخالدى ... ١٠٣
- أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدى [أخوه] ... ١٠٤
- الخباز البلى ... ١٠٤
- أبو اسحاق الصابى ... ١٠٤
- عبد العزيز عمر بن نباته ... ١٠٤
- ابن لنكك البصرى ... ١٠٥

صحيفة

أبو الحسن عبد الله بن محمد بن محمد السلامي	١٠٥
أبو الفرج البهاء	١٠٦
ابن سكرة الهاشمي	١٠٦
ابن المجاج	١٠٦
أبو الحسن الموسوي القيب	١٠٧
ابو طالب المأموني	١٠٨
ابن العميد	١٠٨
الصاحب بن عباد	١٠٨
الحسن بن علي بن عبد العزيز القاضي	١٠٩
أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي	١٠٩
بدیع الزمان أبو الفضل الممذاني	١١٠
اسماعيل الناشئ	١١٠
أبو الفتح علي بن محمد البستي	١١٠

الباب الثاني من القسم الثاني من الفن الثاني :

أوابد العرب	١١٢
البحيرة	١١٢
الوصيلة	١١٢
السائبة	١١٣
الحامى	١١٣
الأزلام	١١٣
الميسر	١١٤

صحيفة

١١٦	نكاح المقت
١١٦	رمى البعرة
١١٦	ذبح العتائر
١١٦	عقد السلم والعشر
١١٦	ذبح الطهي
١١٧	حبس البلايا
١١٧	خروج الهامة
١١٧	إغلاق الظهر
١١٧	العمية والتفقتة
١١٧	بكاء المقتول
١١٨	رمى السن في الشمس
١١٨	خضاب النحر
١١٨	التصفيق
١١٨	جز النواصي
١١٩	كى السلم عن الجرب
١١٩	ضرب الثور
١١٩	كعب الأرنب
١٢٠	حيض السمرة
١٢٠	الطارف والمطروف
١٢٠	وطء المقاتل
١٢٠	تعليق الحل على السلم

صحيفة

١٢٠	فهاب الخلد
١٢١	الحلا
١٢١	التعشير
١٢١	عقد الرتم
١٢١	دائرة المهقوع
١٢٢	شق الرداء والبرقع
١٢٢	نوء السماك
١٢٢	النسيء
١٢٢	وآد البنات

الباب الثالث :

في أخبار الكهنة ويتصل به الزجر والغال والطيرة والفراسة والذكاء :

١٢٤	أخبار الكهنة
١٣٠	الزجر
١٣٩	الغال والطيرة
١٤٤	الفراسة والذكاء

الباب الرابع :

في الكتابات والتعريض

١٤٧	في الكتابات والتعريض
-----	----------------------

الباب الخامس :

في الألفاظ والأحاجي

١٥٧	في الألفاظ والأحاجي
-----	---------------------

ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويس

١٦٦	ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويس
-----	-----------------------------------

صحيفة

القسم الثالث من الفن الثاني

في المدح، والمجود، والمجون، والفكاهات، والملح والخمر، والمعاقرة
والندمان، والقيان، ووصف آلات الطرب
وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

- في المدح وفيه ثلاثة عشر فصلا ١٦٨
ذكر ما قيل في الافتخار ١٩٦
ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام ٢٠٠
ذكر من انتهى اليهم الجود في الجاهلية وذكر تى من أخبارهم ... ٢٠٤
وفي أخبار الكرام ٢٠٧
ذكر ما قيل في الإيعاء قبل السؤال ٢١٦
ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام ٢١٧
ومما قيل في الصبر والإقدام ٢٢٢
ذكر ما قيل في وفور العقل ٢٢٩
ذكر ما قيل في حد العقل وماهيته وما وصف به ٢٣٢
ذكر ما قيل في الصدق ٢٣٦
ذكر ما قيل في الوفاء والمحافظة والأمانة ٢٣٨
ذكر ما قيل في التواضع ٢٤٤
ذكر ما قيل في القناعة والتراهة ٢٤٦
ذكر ما قيل في الشكر والثناء ٢٤٧
ذكر ما قيل في الوعد والإنجاز ٢٥٤

صحيفة

٢٥٧ ... ذكر ما قيل في الشفاعة ...

٢٥٨ ... ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف ...

الباب الثاني — في المجيء وفيه أربعة عشر فصلا :

٢٦٧ ... ذكر ما قيل في المجيء ومن يستحقه ...

٢٧٢ ... وما قيل في المجيء من النظم ...

٢٨٥ ... وما يذم به الرجل أن يكون ثقيلًا ...

٢٨٦ ... وما هي به أهل الوقت على الإطلاق ...

٢٨٦ ... وما قيل في هجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم ...

ذكر ما قيل في الحسد :

٢٨٧ ... وما يذم به الرجل أن يكون حسودًا ...

٢٨٩ ... ومن أخبار الحسدة ...

٢٨٩ ... وما قيل من الشعر في تفضيل المحسود ومدحه وهجاء الحاسد وذمه ...

٢٩١ ... ذكر ما قيل في السعاية والبغى والغيبة والنميمة ...

٢٩٤ ... وما قيل في الغيبة والنميمة ...

٢٩٧ ... ذكر ما قيل في البخل واللؤم ...

٣٠٠ ... ومن أخبار البخلاء ...

٣١٨ ... احتجاج البخلاء وتحسينهم للبخل على قبحه ...

٣٢٧ ... ومن نوادر البخلاء ...

٣٢٨ ... ذكر ما قيل في التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمؤاكلة ...

٣٤٣ ... ذكر آداب الأكل والمؤاكلة ...

صحيفة

- ذكر الاقتصادى المطامع والغفة عنها ... ٣٤٦
- ذكر أخبار الأكلة ... ٣٤٩
- ذكر ما قيل فى الجبن والفرار ... ٣٥٣
- ومن أخبار الفزارين الذين حسنوا الفرار على قبجه ... ٣٥٧
- ذكر ما قيل فى الحق والجمل ... ٣٦٠
- ومن صفات الأحمق وعلامته ... ٣٦٣
- ذكر ما قيل فى الكذب ... ٣٦٧
- ذكر ما قيل فى الغدر والخيانة ... ٣٧١
- ذكر أخبار أهل الغدر وغدراتهم المشهورة ... ٣٧٣
- ذكر ما قيل فى الكبر والعجب ... ٣٧٨
- ومما حجب به أهل الكبر ... ٣٨٤
- ذكر ما قيل فى الحرص والطمع ... ٣٨٤
- ذكر ما قيل فى الوعد والمطل ... ٣٨٧
- ذكر ما قيل فى العي والحصر ... ٣٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الثاني من الفن الثاني

في الأمثال المشهورة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ،
والمشهور من أمثال العرب ، وأوابد العرب ، وأخبار الكهنة ، والزجر ، والقال ،
والطيرة ، والفراصة ، والذكاء ، والكثايات ، والتعريض ، والأحاجي ، والألفاظ .
وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول

من هذا القسم

(في الأمثال)

ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه العزيز في آي كثيرة ، فقال تعالى :
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْكُرُوا لَهُ) وتكرر ذكر الأمثال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى
جَنَّتِي الصُّرَاطُ أَبْوَابٌ مَفْتُحَةٌ ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع
يقول أدخلوا الصراط ولا تمزجوا “ فالصراط : الإسلام ، والستور : حدود الله تعالى ،
والأبواب : محارم الله ، والداعي : القرآن .

قال المبرد : المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر شبه به حال الثاني بالأول ،
والأصل فيه التشبيه . قال : وقولهم مثل بين يديه ، إذا آتتصب ؛ معناه أشبه
الصورة المنتصبة . وفلان أمثل من فلان ، أى أشبه .

والمثال : القصاص ، لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول .

وقال ابن السكيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه .

وقال إبراهيم النظم : يجمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز
اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكتابة ، فهو نهاية البلاغة .

وقال ابن المقفع : إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للنطق ، وأتق للسمع ، وأوسع
لشعوب الحديث .

وأقول ما نبداً به من ذلك ما تمثّل به من أقوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو مما لم يسبق إليه :
”إِنَّمَا كَمْ وَخَضِرَاءُ الدِّمَنِ“ ف قيل له : وما ذاك يا رسول الله ؟ فقال : ”المرأة الحسناء
في منبت السوء“ .

”كل الصيد في جوف القرا“ قاله لأبى سفيان يتألفه على الإسلام .

”مات فلان حتف أنه“ .

”لا ينتطح فيه عتران“ .

”إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى“ . المنبت : المنقطع عن أصحابه

في السفر؛ والظهر : الدابة ، قاله في الغلو في العبادة .

”الآن حمي الوطيس“ : ضربه في الحرب .

”يا خيل الله أركبي“ .

٢٠

(١) أى يا فرسان خيل الله اركبي ، وهذا من أحسن المجازات وألطفها .

”اشتدَّتْ أَرْمَةُ تَفَرِّجِي“ .

وقوله صلى الله عليه وسلم: ”الناس كأسنان المشطِ وإنما يتفاضلون بالعافية“ .
”الناس كعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا“ .

”الناس كإبل، مائة لا تجد فيها راحلة“ .

”المؤمن هين لين، كالجل الأنف إن قيد آفاد، وإن أُسِخ على صخرة استناخ“ .

”المؤمن للمؤمن كالبنان يسد بعضه بعضا“ .

”أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم“ .

”مثل أصحابي كالملح لا يصلح الطعام إلا به“ .

”أمتي كالطمر، لا يدرى أوله خير أم آخره“ .

”مثل أبي بكر كالقطر أين وقع نفع“ .

”عُمالكم كأعمالكم وكما تكونوا يولّى عليكم“ .

وقال لما كتب كتاب المهادنة بينه وبين سهيل بن عمرو: ”والعقد بيننا كشرج العيية“ يعني إذا انحلت بعضه انحلت جميعه .

”المرأة كالضلع العوجاء إن قومتها كسرتها، وإن داريتها أستمعت بها“ .

”المتشيع بما لم يعطه كلابس ثوبي زور“ .

”الدال على الخير كفاعله“ .

”لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو نحاصبا وتروح بطائنا“ .

”وعد المؤمن كالأخذ باليد“ .

”مثل المؤمن كالنملة، لا تأكل إلا طيبا ولا تَطْعِم إلا طيبا“ .

”مثل المؤمن كالسبلة تميل أحيانا، وتعتدل أحيانا“ .

(١) قال ابن الأعرابي: العرب تمدح باليمين الذين يخفون ويذم بها متقنين ولم يذكر غيره هذا الفرق .

”مثل الجليس الصالح كالعطّار، إن لم تُصَبَّ من عطره أصبت من ريحه، ومثل الجليس السوء كالكير، إن لم يحرق ثوبك أذاك بدُّخانه“ .

”علم لا ينفع كثر لا يَنفَق منه“ .

وقال : ”المؤمن مرآة أخيه“ .

”قد جدَّع الخلل أنفَ الغيرة“ .

”الأعمال بالنيات ولكل أمرئ ما نوى“ .

”نية المرء خير من عمله“ .

”إن من الشَّعر لحكمة وإن من البيان لِسِحْرٌ“ .

”من كثر سواد قوم فهو منهم“ .

”الأعمال بخواتمها“ .

”ساق القوم آخرهم شرباً“ .

”المرء على دين خليله فلينظر أمرؤ من يُخال“ .

”المستشير معانٌ والمستشار مؤتمن“ .

ومن كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه

إن الله قرن وعده بوعيده .

ليست مع العزاء مصيبة .

الموت أهون مما بعده وأشدَّ مما قبله .

ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه كُنَّ عليه : البنى، والنكثُ، والمكر .

ذلَّ قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة .

أحرص على الموت تُوهَبَ لك الحياة؛ قاله لخالد بن الوليد حين بعثه إلى أهل الرِّدة .

كثيرُ القول يُبْسَى بعضُه بعضاً، وإنما لك ما وُعي عنك .

- لا تكتم المستشارَ خبراً فتؤتى من قبل نفسك .
- خير الخصالين لك أبغضهما إليك .
- صنائع المعروف تقي مصارعَ السوء .

ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

- مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارَ فِي يَدِهِ .
- أَشَقُّ الْوَلَاةِ مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ .
- اتَّقُوا مَنْ تَبَغَّضَ قُلُوبُكُمْ .
- أَغْلَى النَّاسِ أَعْذَرُهُمُ لِلنَّاسِ .
- اجْعَلُوا الرَّأْسَ رَاسِينَ .
- أَخِفُوا الْهَوَامَّ قَبْلَ أَنْ تَخِفَكُمْ .
- لَوْ أَنَّ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ بَعِيرَانِ لَمَا بَالَيْتُ أَتِيَهُمَا رَكِبْتُ .
- مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ كَانَ أَجْدَرَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ .
- مَا الْخَمْرُ صِرَافًا بِأَذْهَبَ لِلْعُقُولِ مِنَ الطَّمَعِ .
- إِلَى اللَّهِ أَشْكُو ضَعْفَ الْأَمِينِ وَخِيَانَةَ الْقَوَى .
- اقْتَصَادٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ أَجْتِهَادٍ فِي بَذْعَةٍ .
- لَا يَكُنْ حُبُّكَ كَلْفًا ، وَلَا بُغْضُكَ تَلْفًا .

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

- مَا يَزَعُ اللَّهُ بِالسُّلْطَانِ أَكْثَرُ مِمَّا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ .
- الْمَدِيَّةُ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَزِلَ مِثْلُهَا مِنْهُ إِذَا عَمِلَ .
- أَتَمُّ إِلَى إِمَامٍ فَعَالٍ ، أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَوْلٍ ؛ قَالَهُ يَوْمَ صَعِدَ الْمُنْبَرُ فَارْتَجَّ عَلَيْهِ .
- وَقَالَ يَوْمَ قُتِلَ : لِأَنَّ أَقْتَلَ قَبْلَ الدَّمَاءِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتَلَ بَعْدَ الدَّمَاءِ .

ومن كلام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه
 من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه ؛ ومن ضيَّعه الأقربُ أتبع له الأبعد ؛
 ومن بالغ في الخصومة أثم ، ومن قصر فيها ظلم .
 رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .
 الناس من خوف الذلّ في الذلّ .
 إن من السكوت ما هو أبلغ من الجواب .

ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما
 لكل داخل دهشة فأبدموه بالتحية ؛ ولكل طاعم حشمة فأبدموه باليمين .
 ومن أمثال العرب ما نقلته من كتاب "الأمثال" للميداني . [والميداني^(١) : هو
 أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري - والميداني : بفتح الميم
 وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة نسبة الى ميدان زياد ، وهي محلة
 بنيسابور ؛ توفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة] ووضعت على حروف المعجم .
 فمن ذلك ما جاء منها على حرف الهمزة :

حرف الهمزة

تقول العرب : « إِنَّ الْمَوْصِينَ بَنُو مَهْوَانَ » قال الميداني : يُضْرَبُ لِمَنْ يَسْهَوُ
 عَنْ طَلَبِ شَيْءٍ أَمْرٌ بِهِ ، وَبَنُو مَهْوَانَ : بَنُو آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ عَاهَدَ إِلَيْهِ
 فَمَهَا وَنَسَى .

وقولهم : « إِنَّ الرَّثِيئَةَ تَفْتَأُ الْغَضَبُ » قال : الرثيئة : الابن الحامض يخلط
 بالحلوى والقثء : التسكين ؛ وزعموا أن رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم ،

وكان جاثما فسقود الرثيثة فسكن غضبه ، فقال هذا المثل . يضرب في الهدية
تورث الوفاق .

وقولهم : « إن الحديد بالحديد يُفْلَح » أى يستعان في الأمر الشديد بما
يشاكله ويقاويه .

• وقولهم : « إن السلامة منها تركٌ مافيا » في اللططة وذم الدنيا .^(١)

والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت * أن السلامة منها تركٌ ما فيها

وقولهم : « إن العصا من العصية » يقال : إن أول من قال ذلك الأفعى ^(٢)

الجرهمي ، ذلك أن تزارا لما حضرته الوفاة جمع بينه : مضر ، وإيادا ، وربيعة ،

وأعمارا ، فقال : يا بني ، هذه القبة الجراء — وكانت من آدم — لمضر ، وهذه الفرس

الأدهم والخباء الأسود لربيعة ، وهذه الخادم — وكانت شطاء — لإياد ، وهذه البدرة

والجلس لأعمار ، فإن أشكل عليكم كيف تقسمون ، فأتوا الأفعى الجرهمي ومثله

بخران . فتشاجروا في ميراثه ، فوجهوا إليه في حينهم في سيرهم إذ رأى مضر أثر

كلاء قدرعى ، فقال : إن البعير الذي رعى هذا أعور ، وقال ربيعة : إنه لأزور ،

وقال إياد : إنه لأبتر ، وقال أعمار : إنه لشروء ، فساروا قليلا ، فاذا هم برجل ^(٣) يوضع

جمله فسألهم عن البعير ، فقال مضر : أهو أعور ؟ قال : نعم ، وقال ربيعة :

أهو أزور ؟ قال : نعم ، وقال إياد : أهو أبتر ؟ قال : نعم ، وقال أعمار : أهو شروء ؟

قال : نعم ، هذه والله صفة بعيرى فدلونى عليه ! فقالوا : والله مارأيتاه ، فقال :

هذا والله الكذب ! كيف أصدقكم وأتم تصفونه بصفته ! فساروا حتى قدموا بخران ؛

(١) في الميدان : وهذا في بيت أئله . والمسر الخ .

(٢) في الميدان : يمشد جمه .

- فلما تزلوا، نادى صاحب البعير، هؤلاء أصحاب جملى وصفوا لى صفته ثم قالوا :
 لم نره؛ فاختصموا إلى الأفعى، فقال لهم : كيف وصفتموه وأتم لم تروه؟ فقال مضر:
 رأيته قد رعى جانبا وترك جانبا، فعلمت أنه أعور؛ وقال ربيعة : رأيته إحدى
 يديه ثابتة والثانية فاسدة، فعلمت أنه أزور لأنه أفسدها بشدة وطئه؛ وقال إياد :
 عرفت أنه أبلر باجتماع بعره ولو كانت ذبيلا لمصع به؛ وقال أنمار : عرفت أنه
 شرود، لأنه يرى فى المكان المتلف نبتة ثم يحوزه إلى مكان أرق منه؛ فقال الأفعى :
 ليسوا بأصحاب جملك فاطلبه، ثم سألهم : من أتم ؟ فأخبروه بخبرهم، وبما جاءوا له،
 فأكرمهم، وقال : أحتاجون إلى وأتم كما أرى ؟ ثم أزلهم وذبح لهم شاة، وأتاهم
 بخمر؛ وجلس لهم الأفعى بحيث لا يرى؛ فقال ربيعة : لم أر كاليوم أطيب لحما لولا
 أن شاته غذيت بلبن كلبة ؛ وقال مضر : لم أر كاليوم أطيب نحرا لولا أن حبلتها
 نبتت على قبر؛ فقال إياد : لم أر كاليوم رجلا أسرى لولا أنه ليس لأبيه الذى
 يدعى له ؛ فقال أنمار : لم أر كاليوم كلاما أضع فى حاجتنا من كلامنا ، وكان كلامهم
 بإذنه، فدعا قهرمانه ، فقال : ما هذه النحر، وما أمرها ؟ قال : هى من حُبلة
 غرستها على قبر أبيك؛ وقال للراعى : ما هذه الشاة؟ فقال : هى عناق أرضعتها
 بلبن كلبة وكانت أمتها ماتت ؛ ثم أتى أتمه، فقال : اصدقنى، من أبى ؟ فأخبرته
 أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له، فخفت أن يموت وليس له ولد،
 فأمكنت من نفسى ابن عم له كان نازلا عليه فولدتك؛ فرجع إليهم وقال : ما أشبه
 القبة الحمراء من مال تزار فهو لمضر، فذهب بالإبل الحجر والدنانير ، فسميت مضر
 الحمراء . وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شئ أسود، فصار
 لربيعة الخليل الأدهم وما شاكلها، فقييل : ربيعة الفرس . وأما الخادم الشمطاء

(١) الحبله (بالضم ويحرك) : الكرمه التى يكون منها النحر .

فلصاحبها الخليل البُلُق والمأشية، فسميت : إيراد الشمطاء، وقضى لأتمار بالدرهم والأرض فصدروا من عنده على ذلك، فقال الأنفى : إن العصا من العصية، وإن خَشِينَا من أخشن؛ فأرسلهما مثلا .

وقولهم : «إِنَّ الْعَوَانَ لَا تُعَلَّمُ الْحِمْرَةَ» : يضرب للرجل المجرب .

وقولهم : «إِنِّي لَا أَكُلُ الرَّأْسَ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا فِيهِ» : يضرب للأمر تأتبه وأنت تعلم ما فيه مما تكره .

وقولهم : «أَنْفٌ فِي السَّمَاءِ، وَأَسْتُ فِي الْمَاءِ» : يضرب للتكبر الصغير الشأن .

وقولهم : «إِنَّ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَصُودٌ» : أى أنصار وأعوان : يضرب لمن يخذله ناصره .

وقولهم : «إِنْ يَدَمَ أَظْلُكَ فَقَدْ نَقَبَ خُفِّي» الأطل : ماتحت منم البعير : والخف : قائمته : يضربه المشككو إليه للشاكى أى أنا منه فى مثل ما تسكوه .

وقولهم : «إِنْ تَسَلَّمَ الْحِلَّةُ فَالْنَيْبُ هَدَرٌ» الْحِلَّةُ : جمع جليل يعنى العظام من الإبل ، والنَيْبُ : جمع ناب وهى الناقة المستنة؛ معاه إذا سلم ما ينتفع به هان ما لا ينتفع به .

وقولهم : «إِنْ يَبِغْ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِغْ عَلَيْكَ الْقَمَرُ» يقال : إن بنى ثعلبة ابن سعد فى الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة، فقالت طائفة : تطلع الشمس والقمر يرى، وقالت طائفة : بل يغيب قبل طلوعها، فتراضوا برجل جعلوه بينهم، فقال رجل منهم : إن قومى يبيعون على، فقال العدل : إن يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر؛ فذهبت مثلا : يضرب للأمر المشهور .

وقولهم : « إِن كُنْتَ رِيًّا فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَارًا » الإعصار : ريح شديدة تهب فيما بين السماء والأرض : يضرب للدل بنفسه إذا ضلَّ بمن هو أدهى منه وأشد.

وقولهم : « إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيْقِ الْعَصَا » قالوا : قاله غنية الأعرابية لأبنها ، وكان عارما مع ضعفه ، فواب يوما قى فقطع أذنه فأخذت ديتها ، فزادت حُسنَ حالٍ ثم واب آخر فقطع شفته فأخذت الدية فذكرته في أرجوزتها فقالت :
 • أَحِلْفُ بِالْمَرْوَةِ حَقًّا وَالصِّفَا ٢١ إِنَّكَ أَجْدَى مِنْ تَفَارِيْقِ الْعَصَا

ف قيل لأعرابي : ما تفاريق العصا ؟ فقال : العصا تقطع ساجورا والسواجير للكلاب والأسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصير أو تادأ ويقطع الودت فيصير كل قطعة شظاذا وإن جعل لرأس الشظاظ كالفلكة صار للُبْحُخِي مَهَارًا وهو العود الذى يدخل فى أنفه ، وإذا فرق المهار جاءت منه تَوَادٍ وهى الخشبة التى تشد على خلف الناقة .

وقولهم : « إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ » : يصرب للرجل الداهى ؛ قال بعضهم : لِمَ تُؤْكَلُ الكتف من أسفلها ؟ قال : لأنها تنفشر عن عظمها وتبقى المرقعة مكانها ثابتة .

وقولهم : « إِنَّكَ لَا تَنْجِي مِنَ الشَّوْكِ الْعِنَبُ » أى لا تجد عند ذى المنبت السوء جملا ؛ والمثل من قول أكرم قال : إذا ظلمت فاحذر الانتصار ، فإن الظلم لا يكسبك إلا مثل فطك .

وقولهم : « أَخُو الظَّلْمَاءِ أَعَشَى بِاللَّيْلِ » : يضرب لمن يخطئ حجه ولا يبصر المخرج مما وقع فيه .

٢٠ (١) فى المبدأى : " قطع الفتى أمه فأخذت عية دية أمه فحسنت حالها بعد مفر مدفع ثم واب آخر فقطع أذنه الخ " . (٢) فى المبدأى : " حبر " .

وقولهم : « إِنَّكَ لَتَكْثُرُ الْحَزَّ وَتُحْطِي الْمَفْصِلَ » : يضرب لمن يمتهد في السعى ثم لا يظفر بالمراد .

وقولهم : « أَوَّلُ الشَّجَرَةِ النَّوَاةُ » : يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .

وقولهم : « إِذَا صَاَحَتِ الدَّجَاجَةُ صَبَاحَ الدِّيكِ فَلْتُنْذِجْ » قاله الفرزدق في امرأة قالت الشعر .

وقولهم : « إِذَا رَأَى رَأَى السَّكِينِ فِي الْمَاءِ » : يضرب لمن يخافك جداً .

وقولهم : « إِنَّكَ رِيَّانٌ فَلَا تَعْجَلْ بِشْرَبِكَ » : يضرب لمن أشرف على إدراك بغيته فيؤمر بالرفق .

وقولهم : « أَبْطَشُ مِنْ دَوَسَرٍ » هي إحدى ذئاب النمل أشدها بطشا ونكاية ؛ قال بعض الشعراء

صَرَّتْ دَوَسَرٌ فِيهِمْ صَرَبَةٌ * أَثْبَتُ أَوْتَادَ مُلْكٍ فَاسْتَقَرَّ

وقولهم : « أَبْرَمًا قُرُونًا » البرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لخبلة .

والقُرُون : الذي يقرن بين الشيئين ؛ وأصله أن رجلاً كان لا يدخل في الميسر ولا

يرى اللحم فجاء إلى امرأته وبين يديها لحم تأكله فأقبل يأكل معها بضعتين يقرن بينهما

فقال له : أَبْرَمًا قُرُونًا : يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .

وقولهم : « النَّيْبُ عُجَالَةُ الرَّاكِبِ » : يضرب في الحث على الرضا بيسير الحاجة

عند إعواز جليلها .

* ضربت دوسر فهم *

(١) في اللسان : وهذا الشعر أورده الجوهري

وصوابه : « دوسر فيه » لأنه عائد على يوم الخمر .

وقولهم :

«البَسَ لِكُلِّ حَالَةٍ لِبُوسَهَا * إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا»

أول من قال ذلك يهيس : وهو رجل من بني غراب بن قزارة ، وكان سبع
سبعة إخوة ، فأغار عليهم أناس من بني أشجع ، وهم في إبلهم فقتلوا منهم ستة وتركوا
يهيسا لحقه فقال : دعوني أتوصل معكم الى أهل فأقبل معهم ، فلما كان من الغد
نحروا جزورا في يوم شديد الحر ، فقال بعضهم : أظللوا لحكم لا تفسده الضح ، فقال
يهيس : لكن بالأنثلاث^(١) لحم لا يظلل ، فأرسلها مثلا ؛ ثم فارقهم وأتى أمه فأخبرها
الخبر فقالت : ما جاء بك من بين إخوانك وأنت أخبثهم ، فقال : ما خيّرك القوم
فتخترى ، فأرسلها مثلا ؛ ثم أعطته ثياب إخوانه ومتاعهم ، فقال : يا حبيذا التراث
لولا الدّلة ، فأرسلها مثلا ؛ وأخذ يوما يبرّد سكيناً ، فقيل له : ما تصنع بها ؟ فقال :
أقتل بها قتلة إخواني ، فقيل له : إنك لأحق ، فقال : ما يؤمنك من أحمق في يده
سكين ، فأرسلها مثلا ؛ ثم إنه مرّ بنسوة من قومه يصلحن امرأة يردن أن يهدينها
لبعض قتلة إخوانه فكشف ثوبه عن آسته وغطى به رأسه ، فقيل له : ما تصنع ؟ فقال :
البَسَ لِكُلِّ حَالَةٍ لِبُوسَهَا * إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا

وقولهم «الصَّيْفَ ضَيَّعَتِ اللَّبَنُ» قال الأصمعي : معناه تركت الشيء .
في وقته ؛ وقال غيره : تركت الشيء وهو ممكن ، وقال أبو عبيدة : أول من قاله عمرو بن
عَدَس ، وكان قد تزوج دَخَسُوسَ بعد ما كبر ، فكان ذات يوم نائماً في حجرها فجحف^(٢)

(١) قال ياقوت في معجمه : أنثلاث بالياء هو الموضع المذكور في المثل في بعض الروايات ؛
لكن بالأنثلاث الخ . ثم قال : وأكثر الرواة يقولون : الأنثلاث - بالياء - جمع أنثة وهو وصف من الطراء
كبير يظلل فيه مائة نس . (٢) في الأصل : « يرم » وهو تحريف .
(٣) الجحيف : صوت من الجوف أشد من العليط .

وسال لمابه فأنقته فأنبته وهى تتأفف منه، فقال : أتحبين أن أطلقك ؟ قالت : نعم ، فطلقها ، وترّوجها حتى ضرير حسن الوجه ، ففجأتهم ذات يوم غارةً والفتى نائم فقامت دَخَنَتوس فأنبته وقالت له : الخليل ، فجعل يقول : الخليل الخليل ! من الخوف حتى مات فرّقا وُسِيَتْ دَخَنَتوس فبلغ عمرا الخبير فركب ولحقهم وقاتل حتى استنقذ جميع ما أخذوا واستنقذها فوضعها قدّامه على السرج وردّها الى أهلها ، ثم أصابهم سنة فبعثت إليه تقول : نحتاج اللبن فبعث إليها بالقمحة وقال : الصيف ضيعت اللبن .

وقولهم : « اضْطَرُّهُ السَّيْلُ الى مَعْطَشِهِ » وهو أن رجلا عطش وكان قد أتى واديا له غور وماء شديد الحرارة ، فبقى في أصل شجرة لا يقدر أن يتزل فياخذ به الماء ، ولم يجد ماء فمات عطشا : يضرب لمن ألقاه الخير الذى كان فيه الى شر .

« إِنَّ الْحَمَاءَ أُولِعَتْ بِالْكَنَّةِ * وَأُولِعَتْ كُنْهًا بِالطَّنَّةِ »

الحماة : أم الزوج ، والكَنَّة : امرأة الابن والأخ ، والطَّنَّة : التهمة ، وبين الحماة والكَنَّة عداوة مُسْتَحِكَّةٌ : يضرب بها المثل فى الشرّ يقع بين قوم هم أهل لذلك .

وقولهم : « إِنْ لَلَّهِ جُنُودًا مِنْهَا الْعَسَلُ » قاله معاوية : لما بلغه أن الأشتر سُقِيَ عسلا فيه سم فمات : يضرب عند الشتمات بمصاب العدو .

وقولهم : « إِنْ الْهُوَى يَمِيلُ بِأَسْتِ الرَّاكِبِ » أى من هوى شيئا مال نحوه قيعا أو جيلا ، كما قيل

وما زُرْكُمْ عَمْدًا وَلَكِنْ ذَا الْهَوَى * إِلَى حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ تَهْوَى بِهِ الرَّجُلُ

وقولهم : «إِنَّ الْحَوَادَّ قَدْ يَعْثُرُ» : يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل
ثم تكون منه الزلّة .

وقولهم : «إِنَّ الشَّفِيقَ بِسُوءِ ظَنِّ مُوَلَّعٍ» : يضرب للعنى بشأن صاحبه لأنه
لا يكاد يظن به غير وقوع الحوادث كظنون الودعات بالأولاد .

وقولهم : «إِنْ خَصَمْتَيْنِ خَيْرُهُمَا الْكَذِبُ لَخَصَلَتَا سُوءٍ» : يضرب للرجل
يعتذر من شيء فعله بالكذب .

وقولهم : «أَحَادِيثُ طَسِيمٍ وَأَحْلَامُهَا» : يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له .

وقولهم : «أَحْشَفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ» : يضرب لمن يجمع بين خصمتين مكروهتين .

وقولهم : «الْحَقُّ أَبْلَجُ، وَالْبَاطِلُ لَجَلَجُ» : معناه أن الحق واضح بين، والباطل
يتلجلج فيه أى يتردد فلا يجد صاحبه مخرجاً .

١٠

وقولهم : «الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ» : هذا المثل قاله أكرم بن صيفي .

وقولهم : «اخْتَلَطَ الْخَائِرُ بِالزُّبَادِ» . الخائر : ما خثر من اللبن ، والزُّبَادُ : الزَّبَدُ :
يضرب للقوم يقومون في التخليط من أمرهم .

وقولهم : «أَخْطَأْتُ أَسْنَهُ الْحُفْرَةِ» : يضرب لمن رام شيئاً فلم ينله .

وقولهم : «ادْعِ إِلَى طِعَانِكَ مَنْ تَدْعُوهُ إِلَى جِفَانِكَ» أى آستعمل
في حوائجك من تخصه بمعرفتك .

وقولهم : «أَرَوْغَانًا يَأْتِعَالُ» وقد عَلِقَتْ بِالْحَبَالِ «عَالَةٌ : الثعلب يضرب لمن
يراوغ وقد وجب عليه الحق .

وقولهم: «إِزِمَ فَقَدْ أَفْقَتَهُ مَرِيئَسًا» يقال: أفقت السهم إذا وضعت فؤقه في الوتر: يضرب لمن تمكن من طليته .

وقولهم: «أَضْرَطَّا وَأَنْتَ الْأَعْلَى؟» قاله سليك بن سلكة السعدي، وذلك أنه بنتا هو نائم إذ جثم عليه رجل من الليل وقال: استأسِرْ، فقال له سليك: الليل طويل وأنت مقمر، فأرسلها مثلاً: ثم ضمه سليك بيديه ضمة أضرطه، فقال له: أَضْرَطَّا وَأَنْتَ الْأَعْلَى فَأرسلها مثلاً: يضرب لمن يشكو في غير موضع الشكوى .

وقولهم: «أَضَلَّتَ مِنْ عَشْرِ ثَمَانِيًا»: يضرب لمن فسد أكثر ما يليه من الأمر.

وقولهم: «أَعْطِ أَحَاكَ تَمْرَةً، فَإِنْ أَبَى بِحُمْرَةٍ»: يضرب لمن يختار الموافاة على الكرامة .

وقولهم: «اكَذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا» معناه لا تحدث نفسك بأنك لا تنظر، فإن ذلك يبطئك . قال لييد :

اكَذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا * إِنَّ صَدَقَ النَّفْسَ يُرَى بِالْأَمَلِ

وقولهم: «أَكْبَرًا وَإِمْعَارًا؟» أى أتجمع بين الكبر والفقر .

وقولهم: «أَمْكُرًا وَأَنْتَ فِي الْحَدِيدِ» هذا المثل قاله عبد الملك بن مروان لعمر بن سعيد لما قبض عليه وبكاه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت ألا تنفضحني بأن تخرجني للناس فتقتلني بحضرتهم فاقبل، وإنما أراد عمرو بهذه المقالة أن يخالفه عبد الملك فيخرجه فيمنعه منه أصحابه، فقال: أبا أمية! أمكرا وأنت في الحديد: يضرب لمن أراد أن يمكر وهو مقهور .

وقولهم : « أَهْوَنُ هَالِكٍ يَجُوزُ فِي هَامِ سَنَةٍ » : يُضْرَبُ لِلشَّيْءِ يُسْتَحْفُ بِهِ وَبِهَلَاكِهِ .

قال الشاعر :

وأهون مفقود إذا الموتُ نابه * على المرء من أحماله من قَتَمًا

وقولهم : « أَوْسَعْتُهُمْ سَبًّا وَأَوْدَوْا بِالْإِبِلِ » أصله أن رجلا من العرب أغير على إبله فأخذت ، فلما تواروا صعد أَكَّةً وجعل يُسَبِّهم ثم رجع إلى قومه فسألوه عن إبله ، فقال هذا المثل .

ويقال : إن أول من قاله كعب بن زهير بن أبي سلمى ، وذلك أن الحارث بن ورفاء الصيدوى أغار على بنى عبد الله بن عطفان وأستاق إبل زهير ورأى ، فقال زهير في ذلك قصيدته التي أولها :

بأن الخليطُ ولم يَأْوُوا لِمَنْ تَرَكُوا * وزودوك أشتياقا أيةً سلكوا

وبعث بها إلى الحارث فلم يرِدْ الإبل ، فهجاه ، فقال كعب أبسه : أَوْسَعْتُهُمْ سَبًّا وَأَوْدَوْا بِالْإِبِلِ ، فذهبت مثلا : يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام .

وقولهم : « أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ » هو سعد بن زيد مناة أخو مالك

الذى يقال فيه : إِنَّكَ أَبْلٌ مِنْ مَالِكٍ ، وذلك أن مالكا تزوج بامرأة وبني بها فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والفرق بها ، فقال مالك :

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ * ما هكنا تورَدَ يَسْعَدُ الْإِبِلِ

فضرب مثلا لمن قصر في طلب الأمر .

وقولهم : « إِنْ الشَّقِيَّ وَأَفِدُ الْبَرَّاجِمِ » قاله عمرو بن هند الملك . وذلك أن

سُوَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ التَّمِيمِيُّ قَتَلَ أَخَاهُ سَعْدُ بْنُ هِنْدٍ وَهَرَبَ فَنَذَرَ عَمْرُو لِيَقْتُلَنَّ بِأَخِيهِ مَائَةً

من بنى تميم، فسار إليهم يجمعهم فلقبهم الخبر ففزعوا في فواحي بلادهم فلم يجد إلا عجوزا كبيرة وهي حمراء بنت ضمرة، فلما نظر إليها قال : إني لأحسبك أعجمية، قالت : لا والذي أسأله أنت يخفص جناحك، ويهد عمادك، ويضع وسادك، ويسلبك بلادك، ما أنا بأعجمية، قال : فن أنت ؟ قالت : أنا بنت ضمرة بن جابر، ساد معدا كبيرا عن كابر، وأنا أخت ضمرة بن ضمرة، قال : فن زوجك ؟ قالت : هودّة ابن جرول، قال : وأين هو الآن ؟ أما تعرفين مكانه ؟ قالت : لو كنت أعلم مكانه حال بني وينك، فقال عمرو : أما والله لولا أني أخاف أن تلدى مثل أهلك وأخيك وزوجك لأستبقيتك، فقالت : والله ما أدركت ثارا، ولا تحوت عارا، مع كلام كثير كلته به فأمر بإحراقها، فلما نظرت إلى النار، قالت : ألا قتي مكانَ عجوز ! فذهبت مثلا، ثم مكثت ساعة فلم يفدها أحد، فقالت : هيات صارت الفتيان حُما، فذهبت مثلا، ثم أُلقيت في النار وليث عمرو عامّة يومه لا يقدر على أحد، حتى إذا كان آخر النهار أقبل راكب يسمى عمّارا يُوضع به راحلته حتى أتاخ إليه، فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا رجل من البراجم، قال : فما جاء بك إلينا ؟ قال : سطع الدخان وكنت طويّ منذ أيام وطننته طعاما، فقال عمرو : إن الشقيّ وافد البراجم، فذهبت مثلا، وأمر به فأُلقي في النار، قيل : إنه أحرق مائة من بنى تميم : تسعة وتسعين من بنى دارم، وواحدا من البراجم .

وقال بعضهم : ما بلغنا أنه أصاب من بنى تميم غير وافد البراجم وإنما أحرق النساء والصبيان، قال جرير :

وأنزاً كم عمرو كما قد خزيتم * وأدرك عمّارا شقيّ البراجم

ولذلك حُيرت بنو تميم بحب الطعام، قال الشاعر :

إذا مامات ميّت من تميم * ومرك أن يعيش يلقى بزدا

يُحْبِزُ أَوْ يُلْحِمُ أَوْ يَمْرُ * أَوْ الشَّيْءُ الْمَلْفَفُ فِي الْيَجَادِ
تَرَاهُ يُتَقَبَّبُ الْآفَاقُ حَوْلًا * لِيَا كُلَّ رَأْسٍ لِهَانَ بْنِ عَادٍ

وهذا المثل يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة طمعا .

حرف الباء

- تقول العرب : « بلغ السيلُ الزَّبِّي » هي جمع زُبَيْة وهي حفرة تُحْفَرُ للأسد إذا أرادوا صيده لا يعلموها الماء فإذا بلغها السيل كان مجحفا : يضرب لمن جاوز الحد .

وقولهم : « بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَاثِهَا » اللحاء : القشر : يضرب للتحالين المتفقين ؛ ويرى : لا مدخل بين العصا ولحائها .

- وقولهم : « بَيْنَهُمْ دَاءُ الضَّرَائِرِ » هي جمع ضَرَّة : يضرب للعداوة إذا ربححت بين قوم .

وقولهم : « بَيْنَهُمْ عِطْرٌ مَنْشِمٌ » قال الأَصْمَعِيُّ : مَنْشِمٌ كانت عطارة بمكة وكانت خُرَاعَةً وَجُرْهُمُ إذا أرادوا القتال تطيَّبُوا مِنْ طِيْبِهَا فإذا فعلوا ذلك كثرت بينهم القتل فكان يقال : أشام من عطر منشم : يضرب في الشرِّ العظيم ، وفيه يقول زهير :

١٥

تَدَارَكْتُمَا عِبَسًا وَدُبَّانَ بَعْدَ مَا * تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمٍ

وقولهم : « به داءٌ ظَبِّي » أي أنه لا داء به كما أن الظبي لا داء به ، وقيل : ربما يكون بالظبي داء لا يعرف مكانه ، معناه أن به داء لا يُعرف .

وقولهم : « بَلَغَتِ الدِّمَاءُ الثُّنَنَ » الثُّنَنُ : الشرَّات التي في مؤخر رُسْغِ الدَّابَّةِ : يضرب عند بلوغ الشرِّ النهاية .

٢٠

وقولهم : «بَرَحَ الخَفَاءُ» أى زال من قولهم ما برح ، والمعنى زال السر فوضع الأمر ، ويقال : الخفاء : المتناطئ من الأرض ، والبراح : المرتفع أى صار الخفاء برأحا .

وقولهم : «بَنَانٌ كَيْفَ لَيْسَ فِيهَا سَاعِدٌ» : يضرب لمن له همة ولا مقدرة له على ما فى نفسه .

وقولهم : «بات فلانٌ يَسْوَى القَرَّاحَ» يعنى الماء الخالص لا يخالطه شئ : يضرب لمن سامت حاله ، وقد ماله بحيث يشوى الماء شهوة للطبخ

وقولهم : «بَجَجَ سَاقُ بَحْلَخَالٍ» هى كلمة بقولها المتعجب من حسن الشئ وكأله . وأول من قال ذلك الْوَرِثَةُ بنت ثعلبة ، وذلك أن ذهل بن شيبان كان زوج الْوَرِثَةِ وكانت لا تترك له أمراً إلا ضربتها فترج رِقَاش بنت عمرو بن عثمان من بنى ثعلبة ، فخرجت رقاش يوماً وعليها خَلْخَالَان ، فقالت الْوَرِثَةُ ذلك فذهبت مثلاً .

حرف التاء

قولهم : «تَرَكَ الطَّبِيُّ ظِلَّهُ» أى كَنَاسَهُ الذى يستظل به : يضرب لمن نفر من شئ فتركه تركاً لا يعود له .

وقولهم : «تركته على مثل ليلة الصِّدْرِ» وهى ليلة ينفر الناس من منى فلا يبقى منهم أحد .

وقولهم : «تركته على أنقى من الرَّاحَةِ» أى على حال لا خيره فيه كما لا شعر على الراحة : يضرب فى أصطلام الدهر .

وقولهم : «نَجَّوْعُ الحُرَّةِ ولا تأكلُ بَنَدِييَةً» أى لا تكون ظئراً وإن آذاها

- الجوع . أول من قاله الحارث بن سليل الأسدي وكان حليفا لعقمة بن حصيفة الطائي فزاره فنظر الى أبنته الزباء وكانت من أجل أهل دهرها ، فقال : أتيتك خاطبا وقد يُنكح الخاطب ، ويدرك الطالب ، ويُمنح الراغب ، فقال له عقمة : أنت كفء كريم يُقبل منك الصفو ، ويؤخذ منك العفو ، فأقم تنظر في أمرك ، ثم أنكفا الى أمها ، فقال : إن الحارث سيد قومه حسبا ومنصبا ويطا ، وقد خطب اليها الزباء فلا ينصرفن إلا بحاجته ، فقالت المرأة لأبنتها : أى الرجال أحب إليك الكهل المحتاج ، الواصل المتاح ، أم الفتى الوضاح ؟ قالت : بل الفتى الوضاح ، فقالت : إن الفتى يُغيرك ، وإن الشيخ يُميرك ، وليس الكهل الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المَن ، قالت يا أماء : إن الفتاة تحب الفتى ، تحب الزماء أنيق الكلا ، قالت : أى بنية ! إن الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب ، قالت : ١٠ إن الشيخ يُبل شبابي ، ويدنس ثيابي ، ويُسمِت بي أترابي . فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحارث على مائة ونحسين من الإبل وخادم وألف درهم ، فابتنى بها ، ثم رحل بها الى قومه فيينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهي الى جانبه ، إذ أقبل شباب من بني أسد يتلججون فتنفست الصعداء ، ثم أرخت عينها بالبكاء ، فقال : ما يبكيك ؟ قالت : مالى وللشيوخ ، الناهضين كالفروخ ، فقال لها : نيكئك ١٥ أمك ! نجوع الحزوة ولا تأكل بشديها ، ثم قال لها : وأبيك ، لرب غارة شهدتها ، وسيئة أردقتها ، ونمرة شربتها ، فألقى بأهلك فلا حاجة لي بك ، وهذا المثل : يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خيس المكاسب .

وقوله : «نَجَشًا لَقْمَانُ مِنْ غَيْرِ شَيْعٍ» : يضرب لمن يدعى ما ليس يملك .

- ٢٠ وقوله : «تُخْبِرُ عَنْ مَجْهُولِهِ مَرَّاتَهُ» أى منظره يخبر عن مخبره .

وقولهم : «تَشْكُو إِلَى غَيْرِ مُصَمِّتٍ» أى الى من لا يهتم بشأنك . قال الشاعر

إِنَّكَ لَا تَشْكُو إِلَى مُصَمِّتٍ * فَاصْبِرْ عَلَى الْحَمْلِ الثَقِيلِ أَوْمِتْ

وقولهم : «تَجَاوَزَ الرَّوْضَ إِلَى الْقَاعِ الْقَرِيقِ» : يضرب لمن يعدل بمحاجته

عن الكريم الى اللئيم ، والقَرِيقُ : المستوى .

وقولهم : «تَسْمَعُ بِالْمُعَيَّدِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ» ويروى : لا أن تراه :

يضرب لمن خبره خير من مرآه ، أول من قاله : المنذر بن ماء السماء .

وقولهم : «تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمُطَامِعُ» : يضرب فى ذم الطمع .

وقولهم : «تَقْلَدُهَا طَوَقُ الْحَمَامَةِ» كناية عن انخسلة القيحة التى لا تزيله

ولا تفارقه .

حرف الشاء

قولهم : «ثَارَ حَابِلُهُمْ عَلَى نَابِلِهِمْ» الحابل : صاحب الحباله ، والنابل :

صاحب النبل أى اختلط أمرهم : يُضْرَبُ فى فساد ذات الين وتآريث الشر فى القوم .

وقولهم : «ثَوْرٌ كَلَّابٌ فى الرَّهَانِ أَقْعَدُ» هو كلاب بن ربيعة بن عامر

أبن صَعْمَةَ القيسى كان يحق ، وذلك أنه أربط عجل ثور ليسابق عليه ، والأقعد ١٥
من القعيد وهو المتخلف المتباطئ : يُضْرَبُ لمن يروم ما لا يكون .

حرف الجيم

قولهم : «جَرَى الْمُدَّكِاتِ غِلَابٌ» الْمُدَّكِيَّةُ من الخيل التى آتى عليها بعد

قروحها سنة أو سثنان والغلاب المغالبة : يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه

في حلبة الفضل ؛ وأول من قاله نذكره إن شاء الله تعالى في حرب داحس والفبراء .

وقولهم : «جَزَاءُ سِنَمَارٍ» وهو الذي بنى الخَوْرَنَقَ وتقدم خبره في مبانى العرب .

وقولهم : «بَحْرَحَ حَيْثُ لَا يَضَعُ الرَّاقِ أَنْفَهُ» قالته جنثلة بنت الحارث ،

- وكانت تحت حنظلة بن مالك وهي عنراء ، وكان حنظلة شيخا كبيرا فخرجت في ليلة مطيرة فبصر بها رجل فوثب عليها وأقتضها ، فصاحت وقالت : لِسَعْتُ . قيل أين ؟ قالت : حيث لا يضع الراق أنفه : يضرب لمن يقع في أمر لاحيلة له في الخروج منه .

وقولهم : «جَمْعَجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْنًا» : يضرب لمن يعد ولا يفى .

وقولهم : «جَرَى مِنْهُ مَجْرَى اللَّدُودِ» وهو ما يُصَبُّ في أحد شِقَى النَمِّ من

- الدواء : يضرب لمن يُبْقِضُ وَيَكْرَهُ .

وقولهم : «جَمَاعَةٌ عَلَى أَقْدَاءٍ» معناه أَجْتَمَعَ بِالْأَبْدَانِ ، وَأَفْتَرَقَ بِالْقُلُوبِ ،

وهو بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم : «هَذَنَتْ عَلَى دَخَنٍ» : يُضْرَبُ لِمَنْ يَضْمِرُ أذى وَيُظْهِرُ صفاء .

وقولهم : «جَارٌ بَكَارٍ أَبَى دُودَادٍ» يعنون كعب بن مامة فإنه كان إذا جاوره

- رجل فإن مات وداه ، وإن هلك له بعير أو شاة أخاف عليه ، فضربت به العرب المثل في حسن الجوار ، قال طرفة :

إِنِّي كَفَانِي مِنْ أَمْرِ مَمْتُ بِهِ * جَارُ بَكَارٍ الْحُدَاقِ الَّذِي أَتَصَفَا

والحذاق هو أبو دوداد .

وقولهم : «جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْغَيِّرَةِ» قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ليلة زُفَّتْ فاطمة الى علي رضي الله عنهما .

وقولهم : « جَوَّعَ كَلْبُكَ يَتْبَعُكَ » أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مَلِكٌ مِنْ مَلُوكِ حِمْيَرَ
 كَانَ جَائِزًا عَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ يَسْلُبُهُمْ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَإِنْ أَمْرَأَتُهُ سَمِعَتْ صَوْتَ السَّوَالِ
 فَقَالَتْ : إِنِّي لِلْأَرْحَمِ هَؤُلَاءِ وَإِنِّي لِأَخَافُ أَنْ يَكُونُوا عَلَيْكَ سِبَاعًا ، بَعْدَمَا كَانُوا لَكَ أَتْبَاعًا ،
 فَقَالَ : جَوَّعَ كَلْبُكَ يَتْبَعُكَ ، ثُمَّ إِنَّهُ غَزَاهُمْ وَلَمْ يَقْسَمْ عَلَيْهِمْ شَيْئًا فَقَالُوا لِأَخِيهِ : قَدْ تَرَى
 مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْجُهْدِ وَنَحْنُ نَكْرَهُ خُرُوجَ الْمَلِكِ عَنْكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ فَسَاعِدْنَا عَلَى قَتْلِ أَخِيكَ
 وَاجْلِسْ مَكَانَهُ ، فَوَاقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ وَشَوْا عَلَى الْمَلِكِ فَقَتَلُوهُ ، فَتَزَبَّاهُ عَامِرُ بْنُ جَذِيمَةَ
 وَهُوَ مَقْتُولٌ ، فَقَالَ : رَجِمَا أَكُلَ الْكَلْبُ مُؤَذَّبَهُ إِذَا لَمْ يَنْلِ شَبْعَهُ ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا ،
 وَالْمِثْلُ يَضْرِبُ فِي اللَّثَامِ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَعَامِلُوا بِهِ .

وقولهم : « جَاءَ شَهْمٌ عَوَانًا غَيْرَ بَكْرٍ » أَيْ مَسْتَحْكِمَةٌ غَيْرُ ضَعِيفَةٍ يَرِيدُونَ حَرْبًا
 أَوْ دَاهِيَةً عَظِيمَةً .

وقولهم : « جَاءَ بِصَحِيفَةِ الْمَتَلَسِّسِ » إِذَا جَاءَ بِالْدَاهِيَةِ ، وَكَانَ مِنْ خَيْرِ
 صَحِيفَةِ الْمَتَلَسِّسِ أَنَّ الْمَتَلَسِّسَ وَطَرَفَهُ قَدَمَا عَلَى عَمْرُو بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فَيُحْمَلُهُمَا
 فِي صَحَابَةِ قَابُوسَ بْنِ الْمُنْذِرِ أَخِيهِ وَأَمْرُهُمَا يُلْزَمُهُ ، وَكَانَ قَابُوسُ شَابًا يَمُجِبُهُ اللَّهُو ،
 فَطَالَ بِقَاؤُهُمَا عِنْدَهُ ، فَهَجَا طَرَفَهُ عَمْرًا بِأَيَّاتِ قِبَلَتِهِ ، فَاسْتَدْعَاهُمَا فَنَجَّاهُمَا بِجَبَاهُ وَكَبَّ
 مَعَهُمَا إِلَى أَبِي كَرَبٍ عَامِلِهِ عَلَى هَجْرٍ أَنْ يَقْتُلَهُمَا ، وَقَالَ : قَدْ كَتَبْتُ لَكُمَا بِجَبَاهُ
 وَمَعْرُوفٍ ، فَلَمَّا صَدَرَ مِنْ عِنْدِهِ ، قَالَ الْمَتَلَسِّسُ لَطَرَفَهُ : هَلْ لَكَ فِي كِتَابِنَا ، فَإِنْ كَانَ
 فِيهِمَا خَيْرٌ مَضِينَا لَهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا أَتَقِينَاهُ ؟ فَأَبَى طَرَفَهُ وَقَرَأَ الْمَتَلَسِّسُ كِتَابَهُ فَإِذَا فِيهِ
 السُّوءُ فَأَلْفَاهُ فِي الْمَاءِ وَقَالَ لَطَرَفَهُ : أَلْقِ كِتَابَكَ فَأَبَى وَمَضَى بِكِتَابِهِ ، قَالَ : وَمَضَى
 الْمَتَلَسِّسُ حَتَّى لَحِقَ بِمَلُوكِ بَنِي جَضَّةٍ بِالشَّامِ وَسَارَ طَرَفَهُ بِكِتَابِهِ ، فَلَمَّا أَتَاهُمَا إِلَى
 الْعَامِلِ قَتَلَهُ .

وقولهم : « جَنْدَلَتَانِ أَصْطَكَا » : يضرب لِقَرْنَيْنِ يتصاولان .

وقولهم : « جَزَيْتُهُ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ » : للكفاة .

- وقولهم : « جَاءُوا عَلَى بَكْرَةٍ أَيْبَهُمْ » أى جاءوا جميعا لم يتخلف منهم أحد .
 وقيل : بل البكرة تأنيث البكر، يصفهم بالقلة أى بحيث تحملهم بكرة أَيْبَهُمْ . وقيل بل
 البكرة التى يُسْتَقَى عليها، معناه جاءوا ببعضهم يتلو بعضا كدوران البكرة على نسق واحد ؛
 وقيل : المراد بالبكرة الطريقة كأنهم جاءوا على طريقة أَيْبَهُمْ، وقال ابن الأعرابى :
 البكرة : جماعة من الناس أى بأجمعهم .

وقولهم : « جَاوَزَ الْحَزَامُ الطَّيِّبِينَ » : يضرب فى تجاوز الحد .

حرف الحاء

- ١٠ قولهم : « حَرَكْ لَهَا حَوَارَهَا نَحْنُ » الحوار : ولد الناقة، والجمع القليل أخوة
 والكثير حوران وحيران، معناه ذَكَرَهُ بِمَضَى أَشْجَانِهِ يَهْجُ لَهُ، قاله عمرو بن العاص
 لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام، أى أَرَاهُمْ دَمَ عَثَانَ عَلَى قَبِيصِهِ .

وقولهم : « حَلَبْتُهَا بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ » أى أخذتها بالقوة إذ لم يَنَاتِ بِالرَّفَقِ .

وقولهم : « حَذَوِ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ » أى مِثْلًا بِمِثْلٍ : يضرب فى التسوية بين

- ١٥ الشَّيْئَيْنِ؛ ومثله : حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، وقد تقدم .

وقولهم : « حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ » معناه أنه أَخْتَبَرَ الدَّهْرَ شَطْرَى خَيْرِهِ

وَشَرُّهُ فَعَرَفَ مَا فِيهِ .

وقولهم : « حَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَيْعٍ وَرِيٍّ » قال امرؤ القيس :
 إذا ما لم تكن إِبْلُ قَمْعَزَى * كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا الْعِصَى
 فَمَلَأَ بَيْنَنَا أَقْطَا وَسَمْنَا * وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَيْعٍ وَرِيٍّ

قال أبو عبيدة : يحتمل معنيين ، أحدهما أعط كل ما كان لك وراء شَيْعِكَ
 وَرِيِّكَ ، والآخر القناعة باليسير .

وقولهم : « حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ » أى اكنف بالقليل
 عن الكثير .

وقولهم : « حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ » أى اكنف بسماعه ولا تعابيه ، قال :
 ويحوز أن يريد يكفك سماع الشر وإن لم تقدم عليه ولم تقسب إليه ، والمثل قائمه
 فاطمة بنت الخُرْشُب من بنى أنمار بن بغيض أم الربيع بن زياد ، وذلك أن ابنتها ١٠
 الربيع كان أخذ من قيس بن زهير بن جذيمة درهما ، فعرض قيس لأم الربيع وهى
 على راحلتها فأراد أن يذهب بها ليرتبتها بالدرع ، فقالت له : أين عُرِبَ عنك عقلك
 يا قيس ؟ أترى بنى زياد مصالحيك ! وقد ذهبت بأمهم يمينا وشمالا وقال الناس ما
 قالوا وشاعوا ، وإن حسبك من شَرِّ سَمَاعِهِ ، فذهبت كلمتها مثلا نقول : كفى بالمقالة
 عارا وإن كان باطلا . ١٥

وقولهم : « حَلَقْتُ بِهِ عَنَقَاءُ مُغْرِبٍ » يضرب لما يُئس منه ، قال الشاعر :
 إذا ما ابنُ عبد الله خَلَى مكانه * فقد حَلَقْتُ بِالْجُودِ عَنَقَاءُ مُغْرِبٍ

قال الميبدانى : والعنقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم يقال : كان
 بأرض الرّس جبل يقال له : دَحْجٌ مصعده فى السماء ، وكان يأتيه طائر عظيم لها عنق

- طويلة، وهي من أحسن الطير؛ فيها من كل لون، وكانت تقع متصبة وتنقض على الطير فتأكلها؛ بغاغت يوما وأعوزها الطير فانقضت على صبي فنهبت به فسميت عتقاء مغرب : لأنها تغرب بكل ما تأخذه، ثم أنقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضممتها إلى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت، فشكوا ذلك إلى نبيهم : خالد بن صعوان، فقال : اللهم خذها وأقطع نسلها وسلط عليها .
- آفة ! فأصابها صاعقة فاحترقت فضرتها العرب مثلا .

قال عنترة بن الأنسر الطائي في مرثية خالد بن زيد :

لقد حَلَقْتُ باللود عتقاء كاسرٌ * كَفَتْنَاهُ دِخْ حَلَقْتُ بِالْحَزَوْرِ
فإِنْ لَهَا بَيْضٌ فَيُعْرِفُ بَيْضَهَا * وَلَا شِبْهُ طَيْرٍ مُنْجِدٍ أَوْ مُغَوَّرِ

- وقولهم : « حَتَّامٌ تَكْرَعُ وَلَا تُنْقَعُ » كرع إذا تناول الماء بفيه من موضعه :
يضرب للمريض في جمع الشيء .

وقولهم : « حَسْبُكَ مِنْ إِنْضَاجِهِ أَنْ تَقْتَلَهُ » يضرب لطالب النار فيقول :
لَأَقْتُلَنَّ فَلَانَا وَقَوْمَهُ أَجْمَعِينَ فيقال : لا تعد، حسبك أن تدرك تارك وطلبتك :
ويضرب لمتجاوز الحد .

١٥ حرف الخاء

قولهم : « خَيْرَ حَالِيكَ تَنْطَحِينِ » : يضرب لمن يكافئ المحسن بالإساءة،
ومثله : خَيْرَ إِنْاءِ يَكُ تَكْفِيئِينَ .

وقولهم : « خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ » معناه آسترى؛ وأم عامر : الضبع يشبه بها
الأحق . ومثله : خَامِرِي حَضَابِرِ، أُنَاكَ مَا حَاذِرِ ، وهو اسم للذكر والأنثى
من الضباع .

وقولهم : « خلا لك الجؤ فيضي وأصفرى » قاله طرفة بن العبد ، وكان في سفر مع عمه فنصب نخلاً للقنابر وثر حباً فلم يصد شيئاً ، فلما تحملوا رأى القنابر يلقطن الحب الذي ثره لمن ، فقال في ذلك :

يا لك من قنبرة بمعمري * خلا لك الجؤ فيضي وأصفرى
وتقرى ماشئت أن تسقرى * قد رحل الصياد عنك فأبشري
ورفع الفخ فماذا تحذري : لا بد من صيدك يوماً فأصبري
يضرب في الحاجة يتمكن منها صاحبها .

وقولهم : « خلع الدرع بيد الزوج » المثل لرقاش بنت عمرو بن تغلب بن وائل ، وكان زوجها كعب بن مالك بن نيم الله بن ثعلبة ، فقال لها : أخلعي ؛ فقالت : خلع الدرع بيد الزوج ، فقال : أخلعيه لأنظر إليك ، فقالت : التجرد لغير النكاح مثله ، فذهبت كلمتها مثلين : يضربان في وضع الشيء في غير موضعه .
وقولهم :

« خَلَّ سَبِيلَ مَنْ وَهَى سِقَاؤُهُ * وَمَنْ هُرِّيقَ بِالْقَلَاةِ مَأْوُهُ :
يُضْرَبُ لِمَنْ كَرِهَ صَحْبَكَ وَزَهَدَ فِيكَ .

وقولهم : « نَحْمُرُ أَبِي الرَّوْقَاءِ لَيْسَتْ تُسْكِرُ » : يُضْرَبُ لِلْفَنَى الَّذِي لَا فُضْلَ لَهُ
عل أحد .

حرف الدال

قولهم : « دَمَتْ لِحَنُكَ قَبْلَ النَّوْمِ مُضْطَجِعاً » أى أَسْتَعَدَّ لِلنَّوَابِ قَبْلَ
حلولها ، والتدبير : التلحين .

وقولهم : « دَجَّ امرأ وما أَخْتَار » : يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَقْبَلُ النَّصِيحَ ؛
قال الشاعر :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْرِ مَا أَمَكَّتْهُ * وَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَمْرِهِ أَزِينَةٌ
وَأَعْجَبَهُ الْمُجِبُّ فَأَقْبَادُهُ * وَتَاهَ بِهِ التَّيَّةُ فَأَسْتَحْسَنَتْهُ
فَدَعَتْهُ فَقَدْ سَاءَ تَدْيِيرُهُ * سَيُضْحِكُ يَوْمًا وَيَكِي سِنَّةً

حرف الذال

قولهم : « ذَكَرَنِي فُوكُ حِمَارِي أَهْلِي » أصله أن رجلاً خرج يطلب حمارين
ضلَّاهُ ، فَرَأَى أَمْرَأَةً [مُتَقَبَّةً] فَأَعْجَبَتْهُ فَفَسَى الْحَمَارَيْنِ ، فَلَمَّا أَسْفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا
رَأَاهَا فَوَّهَاءَ فَقَالَ : ذَكَرَنِي فُوكُ حِمَارِي أَهْلِي ، وَقَالَ :

لَيْتَ النَّقَابَ عَلَى النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ * كَيْ لَا تُفَرِّقِيْعَةً إِنْسَانًا

وقولهم : « ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَا » ويقال : تَفَرَّقُوا ، أَيْ تَفَرَّقُوا تَفَرُّقًا لَا أَجْتِمَاعَ
مَعَهُ .

وقصة سبيلنا تَفَرَّقُوا بِسَبَبِ سَبِيلِ الْعَرَمِ مَشْهُورَةٌ ، وَنَسَدَ كَرَاهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى
فِي التَّارِيخِ .

وقولهم : « ذَهَبُوا شَعْرَ بَغْرٍ ، وَشَدَّرَ مَذَرَ ، وَخَذَعَ مَذَعَ » أَيْ فِي كُلِّ وَجْهِ .
وقولهم : « ذَلَّ بَعْدَ شِمَاسِهِ الْيَعْفُورُ » : يُضْرَبُ لِمَنْ أَتَقَادَ بَعْدَ جَمَاحِهِ ؛ وَالْيَعْفُورُ :
فَرَسٌ .

وقولهم : « ذَهَبَتْ طُولَا ، وَعَلِمَتْ مَعْقُولَا » : يُضْرَبُ لِلطُّوِيلِ بِلَا طَائِلِ .

حرف السراء

قولهم : « رمتني بدائها وأَسَلَّتْ » أصل هذا المثل : أن سعد بن زيد مناة تَرَوَّجَ رُحْمَ بَنَةِ الْخَزْرَجِ ، وكانت من أجمل النساء ، وكان ضرائرها إذا سَابَّتها يَقُلْنَ لها : يا غفلاء ، فقالت لها أمها : إذا سَابَّكَ فابْدئين بذلك ، ففعلت رُحْمَ ذلك مع ضربتها ، فقالت : رمتني بدائها وأَسَلَّتْ ، فذهبت مثلا : يضرب لمن يُعَيِّرُ الآخر بما هو يُعَيَّرُ به .

وقولهم : « رماه بثلاثة الأَثافي » وهي قطعة من الجبل يوضع إلى جنبها حِجْرَانٌ وَيُنْصَبُ عليها القدر : يضرب لمن رُمِيَ بداهية عظيمة .

وقولهم : « رَبَّ صَلِّفْ تَحَبَّ الرَّاعِدَةُ » الصلف : قلة الخير ، والراعدة : السحابة ذات الرعد : يضرب للبخيل مع السَّعة .

وقولهم : « رَجَعَ بِحُفَى حَيْنٍ » أصله أن حُتَيْنَا كان إسكافا بالحيرة وسأومه أعمرابي بِحُفَيْنٍ فَأَخْتَلَفَا حَتَّى أَغْضِبَهُ ، فلما أَرْتَحَلَ الأعمرابي أخذ حنين الحفَيْنِ فَأَلْقَى أحدهما على طريق الأعمرابي ، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه ، فلما مرَّ الأعمرابي بالخلف الأول قال : ما أشبه هذا بخف حنين ولو كانا خفين لأخذتهما ، ثم مرَّ بالآخر فندم على ترك الأول فأناخ راحته وأنصرف إلى الأول وقد كُنَّ له حنين ، فأخذ الراحلة وذهب بها وأقبل الأعمرابي إلى أهله ليس معه غير خفَي حنين ، فذهبت مثلا : يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخمية .

وقولهم : « رَبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ وَآكِلٍ غَيْرِ حَامِدٍ » أول من قاله الناجية الدُّبْيَانِي ، وكان سبب ذلك أن وفداً وفدَ إلى النعمان وفيهم رجل من بني عَبَسَ يقال

له : شَقِيقُ، فَمَاتَ عِنْدَهُ، فَلَمَّا حَبَا النِّعْمَانُ الْوَفُودَ بَعَثَ بِجَبَائِهِ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ النَّابِغَةُ فِي ذَلِكَ :

أَتَى أَهْلَهُ مِنْهُ جِبَاءٌ وَنِعْمَةٌ = وَرُبَّ أَمْرٍ يُسَمَّى لِأَحْرَاقَعِدِ

وقولهم : «رُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ» قَالَهُ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفٍ، مَعْنَاهُ قَدْ ظَهَرَ لِلنَّاسِ مِنْهُ أَمْرٌ أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ عُنْدَهُ؛ وَقِيلَ : إِنْ رَجُلًا قَالَ لِلْأَحْنَفِ .
أَبْنِ قَيْسٍ : أَنَا أَبْغَضُ التَّمْرِ وَالزَّيْدِ، فَقَالَ : رُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

وقولهم : «رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا دَعْنِي» : يَضْرِبُ فِي النَّهْيِ عَنِ الْإِكْثَارِ خِيفَةُ الْإِهْجَارِ، ذَكَرُوا أَنَّ مَلِكًا مِنْ مَلُوكِ خَمِيرٍ خَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ وَمَعَهُ نَدِيمٌ لَهُ فَوْقَهَا عَلَى صَخْرَةٍ مَلْسَاءَ، فَقَالَ النَّدِيمُ : لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا دُبِخَ عَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَى أَيْنَ كَانَ يَبْلُغُ دَمُهُ، فَأَمَرَ بِذَبْحِهِ، وَقَالَ : رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا دَعْنِي .

ومثله قولهم : «رُبَّ رَأْسٍ حَصِيدٍ لِسَانٍ» : يَضْرِبُ لِلْأَمْرِ بِالسَّكُوتِ .

وقولهم : «رَدُّ الْحَجَرِ مِنْ حَيْثُ جَاءَكَ» أَيْ لَا تَقْبِلِ الضَّمِيمَ وَأَرْمِ مَنْ رَمَاكَ .

حرف الزاى

قولهم : «زَيْنٌ فِي عَيْنٍ وَالِدٍ وَلَدُهُ» يَضْرِبُ فِي عَجَبِ الرَّجُلِ بِرَهْطِهِ .

وقولهم : «زَاحِمٌ بَعْدَ أَوْدَعٍ» أَيْ لَا تَسْتَمِنْ إِلَّا بِأَهْلِ السَّنِّ وَالْتَجَرِبَةِ .

وقولهم : «زَوْجٌ مِنْ عُودٍ، خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ»، قَالَتْهُ بَعْضُ نِسَاءِ الْعَرَبِ، قَالُوا : كَانَ ذُو الْإِصْبَعِ الْعُدَوَانِيُّ غَيُورًا، وَلَهُ بَنَاتٌ أَرْبَعٌ، وَكَانَ لَا يَزُوجُهُنَّ غَيْرَهُ عَلَيْهِنَّ، فَاسْتَمَعَ عَلَيْهِنَّ يَوْمًا وَقَدْ خُلُوْنَ يَتَحَدَّثْنَ، فَقَالَتْ إِحْدَهُنَّ : لَتَقُلَّ كُلُّ وَاحِدَةٍ مَنَا مَا فِي نَفْسِهَا،

ولنصدق جميعا، فاشتبهت كل واحدة من الثلاث زوجا وصفت من جماله وكأله وسعة حاله، ثم أتت الصغرى أن تتكلم، فقالوا: لا بد أن تقولى، وألححن عليها، قالت: **زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ، خَيْرٌ مِنْ قُوْدٍ، فزَوَّجَهُنَّ .**

وقولهم: **«زُرْعِبًا تَزْدُ حُبًّا»** قاله معاذ بن صرم الخزاعى، وكانت أمه من عك، وكان يكثر من زيارة أخواله، فأقام فيهم زمنا، ثم خرج يتصيد مع بنى أخواله، فحمل على عير، فلحقه ابن خال له يقال له: الغضبان فتخاصما، فقال له الغضبان: والله لو كان فيك خير لم تركت قومك! فقال: **زُرْعِبًا، تَزْدُ حُبًّا، فأرسلها مثلا،** وفى ذلك يقال الشاعر:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى فُزِّرْ مُتَوَالِيَا * وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْعِبَا

وقال آخر:

عليك بإغساب الزيارة إنها * إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى الْمَجْرَمِ سَلَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْقَطْرَ يُسَامُ دَائِمًا * وَيُسَالُ بِالْأَيْدَى إِذَا هُوَ أَمْسَا

حرف السين

وقولهم: **«سَبَقَ السِّيفُ الْعَدْلَ»** قاله ضبَّة بن أدلم لأمه الناس على قتل قاتل أبته فى الحرم، ويقال: إنه لخزيم بن نوفل المملىنى .

وقولهم: **«سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ»** أصله أن رجلا خرج يلتمس العشاء، فوقع على ذئب فأكله، وقال ابن الأعرابي: أصله أن رجلا من بنى غنى يقال له: سِرْحَانُ ابن هريرة كان بطلا فاتكا، فقال رجل: والله لأرعىن إلى هذا الوادى! فورد بإبله، فوجد سرحان فقتله، وأخذ إبله وقال:

أَبْلَغُ نَصِيحَةٍ أَنْ رَاعَى أَهْلَهَا * سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانِ
سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ * طَلَّقَ الْيَدَيْنِ مُعَاوِدٍ لِيَطْعَانِ

يضرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلف .

ومثله قولهم : «سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ» وهو الأسد .

وقولهم : «سَكَتَ أَلْفًا، وَنَطَقَ خَلْفًا» انخَلَفَ : الردىء من القول وغيره .

وقولهم : «سَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً» أول من قاله سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أَخُو بَنِي
عَامِرٍ ، وكان قد نرحج بآبَنِهِ أَنَسٍ ، فوقف بِحَزْوَرةِ مَكَّةَ ، فَأَقْبَلَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ
التَّقْفَى فقال له : من هذا ؟ فقال : آبَى ! فقال : حياك الله يا قَى [أَبْنُ أُمِّكَ ؟]
فقال : لا والله ما أُمِّي في البيت ، ولكنها أُنْطَلَقَتْ إلى أُمِّ حَنْظَلَةَ تَطْحَنُ دَقِيقًا ،
فقال أبوه : ساء سمعا فأساء جابةً ، فأرساها مثلا .

وقولهم : «سَحَابٌ نَوْءٌ مَأْوُهُ حَمِيمٌ» : يضرب لمن له لسان لطيف وليس
وراءه خير .

وقولهم : «سوء الاستمساك خير من حُسْنِ الصَّرْعَةِ» : معناه حصول
البعض مع الاحتياط خير من الكل مع التهور .

حرف الشين

قولهم : «شُخْبٌ فِي الْإِنَاءِ وَشُخْبٌ فِي الْأَرْضِ» : يضرب لمن يتكلم فيصيب
مرة ويخطئ أخرى .

وقولهم : «شَرِيقٌ بِالرِّيقِ» أى ضره أقرب الأشياء إلى نفعه .

وقولهم : «شِنْشَنَةٌ أَعْرَفُهَا مِنْ أَنْحَرَمٍ» قاله أبو أنحزم الطائى ، وكان له

أَبْن يُقَالُ لَهُ : أَخْزَمٌ ، فَمَاتَ وَتَرَكَ بَنِينَ ، فَوَثَبُوا عَلَى جَنَهِمْ يَوْمَا فَادَمَوْهُ ، وَكَانَ أَبُوهُمْ عَاقًا لَهُ فَقَالَ :

إِنَّ بَنِيَّ ضَرَجُونِي بِالْدِّمِ • شِنْشَنَةٌ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمِ

والشِنْشَنَةُ : الطَّبِيعَةُ وَالْعَادَةُ : يَضْرَبُ فِي قَرَبِ الشَّبهِ •

• وقولهم : « شَمَّرَ ذَيْلًا ، وَأَدَّرَعَ لَيْلًا » : يَضْرَبُ عَلَى الْحَتِّ فِي الْجَدِّ وَالطَّلَبِ •

• وقولهم : « شَنْوَةٌ بَيْنَ يَتَامَى رُضْعٍ » الشَّنْوَةُ : مَا يَسْتَقْذِرُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ : يَضْرَبُ الْفُومَ أَجْتَمَعُوا عَلَى الْفُجُورِ وَفَاحِشَةٍ لَيْسَ فِيهِمْ مَرْشِدٌ وَلَا نَاهٍ •

• وقولهم : « شَيْخٌ بِحُورَانٍ لَهُ الْقَابِ » وَبَعْدَهُ • الذَّنْبُ وَالْمَعْتَقُ وَالْعَرَابُ • حُورَانٌ بَارِضُ الشَّامِ : يَضْرَبُ لِمَنْ يَظْهَرُ لِلنَّاسِ الْعَفَافَ ، وَمَنْ حَقَّهُ أَنْ يُحْتَرَزَ مِنْهُ •

• وقولهم : « شَغَلَ الْحَلِيَّ أَهْلَهُ أَنْ يُعَارَا » : يَضْرَبُ لِلْمُسْتَوْلِ شَيْئًا هُوَ إِلَيْهِ أَحْوَجُ مِنَ السَّائِلِ •

• وقولهم : « شَبَّ عَمْرُو عَنْ الطَّلُوقِ » قَالَهُ جَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ • وَعَمْرُو هَذَا هُوَ ابْنُ أُخْتِهِ وَهُوَ عَمْرُو بْنُ عَدَى بْنِ نَصْرٍ •

حرف الصاد

• وقولهم : « صَبْرًا عَلَى مَجَامِرِ الْكِرَامِ » قَالَ ذَلِكَ يَسَارُ الْكُوعَابِ ، وَكَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ يَرْعَى لِأَهْلِهِ إِلَّا حَضْمَةً ، وَكَانَ مَعَهُ عَبْدٌ يَرَاعِيهِ ، فَمَزَّ أَهْلَهُ يَوْمًا سَائِرِينَ بِمَدَاءِ الْإِبِلِ الَّتِي يَرَاعَاهَا ، فَعَمِدَ إِلَى لَقُوحٍ خَلْبَهَا فِي عُلْبَةٍ ، حَتَّى مَلَأَهَا ثُمَّ مَشَى بِهَا ، وَكَانَ أَخْفَجَ

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ • وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ دَاتٌ مَعَهَا يَنْبَغُ أَنْ لَا تَسْمَعُ أَنْ تَكُونَ مَحْرُومَةً عَنِ الْمَحَبَّةِ وَهِيَ مِنَ الْإِبِلِ مَا يَبِينُ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الْمِائَةِ ، يُرِيدُ أَنَّهُ كَانَ يَرْعَى لِمَنْ يَلْبَسُ هَذَا الْمَقْدَارَ •

الرجلين، حتى أتى بها ابنة مولاه يسقيها، وهي راكبة على جملها، فنظرت إلى رجله
فبسمت، ثم شربت اللبن وجرته خيرا، فانطلق فرحا حتى أتى صاحبه، فقص عليه
الفصة، فقال : أسخر بنفسك ولا تسخر ببنات الأحرار ؟ فقال : والله لقد دحكت
إلى دحكة لا أخيبها، يريد : نحكت، وكان أعجمي اللسان، ثم باتا فقام فغلب في علبة
فلاها، ثم أتى ابنة مولاه، فبهيها من نومها فاستيقظت وشربت، ثم اضطجعت
وجلس يسار حياهما، فقالت : ما حاجتك ؟ فقال : ما أعلمك بحاجتي ! فقالت :
لا والله ! فما هي ؟ قال ذاك الرجل الذي دحكت إلى . فقالت : حياك الله،
وقامت إلى سَفِيط لها فأنجرت منه بنجورا ودُهنا طيبا، وعمدت إلى موسى كانت
تحف به الشعر، وأخذت نجمة فيها نار، فوضعت عليه البخور ووضعتها تحته،
وطاطات كأنها تصلح الحور، فعمدت إلى مذاكيره فمسحتها بالموسى، فلما أحس
بحرارة الحديد . قال : صبرا على مجامر الكرام، ثم أومات إلى أنها سمعته وقالت :
إن هذا دهن طيب إلا أن فيه حرارة فتصبر عليه، فإن ريحك ريح الإبل وأنا أعافك،
ثم أثنمته الدهن على الموسى، ورفعه فوضعت بين عيذه فأستلثت بها أنفه . وقالت :
قم إلى إبلك يا ابن الخيثة، فأتى صاحبه، فلما رآه . قال : أمقبل أنت أم مدبر ؟
قال : أخراك الله، أو قد عمى بصرك !

١٥

إذ لا ترى أنفا ولا أذنين * أما ترى وبأصة العيين

هذا أحد الأقوال في هذا المثل : يصرب لمن يؤمر بالصبر على ما يكره . ويقال :
إن أعرابيا قدم الحضر بإبل، فباعها بمال كثير وأقام لحوائج له، ففطن
قوم من جيرته لما معه من المال، فعرضوا عليه تزويج جارية وصفوها بالجمال
والحسب طمعا في ماله، فرغب فيها فزوجه إياها، ثم اتخذوا طعاما وجمعوا الحى،
وجلس الأعرابي في صدر المجلس، فأكلوا الطعام وأداروا الكثوس وشرب

٢٠

الأعرابي، ثم أتوه بكسوة فاخرة، فلبسها وقدموا له شجرة فيها بخور لا عهد له به، وكان لا يلبس السراويل، فلما جلس على الحجرة، سقطت مذاكيره في النار، فظن أن ذلك سنة لا بد منها، وأستحيا أن يكشف ثوبه . فقال : صبرا على محامر الكرام، فذهبت مثلا وأحترقت مذاكيره، وتفرق القوم، وأرتحل إلى البادية وترك المرأة والمال، فلما وصل إلى قومه وقص عليهم القصة . قالوا : آسئت لم تعود الحجمر، فذهبت مثلا : يصرب لمن لا قديم له .

وقولهم : « صار الزنج قدام السنان » : يضرب في سبق المتأخر المتقدم من غير استحقاق لذلك .

وقولهم : « صرح المحض عن الزبد » : يضرب للأمر إذا انكشف وتبين .

وقولهم : « صفة لم يشهدا حاطب » هو حاطب بن أبي بلتعة كان حازما، فباع بعض أهله بيعه عين فيها حين لم يشهدا حاطب، فصارت مثلا لكل أمر ينهرم دون صاحبه .

حرف الضاد

وقولهم : « ضربه ضرب غرائب الإبل » وذلك أن الغريبة تزدهم على الحياض عند الورود، وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله : يصرب في دفع الظالم عن ظلمه بأشد ما يمكن .

وقولهم : « ضل الدريص نقه » الدريص : ولد الفأرة واليربوع والهررة وأشباه ذلك، ونقه : بحره : يصرب لمن يعني بأمره ويعد حجة لخصمه، فينسى عند الحاجة .

وقولهم : « ضَلَّ حِلْمُ امْرَأَةٍ فَأَيْنَ عَيْنَاهَا ؟ » أى هَبْ أَنْ عَقَلَهَا زَهَبَ
 فأين ذهب بصرها ؟ : بضرب في استبعاد عقل الحليم .
 وقولهم : « ضَائِفُ اللَّيْلِ قَتِيلُ الْمَحَلِّ » : يضرب لمن أضطرب لشيء ففتور
 بنفسه في طلبه .

حرف الطاء

- قولهم : « طَوَيْتُهُ عَلَى بِلَالٍ وَعَلَى بُلَّةٍ » قال الشاعر :
 وصاحبُ مُرَامِي دَاجِيَتُهُ • عَلَى بِلَالٍ نَفْسُهُ طَوِيَتُهُ
 ويقال : طويت السقاء على بُلَّةٍ إذا طويته وهو نِدْلَانُهُ إِنْ طَوَى يَابِسَا تَكَسَّرَا
 وَإِنْ طَوَى نِدْيَا عَفِنَ : يضرب للرجل يحمل على ما فيه من العيب ؛ قال الشاعر :
 ١٠ ولقد طَوَيْتُكُمْ عَلَى بِلَالِائِكُمْ • وَعَلِمْتُ مَا فِيكُمْ مِنَ الْأَذْرَابِ
 فإذا القربة لا تَقْرُبُ فاطمًا • وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ
 والأذراب : جمع ذَرْبٍ وهو الفساد .
 وقولهم : « طَوَيْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ » : غَرَّ النَّوْبِ : أَثْرَكَهُ الْأَوَّلُ : يضرب لمن
 يُوَكِّلُ إِلَى رَأْيِهِ وَمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ •

حرف الظاء

- ١٠ قولهم : « ظَالِعٌ يَعُودُ كَسِيرًا » : يصرب للضعيف ينصُرُ مَنْ هُوَ أَوْضَعُفَ مِنْهُ .
 وقولهم : « ظَنَرْتُ رَعُومًا ، خَيْرٌ مِنْ أُمِّ سَوْوَمٍ » : الظنر : الحاصة ، والرعوم :
 العطوف ، والسووم : الملول : يصرب في عدم الشفقة وقلة الاهتمام .
 وقولهم : « ظَاهِرُ الْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ بَاطِنِ الْحَقْدِ » معناه ظاهر .

وقولهم : « ظِلَالٌ صَيْفٍ مَالِهَاتٍ قَطَار » : يضرب لمن له ثروة ولا يُجِدَى على أحد .

حرف العين

وقولهم : « عند الصباح يُحَمَّدُ الْقَوْمُ السَّرَى » أول من قاله خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنه ، وكان باليمامة أن يسير إلى العراق ، ونالته مشقة بسبب العطش ، فأمرى حتى أدرك الماء فقال : عند الصباح يحمد القوم السرى : يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة .

وقولهم : « عند جُهَيْنَةَ الْخَبَرِ الْيَقِين » يضرب في معرفة الشيء حقيقة .
وقولهم : « عَيْرَ عَارِهِ وَتَدُهُ » أى أهلكه وأصله أن رجلاً أشفق على حماره فربطه إلى وتد ، فهجم عليه السبع فلم يمكنه الفرار فأهلكه .

وقولهم : « عند النِّطَاحِ يُغْلَبُ الْكَبْشُ الْأَجَمُّ » وهو الذى لا قرن له : يضرب لمن عليه صاحبه بما أعد له .

وقولهم : « على أهلها تَجْنِي بَرَأَقِش » قالوا : كانت بَرَأَقِشَ كلباً لقوم من العرب ، فأغبر عليهم فهدموا وهى معهم . وبحث فأنبع القوم آثارهم ببأحها ، فأدركوهم فقتلوهم ، ففيها يقول حمزة بن بَيْص :

بل جناها أحم على كريم
وعلى أهلها برأقش تجني

وقيل في هذا المثل غير ذلك .

وقولهم : « عسى الغَوِيرُ أَبُوسَا » الغَوِيرُ : تصغير غار ، والأبُوس : جمع بؤس وهو الشدة ، قالته الرِّبَاءُ عند رجوع قَمِيرٍ من العراق ، ومعه الرجال ، وكان الغوير

على طريقه، ومعناه لعل الشر يأتىكم من قبل الغار: يضرب للرجل يقال له: لعل الشر جاء من قبلك .

وقولهم: «عُشِبٌ وَلَا بَعِيرٌ»: يضرب للرجل له مال كثير ولا ينفقه على نفسه ولا على غيره .

وقولهم: «عَادَ غَيْثٌ عَلَى مَا أَقْسَدَ»: يضرب للرجل فيه فساد، وصلاحه أكثر .

وقولهم: «عاد السهم إلى التزعة» أى رجع الحق الى أهله .

وقولهم: «عصا الجبان أطول» لأنه يفعل ذلك من فشله، يرى أن طولها أشد ترهيبا لعدوه من قصرها .

وقولهم: «على الخجير سقطت» المثل لما لك بن جبير العامري، وتمثل به ١٠
المرزوق حين لقي الحسين بن على رضى الله عنهما، عند مقدمه من العراق وخروج
الحسين إليه وقد قال له: ما وراءك؟ فقال: على الخجير سقطت؛ فلوب الناس
ملك، وسيوفهم مع بنى أمية، والنصر من السماء .

وقولهم: «عادة السوء شر من المغرم» معناه أن المغرم إذا أذيتَه فارقك ،
وعادة السوء لا تفارق صاحبها . ١٠

وقولهم: «تَجَمَّعَ لِمَا عَصَهُ الظَّعَانُ» أى صاح، والظعان: نِسْعٌ يُشَدُّ بِهِ
الهُودُجُ: يُضْرَبُ لِمَنْ يَضِجُ إِذَا لَزِمَهُ الْحَقُّ .

وقولهم: «عند الرِّهَانِ تُعْرَفُ السَّوَابِقُ»: يضرب لمن يدعى ما ليس

فيه .

وقولهم: «عَادَ الْأَمْرُ إِلَى نِصَابِهِ»: يُضْرَبُ فِي الْأَمْرِ يَتَوَلَّاهُ أَرْبَابُهُ .

وقولهم: «عَيْنُكَ عَبْرَى وَالْفُؤَادُ فِي دَدٍ» الدَّدُ وَالْدَدْتُ وَالْدَدَا: اللَّعِبُ وَاللَّهُوُ: يُضْرَبُ لِمَنْ يُظْهِرُ حُرَّتًا لِحَزَنِكَ وَفِي قَلْبِهِ خِلَافٌ ذَلِكَ .

وقولهم: «عُرْفُطَةٌ تُسْقَى مِنَ الْغَوَادِقِ» وِيُرْوَى: الْغَوَاقِبُ؛ الْغُرْفُطَةُ: شَجَرَةٌ خَشِيشَةُ الْمَسِّ، وَالْغَوَادِقُ: السَّحَابُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ: يُضْرَبُ لِلشَّرِّ يَرْكُومُ وَيَجِيلُ .

حرف الغين

قولهم: «غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُوبَةٍ» قاله عامر بن الطفيل؛ وذلك أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدِمَ مَعَهُ أَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ أَخُو لَيْدٍ أَمْرَ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيَّ الشَّاعِرَ لِأُمِّهِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ قَدْ أَقْبَلَ، قَالَ: «دَعُهُ فَإِنْ يُرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَهْدِهِ» فَأَقْبَلَ حَتَّى قَامَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا لِي إِذَا سَأَلْتُ؟ قَالَ: «لَكَ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ» قَالَ: تَجْعَلُ لِي الْأَمْرَ بَعْدَكَ؟ قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَجْعَلُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» قَالَ: فَتَجْعَلُنِي عَلَى الْوَبَرِ وَأَنْتَ عَلَى الْمَدَرِ؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: فَمَاذَا تَجْعَلُ لِي؟ قَالَ: «أَجْعَلُ لَكَ أَعْنَتَ الْخَيْلِ تَقْزُو عَلَيْهَا»، قَالَ: أَوْ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ الْيَوْمَ؟ وَكَانَ قَدْ أَوْصَى إِلَى أَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ: إِذَا رَأَيْتَنِي أَكَلْتُهِ فَمُرْ مِنْ خَلْفِهِ فَأَضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ؛ فَاحْتَرَطَ أَرْبَدُ سَيْفَهُ شَبْرًا فَخَبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى سَلِّهِ . فَأَلْفَتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى أَرْبَدُ وَمَا يَصْنَعُ بَسِيفَهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَكْفِنِيهِمَا بِمَا شِئْتَ» فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَرْبَدَ صَاعِقَةً فِي يَوْمٍ صَانِفٍ صَاحٍ فَأَحْرَقَتْهُ، وَوَلَّى عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ هَارِبًا وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، دَعَوْتَ رَبِّكَ فَفَتَلَ أَرْبَدُ، وَاللَّهِ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلًا جُرْدًا وَفِتَانًا مُرْدًا، فَقَالَ:

رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” يَمْنَعُكَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ [وَابْتِئَا قِيْلَةً ^(١)] “ فسار عامر حتى نَزَلَ بِبَيْتِ امْرَأَةٍ سَلُوْلِيَّةٍ ، فخرَجَتْ عَلَى رَكْبَتِهِ غُدَّةٌ عَظِيْمَةٌ ، فَقَالَ : غُدَّةُ كَنْدَةَ الْبَعِيرِ وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سَلُوْلِيَّةٍ ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ظَهْرِ فَرْمِهِ ؛ وَسَكُلَ أَقْلُ الْعَرَبِ وَأَذْلَمُ ، فَسَارَ كَلَامَهُ مِثْلًا : يُضْرَبُ فِي خَصْلَتَيْنِ أَحَدَاهُمَا شَرٌّ مِنَ الْآخَرَى .

- وقولهم : « غَرَنِي بُرْدَاكُ مِنْ خَدَافِي ^(٢) » ويروى : مِنْ غَدَافِي ؛ أَصْلُ الْمَثَلُ أَنَّ رَجُلًا اسْتَعَارَ بُرْدِيَّ امْرَأَةً فلبسهما ، وَرَى بِخُلُقَانٍ كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَاسْتَرْجَعَتْ الْمَرْأَةُ بُرْدِيَّهَا فَقَالَتْ : يُضْرَبُ لِمَنْ ضَجَّ مَالُهُ طَمَعًا فِي مَالٍ غَيْرِهِ .

حرف الفاء

- قولهم : « فِي وَجْهِ الْمَالِ تَعْرِفُ امْرَأَتَهُ » أى نَمَاهُ وَخَيْرُهُ ، وَيُقَالُ : امْرَأَتُ أَمْوَالِ بَنِي فُلَانٍ إِذَا نَمَتْ وَكَثُرَتْ : يُضْرَبُ لِمَنْ يُسْتَدَلُّ بِحَسَنِ ظَاهِرِهِ عَلَى حَسَنِ بَاطِنِهِ .

- وقولهم : « فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمُ » زَعَمَتِ الْعَرَبُ أَنَّ الْأَرْنَبَ انْتَقَطَتْ تَمْرَةً فَاخْتَلَسَهَا التَّلْبُ فَاكْلَهَا ، فَانْطَلَقَا يَخْتَصِمَانِ إِلَى الضَّبِّ ، فَقَالَتِ الْأَرْنَبُ : يَا أَبَا الْحَسَلِ ، قَالَ : سَمِعِمَا دَعَوْتَ ، قَالَتْ : أَتَيْنَاكَ لِنَخْتَصِمَ إِلَيْكَ ، قَالَ : عَادِلًا حَكِيمًا ، قَالَتْ : فَانْجِرْ إِلَيَّ ، قَالَ : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمُ ، قَالَتْ : إِنِّي وَجَدْتُ تَمْرَةً ، قَالَ : حُلُوَّةٌ فَكُلِيهَا ، قَالَتْ : فَاخْتَلَسَهَا التَّلْبُ ، قَالَ : لِنَفْسِهِ بَقِيَ الْخَيْرُ ، قَالَتْ : لَطْمُتُهُ ، قَالَ :

(١) الزيادة عن الميداني ويريد بهما في الحديث الأوس والخزرج (ج ٢ ص ٣) .

(٢) في اللسان مادة ” خذل “ ومعجم الأمثال للبيداني : « برداك » بفتح الكاف . وورد في القاموس وشرحه ففتح الكاف وكسرهما فرواية للفتح على أنه قاله امرأة وأت على رجل يردن فتزوجته طامعة في يساره فألته معسرا . والكسر على أن قاله رجل استأمن امرأة يردنها ... الخ

بحقك أخذت، قالت : لطمني، قال : حرأنتصر، قالت : فاقض بيننا، قال :
حدثت حديثين امرأة، فإن آبت فاربعة، فذهبت أقواله كلها أمثالا .

وقولهم : « فتى ولا كمالك » قاله مُتَمِّم بن نُويرة في أخيه مالك لما قُتل .

وقولهم : « في دُون هذا ما تُنكر المرأة صاحبها » أول من قاله جارية من مُزينة .

قال الحكم بن صخر الثقفي : خرجت منفرداً فرأيتُ بامرأة (وامرأة موضع) حاريتين

أختين لم أربكماهما ، فكسوتهما وأحسنْتُ اليهما ، قال : ثم حججتُ من قابلٍ ومعي

أهلي ، وقد آتلتُ ونصلَ خصامي ، فلما صرْتُ بامرأة ، إذا إحداهما قد جاءت ،

فسألت سؤال مُنكرة ، قال فقلت : فلانة ؟ قالت : قدى لك أبى وأتى ، أنى تعرفنى

وأُنكرك ؟ قال فقلتُ : أنا الحكم بن صخر ، قالت : رأيتُك عامٍ أوّل شاباً سوقاً ،

وأراك العام شيئاً مليكاً ، وفي دُون هذا ما تُنكر المرأة صاحبها ، فذهبت مثلاً ، قال

قلت : ما فعلتُ أختك ؟ قال : فتنفست الصعداء ، وقالت : تزوجها ابن عم لها

وذهب بها ، فذاك حيث تقول :

إذا ما قفلنا نحو نجد وأهلها * فحسبي من الدنيا قُفولٌ إلى نجد

قال قلت : أما إني لو أدركتها لتزوجتها ، قالت : وما يمنعك من شريكها

في حسننها وجمالها وشقيقتها ؟ قال قلت : بمنعني من ذلك قول كثيرٍ حيث يقول :

إذا وصلتنا خلّة كي تريلنا * أبينا وقلنا الحاجية أول

فقالت : كثيرٌ بيني وبينك ، أليس الذى يقول :

هل وصل عزة إلا وصل غانية * في وصل غانية من وصلها خلف

(١) هذه العبارة لم ترد في الميداني وشرح هذا المثل وهو مائة ها عن السياق ، وقد أوردنا الميداني

في حرف الحاء على أنها مثل مستحل وقال إن المراد أن تكرر المرأة إذا حدثها الحديث مرتين فإن لم يهجم

فرد : وهو مثل يضرب في سوء السمع والإحابة .

قال : فَرَكْتُ جَوَابَهَا عَيًّا .

وقولهم : « فَاثْنَكُ وَاثْنَةُ بَرِيٍّ » زعموا أن امرأة كثر لبنها وطفقت تهريقه ، فقال لها زوجها : لِمَ تهريقينه ؟ فقالت : فَاثْنَكُ وَاثْنَةُ بَرِيٍّ : يضرب للفسد الذي وراء ظهره مهسرة .

حرف الفاف

قولهم : « قَطَعْتُ جَهِيْزَةً قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ » أصله أن قوما اجتمعوا بخطبون في صلح بين حيين ، قتل أحدهما من الآخر قتيلًا ليرضوا بالدية ، فبينما هم في ذلك ، إذ جاءت أمة يقال لها : جَهِيْزَةٌ ، فقالت : إن القاتل قد ظَفِرَ به بعض أولياء المقتول فقتله ، فقالوا : قطعت جَهِيْزَةً قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ : يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بجهله .

وقولهم : « قَبْلَ الْبُكَاءِ كَانَ وَجْهَكَ عَابِسًا » : يضرب للبخيل يَسْتَلُّ بالإعدام ، ومثله : « قَبْلَ الْفَنَاسِ كُنْتُ مُصْفَرَّةً » .

وقولهم : « قَلَبَ الْأَمْرَ ظَهَرَ الْبَطْنُ » : يضرب في حسن التدبير .

وقولهم : « قَدْ شَمَرْتُ عَنْ سَاقِهَا فَشَمَرَى » : يضرب في الحث على الجد في الأمر .

وقولهم : « قَدْ يَضْرِبُ الْعَيْرَ وَالْمِكْوَاةَ فِي النَّارِ » قال عُرْقُطَةُ بْنُ عَرَبَجَةَ سَيْدُ بَنِي هِزَانَ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَصِينِ بْنِ نَيْتِ السُّكَلِيِّ حُرُوبٌ وَوَقَائِعٌ ، فَقَتَلَتْ عُكْلُ رَجُلًا مِنْ بَنِي هِزَانَ ، وَأَسْرَعُ قُطْعَةً مِنْ عُكْلِ رَجُلَيْنِ ، فَقَالَ لَهَا : أَيُّكُمْ أَفْضَلُ لِأَقْتَلَهُ بِصَاحِبَتَا ؟ فَعَمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِخَبَرِ أَنْ صَاحِبَهُ أَكْرَمَ مِنْهُ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا

جميعا، فُقَدِم أحدهما للقتل، بفعل الآخر يَضْرِبُ، فقال عُرْفُطَة : قد يضرب العير
والمكواة في النار، فأرسلها مثلا : يضرب للرجل يَنْوُفُ بالأمر فيجزع قبل
وقوعه . وهذا أحد الأقوال فيه ؛ وقيل غير ذلك .

وقولهم : « قَد بَيْنَ الصَّبْحُ لَدَى عَيْنَيْنِ » : يضرب في ظهور الأمر كلَّ
الظهور . ٥

وقولهم : « قَد أَنْصَفَ الْقَارَةَ مِنْ رَامَاهَا » القَارَةُ : قبيلةٌ قد تقدم ذكرها
في الأنساب .

وقولهم : « قَبْلَ الزَّمَاءِ ثُمْلًا الْكَثَّانِ » أى تُوْخذ أهبة الأمر قبل وقوعه .
ومثله . « قَبْلَ الرَّمَى رِاشُ السَّهْمِ » : يصرب في تهينة الآلة قبل الحاجة
إليها . ١٠

وقولهم : « قَلْبٌ لَهُ ظَهْرُ الْحِجَّانِ » : بضرب لمن كان لصاحبه على مودة،
ثم حال عن عهده .

وقولهم : « قَد أَلْقَى عَصَاهُ » إذا استفتز من سفر أو غيره ؛ يقال : إنه لما بويع
لأبي العباس السفاح ، قام خطيبا فسمط القصيب من يده ، فقام رجل من القوم
وأَنشَد : ١٥

فَلَقْتُ عَصَاهَا وَأَسْتَفْتَرَهَا التَّوَى كَمَا قَسَرْتُ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ

وقولهم : « قَد وَفَّى طَرَفَاهُ » : بضرب لمن ذلَّ وضعُف عن أن يتم له أمر ؛
قال النجاشي :

وَإِنْ فَلَانَا وَالْإِمَارَةُ كَالَّذِي * وَفَّى طَرَفَاهُ بَعْدَ مَا كَانَ أَجْدَا

وقولهم : « قُدَّتْ سيوره من أدِيمك » يضرب للشئين يستويان في الشبه قال الشاعر :

« وقُدت من أدِيمهم سيورى »

وقولهم : « قد بَلَغَ الشَّظَاظُ الورَكَيْنِ » الشظاظ : عُوْدٌ يُعْمَلُ في عروة الجوالق : يضرب فيما جاوز الحد ، وهو كقولهم : جاوز الحزام الطَّيِّين .

حرف الكاف

وقولهم : « كان كُرَاعا ، فصَارَ ذُرَاعا » : يضرب للذليل الضعيف صار عزيزا قويا .

وقولهم : « كلامٌ كالعسل ، وعملٌ كالأسل » : يضرب في اختلاف القول والفعل .

وقولهم : « كنتَ تَبْكِي من الأثرِ العافى فقد لاقيتَ أخذودا » : يضرب لمن يشكو القليل من الشر ثم يقع في الكثير .

وقولهم : « كلَّ ذاتِ بعلٍ سنْتِمْ » هذا من أمثال أكرم بن صيفى : قال الشاعر :

أطاطم إني هالك فتبستى « ولا تجزعى كلَّ النساءِ تميم

أى ستفارق زوجها .

وقولهم : « كلَّ أَرْبَ نَفَور » قاله زهير بن جَذِيعَة لأخيه أُسَيْد ، ونذكر الخبير في وقائع العرب .

وقولهم : « كلَّ فتاةٍ بأبيها مُعْجَبَة » : يضرب في عجب الرجل بعشيرته ورهطه .

وقولهم : « كَلَّ الصَّيْدُ فِي جَوْفِ الْفَرَا » الفراء : الحمار الوحشي ، أصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين ، فأصطاد أحدهم أرنباً ، والآخر ظلياً ، والثالث حماراً ، فقاطوا عليه بصيدهما ، فقال : كل الصيد في جوف الفراء : يضرب لمن يفضل على أقرانه ، وقد تمتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولهم : « كَدَمْتُ غَيْرَ مَكْدَمٍ » : يضرب لمن يطلب شيئاً في غير مطلبه .

وقولهم : « كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتِ الْبَقَرُ » : يضرب في عقوبة البريء بذنب المجرم ، ويأتي ذكر ذلك في أوابد العرب .

وقولهم : « كَالْكَبَشِ يَحْمَلُ شَفْرَةً وَزَنَاداً » : يضرب لمن يتعزز للهلاك .

وقولهم : « كَالْمُسْتَغِيثِ مِنَ الرِّهْضَاءِ بِالنَّارِ » : يضرب في الخُلَيْنِ يَجْتَمِعَانِ

١٠ على الرجل .

وقولهم : « كَالْقَابِسِ الْعَجَلَانَ » : يضرب لمن عجّل في طلب حاجته .

وقولهم : « كَلَاهُمَا وَتَمَرًا » أول من قاله عمرو بن مُحَرَّانِ الجعدي ، وذلك أنه مرّ برجل وبين يديه زبد وسام وتمر ، فقال : أُلْغِي مَتْنَيْنِ بِيَدِيكَ ، فقال : أَيُّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ أَزُبْدُ أَمْ سَامٌ ؟ فقال : كلاهما وتمر ، فسارت مثلاً .

وقولهم : « كَالْبَاحِثِ عَنِ الْمُدَّةِ » يقال : إن رجلاً وجد صيداً ، ولم يكن معه ما يذبحه به ، فبحث الصيد بأظلافه في الأرض ، فسقط على شفرة فذبحه بها . يضرب في طلب الشيء يؤدى صاحبه إلى تلف النفس .

وقولهم : « كَذَى الْعُرْيُكُوى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاقِعٌ » : يضرب في أخذ البريء

بذنب الباطي ، ويأتي ذكره في أوابد العرب .

- وقولهم : « كالمحتاض على عَرَض السراب » : يُضرب لمن يطمع في محال .
 وقولهم : « كل لياليه لنا حَنَادِس » : يُضرب لمن لا يصل إليك منه إلا ما تكروه .

حرف اللام

(١٦)

- قولهم : « لو ذاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي » معناه لو طعنني من كان كفتالي
 لكان علي ؛ ولكن ظلمني من هو دوني ، وهو كقول بعضهم :
 فلو أُنِي مُبِتٌ بهاشمي * خؤولته بنو عبد المَدَانِ
 لمان علي ما ألتني ولكن * تعالَى فأنظري بمن أبتلاني

- وقولهم : « لو غير ذاتِ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي » روى الأصمعي أن حاتماً الطائي
 مرَّ ببلاد عَتْرَةٍ في بعض الأتربة الحرم فناداه أسير لهم : يا أبا سَفَانَةَ : أكلني الإسار
 والقمل ، فقال : ويحك ! أسأتَ إذا توهتَ باسمي في غير بلاد قومي ، فساوم القوم به
 ثم قال : أطلقوه وأجعلوا يدي في العِدِّ مكانه ، ففعلوا ذلك ؛ ثم حاته امرأةٌ يبيع
 ليفصده ففطمته فقال : لو غير ذاتِ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي ، يعني أُنِي لا أقتص من
 النساء ، ثم عُرِفَ ، فقضى نفسه فداءً عظيماً .

- وقولهم : « لو تُرِكَ القَطَا لَيْلًا لَنَامَ » قالته امرأةٌ عمرو بن مامة ، وقد نزل عليه
 قوم من مُرَادٍ ، فطرقوه ليلاً ، فأناروا القطا ، فرأته امرأته فنبهته فقال : إنما هذا
 القطا ، فقالت : لو تُرِكَ القَطَا لَيْلًا لَنَامَ ؛ فسار مثلاً : يُضرب لمن حُلَّ على مكروه
 من غير إرادته ؛ وقيل : إن التي قالته له حَذَامُ بنت الرِّيَّان .

- وقولهم : « لَيْسَتْ لَهُ جِلْدُ النَّمْرِ »^(١١) : يضرب في إظهار العداوة وكشفها .

(١) كذا في الميداني . وفي الأصل : « ليس لهم ... الخ » .

وقولهم : «لقد ذَلَّ من بالث عليه الثعالب» أصله أن رجلا من العرب كان يبعد صفاء، بقاء ثعلب فبال عليه، فقال في ذلك :

أربُّ يَولِ الثَّعلْبَانِ^(١) برأسه * لقد ذَلَّ من بالث عليه الثعالبُ

وقولهم : «ليس هذا بعشك فأدرجى» : يُضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره .

وقولهم : «لم أجد لشفرتي محزاً» : يُضرب عذرا في تعذر الحاجة .

وقولهم : «لو سئلت العارية أين تذهين لقالَت أكسبُ أهلى ذمّا» هذا من كلام أكرم بن صيني : يُضرب في سوء الجزاء للنم .

وقولهم : «ليس من العذل، سرعة العذل» أى لا ينبغي أن تعجل بالعذل قبل أن تعرف العذر .

وقولهم : «ليس القدامى كالحوائى» : يُضرب عند التفضيل .

وقولهم : «لو كويت على داء لم أكره» أى لو عوتبت على ذنب ما امتنعْتُ .

وقولهم : «ليس على الشرق طعناً يحجب» أى ليس على الشمس سحاب : يُضرب في الأمر المشهور الذى لا يخفى على أحد .

وقولهم : «لا كوينه كية المتلوم» أى يكأ بليغا، والمتلوم : الذى يتبع الداء حتى يعلم مكانه ؛ يُضرب في التهديد الشديد .

وقولهم : «لأمر ما جدع قصير أنفه» قالته الزبلاء لما رأَت قصيرا مجدوعا، وخبره يأتى في باب المكاييد .

(١) الثعلبان : ذكر الثعلب، كالأموات : لذكر الأنهى، والعقربان : لذكر العقارب .

حرف الميم

قولهم : « ما تَنَفَّعَ الشَّفْعَةُ فِي الْوَادِي الرَّغْبِ » الشَّفْعَةُ : المطرة الهينة ، والرَّغْبُ :
الواسع : يصرب للذى يعطيك قليلا لا يقع منك موقعا .

- وقولهم : « ما وراءك يا عصام » يقال : أقول من قال ذلك الحارث بن عمرو
ملك كندة ، وذلك أنه بلغه جمال أبنة عوف بن عُمَلَمَ فأرسل إليها امرأة ذات عقل
ولسان ، يقال لها : عصام ، وقال : أذهبي لتعلميني بحالها ، فلما انتهت إليها ونظرتها
خرجت وهي تقول : « تَرَكَ الخِدَاعَ ، مَنْ كَشَفَ القِنَاعَ » فذهبت مثلا ، ثم عادت
إليه ، فقال لها : ما وراءك يا عصام ؟ فقالت : « صَرَّحَ المحَضُّ عن الزُّبْدِ » فأرسلتها
مثلا ، وساق الميداني على هذا المثل كلاما طويلا قائمه عصام في وصف أعضائه
المخطوبة .

١٠

وقولهم : « ما يومٌ حَلِيمَةٌ بَسْرًا » هي حليلة بنت الحارث بن أبي شير ، كان
أبوها وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء فأخرجت لهم طيبا في مِرْكَنِي فطبتهم ، فلما
آتته إلى ليلى بن عمرو وذهبت لِيُخَلِّقَهُ قَبْلَهَا ، فلطمته وأتت أباها ، فقال لها :
وبلك ! أسكتي عنه ، فهو أرجاهم عندي ذكاء فؤاد ، وإني مرسله ، فإن قُتِلَ فقد كفى
الله شره ، فسار إلى المنذر بالجيش ، فقتلوا المنذر وكان يوما مشهورا ، ف قيل فيه :
ما يوم حليلة بسر .

١٥

وقولهم : « ما أشبه الليلة بالبارحة » أى ما أشبه بعض القوم ببعض .

وقولهم : « مرعئى ولا كالسعدان » قالوا : السعدان آخر العشيب لبنا ،
ومنايته السهول : يضرب مثلا للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله ، وأول من قال
المثل : خنساء بنت عمرو بن الشريد ، وقيل : بل قالته امرأة من طيء تزوجها

٢٠

(١٧)

أمرؤ القيس بن عُجْر الكِنْدِي فقال لها : أين أنا من زوجك الأول ؟ قالت :
مررتي ولا كالتعدان، أى إنك إن كنت رضىً فليست كغفلان .

وقولهم : « ماءٌ ولا كصداء » صَدَاءُ : رَكِيَّةٌ عَذْبَةٌ ؛ قالِ ضِرَارُ السَّعْدِي :
وإني وتَهَامِي بَزِينَبَ كَالَّذِي * تَطْلُبُ مِنْ أَحْوَاضِ صَدَاءٍ مَشْرَبًا
• معناه أنه لا يصل إليها إلا بالمزاحمة لفرط حسنها، كالَّذِي يَرِدُ الْمَاءُ فَإِنَّهُ يَزَاحِمُ عَلَيْهِ
لفرط غلو بته .

وقولهم : « محّا السيف ما قال ابنُ دَارَةَ أَجْمَعَا » هو سالم بن دارة الطغفاني ؛
ودارْدُ : أمَةٌ ، وكان قد هجا بعض بني فزارة فَأَغْتَالَهُ زُمَيْلُ قَتْلِهِ ، ففيه يقول الكَتِيبُ
فلا تُكْثِرُوا فِيهِ الصَّجَاحَ فَإِنَّهُ * محّا السيف ما قال ابنُ دَارَةَ أَجْمَعَا

وقولهم : « مَلَكْتَ فَأَصْبَحَ » الإِصْبَاحُ : حسن العفو ، أى ملكت الأمر فأحسن
العفو ، وقد تمثل به رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته ؛ ونذكر الخبر
في ذلك في المغازي .

وقولهم : « من ينكح الحسناء يُعْطِ مَهْرَهَا » أى من طلب حاجة بذل ماله فيها .
وقولهم : « من سرّه بنوه ساءت نفسهُ » قاله صِرَارُ بن عمرو الضبي : وكان
ولده ثلاثة عشر رجلاً ، كلهم قد غزا ورأس ، فرأهم يوماً وأولادهم ، فعلم أنهم لم يلبثوا
هذه الأستان إلا مع كبر سنّه ، فقال : من سرّه بنوه ساءت نفسهُ ، فأرسلها مثلاً .

وقولهم : « من أشبه أباه فبِ ظلم » معناه ظالم .

وقولهم : « من يرُّ يوماً يرُّ به » قاله كَلْبُ بن شُؤْبُوبِ الأَسَدِي ، وكان يُعْبَرُ عَلَى
طَبْعِيٍّ وَحْدَهُ ، فَدَعَا حَارِثُ بنَ لَأْمٍ رجلاً من قومه يَقَالُ لَهُ : عَترم ، فقال له : أما تستطيع

أن تكفيني مؤونة هذا الخبيث؟ فقال : بلى ، فأرسل عشرة عيون عليه ، فعلموا مكانه فانطلق إليه عزم فوجده نائماً في ظل أراكية فقتل ومعه آثر فأخذ كل واحد منهما بإحدى يديه فانتبه فترع يده اليمنى من مُمسكها وقبض على حلق الآخر فقتله وبادر الباقر فأخذوه وشثوه وثاقاً وأتوا به حارثه ، فقال له : يا كلب ، إن كنت أسيراً فطالما أسرت ، فقال : من ير يوماً ير به ، فأرسلها مثلاً ، وقال حوذة وهو ابن المقتول لحارثه : أعطنيه أقتله بأبي ، فقال : دونك ! وجعلوا يتكلمون وهو يعالج كفافه حتى أنحل ، ثم وثب على رجله فأتبعوه بالخيول فأعجزهم .

وقولهم : « من سلك الجدد آمن العثار » الجدد : الأرض المستوية : يضرب في طلب العافية .

وقولهم : « من يشتري سبني وهذا أثره ! » قاله الحارث بن ظالم ، وذلك أنه لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب بزهر بن جذية العبسي على ما ذكره إن شاء الله في وقائع العرب وهرب ، فوَّاه النعمان فوارس في طلبه فأدركه سحرًا فعطف عليهم وقتل منهم جماعة وكرَّوا عليه فجعل لا يقصد جماعة إلا فزقها وهو يقول : من يشتري سبني وهذا أثره ، فارتدعوا عنه وأنصرفوا إلى النعمان .

وقولهم : « من ما جعد وجعد غير محمود » قاله جعد بن الحُصين أبو صخر ابن جعد الشاعر ، وكان قد كبر ففترق عنه بنوه وأهله . وبقية له جارية سوداء تحبها ، ففلقت بفتى من الحلى يقال له : عرابية ، فجعلت تغفل إليه ما في بيت جعد ، ففطن جعد لذلك ، فقال في ذلك :

أبلغ لديك بني عمسرو علفه ١١١ عرا وعوفا وما قولي بمردود

٢٠ بات بقي أمسي وفق داهية ١١١ سوداء قد وعدتني سر وعود

تُعْطَى عَرَابَةٌ بِالْكَفَيْنِ مُجْتَمَعًا : من الخَلْقِ وَتُعْطَيْنِ عَلَى الْعَوْدِ
أَمْسَى عَرَابَةٌ ذَا مَالٍ يُسَرُّ بِهِ : من مَالٍ جَمِيدٍ وَجَعْدٌ غَيْرُ مَحْمُودٍ
يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَصَابُ مِنْ مَالِهِ وَيَذَمُّ .

وقولهم : « من مَأْمَنَهُ يُؤْتَى الْحَذِرِ » قاله أَكْثَمُ بْنُ صَيْفَى .

وقولهم : « من يَمْشِي يَرْضَى بِمَا رَكِبَ » : يَضْرَبُ لِلَّذِي يَضْطَرُّ إِلَى مَا كَانَ
يَرْضَى عَنْهُ .

وقولهم : « من يَلْقَى أَبْطَالَ الرَّجَالِ يُكَلِّمَ » قاله عَقِيلُ بْنُ عَلْقَمَةَ الْمُرِّي،
وَقَدْ رَمَاهُ عَمَلَسُ ابْنِهِ بِسَهْمٍ خَلَّ نَحْذِيهِ . فَقَالَ أَبْيَانًا مِنْهَا :

إِنِّي بَنَى زَقْلُونِي بِالْذِمِّ * تَسْنِثُتُهُ أَعْرَفُهَا مِنْ أَنْحَرِمِ
: من يَلْقَى أَبْطَالَ الرَّجَالِ يُكَلِّمُ * ١٠

وقولهم : « من لَا يَذُدُّ عَنْ حَوْضِهِ يَهْدَمُ » أَيْ مِنْ لَمْ يَدْفَعْ عَنْ نَفْسِهِ يُظْلَمُ ،
قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ .

وقولهم : « مُكْرَهُ أَخْوَكُ لَا بَطْلَ » قاله أَبُو حَنْشَلٍ خَالَ بَيْهَسَ : يُضْرَبُ لِمَنْ
يُجَلُّ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ .

وقولهم : « مَنْ نَامَ لَا يَشْعُرُ بِشَجْوِ الْأَرَقِ » : يُضْرَبُ لِمَنْ غَفَلَ عَمَّا يَعَانِيهِ
صَاحِبُهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ . ١٥

حرف النون

وقولهم : « نَفْسُ عَصَامٍ سَوْدَتْ عَصَامًا » هُوَ عَصَامُ بْنُ شَهْرٍ حَاجِبُ الْعِمَّانِ
أَبْنُ الْمُنْذَرِ : يُضْرَبُ فِي نَبَاهَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ قَدِيمٍ ، وَقِيلَ فِي هَذَا :

نَفَسَ عَصَامٌ سَوَدَتْ عَصَامَا * وَعَلَنَهُ الْكَرُّ وَالْإِقْدَامَا
* وَصَيَّرْتَهُ مِلْكَاهُمَا *

وقولهم: «نَظَرَةُ مَنْ ذَى عَلَقَ» أى من ذى هوى: يضرب لمن ينظر بوقد.

وقولهم: «تَزَّتْ بِهِ الْبِطْنَةُ»: يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَحْتَمِلُ النِّعْمَةَ؛

قال الشاعر:

فَلَا تَكُونَنَّ كَالنَّازِي بِبِطْنَتِهِ * بَيْنَ الْقَرِينَيْنِ حَتَّى ظَلَّ مَقْرُونَا

وقولهم: «نَجُوثُ وَأَرْهَشُهُمْ مَالِكا» قال عبد الله بن هَمَّامِ السُّلَوِيُّ:

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ = نَجُوثُ وَأَرْهَشُهُمْ مَالِكا

يُضْرَبُ لِمَنْ يَنْجُو مِنْ هَلَكَةٍ نَسَبَ فِيهَا شُرَكَاءَهُ وَأَصْحَابَهُ .

وقولهم: «نَامَ عَصَامٌ سَاعَةَ الرَّحِيلِ»: يُضْرَبُ لِمَنْ طَلَبَ الْأَمْرَ بَعْدَ مَا وُلِيَ .

حرف الهاء

وقولهم «هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ» .

وقولهم: «هَذَا أَوَانُ شَدِّكُمْ فَشُدُّوا» .

ومثله قولهم: «هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدِّي زَيْمٌ» قال الأصمعي: زَيْمٌ أَسْمُ

فَرَسٍ: يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يُؤْمَرُ بِالْجِدَّةِ .

وقولهم: «هُوَ عَلَى حَبْلٍ ذِرَاعِكَ» أى الأمر فيه إليك: يُضْرَبُ فِي قَرَبِ

الْمُتَنَاوَلِ؛ وَحَبْلُ الذِّرَاعِ: عَرَقٌ فِي الْيَدِ .

وقولهم: «هَانَ عَلَى الْأَمْلَسِ مَا لَاقَى الدَّبِيرَ»: يُضْرَبُ فِي سُوءِ أَهْتَامِ الرَّجُلِ

بِشَأْنِ صَاحِبِهِ .

وقولهم : « هو بين حاذف وقاذف » الحاذف بالعصا ، والقاذف بالحصى :
يُضْرَبُ لِمَنْ هُوَ بَيْنَ الشَّرِّينِ .

وقولهم : « هو على طَرْفِ الثَّمَامِ » الثَّمَامُ : نبت ضعيف سهل المُتَنَاوَلِ تُسَدُّ بِهِ
خِصَاصُ الْبُيُوتِ ، وَرَبَّمَا حُشِبَتْ بِهِ الْمَخَادِقُ قَالُوا : إِنَّهُ يَنْبَغُ عَلَى قَدْرِ قَامَةِ الْإِنْسَانِ :
يُضْرَبُ فِي تَسْهِيلِ الْحَاجَةِ وَقَرَبِ النِّجَاحِ .

وقولهم : « هِيَ الْخَمْرُ تُكْنَى الطَّلَاءُ » : يَضْرَبُ لِلْأَمْرِ ظَاهِرُهُ حَسَنٌ وَبَاطِنُهُ
عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ .

حرف الواو

قولهم : « وافق شَنْ طَبَقَةً » قَالَ الشَّرْقِيُّ بْنُ الْقَطَامِيِّ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ دِهَاتِ الْعَرَبِ
وَعَقْلَانِهِمْ يُقَالُ لَهُ : شَنْ ، فَأَلَى أَنَّهُ يَطُوفُ الْبِلَادَ حَتَّى يَجِدَ أَمْرًا مِثْلَهُ فَيَتَرَوَّجُهَا ، فَبَيْنَا
هُوَ فِي بَعْضِ مَسِيرِهِ إِذْ وَاقَفَهُ رَجُلٌ فِي الطَّرِيقِ فَسَارَا جَمِيعًا ، فَقَالَ لَهُ شَنْ : أَتَحْمِلُنِي
أَمْ أَحْمَلُكَ ؟ فَقَالَ : أَنَا رَاكِبٌ وَأَنْتَ رَاكِبٌ ، فَكَيْفَ تَحْمِلُنِي أَوْ أَحْمَلُكَ ! ثُمَّ سَارَا فَاتَّهَيَّا
إِلَى زَرْعٍ قَدْ اسْتَحْصَدَ ، فَقَالَ شَنْ : أَتَرَى هَذَا الزَّرْعَ أَكُلُ أَمْ لَا ؟ فَقَالَ : لَمْ أَرِ
أَجْهَلَ مِنْكَ ، بَنَاتَا مَسْتَحْصِدَاتَا فَقُولَا : أَكُلُ أَمْ لَا ! فَسَكَتَا ثُمَّ سَارَا حَتَّى دَخَلَا الْقَرْيَةَ
فَلَقِيَا جَنَازَةً ، فَقَالَ شَنْ : أَتَرَى صَاحِبَ هَذَا النَّمَشِ حَيًّا أَمْ مَيِّتًا ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ :
تَرَى جَنَازَةً تَسْأَلُ عَنْهَا أَمِيتَ صَاحِبَهَا أَمْ حَيٌّ ! فَسَكَتَ عَنْهُ شَنْ وَأَرَادَ مَفَارَقَتَهُ فَأَبَى
أَنْ يَتْرَكَهُ وَسَارَ بِهِ إِلَى مَتْلِهِ ، وَكَانَ لِلرَّجُلِ بِنْتُ يُقَالُ لَهَا : طَبَقَةٌ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَالِمَهَا أَبُوهَا
سَأَلَتْهُ عَنْ ضَيْفِهِ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ أَجْهَلَ مِنْهُ ، وَحَدَّثَهَا بِحَدِيثِهِ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَتِ
مَا هَذَا بِجَاهِلٍ ، قَوْلُهُ : أَتَحْمِلُنِي أَوْ أَحْمَلُكَ ؟ أَرَادَ أَنْتَحِدَنِي أَمْ أَحَدَّثَكَ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ :
أَتَرَى هَذَا الزَّرْعَ أَكُلُ أَمْ لَا ؟ فَأَرَادَ هَلْ بَاعَهُ أَهْلُهُ فَأَكَلُوا مِنْهُ أَمْ لَا ؟ وَأَمَّا الْجَنَازَةُ ٢٠

- فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا؟ فخرج الرجل فقعده مع شَنِّ فخادته، وقال له :
 أتحب أن أفسرك . أسألتني ؟ قال : نعم ، ففسره . فقال شَنُّ : ما هذا من كلامك ،
 فأخبرني مَنْ صاحبه ؟ فقال : آتية لي . فخطبها إليه فزوجه إياها وحملها إلى أهله ،
 فلما رأوها قالوا : وافق شَنُّ طبقة ، فذهبت مثلا ، يضرب للتوافقين ؛
 وقال الأصمعي : هم قوم كان لهم وعاء من أديم فتشَنَّنَ فجعلوا له طبقا فوافقه فقبل :
 وافق شَنُّ طبقه ، ورواه أبو عبيد في كتابه ، وقال ابن الكلبي : طبقة : قبيلة من
 إياد كانت لا تطاق فوافقت بها شَنُّ بن أفعى بن دُعْيٍ فانتصفت منها وأصاب
 فيها فضربتا ، مثلا ، وأنشد :

لَقِيْتُ شَنًّا إِذَا بِالْقَا * طَبَقًا وَافِقَ شَنُّ طَبَقَهُ

- وقولهم : «وجدتُ الناسَ أَخْبَرَ تَقَلَّه» أصله أَخْبَرُ الناسَ تَقَلَّهم : يُضْرَب
 في ذمِّ الناسِ وسوءِ معاشرتهم .
 وقولهم : «وَلَوْ دُ الوعد عَاقِرُ الإِنْجَاز» : يُضْرَب لمن يَكْثُرُ وعده ويُقِلُّ تَقْدُّه .
 وقولهم : «وَدَّعَ مَالًا مُودِعُهُ» لأنه إذا آسَدَ وعده غيره فقد ودَّعه وغرَّره
 ولعله لا يرجع إليه .
 وقولهم : «وَمَوْرِدُ الْجَهْلِ وَبَيْءُ الْمَنْهَلِ» : يُضْرَب في التَّهْيِي عن آسْتَعَالِ
 الجَهْلِ .

ما جاء في ما أوله (لا)

قولهم : « لا تَحْبُأْ لِعِطْرِ بَعْدَ عَرُوسٍ » ويقال : « لا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ »
 أول من قاله امرأة من عُدْرَةَ ، يقال لها : أسماء ، بنت عبد الله ، وكان لها زوج من

بني عمها يقال له : عَرُوسٌ ، فبات عنها ، فتزوجها رجل من قومها يقال له نَوَّلٌ ، وكان أعسرَ أبحرَ بجيلا ذميا ، فلما دخل بها قال : صُمِّي إليك عَطْرُكَ ، فقالت : لا عَطْرَ بعد عَرُوسٍ ، فذهبت مثلا ، ويقال : إن رجلا تزوج امرأة ، فلما أهديت إليه وجدها تَفَلَّةً فقال لها : أين الطَّيِّبُ ؟ فقالت خَبَاتُهُ ، فقال لها : لا تَحْبِيَّاءَ لِعَطْرِ بعد عَرُوسٍ : يُصْرَبُ مثلا لمن لا يَذْثَرُ عنه تَقْيِسُ .

(١٩)

وقولهم : « لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ » : بُضِرَ لِمَنْ أُصِيبَ وَنُكِبَ مَرَّةً بعد أخرى ، يقال هَذَا مِنْ أَمْثَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَه لأَبِي عَزَّةَ الشَّاعِرِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَسْرَهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَمِنْ عَلَيْهِ وَأُطْلِفَهُ ثُمَّ أَتَاهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَاسْرَهُ ، فَقَالَ : مَنْ عَلَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ » أَيُّ لَوْ كُنْتُ مُؤْمِنًا لَمْ تَعُدْ لِقَاتِلَا .

١٠

وقولهم : « لا أَطْلُبُ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ » أَوَّلُ مَنْ قَالَه مَالِكُ بْنُ عَمْرِو النَّاصِرِ ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّ بَعْضَ مَلُوكِ غَسَّانَ كَانَ يَطْلُبُ فِي بَنِي عَامِرٍ دَخْلًا فَأَخَذَ مِنْهُمْ مَالِكًا وَسَمَّاكَ ابْنِي عَمْرِو النَّاصِرِ فَاحْتَبَسَهُمَا زَمَانًا ثُمَّ دَعَا بِهِمَا ، فَقَالَ لَهَا : إِنِّي قَاتِلُ أَحَدِكُمَا ، فَايَكَا أَقْتُلُ ؟ فَعَمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ : أَقْتُلْنِي مَكَانَ أُخَى ، فَعَقِلَ سَمَّاكَ وَخَلَّى سَبِيلَ مَالِكٍ ، فَقَالَ سَمَّاكَ حِينَ ظَنَّ أَنَّهُ مَقْتُولٌ :

١٥

فَأَقْسَمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكًا : لَكُنْتُ لَمْ حَيَّةً رَاصِدَةً
بِرَأْسِ سَبِيلٍ عَلَى مَرْقَبٍ • وَيَوْمًا عَلَى طَسْرِي وَارِدَةٍ
فَأَمَّ سَمَّاكَ فَلَا تَجْزَعِي • فَلَمَمْتُ مَا تَلَدُ الْوَالِدَةَ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ وَفَرَادِ الْأَلَاكِ : « لَا يَلِغُ » .

(٢) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ : « السَّامِلُ » بِالْأَم . وَفِي فَرَادِ الْأَلَاكِ : « الْبَاهِلُ » .

٢٠

وأنصرف مالك إلى قومه فأقام فيهم زمنا ثم إن ركباً مروا وواحد منهم يتنقى بقول سِمْكَ * فأقسم لو قتلوا مالكا * فسمعته أم سِمْكَ، فقالت : يا مالك قبح الله الحياة بعد سِمْكَ، أخرج في الطلب فخرج فلقى قاتل أخيه يسير في ناس من قومه فقال : من أحسن لي الجمل الأحمر ، فقالوا له وقد عرفوه : يا مالك أكفف ولك مائة من الإبل ، فقال : لا أطلب أثرا بعد عين ، فذهبت مثلا .

وقولهم : « لا يرسل الساق إلا مُسَكَا ساقا » أصله في الحِرْباء : يضرب لمن لا يدع حاجة إلا سأل أخرى .

وقولهم : « لا ماءك أبقيت ، ولا حرك أنقيت » ويروى : ولا درنك ؛ أصله أن رجلا كان في سفر ومعه امرأته ، وكانت عاركا فطهرت^(١) وكان معها ماء يسير فأغتسلت به فتغد ولم يكفها لغسلها فعضت فقال هذا القول فسار مثلا ، وفيل : إن الذي قاله الضب بن أروى الكلاعي قاله لامرأته عمرة بنت سُبَيْع ، قال الفرزدق :
وكنْتُ كذات الحِضِّ لم تَبْقِ ماءها * ولا هي من ماء العَذَابِ طاهرُ

وقولهم : « لا ناقتي في هذا ولا جمل » المشل للحارث بن عباد حين قتل جَسَّاس بن مُرَّة ثُلَيْباً وهاجت الحرب بين الفريقين وأعتزلها الحارث ؛ قال الراعي :
وما هجرتك حتى قلت مُعَانَةً * لا ناقة لي في هذا ولا جمل
يضرب عند التبرؤ من الظلم والإساءة .

وقولهم : « لا ينططح فيها عِزَّان » قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولهم : « لا يَنْبُتُ البَقْلَةُ ، إلا الحَقْلَةُ » الحَقْلَةُ : القَرَّاحُ ، أى لا يلد الوالد إلا مثله . ويضرب مثلا للكلمة الحسيسة تخرج من الرجل الحسيس .

وقولهم : « لا تَدْخُلْ بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا » : يضرب في المتخالفين المتصافين .
 وقولهم : « لا يَحْزُنُكَ دَمُ هَرَّاقِهِ أَهْلُهُ » قال هذا المثل جَذِيعَةٌ : يضرب
 لمن يُوقِعُ نَفْسَهُ فِيهَا لَا تَحْلُسُ لَهُ مِنْهُ .

حرف الياء

قولهم : « يَدَاكَ أَوْكَأُ وَفُوكَ نَفْعٌ » أصله أن رجلا كان في جزيرة من جزائر
 البحر فأراد أن يعبر على زِقٍّ قد نَفَخَ فيه فلم يُحْسِنِ إِحْكَامَهُ ، فلبثا توسط البحر
 خرجت منه الريح ففريق فاستفث رجل ، فقال له : يَدَاكَ أَوْكَأُ وَفُوكَ نَفْعٌ ، فذهبت
 مثلا : يضرب لمن ينجى على نفسه الحَيْنَ .

وقولهم : « يَسُجُّ وَيَأْسُو » : يضرب لمن يُصِيبُ في التديير مرّةً ويخطئ
 أخرى ؛ قال الشاعر :

إِنِّي لَا كَثِيرٌ مَّا سُمْتَنِي عَجَبًا * يَدُ تَسْجٍ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي

وقولهم : « يَدِيرُ حَسَوًا فِي آرْتِغَاءٍ » أصله أن الرجل يؤثى باللبن فيُظْهِرُ أَنَّهُ
 يريد الرِّغْوَةَ خَاصَّةً فيُشْرِبُهَا ، وهو في ذلك ينال من اللبن : يضرب لمن يُرِيكَ أَنَّهُ
 يُعِينُكَ وَإِنَّمَا يَحْتَزُّ النَّفْعَ إِلَى نَفْسِهِ ؛ قال الكبيت :

فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ لَكُمْ صَدُودًا * وَنَحْسَاءَ بِمَلَّةٍ مُرْتَفِئًا

وقولهم : « يَمْشِي رُؤَيْدًا وَيَكُونُ أَوَّلًا » : يضرب للرجل يُدْرِكُ حاجته
 في تَوَدِّعٍ وَدَعَةٍ ، وَيُنْشِدُ فِيهِ :

تَسَالَنِي أُمُّ الْوَلِيدِ جَمَلًا * يَمْشِي رُؤَيْدًا وَيَكُونُ أَوَّلًا

وقولهم : « يُصْبِحُ ظِلْمَانٌ فِي الْبَحْرِ قَهٌّ » : يضرب لمن يعاشر بخيلا مُتْرِبًا .

وقولهم : « يَمْلَأُ الدَّلُوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ » مأخوذ من قول عُبَيْدِ بْنِ أَبِي لَهَبٍ
 من يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلْ مَا جَدًّا • يَمْلَأُ الدَّلُوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ
 وهو الحبل الذي يُشَدُّ في وسط العَرَّاقِ : يُضْرَبُ لِمَنْ يَبَالِغُ فِيمَا عَلَى مِنَ الْأَمْرِ •
 وقولهم : « يَكُونُ الْبَعِيرُ مِنْ يَسِيرِ الدَّاءِ » : يُضْرَبُ فِي حَسَمِ الْأَمْرِ الضَّائِرِ
 قَبْلَ أَنْ يَعْظُمَ وَيَنْتَقِمَ •

وقولهم : « يَعُودُ عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتُمُّ » وَرُوي : يَعْدُو • مناه يعود على الرجل
 ما تَأْمُرُهُ بِهِ نَفْسُهُ فَيَأْتُمُّ، أَيْ يَمْتَثِلُهُ ظُلْمًا مِنْهُ أَنَّهُ رَشِدٌ، وَرَبَّمَا كَانَ هَلَاكُهُ فِيهِ ،
 وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

أَحَارِبُ بْنُ عَمْرٍو كَأَنِّي نَعَزُّ • وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتُمُّ

ومما يَمْتَثِلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ

(٢٠)

أَمْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ : قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ شَعْرِهِ فِي الْإِسْتِشْهَادِ عَلَى أَمْثَالِ
 الْعَرَبِ مَا يُسْتَفْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَكَانِ •

ومن شعوره :

• وَالسِّرُّ خَيْرُ حَقِيَّةِ الرَّجُلِ • • رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ •
 • إِنَّ الشَّقَاءَ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مُصِيبٌ •

وقال أيضا :

وَقَامَ جَدُّهُمْ بِبَنِي أَيْيَمٍ • وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعَنَابُ

وقال :

فَأَنْكَ لَمْ يَفْعَرْ عَلَيْكَ كُفَّانِرَ • ضَمِيفٌ وَلَمْ يَنْظُرْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ

زهير بن أبي سلمى يقول :

ومن يفترب يحسب عدواً صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما يكن عند امرئ من خليفة * ولو خالها تخفى على الناس تعلم
ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يضرس بانياب ويوطأ بمنيم
ومن يعمل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يُسْتَم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغفر عنه ويُدَم
ومن لا يند عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يُظلم
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه * مطيع العوالى ركب كل لهدم
وقال أيضا :

وهل يُنبت الخطلُ إلا وشيجه * وتُفرس إلا في منابتها النخل
وقال أيضا :

والستردون الفاحشات وما * يلقاك دون الخير من ستر
وقال أيضا :

فإن الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نثار أو جلاء
يقول : إنما الحقوق تصح بواحدة من هذه الثلاث : يمين أو حاكم أو حجة واضحة ؛
وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتعجب من معرفته بمقاطع الحقوق .
النابعة الذبيلاني : اسمه زباد بن عمرو ، ويكنى أبا أمامة ؛ غلب عليه "النابعة"
لأنه غير برهة لا يقول الشعر ثم نبغ فقال ؛ وكذلك الجعدى ؛ وقيل : إنما لقب بالنابعة
لقوله :

* فقد نبغت لهم مآثرون *

وقيل في نسبه : زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن ربوع بن غيظ بن مرة
ابن عوف بن سعد بن ذبيان .

فما يُثقل به من شعره قوله :

فإنك كالليل الذي هو مُدركي * فإن مطية الجهل الشباب *

وقال :

ولست بمُستبقي أحًا لا تُلْمُهُ * على شَعَتِ أَى الرجال المهلب

وقال أيضا :

استبقِ ودك للصديق ولا تكن * قَتْبًا يَعْضُ بفارِبٍ ملحاحا

طرفة بن العبد يقول :

١٠ حَتَانِيكَ بَعْضُ الشَّرَاهُونِ مِنْ بَعْضٍ * مَا أَشَبَّهُ الْإِلَهَةَ بِالْبَارِحَةِ

وقال أيضا :

سُبْدَى لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ

وقال أيضا :

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالشَّكِّ أَنَّهُ * إِذَا ذَلَّ مَوَلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلٌ

١٥ أَوْسُ بْنُ جَحْرٍ يَقُولُ :

فَإِنَّكُمْ يَا بَنَى حُبَابٍ وَجَدْتُمَا * كُنْ دَبِّ يَسْتَخْفِي فِي الْكَفِّ جُنْبُلٌ

وقال أيضا :

وَمَا يَنْهَضُ الْبَاذِي بِغَيْرِ جَنَاحِهِ * وَلَا يَجْمَلُ الْمَاشِينَ إِلَّا الْحَوَامِلُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَا * أَصَبْتَ حِلْمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

وقال أيضا :

ولست بخائب أبدا طعاما * حذار غد لكل غد طعام

بشرين أبي خازم يقول :

« وأبدي الندى في الصالحين قروض * كني بالموت نأيا واغترابا »

المتلمس وهو جرير بن عبد المسيح يقول :

قليل المال تصلحه فيق * ولا يبق الكثير مع الفساد

وقال أيضا :

لذي الحلم قبل اليوم ما قرع العصا * وما علم الإنسان إلا لعلما

ولو غير أحوالي أرادوا نقيصتي * جعلت لهم فوق العرائن ميسما

وما كنت إلا مثل قاطع كفه * بكف له أخرى فأصبح أجذما

وقال أيضا :

ولا يُقيم^(١) على ذل يراقبه * إلا الأذلان غير السوء والوتد

هذا على الخسف مربوط برميته * وزا يسج فلا يرى له أحد

الأفوه الأودي^(٢) يقول :

إنما نعمة دنيا مُعنة * وحياة المرء ثوب مستعار

(١) هكذا بالأصل والرواية المشهورة في هذا البيت :

ولن يقيم على حسف يمام * إلا الأذلان غير المحي والود

(٢) ذكرت في صلب أحد الأصول المتوغرافيين هذه العبارة : (حاشية : الأفوه لقب واسمه صلاة بن

عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منه بن أود بن صعب بن سعد العنبرية وكان يقال لأبيه :

درس الشوها . وفيه يقول الأفوه :

أبي فارس الشوها عمرو بن مالك * عداة الومي إذ مال بالجسد عائر

ووردت أيضا في الأصل الآخر حاشية يمامه ولم ترد في النسخة الراجية .

وصروف الدهر في أطباقه * حلقه فيها ارتفاع وانحدار
بيننا الناس على عليتها * إذ هووا في هوة منها فغاروا

وقال أيضا :

والبيت لا يُتَنَى إلا له عَمَدٌ * ولا عِمَادَ إذا لم تُرْسْ أوتادُ
فإن تجمَّع أوتادُ وأعمدةٌ * وما كنُّ بلفوا الأمر الذي كادوا
تَهْدَا الأُمُورُ بأهل الرأي ماصِلَتْ * وإن تولَّتْ فبالأشْرار تنقادُ
لا يصلح الناسُ فَوْضَى لاسِرَّةٍ لهم * ولا سِرَّةَ إذا جُهاَلهم سادوا

تميم بن أبي بن مقبل يقول :

خِلِّي لا تستعجلا وانظرا غدا * عسى أن يكون الرفق في الأمر أرسدا

وقال أيضا :

ما أنعم العيش أو أن الفقى حَجَرٌ * تنبوا الحوادثُ عنه وهو مدمومٌ
حميد بن ثور يقول :

أرى بَصْرِي قد رابحى بعد مَحْمَةٍ * وحسبك داءٌ أن نصَحَ وتسلما
ولن يلبثَ المصران يوما وليلةً * - إذا طَلَبَا - أن يَدْرَكَ ما تَمَيَّا

عدي بن زيد يقول :

صَفَى واعظا لراء أيامَ دهره * تروح له بالواعظات وتقتدى
عن المرء لا تسال وسل عن قريبه * فكلَّ قرينٍ بالمقارِبِ يقتدى
وظلم ذوى القُرْبَى أشدَّ مَضاضَةً * على المرء من وقع الحسام المهند ^(١)
إذا ما رأيت الشرَّ يبعث أهله * وقام جُناه الشرَّ للشرِّ فاقعد

(٢١)

(١) كذا بالأصل . والمشهور أن هذا البيت لطرفة بن العبد من معلقته التي مطلعها :

نحولة أطلال مِرَّةٍ تهمد * تلوح بظلِّ الوهم في ظاهرا ليد

وقال أيضا :

يا راقدا الليل مسرورا بأوله * إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

وقال :

قد يدرك المبطل من حظه * والخير قد يسبق جهد الحريص

وقال :

لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالنصان بالماء أعنصاري

وقال :

فهل من خايدٍ إما هلكا * وهل بالموت يا للناس طار

الأسود بن يعقوب يقول :

ماذا أو مل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد إباد

أرض تخيرها لطيب معليها * كعب بن مامة وابن أم دؤاد

أهل الخورق والسدير وبارق * والقصير ذى الشرفات من سندان

جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنهم كانوا على ميعاد

ولقد غنوا فيها بانهم عيشة * في ظل ملك ثابت الأوتاد

فلذا التميم وكل ما يلهم به * يوما يصير إلى بلل ونقاد

علقمة بن عبدة يقول :

فإن تسألوني بالنساء فإني * عليم بأدواء النساء طيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

يرد ذرأ المال حيث علمته * وشرخ الشباب عندهن عجيب

وقال أيضا :

وكلّ حصين وإن طالت إقامته • على دعائمه لا بدّ مهلوم
ومن تعرض للفراب يزجرها • على سلامته لا بدّ مشوم
عمرو بن كلثوم يقول :

• وما شرُّ الثلاثة أمّ عمرو • بصاحبك الذي لا تصحينا
• وإن غدا وإن اليوم رهنّ • وبعد غد بما لا تعلمينا

الحارث بن حلزة يقول :

لا تكسع الشول بأغبارها ^(١) • إنك لا تدري من الناتج
وأصب لأضيافك ألبانها • وإن شرّ اللبن الواجب

حاتم الطائي يقول :

• أماوى ما يُفسى الرأى عن الفتى • إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وقد علم الأقوام لو أن حاتما • أراد ترأ المال كان له وفر
وقال أيضا :

وأنت إذا أعطيت بطنك سؤله • وفرجك نالا منتهى النعم أجمعا

المرقش الأصغر يقول :

• ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره • ومن يلقو لا يعلم على الفى لأئما
النمر بن قولب يقول :

يود الفتى طول السلامة جاهدا • فكيف ترى طول السلامة يفعل

(١) كسع الناة بغيرها : ترك في مرعها بقة من اللبن - وأغبارها جمع عبر وهو بقية اللبن .

وقال أيضا :

ومتى تُصَبِّك خَصَامَةً فَارْجُ النَّفَى * وإلى الذي يَتَّبِعُ الرَّاغِبَ فَارْغِبِ
لا تَفْضِبْهُ عَلَى أَمْرِي فِي مَالِهِ . وعلى كَرَامِ صُلْبِ مَالِكٍ فَاغْضِبْ

وقال :

فلا وأبى النَّاسُ لا يَعْلَمُو * نَ الْحَيْرِ خَيْرٌ وَلِلشَّرِّ شَرٌّ
فِيَوْمَا عَلَيْنَا وَيَوْمَا لَنَا . وَيَوْمَا نُسَاءُ وَيَوْمَا نُشَرُّ

مهلهل بن ربيعة، وأسمه عدى يقول :

أَعِزُّزْ عَلَى تَطْلِبِ بِمَا لَقِيتُ * أَخْتُ بَنَى الْأَكْرَمِينَ مِنْ جُحِيمِ
أَنْكَحَهَا فَقَدَّهَا الْأَرَاقِمَ فِي * جَنِبِ وَكَانَ الْحَبَاءُ مِنْ آدَمِ
لَوْ بَا بَاتَيْنَ^(١) جَاءَ يَخْطِبُهَا * ضُرِّجَ مَا أَنْفُ خَاطِبِ بَدَمِ
لِيسُوا مَا كَفَانَا الْكَرَامَ وَلَا * يُغْنُونُ مِنْ ذَلَّةٍ وَلَا عَدَمِ

طُفَيْلُ الْغَنَوَى يقول :

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبَتْنَ مِمَّا * مِنْهُنَّ مُرٌّ وَمَعْضُ الْمَرْءِ مَا كَوَّلُ
إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يُنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ * فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا يَدَّ مَفْعُولُ

عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ يقول :

وَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنِينَ تَابَعْتُ * عَلَى وَلَكِنْ شَيْتَنِي الْوَقَائِعُ

وقال أيضا :

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرَا * مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيُبْلِغَ عُدْرًا أَوْ يَسَالَ رَغِيَةً * وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُدْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

الأعشى : وهو ميمون بن قيس من بني قيس بن ثعلبة يقول :

كَطَاحِ حَصْرَةٍ يَوْمَا لِفَاقِهَا * فَلَمْ يَضُرَّهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ

(١) أبا ن : جيلان في وادي البحرين .

وقال أيضا :

تَمَأْوِا إِذَا الْحَكَمَ عِنْدَ ذَوِي النَّهْيِ . مِنْ النَّاسِ كَالْبَقَاءِ بِأَيْدِ جُحُومِهَا

وقال أيضا :

وَمَنْ يَغْتَرِبُ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى * مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجْمَرًا وَمَسَجَبًا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُشَى * يَكُنْ مَا أَتَارَ النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَجَا

وقال أيضا :

عُودَتْ كِنْدَةً عَادَةً فَاصْبِرْ لَهَا * اغْفِرْ لِحَالِهَا وَرَوْ بِجَالِهَا

لَقِيَطُ بْنُ مَعْبَدٍ يَقُولُ :

قَوْمُوا قِيَامًا عَلَى أَمْشَاطِ أَرْجُلِكُمْ . ثُمَّ أَفْزَعُوا قَدِ نَالَ الْأَمْرَ مَنْ قَزَعَا
هَيْهَاتَ مَا زَالَتْ الْأَمْوَالُ مَذَابِيحَ * لِأَهْلِهَا - إِنْ أَصِيبُوا مَرَّةً - تَبْعَا

تَأْبِطُ شَرًّا : وَهُوَ نَابِتُ بْنُ جَابِرٍ يَقُولُ :

لَتَقْرَعَنَّ عَلَى السِّنِّ مِنْ نَدِيمٍ * إِذَا تَذَكَّرْتُ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِ

الْمُثَقَّبِ الْعَبْدِيِّ يَقُولُ :

فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَنْحَى بِحَقِّ * فَأَعْرِفْ مِنْكَ غُثًى مِنْ سَمِينِي

وَالْإِلَّا فَاطْرَحْنِي وَأَتَّخِذْنِي * عَدُوًّا أَتَقِيكَ وَتُسْتَقِينِي

فَإِنِّي لَوْ تَعَانَدَنِي شِمَالِي * عَنَادَكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي

الْمُزْرَقُ الْعَبْدِيُّ يَقُولُ :

إِنْ كُنْتُ مَا كَوْلًا فَكُنْ أَنْتَ آكِلِي * وَالْإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلِمَا أَمْرَقِي

أَفَنُونَ التَّغْلَبِيِّ يَقُولُ :

لِعَمْرِكَ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِي * إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهَ وَاقِيَا

الأضبط بن قريع السعدي يقول :

قد يجمع المال غير آكله * وبأكل المال غير من جمعه
لا تحقرن الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رنعه
واقبل من الدهر ما ألاك به * من قزعيا بعيشه قعنه

(٢٢)

سويد بن أبي كاهل يقول :

رُبَّ مَنْ أَنْصَبَتْ غَيْظًا قَلْبَهُ * قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَمْ
وِرَانِي كَالشَّجَى فِي حَلْفِهِ * عَسِرًا تَحْرُجُهُ مَا يُبْتَرَعُ
وَيُحْسِنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ * وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْيِي رَقَعُ
أَتَهَى مَا يَمْتَلِ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ .

ومما يمتثل به من أشعار المخضرمين

١٠

المنصرون : هم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام .

منهم لبید بن ربيعة ، وفاته سنة إحدى وأربعين ، وعمره مائة سنة وسبع

ونخسون سنة يقول :

وَإِذَا رُمْتُ رَجِيلاً فَارْتَحِلْ * وَأَعْصِ مَا يَأْمُرُ تَوْصِيْعُ الْكَلَلِ^(١)
وَأَكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا * إِنَّ صَدَقَ النَّفْسُ يُزْرَى بِالْأَمَلِ

١٥

وقال أيضا :

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ * وَلَا بَدْءَ يَوْمًا أَنْ تَرُدَّ الْوَدَائِعُ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضُوئُهُ * يَحْجُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

(١) التوصيم في الجسد : التكسير والفترة والكسل .

وقال أيضا :

كانت فتاتي لا تلتين لغامز * فالانها الإصباح والإمساء
ودعوتُ ربِّي في السلامة جاهدا * ليُصحَّني فإذا السلامة داء

وقال أيضا :

ذهب الذين يُعاش في أكثافهم * وبقيتُ في خَلْفٍ بكَلَدِ الأجرِبِ

وقال أيضا :

إلى الحَوْلِ ثم أَسْمُ السَّلامِ عليكما . ومن بيك حولا كاملا فقد أعتز

كعب بن زهير يقول :

ومن دعا النَّاسَ إلى ذمِّه * ذمَّوه بالحقِّ وبالباطلِ

١٠ مقالةُ السَّوءِ إلى أهلها * أسرع من منحدرِ سائلِ

النابعة الجعدى : وهو قيس بن عبد الله، وقيل حسان بن قيس بن عبد الله

ويكنى النابعة : أبا بلى ، وهو أَسَنُ من الذبياني ، وطال عمره حتى أدرك أيام بني أمية ،

وهو الذى قال له النبي صلى الله عليه وسلم : "لا يفضُّص الله فاك" فاسقطت له

سنّ ، وفي رواية : فكان أحسن الناس نفرا إذا سقطت له سنّ تبت له أخرى ، وعاش

١٥ عشرين ومائة سنة ، وقيل أكثر . ومما يُمثّل به من شعره قوله :

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم يكن له * بواذر تحمى صفوه أن يُكدرا

ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له * حلمٌ إذا ما أورد الأمرُ أصدرا

وقال أيضا :

كُليبٌ لعمري كان أكثرَ ناصرا . وأيسرَ جِما منك ضُرجَ بالدم

٢٠ أمية بن أبي الصَّلْتِ الثَّقَفِي يقول :

تلك المكارمُ لأقْبَانٍ من ابنِ * شيبٍ بماءٍ فعادا بعد أبوالا

حسان بن ثابت يقول :

وإن أمرأً يُسمى ويُصبح سالماً * من الناس — إلا ما جنى — لسعيد

وقال أيضاً :

رُبَّ حِلْمٍ أضاعه عَدَمُ الما * لِـ وَجْهِ غَطَّى عَلَيْهِ النعمُ

ما أبالي أَنبَ بِالْحَزَنِ تَيْسُ * أم لحاني بظهير غَيْبٍ لئِمُ

الخطيئة : واسمه جرول بن أوس بن مخزوم . وقيل : جرول بن أوس بن مالك

ابن غطفان بن سعد ويكنى : أبا مُليكة ، والخطيئة لقبٌ غلب عليه ؛ قيل لقب به

لقصره وقربه من الأرض ؛ وقيل : حَبَقَ في مجلس قومه فقال : إنما هي حَطَاةٌ

فسمَّى الخطيئة . فما يمثِّل به من شعره قوله :

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدُمُ جَوَازِيَهُ * لَا يَذْهَبُ الْعَرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لُبَيْتُهَا * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقال أيضاً :

أَقْلُوا عَلَيْهِمَ لَا أَبَا لَا يَبْكُكُمْ * من اللوم أوسدوا المكان الذي سَدُوا

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا إلينا * وإن وعدوا أوفوا وإن عقدوا شَدُوا

مُتَمِّمٌ بن نُؤيرة يقول :

وَكَا كَتَدَمَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نيت ليلةً معاً

أبو ذؤيب الهذلي يقول :

وتجملدى للشامتين أريهم * أني لرب الدهر لا أنضعضُ

وإذا المية أنشبت أظفارها * ألفت كل تيمية لا تنفعُ

والنفسُ راغبة إذا رَغَّبَهَا * وإذا رُدُّ إلى قليل تنفعُ

الخنساء : وهي ثَمَاضِرُ بنت عمرو بن الشريد تقول :

وَمَنْ ظَنَ مَنْ يُبْلِقُ الْحُرُوبَ * بَالَا يَصَابُ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزَا

وقالت أيضا :

نُهِنُ النُّفُوسَ وَبَذَلُ النُّفُو * سَ عِنْدَ الْكَرْبَةِ أَيْقَى لَهَا

عمرو بن معد يكرب يقول :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمْرًا فَدَعِهِ * وَجَاوِزِهِ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وقال أيضا :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُتَّزِرٍ * فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدًا

أَنْ الْجَمَالَ مَا تُزِي * وَمَكَارِمُ أَوْزُنِ مَجْدًا

معن بن أؤس يقول :

وَفِي النَّاسِ إِنْ رَسَتْ حَبَالُكَ وَاصِلٌ * وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْفَيْلِ مُتَحَوِّلٌ

إِذَا أَنْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُنْ * إِلَيْهِ بَوَاجِهُ آخِرِ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

وقال أيضا :

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ * فَلَمَّا أَسْتَدَّ سَاعِدُهُ رِمَانِي^(١)

زياد بن زيد يقول :

وَلَا أَتَمْنَى الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي * وَلَكِنْ مَتَى أَتَحْمِلُ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبِي

وقال أيضا :

هَلِ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى * رَزِيَّةٌ مَالٍ أَوْ فِرَاقٌ حَبِيبِ

(١) كذا في نسخة الراعي وأحد الأهلين الصنوعا ميين . وفي الأصل الصنوعا ميين : الآخر « انتفت » بالميم

المجمعة . وفي السناد مادة « سد » : « قال الأصمعي انتفت بالميمين المعجمة ليس شيء » الخ . (انظر اللسان) .

أَيْمَنَ بْنَ نَحْرِيمَ بْنَ فَاتِكِ الْأَسَدِيِّ يَقُولُ :

إِنِّ لِلْفَتْنَةِ مِيطًا بَيْنَنَا * فَرَوَيْدَ الْمِيطِ مِنْهَا تَعْتَدُلُ

فَإِذَا كَانَ عَطَاءُ فَاتِهِمْ * وَإِذَا كَانَ قَتَالُ فَاعَتَرَلُ

اتَّهَى مَا يُمَثِّلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْمُخْضَرِّينَ .

وَمِمَّا يُمَثِّلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ

الْقُطَامِيُّ : وَأَسَمَهُ عُثَيْرُ بْنُ شَيْمٍ يَقُولُ :

وَمَعْصِيَةُ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا * يَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ اسْتِمَاعًا

وَاخِرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ * وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ أَتْبَاعًا

أَرَاهُمْ يَنْمُزُونَ مِنْ أَسْتَرْكُوا^(٢) * وَيَحْتَنِبُونَ مِنْ صَدَقِ الْمِصَاعَا

لِذَلِكَ وَمَا رَأَيْتُ النَّاسَ إِلَّا * إِلَى مَا حَزَّ جَانِبَهُمْ سِرَاطًا

وَقَالَ أَيْضًا :

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضُ حَاجَتِهِ . وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

وَرَبَّمَا فَاتَ بَعْضَ الْقَوْمِ أَمْرُهُمْ * مَعَ التَّانِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجِلُوا

وَالنَّاسُ مِنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ * مَا يَسْتَهِي وَلَا تَمُ الْخَطِئُ الْهَبْلُ

الطَّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ بْنُ الْحَكَمِ يَقُولُ :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي * بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلِ

وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللَّسَامِ وَلَنْ تَرَى * شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّائِلِ

الْكَمِيتُ بْنُ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ يَقُولُ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْأُسْنَةُ مَرْكَبٌ * فَلَا رَأْيَ لِلضُّطَّرِّ إِلَّا رَكُوبُهَا

وقال أيضا :

فيا موقدا نارا لغيرك ضوءها * ويا حاطبا في حبل غيرك تحطبا

المساور بن هند يقول :

شقيت بنو أسد بشعر مساور * إن الشق بكل حبل يحرق

عدى بن الرقاع يقول :

وإذا نظرت إلى أميري زادني * ضنا به نظري إلى الأمراء
بل ما رأيت جبال أرض تستوي * فيا غثيت ولا نجوم سماء
كالهرق منه وأبل متابع * جود وآثر ما يبض بهاء
والمرء يورث مجده أبناءه * ويموت آخر وهو في الأحياء

الفرزدق : واسمه همام بن غالب يقول :

فواعجبا حتى كليب تسبني * كأن أباهما نهشل أو مجاشع

وقال أيضا :

ترجى ربيع ان يحمي صغارها * بخير وقد أعياء عليك كبارها

وقال أيضا :

فإن تتج منها تتج من ذي عزيمة * وإلا فإنني لا إخالك ناجيا

وقال أيضا :

يمضي أخوك فلا تلق له خلفا * والمال بعد ذهاب المال مكتسب

وقال أيضا :

لبس الشفيع الذي يأنيك مؤثرا * مثل الشفيع الذي يأنيك عريانا

وقال أيضا :

قُلْ لِنَصِيرِ والمرء في دولة السد * طان أعمى ما دام يُدعى أميرا
فإذا زالت الولاية عنه * وأستوى بالرجال عاد بصيرا

وقال أيضا :

ولا نلين لسلطان يُكابدنا * حتى يلين لضرر الماضج المجر

وقال أيضا :

هل أبئك إلا أبْنُ من الناس فأصبرن * فلن يرجع الموقى حين المآثم
جرير هو أبْنُ الخَطَفَى تُوفى سنة عشر ومائة يقول :
إن الكريمةَ ينصرُ الكرمَ أبْنُها * وأبْنُ اللثيمةَ للثامَ نصورُ

وقال أيضا :

زعم الفرزدقُ أن سيقتل مَرِبا * أبشرُ بطول سلامةٍ يا مَرِجُ

وقال أيضا :

وَأبْنُ اللَّبُونِ إذا ما لَزُفَ قَرِينُ * لم يستطع صَوْلَةُ البُرْلِ القَنَاعِيسِ

وقال أيضا :

رَأَيْتُكَ مِثْلَ الْبَرْقِ يُحَسِّبُ ضَوْؤُهُ . قَرِيبًا وَأَدْنَى ضَوْؤُهُ مِنْكَ نَازِحُ

وقال أيضا :

أَنَا الرِّجَالُ يَفْعَلَانُ وَنِسْوَتُهُمْ * مِثْلُ الْقَنَافِدِ لَا حُسْنَ وَلَا طِيبِ

الأخطل : وأسمه مالك بن غياث بن غوث ، وقال أبو الفرج الأصبهاني :
أسمه غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن سبعمان بن عمرو ، ورفعه نسبه

إلى جُشَم بن بكر ويكنى : أبا مالك ، قال : وقال المدائني ، هو غياث بن غوث بن سامة ابن طارقة . فلما يتمثل به من شعره قوله :

والناس همُّهم الحياة ولا أرى * طول الحياة يزيد غير خبال
وإذا أدقرت إلى الدحائر لم تجد * دُخْرًا يكون كصالح الأعمال

وقال أيضا :

إن الصنعة تلقاها وإن قدمت * كالمر^(١) يكن حيناً ثم ينتشر
وأقسم المجد حقاً لا يخالفهم * حتى يحالف بطل الراحة الشعر

وقال أيضا :

وإذا دعوتك يا أحنى فإنه * أحنى إليك مودةً ووصالاً
وإذا دعوتك عمه^{١٠} فإنه * نسبٌ يزيدك عندهن خبالاً

وقال أيضا :

صفادع في ظلمات ليل تجاوبت * فدل عليها صوته حياة البحر

وقال أيضا :

يا مرسل الريح جنوباً وصباً * إن غضبت قيس فزدها غضباً

الصلتان العبدى يقول :

وإن بك بحر الخطيئين واحداً * فما يستوى حيتانه والضفادع
وما يستوى صدر القناة وزجها * وما يستوى في الراحتين الأصابع

كثير غزوة : وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي ، توفي سنة خمس ومائة يقول :

وإني وتهايمي بهزة بعدما * تخلت مما بيننا وتخلت

(١) التزافتع وبالضم : الحرب .

(٢٤)

للكلمنجي ظلّ الغامة كلّما * نبوّاً منها القليل أضحت
فقلت لها يا عزّ كل مصيبة * إذا وطئت يوماً لها النفس ذلت
هنيئاً مريضاً غير داءٍ مخامرٍ * لعزة من أعراضنا ما استحلّت

وقال أيضاً :

قضى كلّ ذي دينٍ فوق غريمه : وعزة مطوّلٍ معني غريمها

وقال أيضاً :

ومن لا يمتص عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتبع جاهداً كلّ عثرة * يحنها ولا يسلم له الدهر صاحب

جميل يقول :

فإن يك حربٌ بين قومي وبينها * فإني لها في كلّ نائبة سلم

وقال أيضاً :

ولربّ عارضةٍ علينا وصلها * بالجدّ تخلطه بقول المازل
فأجبتها في القول بعد تسرّ : حبيّ بئنة عن وصالك شاغل
أو كان في قلبي كقدر قلامة * وصلّا وصلتك أو أنتك رسائل

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة يقول :

أيت هذا أنجرتنا ما تمدّ * وشفت أبادنا فما نجد^(١)
وأسنبت مرةً واحدة * إتما العاجز من لا يسند

وقال أيضاً :

لا تلمني وأنت زيتها لي * أنت مثل الشيطان للإنسان

(١) الرواية المشهورة في هذا البيت : * وشفت أهنا عما نجد *

ومما يُمَثِّلُ به من أشعار المحدثين

منهم إبراهيم بن هرمة يقول :

عَجِبْتُ أَتَيْلَةً أَنْ رَأَيْتُ حُلُقَا * تَكَلِّكُ أُمِّكَ أَيْ ذَاكَ يَرُوعُ
قَدْ يَدْرِكُ الشَّرَفَ الْفَتَى وَرِداؤُهُ * خَلَقَ وَجِبَّ قَبِيصُهُ مَرْقُوعُ

وقال أيضا :

كَارَكَةٍ بِيضُهَا بِالْعَرَاءِ * وَمَلْبَسَةٍ بِيضُهَا أَنْحَرَى جَنَاحَا

بِسَّارِ بْنِ بُرْدٍ يَقُولُ :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأَهْوِ وَمَعَاتِبَا * صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ
فَمَنْ وَاحِدًا أَوْ صِلَ أَحَاكَ فَإِنَّهُ * مُقَارَفَ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمَجَانِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى * ظَلَمْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مِشَارِبُهُ

وقال أيضا :

وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً * فَإِنَّ الْخَوَافِ عُدَّةٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسِكَ الْغُلُّ أَخْتَهَا * وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمِ

وقال أيضا :

كَبِيرٌ تَنْسَى لَذِيذَ النَّكَّاحِ * وَتَعْرِقُ مِنْ صَوْلَةِ النَّاسِ كَاجِ

وقال أيضا :

أَنْتَ مِنْ قَلْبِهَا عُلَّ شَرَابٍ * يُسْتَهَى شَرِبُهُ وَيُخْشَى صُدَاعُهُ

وقال أيضا :

الْحَرِيُّ لِحَى وَالْعَصَا لَعَبِيدِ * وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ

وَمَصَاحِبِ كَالْذَّمْلِ الْمِمْدِ * حَلَّتْهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي

وقال أيضا :

وإذا جفوتَ قطعتُ عنك منافى * والدرُّ يقطعُه جفاءُ الخالبِ

وقال أيضا :

ولو لا الذى خبروا لم أكن * لأمدحَ ربحانةً قبلَ شمِّ

وقال أيضا :

تأتى المقيمَ - وما سعى - حاجاته * عندَ الحصى وَيَنجِبُ سعىَ الناصبِ

وقال أيضا :

أنا والله أشتبى سحرَ عيذ * بكِ وأختى مِصارعَ الشُّناقِ

وقال أيضا :

نرجو غدا وغداً كاملة * فى الحى لا يدرون ما تلدُ

وقال أيضا :

تسقط الطيرُ حيث يَتَشَرُّ الحُبُّ * ونُفَتى منازلُ الكرماءِ

ليس يُعطيك للرجاءِ ولا الخو * فِ ولكن يَلْدُ طعمَ العطاءِ

وقال أيضا :

« والصعبُ يُمكنُ بعدَ ما جمعا .. * ولن تَبْلُغَ العَلَيَّا بغيرِ الدراهمِ »^(١)

وقال أيضا :

ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة * يواسيك أو يُسَلِّك أو يتوجعُ

أبو العتاهية يقول :

« أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ » * وكلُّ غنىٍّ فى العيونِ جليلُ *

« روائحُ الجنَّةِ فى الشبابِ » * وأىُّ الناسِ ليس له عُيوبُ *

(١) فى الأغاني طبع دار الكتب المصرية (ج ٣ ص ٢١٤) : ولا تبلغ العلياء بغير الدراهم .

وقال أيضا :

إِنَّ الشَّابَّ وَالْقَرَّاعَ وَالْجِدَّةَ * مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ أَىْ مَفْسَدَةٌ

وقال أيضا :

أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا حَيْكَ الدَّهْرِ أَخُوهُ

فَإِذَا آخَجْتَ إِلَيْهِ * سَاعَةً بَجَّكَ فَوْهُ

وقال أيضا :

مَا يَحْزُرُ الْمَرْءُ مِنْ أَطْرَافِهِ طَرَفًا * إِلَّا تَحَوَّنَهُ النِّقْصَانُ مِنْ طَرَفٍ

وقال أيضا :

يُصَادُ فَوَادِي حَيْثُ أَرِمِي وَرَمْتِي * تَعُودُ إِنِّي تَحْرَى وَيَسْلُمُ مَنْ أَرِمِي

وقال أيضا :

وَلَرُبَّ شَهْوَةٍ سَاعَةٍ * قَدْ أَوْرَثَتْ حَرْنا طَوِيلًا

سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو الْخَاسِرُ : وَهُوَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ
بَصْرِي لُقِّبَ الْخَاسِرَ لِأَنَّهُ وَرِثَ مِنْ أَبِيهِ مَصْحَفًا فَبَاعَهُ وَأَشْتَرَى بِثَمَنِهِ طُبُورًا ،
وَقِيلَ : بَلْ خَلَّفَ أَبُوهُ مَا لَا فَائِذَ فِيهِ فِي الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ : إِنَّكَ

لْخَاسِرُ الصَّفِيقَةُ ، فَلَقَّبَ بِذَلِكَ . فَمَا يَمْتَثِلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ عَمًا * وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

لَوْلَا مَنَى الْعَاشِقِينَ مَاتُوا * غَمًّا وَبَعْضُ الْمَنَى غُرُورُ

وقال أيضا :

وَلَوْ مَلَكَتْ عَيْنَا الرِّيحَ تَصْرِفُهُ * فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مَا فَاتَكَ الطَّلَبُ

وقال أيضا :

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ حَلِيقَتِهِ * فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الْخَبْرِ

صالح بن عبد القدوس يقول :

ما يبلغ الأعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه
والجاهل الآمل ما في غد * كفظه في اليوم أو أمسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى في ثرى رمسه
والحق داء ماله حيلة * تربي كبعد النجم من لمسه

وقال أيضا :

وإن عناء أن تفهم جاهلا * فيحسب جهلا أنه منك أفهم
متى يبلغ البیان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهضم

وقال أيضا :

إذا وترت أمرا فاحذر عدوانه * من يزرع الشوك لا يحصد به عينا

وقال أيضا :

شر المواهب ما تجود به * من غير محبة ولا أجر

وقال أيضا :

لا تجدد بالمطاء في غير حق * ليس في منع غير ذي الحق بخل
إنما الجود أن تجود على من * هو للجود منك والبذل أهل

وقال أيضا :

يشقى رجال ويشقى آخرون بهم * ويسعد الله أقواما بأقوام
وليس رزق الفتى من لطف جيلته * لكن جدود بأرزاق وأقسام
كالصيد يحرمه الراعي المحيد وقد * يرمى فيرزه من ليس بالراعي

وقال أيضا :

إِنْ يَكُنْ مَا بِهِ أَصَبْتَ جَلِيلًا * فَذَهَابُ الْعِزَاءِ مِنْهُ أَجَلُ
كُلِّ آتٍ لَأَشْكَّ آتٍ وَفَوَاجِلُهُ * لَمْ مَعْنَى وَالْغَمُّ وَالْحُزْنُ فَضْلُ

ابن ميادة : هو الزقاح بن أبرد كنيته شَرْحِيل يقول :

وَاعْجَبَا مِنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا * يُحْطَى فِينَا مَرَّةً بِالصَّوَابِ

وقال أيضا :

وَأَرَانَا كَلْزَرْعٍ يَحْصِدُهُ الدَّهْرُ * رُفِينٌ بَيْنَ قَاتِمٍ وَحَصِيدِ
وَكَاثِلُ لَوْتٍ رَكْبٌ مُجْبُو * نَبْ سَرَّاعٌ لِمَنْهَلٍ مُورِدِ

أبو نؤاس الحسن بن هانيء يقول :

١٠ * دَعِ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِعْرَاءٌ * أَلَا رَبُّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ ثَقِيلُ

وقال :

* وَلِلرَّجَاءِ حَرَمَةٌ لَا تُجْهَلُ * وَأَيُّ جِدِّ بَلَغَ الْمَازِحُ *

وقال أيضا :

إِذَا أَمْنَحْنُ الدُّنْيَا لِيَبَّ تَكْشَفَتْ * لَهُ عَنْ عَدُوِّ وَثِيَابِ صَدِيقِ

وقال أيضا :

١٥

لَا أَذْودُ الطَّيْرِ عَنْ شَجِيرٍ * قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ

وقال أيضا :

وَلَيْسَ اللَّهُ بِمُسْتَنْكَرٍ * أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

وقال أيضا :

٢٠

صَارَ جَدًّا مَا مَزَحْتُ بِهِ * رَبُّ جِدِّ سَاقِهِ اللَّعِبُ

وقال أيضا :

كفى حَرًّا أَتَ الجَوَادُ مُقَرَّرٌ * عليه ولا معروف عند نجيل

وقال أيضا :

وأوبه مشتاق بغير دراهم * إلى أهله من أعظم الحدّان

أبو عِيْنَةَ الْمُهَلَّبِيّ يقول :

* وكيف بُحود القلب والعينُ تشهدُ * ولا خيرَ فيمن لا يدوم له عهدُ *

* وشتانَ ما بين الولاية والعزلِ *

وقال أيضا :

وإذا تناولت الرءو * من فغظُ رأسك ثم طاطة

عبد الله بن أبي عَتْبَةَ الْمُهَلَّبِيّ يقول :

كل المصائب قد تمز على الفقى * فتهونُ غيرَ شامة الأعداءِ

وقال أيضا :

ما كنتَ إلا كلحم ميت * دعا إلى أكله اضطوارُ

العبّاس بن الأحنف يقول :

لو كنتَ عاتبةً لسكنَ رَوْحِي * أملِي رضاك وزرتُ غيرَ مراقِبِ

لكن ملكتَ فإلصك حيلةٌ * صدّ الملؤلُ خلافُ صدّ العانِبِ

وقال أيضا :

صرتُ كَأَنِّي ذبالةٌ نُصِبْتُ * نُضِيءُ للناس وهى تحترقُ

وقال أيضا :

أرى الطريقَ قريباً حينَ أسلكهُ * إلى الحبيبِ بعيداً حينَ أنصرفُ

وقال أيضا :

كني حَزَنًا أَقَّ التَّبَاعَدَ بَيْنَنَا • وَقَدْ جَعَلْنَا وَالْأَجْبَةَ دَارًا

وقال أيضا :

أَفْنَا مَكْرَهِينَ بِهَا فَلَمَّا • أَلْفَنَاهَا خَرَجْنَا مَكْرَهِينَا

وقال أيضا :

• وَلَا خَيْرَ فِي وَدٍّ يَكُونُ بِشَافِعٍ • مِنْ عَالِجِ الشَّوْقِ لَمْ يَسْتَبِعِدِ الدَّارَا •

مُسلم بن الوليد : هو مولى الأنصار، ثم مولى آل أبي أمامة : أسعد بن زُرَّارَةَ الْخَزْرَجِيِّ وَلُقِّبَ صَرِيحَ الْغَوَانِي، وَمِمَّا يُتَمَثَّلُ بِهِ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

دَلَّتْ عَلَى عَيْبِهَا الدُّنْيَا وَصَلَّقَهَا • مَا آسَرَجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كَانَ أُعْطَانِي

وكان يقول أخذتُ معنى هذا البيت من التوراة .

وقال أيضا :

مَعَدَّ الْعَقَى مَرَّ اللَّيَالِي سَلِيمَةً • وَهَنٌ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ نَوَاطِرُ

وقال أيضا :

أَمَّا الْمَجَاءُ فَلَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ • وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ

فَأَذْهَبَ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ • عِرْضُ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

منصور التَّمَرِيُّ : هو منصور بن الزُّرَّاقَانِ بْنِ سَلَمَةَ . وقيل منصور بن سَلَمَةَ ابن الزُّرَّاقَانِ بْنِ شَرِيكٍ ، مُطْعِمُ الْكَبَيْشِ الرَّحْمِ بِسَمِيِّ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَطْعَمَ نَاسًا زَلُّوا بِهِ وَنَحَرَ لَهُمْ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَذَا هُوَ رَحِمَ يَحْمُنُ حَوْلَ أَضْيَافِهِ ، فَأَمَرَ أَنْ يُذْبَحَ لَهُمْ كَبْشٌ وَيُرْمَى لَهُمْ فَفَعَلَ ذَلِكَ وَزَلَّنَ عَلَيْهِ فَرَقْنَهُ ، وَهُوَ ابْنُ مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَامِرِ الضَّحْيَانِ ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ وَحَاكِمَهُمْ وَكَانَ يَحْلِسُ لَهُمْ إِذَا أَضْحَى النَّهَارُ ، وَهُوَ ابْنُ سَعْدِ

أَبْنُ الْخَزْرَجِ بْنِ تَيْمِ اللَّهِ بْنِ الْيَمْرِ بْنِ قَاسِطِ بْنِ هَنْبِ بْنِ أَنْصَى بْنِ دُعَيْمِ بْنِ جَدِيلَةَ
أَبْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ زَيْلَارٍ . فَمَا يُنْتَلَى بِهِ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

لَعَلَّ لَهَا عَذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ * وَرَبِّ أَمْرِي قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِيمٌ

وقال أيضا :

مَا كُنْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهَ عِزَّتِهِ * حَتَّى أَنْصَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعٌ

وقال أيضا :

أَقْلَلُ عَتَابَ مَنْ أَسْرَبَتْ بُوْدَهُ * لَيْسَتْ تُسَالُ مَسْوَدَةٌ بَعْتَابَ

الْعَنَابِيُّ : هُوَ كُلُّنُومُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَيُّوبَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ حَيْشِ بْنِ أَوْسَ بْنِ مَسْعُودِ

أَبْنِ عَمْرِو بْنِ كُلُّنُومِ الشَّاعِرِ أَبْنِ مَالِكِ بْنِ عَتَابِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جُثَمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ
حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنَمِ بْنِ قَلْبٍ . فَمَا يُنْتَلَى بِهِ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

وَإِنْ عَظِيَّاتُ الْأُمُورِ مَشْهُوبَةٌ * بِمَسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ

وقال أيضا :

وَقَدْ فِي عَرَّضِ السَّمَاوَاتِ جَنَّةٌ * وَلَكِنَّهَا مَحْفُوفَةٌ بِالْمَسَاكِرِ

وقال أيضا :

قُلْتُ لِلْفَرْقَدِيِّنَ وَاللَّيْلِ مُلْقٍ * سُودًا كُفَاهَهُ عَلَى الْآفَاقِ

إِقْبَا مَا بَقِيَتَا سَوْفَ يُرْمَى * بَيْنَ تَخْصِيصِكَا بِسَهْمِ الْفِرَاقِ

أَشْجَعُ السُّلَيْمِيُّ : هُوَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرِو أَبِي الْوَلِيدِ، وَقِيلَ : أَبُو عَمْرِو مِنْ أَهْلِ الرَّقَّةِ .

فَمَا يُنْتَلَى بِهِ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

نَسِيكٌ مِنْ أَمْسَى يَنَاجِيكَ طَرْفُهُ * وَلَيْسَ لِمَنْ تَحْتَ التُّرَابِ نَسِيبُ

وقال أيضا :

سبق القضاءُ بكلِّ ما هو كائن * فليجهد المتقلب المحتال

وقال أيضا :

دأءٌ قديم في بني آدم * فتنةُ إنسان بإنسان

وقال أيضا :

وعلى عدوك يا بن عم محمد * رَصَدان ضوءُ الصبح والإفلام
فاذا تلبسه رعتَه وإذا غفا * ملَّت عليه سيوفك الأحلام

الجرهمي :

وأعدتُه ذنرا لكل مُلمية * وسهمُ الرزايا بالذخائر مولعُ

وقال أيضا :

إذا ما مات بعضك فابك بعضًا * فإن البعض من بعض قريب

وقال أيضا :

أرى الحلمَ في بعضِ المواطنين ذلةً * وفي بعضها عزًّا يسودُّ فاعلهُ

وقال أيضا :

ودون الندى في كل قلب ثنيةٌ * لها مَصْعَدٌ حزنٌ ومُتَحَدِرٌ سهل

وقال أيضا :

العيش لا عيش إلا ما قنعت به * قد يكثر المالُ والإنسان مُفتقر

وقال أيضا :

وهل حازم إلا كآخر عاجز : إذا حل بالإنسان ما يتوقعُ

محمود الوراق : هو محمود بن الحسن البغدادي مولى بنى زُهرة، ويُكنى
أبا الحسن . فما يُجْتَل به من شعره قوله :

وإذا غلا شيءٌ على تركته * فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

وقال أيضا :

ما كدتُ ألخص عن أخى ثقة * إلا ذممتُ عواقبَ الفحص

وقال أيضا :

الدهر لا يَتَّق على حالة * لا بد أن يُقِل أو يُدبرا
فإن تلقاك بمكرهه * فأصبر فإن الدهر لن يصبرا

وقال أيضا :

إذا كان وجهُ العُدريس بواضح * فإن أطراح العذر خير من العذر ١٠

محمود بن حازم الباهلي :

إلا إنما الدنيا على المرء فتنة * على كل حال أقبلت أم تولت

وقال أيضا :

وقائل كيف نفترقا * فقلت قولاً فيه إنصاف
لم يك لي شكلا ففارقته * والناس أشكأل وألأف ١٥

السَّموءل بن عادياء :

إذا المرء لم يَتَّس من اللؤمِ عِرضه * فكل رداء يرتديه جميل

وقال أيضا :

إذا كنت ملجأً مُبِيناً ومُحِبّاً * فبِشيان ما تهوى من الأمر أكس

محمد بن أبي ذُرَّةَ الدِّمَشْقِي :

لَا يُؤْنِسُكَ أَنْ تَرَانِي ضَاحِكًا * كَمْ ضَحَكَةٍ فِيهَا عُيُوسٌ كَايُنُ

وقال أيضا :

قَدْ يَهْزُ الْمَهْدِيُّ وَهُوَ حُسَامٌ * وَيُحْتَ الْجَوَادُ وَهُوَ جَوَادُ

- أبو الشَّيْص : واسمه محمد بن رُزَيْن بن تَمِيم بن نَهْشَل ، وأبو الشَّيْص لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَهُوَ عَمُّ دَعِيل بن عَلِيٍّ . فَمَا يُثَمِّلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :
إِذَا لَمْ تَكُنْ طُرُقُ الْمَوِي لِي ذَلِيلَةً * تَكْبُتُهَا وَانْحَزْتُ مِنْ جَانِبِ السَّهْلِ

عَلَى بن جَبَلَةَ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْبَارِيِّ ، وَهُوَ الْمُتَلَقَّبُ بِالْعَكَّوكِ قَالَ :

وَأَرَى اللَّيَالِي مَا طَوْتُ مِنْ شَرِّئِي * رَدَّتْهُ فِي عِطْقِي وَفِي إِفْهَامِي

- ١٠ وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَرْءَ مِنْ بَنِي الرَّدْيِ * حَيْثُ الرِّمِيَّةُ مِنْ سِهَامِ الرَّامِي

وقال أيضا :

وَخَافْتُ عَلَى التَّطَوَّافِ قَوْمِي وَأَنَا * تُصَابِغُ غَرَارِ الْوَحْشِ وَهِيَ دُرُوعُ

الْجَلَّاحِ الْحَارِثِيِّ :

وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنْ ذَا الْمَوِي * إِلَى حَيْثُ يَهْوِي الْقَلْبُ يَهْوِي بِهِ الرَّجُلُ

- ١٠ وقال أيضا :

إِذَا مَا أَهَانَ أَمْرُؤُ نَفْسَهُ * فَلَا أَكْرَمَ اللَّهُ مِنْ يَكْرَمِهِ

عبد الصمد بن المعدَّل :

لَيْسَ لِي عُذْرٌ وَعِنْدِي بُلْغَةٌ * إِنَّمَا الْعُذْرُ لِمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ

وقال أيضا :

وأعلم أنت بات الرجاء * تُحِلَّ العزيرَ محلَّ الدليل
وان ليس مُستغنيا بالكثير * من ليس مُستغنيا بالقليل

وقال أيضا :

أرى الناسَ أهدوئةً * فكونوا حديثًا حسنً
كأن لم يكن ما أتى . وما قدمضى لم يكن
إذا وطنٌ راجى * فكل بلادٍ وطن
إذا عزَّ يوماً أخوه * ك في بعض أمرٍ فهُن

المحدوني :

إن المقدمَ في حديقِ صنعته * أتى توجه فيها فهو محروم

العنبي :

قالت عهدتك مجنوناً فقلتُ لها * إن الشبابَ جنون برؤءه الكبر

وقال أيضا :

وحسبك من حادثٍ بامرئ * برى حاسديه له راحينا

أبو سعيد الخزومي : وأسمه عيسى بن خالد بن الوليد ، والصحيح أنه أبو سعد
لا سعيد . فما يُمثل به من شعره قوله :

وكم رأينا للدهر من أسدٍ * بالت على رأسه مئالبه

وقال أيضا :

إذا ضنَّ الجوادُ بما لديه * ما فصل الجواد على البخيل

وقال أيضا :

ليس لبس الطيَّاليس * من لباس الفوارس

لا ولا حومة الوغى * كصدور المجاليس
وظهور الجياد غير ظهور الطنائس
ليس من مارس الخلو * ب كن لم يمارس

دُعِيل بن علي الخزاعي : هو أبو جعفر واسمه محمد ودُعيل لقبٌ غلب عليه ،
والدُعِيل : البعيرُ المسنُّ ، وقيل : الناقةُ التي معها أولادها . فما يُنْتَل به من شعره قوله :

لا تعجبي ياسلم من رجل * حنك المشيبُ برأسه فبكي

وقال أيضا :

هي النفس ماحسته فحُسن * إليها وما قبحتَه فُقبَح

وقال أيضا :

جئنا به يسفع في حاجة * فاحتاج في الإذن إلى شافع

وقال أيضا :

تلك المساعي إذا ما أثرت رجلا * أحب للناس عيًّا كالذي عابه
كذلك من كان هذمُ المجد عادته * فإنه لبناء المجد عيابه

إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

وكلُّ مسافرٍ يزاد شوقًا * إذا دنت الديارُ من الديار

المؤمل بن أميل :

إذا مريضا أتيناكم نعودكم * وتنبنون فتأتيكم وننذر
لا تحسبوني غيبًا عن مودتكم * إني إليكم وإن أيسرتُ مفترقو

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول مولى يزيد بن المهلب يكنى أبا إسحاق ،
وأصله من خراسان . فما يُنْتَل به من شعره قوله :

ورب أبح ناديتُه للممة * فالقيته منها أجل وأعظمها

وقال أيضا :

وكنتم أذمت إليكم الزمان * فأصبحت فيكم أذمت الزمان
وكنتم أعدتكم للنائبات * فهأنا أطلب منكم الأمانا

وقال أيضا :

دنت بآناس عن تناء زيارة * وشط بيلس عن دنو مزارها
وإن مقيمت بمنقطع السوى * لأقرب من ليل وهاتيك دارها

أبو علي البصير : وهو الفضل بن جعفر الكوفي يقول :
فلا تعذر بالشغل عنا فإتما * تناط بك الآمال ما أتصل الشغل

وقال أيضا :

لعمريك ما نُسب المعل * إلى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد إذا أفسحت * وصوح نبها رعى الهشم

سعيد بن حميد يقول :

* إن جهد المقل غير قليل * وعلى المريب شواهد لا تدفع *

وقال أيضا :

وانك كالدينا تئم صروفها * ونوسمها سباً ونحن عبيدها

علي بن الجهم يقول :

ولكل حال معقب وربما * أجلي لك المكروه عما تحمد

وقال أيضا :

وماقبة الصبر الجميل جميلة * وأفضل أخلاق الرجال التفضل
ولا عار إن زالت عن المرء نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمن

وقال أيضا :

إِرْضَ السَّائِلَ الْخُضُوعَ وَلِلْقَا * رِفْ ذَنْبًا مَذَلَّةَ الْأَعْذَارِ

ابن أبي فتن : هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور يقول :
أرى الدهرَ يُخْلِفُنِي كَلِمًا * لِبَسْتُ مِنَ الدَّهْرِ ثَوْبًا جَدِيدًا

وقال أيضا :

سَرٌّ مِنْ عَاشٍ مَالُهُ فَإِذَا حَا * سَبَّهُ اللَّهُ سَرَّهُ الْإِعْدَامُ

وقال أيضا ،

رَبِّ أَمْرِ سَرٍّ آخِرُهُ * بَعْدَ مَا سَاعَتْ أَوَائِلُهُ

يزيد بن محمد المهلبى يقول :

* لَا عَارَ إِنْ ضَامَكَ دَهْرٌ أَوْ مَلِكٌ *

١٠

وقال :

وَإِنْ النَّاسَ جَمَعُهُمْ كَثِيرٌ * وَلَكِنْ مِنْ تُسَرُّ بِهِ قَلِيلٌ

وقال أيضا :

وَمَنْ ذَا الَّذِى تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا * كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تَعُدَّ مَعَايِيَهُ

١٥

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقول :

فَإِنْ تَلَحَّظْتَ حَالِي وَحَالَكَ مَرَّةً * بِنَظَرَةٍ عَيْنٍ عَنْ هَوَى النَّفْسِ تُحْجَبُ
تَرَى كُلَّ يَوْمٍ مَرًّا مِنْ يَوْسَ عَيْشَتِي * عَلَيْكَ يَوْمٌ مِنْ نَعِيمِكَ يُحْسَبُ

أحمد بن أبي طاهر يقول :

وَبَيْنَ الْفَقْرِ بَيْنَ التَّمَاكُ وَالنَّهْيِ * وَدُنْيَا الْفَقْرِ بَيْنَ الْهَوَى وَالتَّغَوُّرِ

وقال أيضا :

حسن الفتى أن يكون ذا حسب * من نفسه ليس حسنه حسبه

أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يقول :

* ما الحبّ الا للحبیب الأول * لسان المرء من جذم الفؤاد *

* وذو التقص في الدنيا بذى الفضل مولع *

وقال :

ما أب من أب لم يظفر بحاجته * ولم يغب طالب للنجح لم يحب

وقال أيضا :

ومن لم يُسلم للنوائب أصبحت * خلائقه طرا عليه نوائب

وقال أيضا :

لأمرٍ عليهم أن يتم صدوره * وليس عليهم أن تم عواقبه

وقال أيضا :

لا تنكرى عطل الكرم من الغنى * فالسيل حرب للكان العالى

وقال أيضا :

واذا تأملت البلاد رأيتها * ثرى كما ثرى الرجال وتعلم

وقال أيضا :

واذا أمرؤ أهدى اليك صنعة * من جاهه فكأنها من ماله

وقال أيضا :

خلقنا رجالا للتجلد والأمنى * وتلك النوائى للبكا والمآثم

وقال أيضا :

ينال الفقى من عيشه وهو جاهل * ويكلى الفقى فى دهره وهو عالم
ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا * هلكن إذا من جهلن البهائم

وقال أيضا :

• آلفة النقيب كم اقتراق * أطل فكان داعية أجناع
ولست فرحة الأبواب إلا * لموقوف على ترج الوداع

وقال أيضا :

وإذا أراد الله نشر فضيلة ^(١) * يوما أتاح لها لسان حَسودٍ
لولا اشتعال النار فيها جاورت * ما كان يُعرف طيبُ عَرِف العود

وقال أيضا :

١٠

خسعوا لصوتك التى هى عندهم * كللوت يأتى ليس فيه عار

وقال أيضا :

ذاك الذى قَرَحَتْ بطونُ جفونه * مَرَّها وتربة أرضه من إثميد

وقال أيضا :

٧٨

١٥

وتركى سرعة الصدر أعباطا * بدّل على مواقة الورود

وقال أيضا :

ولم أر كالمعروف تُدعى حقوقه * مغارم فى الأنوام وهى مغائم

وقال أيضا :

وإن أمرأ ضنّت بداه على أمرئ * ببيل يد من غيره لبخيل

٢٠

كذا فى الأصول . والرواية المشهورة كما فى ديوان أب تمام طبع مصر ١٩٣ : « ... طويت ... الخ » .

أبو عبادة البُحترى، وهو الوليد بن عُيَيد بن يحيى بن عُيَيد بن شَمْلان بن جابر
 ابن مَسْلَمَة بن مُسِير بن الحارث بن خَيْم بن أبي حارثة بن جدى بن زَوَل بن بَحْر
 الطائي. فما يمتثل به من شعره قوله :

* وأبرجُ مما حلَّ ما يُتَوَقَّعُ *

وقال أيضا :

* وليس تقترن النماءُ والحسدُ *

وقال أيضا :

* إن المنيَّ طالبٌ لا يظفرُ *

وقال أيضا :

* أرى الكفرَ للنماء ضربا من الكفرِ *

١٠

وقال أيضا :

* يزين اللاك في النظام أزدواجها *

وقال :

وكان رجائى أن أووب مملكا * فصار رجائى أن أووب مسأما

وقال أيضا :

١٥

مى أحرجتَ ذا كرم تخطى * اليك ببعض أخلاق اللثيم

وقال أيضا :

والشيءُ مُنْعَمٌ يكون بَقْوَتِهِ * أجدى من الشيء الذى تُعْطَاهُ

وقال أيضا :

تناسَ ذنوبَ قومك إن حفظَ الذنوبَ إذا قُدِمَ من الذنوبِ *

٢٠

وقال أيضا :

واذا ما خفيتُ كنتُ حَرِيًّا * أن أرى غير مُصبحٍ حيث أُمسى

وقال أيضا :

مَتَى أَرَيْتِ الدُّنْيَا نَبَاهَةً خَامِلًا * فَلَا تَنْتَظِرُ إِلَّا تَحْوَلَ نَيْبُهُ

وقال أيضا :

وَأَرَى النِّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَمَامُهَا * لَنَجِيبِ قَوْمٍ لَيْسَ بَأَبْنِ نَجِيبِ

وقال أيضا :

وَإِذَا مَا الشَّرِيفُ لَمْ يَتَوَاضَعَ * لِلْأَخْلَاءِ فَهُوَ عَيْنُ الْوَضِيعِ

وقال أيضا :

وَلَمْ أَرْ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوُتَ * إِلَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ

وقال أيضا :

لَيْسَ الَّذِي يُعْطِيكَ تَالِدَ مَالِهِ * مِثْلَ الَّذِي يُعْطِيكَ مَالَ النَّاسِ
وَتَفَاضُلُ الْأَخْلَاقِ إِنْ حَصَلَتْهَا * فِي النَّاسِ حَيْثُ تَفَاضُلُ الْأَجْنَاسِ

وقال أيضا :

لَا يَبَاسُ الْمَرْءُ أَنْ يَنْجِيَهُ * مَا يَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّهُ عَطْبُهُ
يَسْرُكُ الشَّيْءُ قَدْ يَسُوءُ وَكَمْ * تَوَهَّ يَوْمًا بِخَامِلٍ لِقَبْضِهِ

وقال أيضا :

إِذَا حَاسِبِيَّ الْإِثْمَ أَدَلُّ بِهَا * كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَدُ

وقال أيضا :

وَعَطَاءُ غَيْرِكَ إِنْ بَدَلَ * سَتَ عُنَايَةً فِيهِ عَطَاؤُكَ

ديك الجحش، وأسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن
عبد الله بن رغبان بن زيد بن تميم بن محمد بن أهل حمص يقول :
وشافى النَّصْحُ يَبدُلُ بالأشافي * وليس القِدرُ إلَّا بالأثافي^(١)
وقال :

إذا شجر الموتة لم تجده * بنيت البرأسرع في الجفاف
وقال أيضا :

يرقدُ الناسُ آمنين وربُّ الدهرِ يرعاهُمُ بمقلةٍ ليصَّ
أَبْنِ الرومي يقول :

وكم داخلين الجيمين مصلح * كما أنقل بين العين والجفنِ مروء
وقال أيضا :

هو باز صائد أرسئته * فأرجعوه سالمًا إن لم يصد
وقال أيضا :

وما الحمد إلا توعم الشكر في الفتى * وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض
إذا الأرض رقت ربيع ما أنت زارع * من البذر فهي الأرض ناهيك من أرض
وقال أيضا :

وإذا أذاك من الأمور مقدر * ففرت منه فنجوه فتوجه
وقال أيضا :

كيف ترعى الفقر عرسًا لا مريئ * وهو لا يرعى لك الدنيا أمة
وقال أيضا :

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثر من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

(١) هكذا ورد في جميع الأصول ولم نوفق إلى تحقيقه في المراجع التي بين أيدينا .

عبد الله بن المعتز يقول :

* فإن الميون وجوه القلوب *

وقال أيضا :

* أم الكرام قليلة الأولاد *

وقال أيضا :

* أبطأ فيض الدلاء أملؤها *

وقال أيضا :

إصبر على كيد الحسو * د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها * إذ لم تجد ما تأكله

وقال أيضا :

ولاهم إلا سوف يُفتح قفله * ولا حال إلا للفتى بعدها حال

وقال أيضا :

لا تأمنوا من بعد خير شرأ * كم غصني أخضر عاد جمرأ

وقال أيضا :

وإني على إشفاق عني من البكا * لتجمع منى نظرة ثم أطرق
كما حُلقت عن ماء وِرد طريدة * تمتد إليه جيدها وهي تَهرق

وقال أيضا وإشارته الى الديك :

صَفَّقَ إما آرتياحة لَسْنَا الـ * ففجر وإما على الدجى أسفا

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

الم تر أن المرء تكوى يمينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائرته
فكيف تراه بعد يمينه صائما * لمن ليس منه حين تكوى سائرته

وقال أيضا :

الاقبح الله الضرورة إنها * تكلف أعلى الخلق أدنى الخلائق

وقال أيضا :

وكم قاتل قد قال مالك راجلا * فقلت له من أجل أنك فارس

وقال أيضا :

ومن سره ألا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

ابن طباطبَّا العلوي : هو أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي الأصبهاني يقول :

إن في نيل المني وشك الردى * وقياس القصد عند السرف

كسراج دهنه قوت له * فإذا غرقته فيه طفى

وقال أيضا :

لقد قال أبو بكر * صوابا بعد ما أنصت

خرجنا لم نصد شيئا * وما كان لنا أفلت

وقال أيضا :

يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا * علما ورد من الصبا أياما

منصور الفقيه المقرئ يقول :

يا من يخاف أن يكو * ن ما أخاف سرمدًا

أما سمعت قولهم * إن مع اليوم غدا

وقال أيضا :

الملح يصلح كل ما * يُخشى عليه من الفساد

فإذا الفساد جرى عليه * فحكه حكم الرماذ

وقال أيضا :

كلُّ مذكورٍ من الناس اذا ما * فقدوه صار في حكم الزماد

وقال أيضا :

كلُّ مذكورٍ من الذ * اس اذا ما فقدوه

صار في حكم حديث * حفظوه ونسوه

وقال أيضا :

كلُّ من أصبح في ده * رك ممن قد تراه

هو من خلطك مقرا * ض وفي الوجه مراه

ابن بسام : هو علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام كنيته أبو الحسن يقول

* ولم أمانة جلبت منه *

وقال :

ولولا الضرورة ما جتكم * وعند الضرورة يؤتى الكنيف

وقال أيضا :

قل لأبي القاسم المرجى * قابلك الدهر بالعجائب

مات لك أبن وكان زينا * وعاش ذوالشين والمعائب

حياة هذا كوت هذا * فلست تخلو من المصائب

وقال أيضا :

ربُّ يوم بكيت منه فلما * جزت في غيره بكيت عليه

وقال أيضا :

قد يحمل الشيخ الكبي * رجلازة الطفل الصغير

بِحِظَّةٍ : هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك
النديم يقول :

* وللساكين أيضا بالندى وَلَعٌ *

وقال أيضا :

* وآفة التبر ضَعْفُ متبَعِهِ *

وقال أيضا :

* متى يلتقي الميتُ والفاسلُ *

وقال أيضا :

لا تَعَدَّتْ للزمان صديقا * وأعدَّ الزمان للأصدقاء

وقال أيضا :

وما كُتِبَ الذي قد قال قبل * اذا ما مرَّ يومٌ مرَّ بعضي

وقال أيضا :

اذا الشهر حلَّ ولا رزق لي * فَعَدَى لأيامه باطلُ

وقال أيضا :

واذا جفاني جاهلٌ * لم أستخر ما عشتُ قطعة

وجملته مثل القبو * رَأَزوره في كلِّ جمعه

الصنوبري يقول :

عَنِ الفقيِّ يُجَبَّرَنَّ عن فضل الفقي * كالنار مخبرةٌ بفضل العنبرِ

وقال أيضا :

رَبُّ حَالٍ كأنها مُذْهَبُ الديد * باج صارت من رقة كاللاذِ

وزمانٍ مثل أبنة الكرم حسنا * عاد عند العيوف مثل الداذي^(٢)
أو ما من فساد رأى الليلي * أن شعرى هذا وحالى هذى

أبو الفتح كُشاجم : هو محمود بن الحسين بن السندی بن شاهك، وشاهك
أنه يقول :

يُعاد حديثه فيزيد حسنا * وقد يُستقبح الشيء المُعاد
وقال أيضا :

شخص الأناث إلى جمالك فاستعد * من شر أعينهم بعيب واحد

* *

ومما يُمثل به من أشعار المولدين : منهم

أبو فراس الحمداني :

غنى النفس لمن يقد * بل خير من غنى المال
وفضل الناس في الأنف * من ليس الفضل في الحال

وقال أيضا :

ونحن أناس لا توسط عندنا * لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن خطب الحسناء لم ينلها مهر

وقال أيضا :

وندعو كريما من يهود بماله * ومن يذل النفس النفيسة أكرم
وقال أيضا :

وجميل العدو غير جميل * وقبيح الصديق غير قبيح

(١) العيوف : الأبى وفي الأصول : (الميون) وهو تحريف .

(٢) الداذي : — جاء على لفظ السب وليس ينسب — شراب مسكر، قال الشاعر :

شراب من الداذي حتى كأننا * ملوك لنا برّ المراقين والبحر

أبو الطيب المتنبي يقول :

* مصائب قوم عند قوم فوائد *

وقال أيضا :

* إن المعارف في أهل النهى ذم *

وقال أيضا :

* وخير جليس في الزمان كتاب *

وقال أيضا :

* وتباني الطبائع على الناقل *

وقال أيضا :

* ومنفعة الفوت قبل المعاب *

وقال أيضا :

* ومن فرح النمر ما يقتل *

وقال أيضا :

* اذا عظم المطلوب قل المساعد *

وقال أيضا :

* أنا الغريق فما خوفي من البلل *

وقال أيضا :

* فإن الرفق بالحنى عتاب *

وقال أيضا :

* بفيض الى الجاهل المتعاقل *

وقال أيضا :

وكل امرئ يولى الجميل محب * وكل مكان يثبت المرّ طيب

وقال أيضا :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلماء * مضرك وضع السيف في موضع الندى

وقال أيضا :

• والأمر لله رب مجتهد * ما خاب إلا لأنه جاهد

وقال أيضا :

وليس يصح في الأفهام شيء * إذا احتاج النهار إلى دليل

وقال أيضا :

ومن نكده الدنيا على الحر أن يرى * عدو له ما من صداقته بد

١٠ وقال أيضا :

وإذا كانت النفوس يكاراً * تميت في مرادها الأجسام

وقال أيضا :

وإن يكن الفعل الذي ساء واحدا * فافعله الآتي سررت ألوف

وقال أيضا :

١٥ وإذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني فاضل

وقال أيضا :

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له * إذا لم يكن في فعله والخلاق

وقال أيضا :

وما يوجع الحرمان من كف حارم * كما يوجع الحرمان من كف رازق

وقال أيضا :

إنا لى زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً
ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته * ما فاته وفضل العيش أشغالاً

وقال أيضا :

وقدئت نسي في ذراك حبة ^(١) * ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا

وقال أيضا :

ما كل ما يمتنى المرء يدرسه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن
السرى بن أحمد بن السرى الموصلى يقول :

إذا العبء الثقيل وزعته * أكف القوم هان على الرقاب

وقال أيضا :

فإك كلما أستودعت سرا * أنتم من النسيم على الرياض

وقال أيضا :

إلى كم أحبب فيك المديح * ويلقى سواى لديك الحُبورا

أبو بكر محمد بن هاشم الخالدى يقول :

إن خانك الدهر فكن عائدا * باليد والظلماء والعيس

ولا تكن عبد المني فالمنى * رعوس أموال المفاليس

وقال أيضا :

وأخ رخصت عليه حتى لنى * والشئ عملول إذا ما يرخص

ما فى زمانك ما يسر وجوده * إن رمته إلا صديق مخلص

(١) كذا فى الأصول . وفى ديوانه طبع مصر : « فى هواك » .

أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالديّ [أخوه] يقول :
يا هذه إن رحّت في * خَلَقَ فَا فِي ذَاكَ عَارُ
مذَى الْمُدَامِ هِيَ الْحَيَا * ة قَيْصَهَا نَرَقُّ وَقَارُ
وقال أيضا :

صغِيرٌ صَرَفْتُ إِلَيْهِ الْهَوَى * وَمَا خَاتِمٌ فِي سِوَى خِنْصَرٍ
الْحَبَّازُ الْبُلْدِيُّ : هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حُدَانَ ، نَسَبُهُ إِلَى "بُلْدٍ" وَهِيَ
مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ الَّتِي مِنْهَا الْمَوْصِلُ يَقُولُ :

إِذَا اسْتَنْقَلَتْ أَوْ أَبْغَضَتْ خَلْقًا * وَسَرَّكَ بَعْدَهُ حَتَّى التَّنَادِ
فَشَرَّهَ بِقَرْضِ دُرَيْهَمَاتٍ * فَإِنَّ الْقَرْضَ دَاعِيَةُ الْفَسَادِ

أَبُو إِسْحَاقَ الصَّبَّائِيُّ يَقُولُ :
نِعِمَّ اللَّهُ كَالْوَحُوشِ وَمَا تَأْ * لَفَ إِلَّا الْآخِرَ النِّسَاءِ
نَقَرْتَهَا آتَانُ قَوْمٍ وَصَارَتْ * لِأَوَّلِ الْبَرِّ وَالثَّقِيِّ أَشْرَا
وقال أيضا :

وَمَنْ الظُّلَمُ أَنْ يَكُونَ الرِّضَا سُنْرًا وَيَبْدُو الْإِنْكَارَ وَسَطَ النَّادِي

وقال أيضا :
الضَّبُّ وَالنَّوْنُ قَدْ يُرْجَى الْإِنْفَاؤُهُمَا * وَلَيْسَ يَرْجَى التَّقَاءُ اللَّبُّ وَالذَّهَبُ
عَبْدُ الْعَزِيزِ عُمَرُ بْنُ نُبَاتَةَ يَقُولُ :

فَلَا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا رَمَاكَ * وَإِنْ كَانَ فِي سَاعِدَيْهِ قِصَرُ
فَإِنَّ السِّبْوَفَ تَحْزَنُ الرِّقَابَ * وَتَعْجِزُ عَمَّا تَسَالُ الْإِبْرَ

وقال أيضا :

مَثَلٌ خَلَعْتُ عَلَى الزَّيْمَانِ رِدَاءَهُ * عَوَزُ الدَّرَاهِمِ آفَةُ الْأَجْوَادِ

وقال أيضا :

يَهْوَى الثَّنَاءَ مُبَرِّزًا وَمُقَصِّرًا * حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

وقال أيضا :

وَبَتَّ بِنَا أَرْضُ الْعِرَاقِ * قِيَامُهَا بِمَحَنَتِهَا

غَيْرِ الرَّحِيلِ كَفَى الْبَلَاءِ * دَرْجَةُ النُّجَبَاءِ هُجْنُهُ

ابن لنكك البصرى : هو أبو الحسين محمد بن محمد يقول :

وَمَاذَا أُرَجَى مِنْ حَيَاةٍ تَكَدَّرَتْ * وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَضْغَاثِ أَحْلَامِ

وقال أيضا :

عَدْنَا فِي زَمَانِنَا * عَنْ حَدِيثِ الْمَكَارِمِ

مَنْ كَفَى النَّاسَ شَرُّهُ * فَهُوَ فِي جُودِ حَاتِمِ

وقال أيضا :

جَارُ الزَّمَانِ عَلَيْنَا فِي نَصْرَتِهِ * وَأَيُّ دَهْرٍ عَلَى الْأَحْرَارِ لَمْ يُجِيرِ

عِنْدِي مِنَ الدَّهْرِ مَا لَوْ أَنَّ أَيْدِيَهُ * يُلْقَى عَلَى الْفَلَكَ الدُّوَارِ لَمْ يَدْرِ

أبو الحسن عبد الله بن محمد بن محمد السلامي يقول :

تَبَسَّطُوا عَلَى الْآثَامِ لِمَا * رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ الذُّنُوبِ

وقال أيضا :

وَالْمَرْءُ مَا شَغَلَتْهُ فُرْصَةٌ لَذَّةٌ * تَأْمِي الْحَوَادِثِ آمِنَ الْحَدَثَانِ

وقال :

وَكَانَ رِقَادِي بَيْنَ كَأْسٍ وَرَوْضَةٍ * فَصَارُ سَهَادِي بَيْنَ طَرِيفٍ وَصَارِمِ

وقال أيضا :

ركوبُ المولِ أركبك المذاكي^(١) * ولُبسُ الدرعِ ألبسك الغلائلُ

أبو الفرج البيهقي يقول :

ما الذلُّ إلا تَحْمَلُ المِنَّةِ * فكن عزيزاً إن شئتَ أوفهنَّ

وقال أيضا :

ومن طلب الأعداءَ بالمالِ والطُّبَا * وبالسعدِ لم يبعدُ عليه مرامُ

وقال أيضا :

ولم أرُ مذ عرفتُ محلَّ نفسي * بلوغَ منى تساوى حملَ مَنْ

وقال أيضا :

أكلُ وميضِ بارقةٍ كذوبُ * أما في الدهرِ شيءٌ لا يريبُ

١٠

ابن سكرة الهاشمي : هو محمد بن عبد الله يقول :

* وعلةُ الحالِ تُنسى علةُ الجسدِ *

وقال أيضا :

* وقد ينبت الشوكُ بين الأفاقي *

وقال أيضا :

الموتُ أنصف حينَ عدلِ قِسمةٍ * بين الخليفةِ والمقيِرِ البائِسِ

١٥

ابن الحجاج : هو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج يقول :

* وربُّ كلامٍ تُستنار به الحربُ *

وقال أيضا :

* خَوْدُ تُرْقِ إلى ضَرِيرٍ مُقْعَدِ *

٢٠

(١) المذاكي : الخيل التي تم سها وركت قوتها .

وقال أيضا :

واللوزة المسترة يا سادتي * يفسد في الطعم بها السكر

وقال أيضا :

مازلت أسمع كم من واقف عجيب * حتى آبتليت فكننت الواقعة الجملا

وقال أيضا :

وبى مرضان مختلفان حال ال * حليلة منهما تُمسي بحالى
إذا عابحت هذا جف كبدى * وإن عابحت ذلك رباً طحالى

أبو الحسن الموسوى النقيب : هو محمد بن الحسين بن موسى يقول :

أُمسيتُ أرحمُ من قد كنتُ أغبطه * لقد تقارب بين العز والهون
ومنظرٍ كان بالسراء يضحكنى * يا قُرب ما عاد بالسرائر يُكنى

وقال أيضا :

والخز من حذر الهوا * ن يزاول الأمر الحسبا
وهو المظلم وغير بد * ع منه إن ركب العظما

وقال أيضا :

ما السؤددُ المطلوب إلا دون ما * يؤمى إليه السؤدد المولودُ
فاذا هما آتفا تكسرت القنا * إن غالباً وتضعض الجُلسودُ

وقال أيضا :

اشترِ العز بما به * ع فما العز بفالى
بالقصار البيض إن شد * ت أو السمر الطوال
ليس بالمغبون عقلا * مشتر عزاً بمال

إنما يُدْخِرُ الماءَ لِحَاجَاتِ الرِّجَالِ

وَالْفَقِي مَنْ جَعَلَ الْأَمْرَ * حَوَالِ أَيْمَانِ الْمَعَالِي

أبو طالب المأموني يقول :

لِي فِي خَمِيرِ الدَّهْرِ مَرٌّ كَأَمْنٌ * لَا بَدْ أَنْ تَسْتَلَّهُ الْأَقْدَارُ

وقال أيضا :

وَمَا شَرُّهُ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِنَفْسِهِ * أَكَانَ ذَوُوهُ سَادَةً أَمْ مَوَالِيَا

وقال :

إِذَا الْبَيْتُ وَفَى الرُّوضَ وَاجِبَ حَقِّهِ * وَزَادَ فَإِنَّ الْبَيْتَ لِلرُّوضِ ظَالِمٌ

(٢١)

ابن العميد : هو أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد، عُرف

بأبن العميد، كان أبوه أبو عبد الله وزير مرداويج توفى أبن العميد بالرقي في محترم

سنة ستين وثلاثمائة يقول :

لَنْ يَصْرِفَ الدَّهْرُ مِنْ بَحِيَّتِهِ * أَرَبَ أَرِيبَ وَحَوْلَ ذِي حَيْلٍ

أَيُّ مَعِينٍ صَفَا عَلَى كَدْرِ الدَّهْرِ وَأَيُّ النَّعِيمِ لَمْ يَزَلْ

وقال أيضا :

مَنْ يُشَفِّ مِنْ دَاءٍ بَأْتَرُ مِثْلِهِ * أَثَرْتُ جَوَانِحَهُ مِنَ الْأَدْوَاءِ

داوى جوى يجوى وليس بحازم * مَنْ يَسْتَكْفِ النَّارَ مَالِخَفَاءِ

الصاحب بن عباد : هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد . توفى في صفر

سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وعمره خمس وستون سنة وسمى بالصاحب لصحبة ابن

العميد يقول :

بِقَدْرِ الْهَمُومِ تَكُونُ الْهَمَمُ * كَمْ صَارِمٍ جُرِّبَ فِي خَقِيرٍ

وقال أيضا :

لقد صدقوا والرافصات الى منى * بأن موذات المدا ليس تنفع
ولو أنى داريت دهرى حية * اذا آستمكنت يوما من اللسع تلسع
الحسن بن على بن عبد العزيز القاضى يقول :

* القلب يُدرك ما لا يدرك البصر * * يُتَمَلَّك الأحرارُ بالإيناس *

وقال أيضا :

وما أعجبتنى قط دعوى عريضة * ولو قام فى تصديقها ألف شاهد

وقال أيضا :

يقولون لى فىك آقباض وإتما * وأوا رجلا عن موقف الذل أحما
اذا قيل هذا موردٌ قلت قد أرى * ولكن نفس الحُرّ تحمل الظما

وقال أيضا :

وقالوا أضطرب فى الأرض فالرزق واسع * فقلت ولكن مطلب الرزق ضيق
اذا لم يكن فى الأرض حرّ يُعِيننى * ولم يك لى كسبٌ فمن أين أُرزق

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى يقول :

* ومن عجب الأيام تركّ التعجب *

وقال أيضا :

* لكل صناعة يوما مُدِيلٌ *

وقال أيضا :

واذا مدة الشقى تاهت * جاءه من شقائه متقاضى

وقال أيضا :

عليك بإظهار التجلّد للمدا * ولا تظهرن منك الدتو فتُحقرا

بديع الزمان أبو الفضل الهمداني، أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد
توفي سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مسموماً، وأوفى على الأربعين سنة يقول :

يا حريصاً على النسي * قاعداً بالمراسيد
لست في سعيك الذي * خضت فيه بقاصيد
إن دنياك هذه * لست فيها بخالد
بعض هذا وإنما * أنت ساجد لقاعد

إسماعيل الناشئ يقول :

« وللشباب تُراعى حرمة الكتم ^(١) »

وقال أيضاً :

١٠ وكنت أرى أن التجارب علة : نغاثت نقات الناس حتى التجاربُ

وقال أيضاً :

فركضاً في ميادين التصابي * أحق الخيل بالركض ^(٢) المعار

وقال أيضاً :

ولا تجزعن على أيكمة * أبت أن تظلك أغصانها

١٥ أبو الفتح علي بن محمد البستي يقول :

إذا مرت بي يوم ولم ألتخذ يداً * ولم أستفد علماً فماذا لك من عمري

وقال أيضاً :

أنا كالورد فيه راحة قوم * ثم فيه لآخرين زكأم

(١) الكتم : نبات ينصب به :

(٢) المعار : الفرس المختار .

وقال أيضا :

لا تَرُجُ شَيْئًا خَالصًا نَقْعُهُ * فالغَيْثُ لا يَخْلُو من العَيْثِ

وقال أيضا :

ولم أَرِ مَثَلَ الشَّكْرِ جَنَّةَ غَارِسٍ * ولا مَثَلَ حَسَنِ الصَّبْرِ جَنَّةَ لَا يَسِ

وقال أيضا :

ولن يَشْرَبَ السَّمَّ الزُّعَافُ أَخَوَا الْجَمَا * مُدِلًّا بِدِرْيَاقِي لَدَيْهِ مَجْرَبٌ

وقال أيضا :

مَا اسْتَقَامْتُ قَنَاءُ رَأَيْتُ إِلَّا * بَعْدَ أَنْ عَوَّجَ الْمَشِيبُ قَنَاقِي

وقال أيضا :

وَطُولُ حِمَامِ الْمَاءِ فِي مُسْتَقَرِّهِ * يَغْيِرُهُ لَوْنًا وَرِيحًا وَمَطْعَمًا

وقال أيضا :

إِذَا حَيَوَانٌ كَانَ طَعْمَةً ضَدَّهُ * تَوَقَّاهُ كَالْفَأْرِ الَّذِي يَتَّقِي الْمِرْأَ

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَرْءَ طَعْمَةُ دَهْرِهِ * فَمَا بَالُهُ يَا وَيْحَهُ يَأْمَنُ الدَّهْرَ

وقال أيضا :

لَا تَحْمِرِ الْمَرْءَ إِنْ رَأَيْتَ بِهِ * دِمَامَةً أَوْ رَنَاءَةَ الْحَلَلِ

فَالنَّمْلُ شَيْءٌ عَلَى ضَوْؤِهِ * يَسْتَأْذِنُ مِنَ الْفَقِي جَنَى الْعَمَلِ

الباب الثاني

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أوابد العرب

ومعنى الأوابد ما هنا : الدواهي ، وهي مما حى الله تعالى هذه الملة الإسلامية منها ، وحذر المؤمنين عنها . فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ عَمَّا وَبَعَّثْنَاهُ عَمَّا ﴾ . وكانت للعرب أوابد جعلوها بينهم أحكاما ونسكا وضلالة وعادة ومداواة ودليلا وتفاؤلا وطيرة . فنها :

الْبَحِيرَةُ :

قالوا : كان أهل الوريثون لآلهم من اللحم ، وأهل المدر يمتطون لها من الحرث ، فكانت الناقة اذا أنتجت نحمة أبطن عمدوا الى الخامس ما لم يكن ذكرا فشقوا أذننها ، فذلك : البحية ، فربما اجتمع منها هجمة من البُحر فلا يُميز لها وبر ولا يذكر عليها إن ركب اسم الله ، ولا إن حمل عليها شيء ، فكانت ألبانها للرجال دون النساء .

الوصيلة :

كانت الشاة اذا وضعت سبعة أبطن عمدوا الى السابع ، فان كان ذكرا ذُبِح ، وإن كانت أنثى تركت في الشاء ، فان كان ذكرا وأنثى قيل : وصلت أخاها ، فخرما حبيبا ، وكانت منافعها ، ولبن الأنثى منها للرجال دون النساء .

السابعة :

كان الرجل يسبب الشيء من ماله ، إما بهيمة أو إنسانا ، فتكون حراما أبدا ،
منافعها للرجال دون النساء .

الحاشي :

كان الفعل اذا أدركت أولاده فصار ولده ^(١) جدا قالوا : حتى ظهره ، أتركوه ؛
فلا يحمل عليه ولا يركب ولا يمتنع ماء ولا مرعى . فإذا ماتت هذه التي جعلوها
لآلئهم ، أشرك في أكلها الرجال والنساء ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ
هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلٰى أَرْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴾
قالوا : وكان أهل المدر والحريث اذا حرثوا حرثا ، أو غرسوا غرسا ، خطوا
في وسطه خطأ ، فقسموه بين اثنين فقالوا : ما دون هذا الخلط لآلئهم ؛
وما وراءه لله ؛ فإن سقط مما جعلوه لآلئهم شيء ، فبما جعلوه لله رقبه ، وإن سقط
مما جعلوه لله فيما جعلوه لآلئهم أتزوه ، واذا أرسلوا الماء في الذي لآلئهم ، فأنفتح
في الذي سموه لله سدوه ، وإن أنفتح من ذلك في هذا قالوا : أتركوه فإنه فقير اليه ،
فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ
بِرَّعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا مَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ
إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

الأزلام :

قالوا : كانوا اذا كانت مباراة أو نكاح أو امر يريدونه ، ولا يدرون ما الأمر
فيه ولم يصح لهم أخذوا قداسا لهم ؛ فيها : أفعل ولا أفعل لا يفعل ، نعم لا خير ،

(١) هكذا في الأصول ، والذي في بلوغ الأرب للابن العربي ولسان العرب مادة حتى عن الحاشي حلة أنوال
فهو القمل اذا قلع ولده مضطحا ظهره ، وقيل : القمل يولد من ظهره عشرة أبطن ، وقيل غير ذلك .

شربطىءٌ سريعٌ، فأما المداراة: فإن قدامها لم فيها بيضا ليس فيها شيء فكانوا يجيلونها
فمن خرج سهمه فالحق له . وللخضر والسفر سهمان ؛ فيأتون السادن من سدة
الأوتان فيقول السادن : اللهم أيهما كان خيرا فأخرجه لفلان، فيرضى بما يخرج له .
فاذا شكوا في نسب الرجل أجالوا له القداح وفيها : صريحٌ ، وملصقٌ ؛ فإن خرج
الصريح الحقوه بهم ، وإن خرج الملصق نفوه وإن كان صريحا ، فهذه قداح .
الاستقسام .

الميسر :

قالوا في الميسر : إن القوم كانوا يجتمعون فيشترون الجزور بينهم ، فيفصلونها
على عشرة أجزاء ؛ ثم يؤتى بالحُرْضة وهو رجل يتأله عندهم لم يأكل لحما قط بجن ،
ويؤتى بالقداح وهو أحد عشر قدحا ، سبعة منها لها حظ إن فازت ، وعلى أهلها
غرم إن خابت ، بقدر ما لها من الحظ إن فازت ، وأربعة يُنقل بها القداح ، لا حظ
لها إن فازت ، ولا غرم عليها إن خابت .

فأما التي لها الحظ : فأولها الفُذُّ في صدره حُرٌّ واحد ، فإن خرج أخذ نصيبا ،
وإن خاب غرم صاحبه ثمن نصيب ؛ ثم التوعم ، له نصيبان إن فاز ، وعليه ثمن نصيبين
إن خاب ؛ ثم الضَّريب ، وله ثلاث أنصباء ؛ ثم الحُلُسُ ، وله أربعة ؛ ثم النَّافِسُ ،
وله خمسة ؛ ثم المُسْبِلُ ، وله ستة ؛ ثم المعلّى ، وله سبعة . قالوا : والمسبِلُ يستى :
المُصَفَّحُ ، والضريب يقال له : الرقيب .

وقد جمع الصاحب بن عباد هذه الأسماء ونظمها في أبيات فقال :
إن القَداحَ أمرُها عَجيبُ * الفُذُّ والتوعمُ والرقيبُ
والحُلُسُ ثم النَّافِسُ المصِيبُ * والمُصَفَّحُ المشتهر النَجِيبُ
ثم المعلّى حفظه الترغيبُ * هالك فقد جاء بها الترتيبُ

وأما الأربعة التي ينفل بها القِداح، فهي : السَّقِيح، والمَنِيح، والمُضْعَف،
والوَعْد .

قال ابن قتيبة : والمنيع له وضعان : أحدهما لا حظ له ، والثاني له حظ ،
فكانه الذي يُمنع حفظه ، وعلى ذلك دل قول عمرو بن قبيصة :
بأيديهم مَقْرُومَةٌ وَمَعَاتِي * يعودُ بأرزاق العيال منيعها .

قالوا : فيؤتى بالقِداح كلها وقد عرف كل ما أختار من السبعة ولا يكون الأيسار
إلا مسبعة ، لا يكونون أكثر من ذلك ، فإن قصصوا رجلا أو رجلين ، فأحب الباقون
أن يأخذوا ما فضل من القِداح ، يأخذ الرجل القِدح والقِدحين يأخذ فوزهما إن
فازا ، ويغرم عنهما إن خابا ، ويدعى ذلك التَّيْمُ قال النابغة :

إني أتمم أيسارى وأمنعهم * من الأيادي وأكسو الجفنة الأدماء

فيعمد الى القِداح ، فتشَد مجموعة في قطعة جَدِث ثم يعمد الى الحُرْضة فيلق
على يده اليمنى ثوب لثلا يحد مس قِدح له في صاحبه هوى ، فيحاييه في إخراجها ، ثم
يؤتى بثوب أبيض يدعى المِجْوَل ، فيبسط بين يدي الحُرْضة ، ثم يقوم على رأسه
رجل يدعى الرقيب ، ويدفع رِبابَةَ القِداح الى الحُرْضة وهو محوّل الوجه عنها ،
والرِبابَةُ : ما يجمع فيها القِداح ، يأخذها ويدخل شماله من تحت الثوب ، فينكر
القِداح بشماله ، فإذا نهد منها قِدح تناوله فدفعه الى الرقيب . فإن كان مما لا حظ له
رُدُّ الى الرِبابَةِ ، فإن خرج بعده المُسْبِلُ ، أخذ الثلاثة الباقية ، وغريم الذين خابوا ثلاثة
أنصياء من جزور أخرى ، وعلى هذه الحال يفعل بمن فاز ومن خاب ، فربما نحروا
عدة جزر ولا يرغم الذين فازوا من ثمنها شيئا ، وإنما الغرم على الذين خابوا ولا يحمل
لثلاثين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئا ، فإن فاز قِدحُ الرجل فأرادوا أن يبيدوا قدحه
ثانية على خطار فعلوا ذلك به .

ومنها : نكاحُ المقت : كان الرجل اذا مات قام أكبر ولده فالتقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها ، فإن لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض إخوانه بمهر جديد ، فكانوا يرثون نكاح النساء كما يرثون المال ، فأنزل الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَفْضُلُوهُنَّ) .

- ومنها : رمى البعرة : كانت المرأة في الجاهلية اذا توفى عنها زوجها ، دخلت حَفْشًا ، والحَفْشُ : الخُص ، ولبست شرثايبها ولم تمس طيبا ولا شيئا ، حتى تمر لها سنة ثم تأتي بدابة : حمار أو شاة أو طير فتفتض به أى تمسح به ، فقلما تفتض بشيء إلا مات ، ثم تخرج على رأس الحول ، فتعطى بعرة فترى بها ، ثم تراجع ما شئت من طيب أو غيره ومعنى رميها بالبعرة : أنها ترى أن هذا الفعل هين عليها مثل البعرة المرمية ، ففسخ الإسلام ذلك بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) .

ومنها : ذبح العتائر ، قالوا : كان الرجل منهم يأخذ الشاة ، وتسمى العتيرة والمعتورة فيذبحها ويصب دمه على رأس الصنم ، وذلك يفعلونه في رجب ، والعترة قيل : هو مثل الذبح ، وقيل : هو الصنم الذى يعتله . قال الطرماح

- ١٥ * نخز صريحا مثل عاترة النسك *
أراد بالعاترة : الشاة المعتورة .

عقد السَّلْع والعُشَر : وقد تقدم ذكره عند ذكر أسماء نيران العرب .
ذبح الظبي : كان الرجل ينذر أنه اذا بلغت إبله أو غنمه مبلغا فأذبح عنها كذا ،^(١)
فإذا بلغت ضئ بها ، وعمد الى الأطباء فيصطادها ويذبحها وفاء بالنذر ، قال الشاعر :
عَتَا بَاطِلًا وَزُورًا كَمَا يُعَدُّ * تَرَعُ عَنْ حُجْرَةِ الرِّبِضِ الظَّبَاءُ^(٢)

- ٢٠ (١) لله : «ذبح عنها» . (٢) الربض : الغنم نفسها .

ومنها : حبس البلايا ، كانوا اذا مات الرجل يشتدون ناقة الى قبره ،
ويعكسون رأسها الى ذنبها ، ويغطون رأسها بولية وهي : البردعة ، فإن أفلتت لم تُردَّ
عن ماء ولا مرعى ، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك ، إركبها صاحبها في المعاد ،
ليحشر عليها ، فلا يحتاج أن يمشى ، قال أبو زيد :

كالبلايا رهوسها في الولايا * مانحات السموم حرًا لحدود

ومنها : خروج الهامة ، زعموا أن الإنسان اذا قُتل ، ولم يطالب بثاره ، نرج
من رأسه طائر يُسمى : الهامة ، وصاح على قبره : أسقوني ! أسقوني ! الى أن
يطلب بثاره ، قال ذو الإصبع :

يا عمرو ألا تدع شنى ومَقَصَّتِي * أضربك حتى تقول الهامة أسقوني

ومنها : إغلاق الظهر ، كان الرجل منهم اذا بلغت إبله مائة ، عمد الى البعير
الذى أمات به ، فإغلق ظهره ^(١) إلا يركب ، ويعلم أن صاحبه حى ظهره ، وإغلاق
ظهره أن يزرع سنابن فقرته ويعقر سنابنه .

ومنها : التعمية والتفقيئة ، وكان الرجل اذا بلغت إبله ألفاً فقأ عين الفحل
يقول : إن ذلك يدفع عنها العين والغارة ، قال الشاعر :

وهبتها وأنت ذو آمتان * تفقأ فيها أعين البُسران

فإن زادت عن ألف فقأ العين الأخرى ، فهو التعمية .

ومنها : بكاء المقتول ، كان النساء لا يبكين المقتول إلا أن يُدرك بثاره ،
واذا أدرك بثاره بكينه ، قال شاعر :

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليات نسوتنا بوجه نهار

يحد النساء حواسرا يندبنه * يلطمن حر الوجه بالأنهار

(١) أمات به : مات به مائة .

ومنها : رمى السن في الشمس ، يقولون : إن الغلام اذا نقر ، فرمى سنه
في عين الشمس بسببته وإيهامه وقال : أبدلني أحسن منها ، أمر على أسنانه
العوج ، والفالج ، والتَّمَلَّ ، قال طرفه :

بَدَأَ شَمْسُ مِنْ مَنِيَّتِهِ * بَرَدَا أَيْضَ مَصْقُولَ الْأُشْرِ

ومنها : خضباب النحر ، كانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد
منها ، خضبوا صدره بدم الصيد علامة له ، قال الشاعر :

كَانَ دِمَاءُ الْعَادِيَاتِ بِخَمْرِهِ * عَصَارَةُ حَنَاءٍ بِشَيْبِ مَرْجَلٍ

ومنها : التصفيق ، كانوا اذا ضل الرجل منهم في القلاة ، قَلَبَ ثِيَابَهُ ، وحس
ناقته ، وصاح في أذنها كأنه يَوْمِي إلى إنسان ، وصفق بيديه : الوحا الوحا ، النجا النجا !

هَيْكَلُ ، الساعة الساعة ! إلى إلى ! عَجَلْ ، ثم يَمْزُكُ الماقة فينتدى ، قال الشاعر :

وَأَذَّنَ بِالتَّصْفِيقِ مِنْ سَاءِ ظَنِّهِ * فَلَمْ يَدِرْ مِنْ أَىِّ الْيَدَيْنِ جَوَابَهَا

يعنى يسوء ظنّه بنفسه اذا ضل .

ومنها : جَزَّ النواصي ، كانوا اذا أسروا رجلا ، ومثوا عليه فأطلقوه جزوا ناصيته
ووضعوها في الكئانة ، قال الحطيئة :

قَدْ نَا سَلُولَ فَسَلُّوا مِنْ كَنَانِهِمْ * مَجْدًا تَلِيدًا وَنَبْلًا غَيْرَ أَنْكَاسٍ^(١)

(١) هكذا في أحد الأصول المتوغرافيين . وفي الأصل الآخر والسفحة الراحية : « هيكَل » .

(٢) ورد هذا البيت مع تسميته هكذا في الأصول ، وقد روى هذا البيت في ديوانه (نسخة المخطوطة
المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٣ أدب ش) وفي ترجمته في الأغاني الجزء الثاني طبع دار الكتب ص ١٨٥
ضمن قصيدته في ٣ والزرقان وما تامله عن يمين هكذا :

قَدْ نَا ضَلُوكَ فَسَلُّوا مِنْ كَنَانِهِمْ * مَجْدًا تَلِيدًا وَنَبْلًا غَيْرَ أَنْكَاسٍ

ورد في لسان العرب مادة نكس :

فَدَا ضَلُوكَ فَسَلُّوا مِنْ كَنَانِهِمْ * مَجْدًا تَلِيدًا وَنَبْلًا غَيْرَ أَنْكَاسٍ

وفسر الأزهري بأن العرب كانوا اذا أسروا أسيرا خيره بن النخيلة وجز الناصية والأمر أن احتار جز
الناصية جروها وغلوا سيله ثم جعلوا ذلك الشر في كئانهم فان افتخروا أخرجه وأروهم فافترهم .

يعنى بالنبل : الرجال ؛ وقالت الخنساء :

جززنا نواصيَ فرسانهم * وكانوا يظنون ألاَّ نُجْزَا

ومنها : كي السليم عن البحر ، زعموا أن الإبل إذا أصابها العُرف أخذوا

الصحيح وكواه زال العُرف عن السقيم ؛ قال النابغة :

وكلفتنى ذنبَ امرئٍ وتركته * كذى العُرمُ كوى غيرُ وهوراتعُ

• ويقال : إنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويقولون : تؤمن معه العدوى .

ومنها : ضرب الثور ، وزعموا أن الجنَّ تركب الثيرانَ قصداً للبقر عن الشرب ؛

قال الأعشى :

وإني وما كلفتماني وربكم * ليعلم من أمسى أعتق وأحوبا

لكالثور والجنى يركب ظهره * وما ذنبه إن عافت الماء مشرما

وما ذنبه إن عافت الماء باقر * وما إن تعاف الماء إلا ليضرما

وقال آخر :

كذلك الثور يضرب بالهراوى * إذا ما عافت البقر الظَّاهُ

ومنها : كعب الأرب ، كانوا يلقونه على أنفسهم ويقولون : إن من فعل

ذلك لم تصبه عين ولا يحر ، وذلك أن الجنَّ تهرب من الأرب ، لأنها ليست من

مطايا الجنِّ لأنها تحيض ؛ قال الشاعر :

ولا ينفع التشهير إن حُم واقع * ولا دَعْدَعٌ^(١) يعنى ولا كعب أرب

وقيل لزيد بن كُثَّوة : أحقُّ ما يقولون : إن من علق على نفسه كعب أرب

لم يقربه جنانُ الجنِّ وعُمار الدار ؟ فقال : إي والله ! ولا شيطانَ الحماطة — الحماطة :

(١) كما في كتاب الحيوان لمأسط ، ودعع : كلمة يقولونها عند القتار . وفي الأصل القنوغرافين :

«دع» وفي هامش إحداهما : «سواه دع» . وفي النسخة الزراعية : «جذع» بالبدال المهمل .

وفي بلوغ الأرب للأرسى (ج ٢ ص ٣٤٨ طبع بغداد) : «زعرع» .

شجرة التين—وجان المُشَرَّة، وغول القَفرة، وكلّ الخواقي، إلى واقه يطفئ نيران
السَّعالي .

ومنها : حيض السُّمرة ، يزعمون أن الصبي إذا خيف عليه نظرة أو خطفة،
فُتلق عليه سنّ ثعلب، أو سنّ هرة، أو حيض سُمرة آمن، فإن الجنّة إذا أرادته
لم تقدر عليه، فإذا قال لها صواحباتها في ذلك، قالت :
كانت عليه نُفَرَّة * ثعلبٌ وهَرَّة
* والحيض حيض السُّمرة *

ومنها : الطارف والمطروف ، يزعمون أن الرجل إذا طرف عين صاحبه،
فهاجت فمسح الطارف عين المطروف سبع مراتٍ وقال في كلّ مرة : بإحدى جاءت
من المدينة، بائنتين جاءتا من المدينة، بثلاث جنّ من المدينة، إلى سبع سكن هيجانها .
ومنها : وطء المقاتل ، يزعمون أن المرأة المقلات إذا وطئت قتيلا شريفا
بني أولادها، وفي ذلك يقول بشر بن أبي خازم :

تظلّ مقاتلتُ النساءِ بَطَّانَه * يقلن ألا يُلَقَى على المرءِ مِثْرُ

ومنها : تعليق الحلى على السليم ، كانوا يعلقون الحلى على المسووع ويقولون
إنه إذا علّق عليه أفاق ، فيلقون عليه الأسورة والرَّعَات، ويتركونها عليه سبعة أيام
ويمنع من النوم، قال النابغة :

يُسَهَّدُ في وقتِ العشاءِ سَليمُها * حُلَى النِّساءِ في يَدَيْهِ قَعاثُ

ومنها : ذهاب الخلدَر، يزعمون أن الرجل إذا خدّرت رجله فذكر أحبّ
الناس إليه ذهب عنه، قال كثير :

إذا خدّرتُ رجلي دعوتك أَشْفَى * بذكراك من مَثَلِ بها فيهنَّ

وقالت امرأة من كلاب :

إذا خدرت رجلى ذكرت ابن مصعب * فإن قلت عبد الله أجل فتورها
وقيل ذلك لابن عمرو قد خدرت رجله فقال : يا محمداه .

ومنها : الحَلَّاءُ ، زعموا أنه إذا ظهرت بشفة الغلام بُشُورٌ ، يأخذ مُنْخَلا على رأسه ويمزج بين بيوت الحَيِّ ، وينادى : الحَلَّاءُ الحَلَّاءُ ، فيلقى في منخله من هاهنا ثمرة ، ومن هاهنا كسرة ، ومن ثم بضعة لحم ، فإذا أمتلأ ، شره بين الكلاب ، فيذهب عنه البثر ، وذلك البثر يسمى : الحَلَّاءُ .

ومنها : التعشير ، يزعمون أن الرجل إذا أراد دخول قرية ، تخاف وباءها ، فوقف على بابها قبل أن يدخلها فعشر كما ينق الحمار ، ثم دخلها لم يسبه وباءها ، قال عُروَةُ بن الوَرْدِ :

لعمرى لئن عشرت من خشية الردى * نُهَاقَ الحَمِيرُ إِنْى لَجَزُوعُ

ومنها : عقد الرِّثَمِ ، كان الرجل منهم إذا أراد سفرا ، عمد الى رِثَمٍ يعقده ، والزم : نبت ، فإن رجع وراه معقودا ؛ زعم أن امرأته لم تحنه ، وإن رآه محلولا زعم أنها قد خانتها ؛ قال الشاعر :

هل ينفعنك اليوم إن هَمَّتْ بهم * كثرة ما توصى وتعقاد الرِّثَمِ
وقال آخر :

خانتها لما رأت شيئا بمفرقه * وغرّه حلفها والعقد للرِّثَمِ

ومنها : دائرة المهةوع ، وهو الفرس الذى به الدائرة التى تسمى : المَقْعَةُ ، يزعمون أنه إذا عرق تحت صاحبه ، أغلقت حليته وطلبت الرجال ؛ قال الشاعر :

إذا عرق المهةوع بالمرء أنظت * حليته وأزداد حرا عجاها

ومنها : شقَّ الرداء والبرقع ، زعموا أن المرأة إذا أحبَّت رجلا أو أحبها ثم لم تشقَّ عليه رداءه ، ويشقَّ عليها برقعها ، فسد جُهِمَا ، فإذا فعل ذلك دام جُهِمَا ، قال الشاعر :

إذا شُقَّ بردُّ شقَّ بالبردِ برُقِعْ * دَوَالِكَ حَتَّى كُلُّنَا غَيْرَ لَا يَسْ

فكم قد شققنا من رداءٍ غيرِ • ومن برقع عن طفلةٍ غيرِ عائِس

ومنها : نوء السماء ، كانوا يكرهونه ويقولون فيه داء الإبل ، قال الشاعر :

ليت السماء ونوءه لم يخلُقْ * ومشى الأُفريقُ في البلاد سليما

ومنها : النسيء ، وقد تقدَّم خبره في الفن الأول من الكتاب .

ومنها : وأد البنات ، وقد نهاهم الله عز وجل عنه في قوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ

خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِلَيْكُمْ﴾ . وكانوا يقتلونهن خشية الإملاق أو من الإملاق ،

وقد قيل : إنهم كانوا يقتلونهن خوف العار أو أن يُسَيَّنَ ، فإن قتلن خشية الإملاق

ما روى عن صَعْمَةَ بن ناجية المجاشعي جد الفرزدق : أنه لما أتى النبي صلى الله

عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني كنت أعمل عملا في الجاهلية ، أفيغني ذلك

اليوم ؟ قال : «وما عملك» . قال : أضللت ناقتين عَشْرَ أَوْ بَنِي فركبت جملا ومضيت

في بُغَاثِهما فَرُفِعَ لِي بَيْتٌ حَرِيدٌ ، فَقَصَدْتُهُ فَلَذَا رَجُلٌ جَالِسٌ بِغَاثِهِ ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ النَّاقَتَيْنِ ،

فَقَالَ : مَا نَارُهُمَا ؟ قُلْتُ : يَمْسَمُ بَنِي دَارِمٍ ، قَالَ : هُمَا عِنْدِي ، وَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ تَعَالَى

بِهِمَا قَوْمًا مِنْ أَهْلِكَ مِنْ مَضَرٍ ، وَإِذَا عَجِوزٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ كَسْرِ الْبَيْتِ ، فَقَالَ لَهَا :

مَا وَضَعْتَ ؟ فَإِنْ كَانَ سَقْبًا شَارِكًا فِي أَمْوَالِهَا ، وَإِنْ كَانَتْ حَاتِلًا وَأَدْنَاهَا -- مَعْنَى قَوْلِهِ

سَقْبًا أَيْ ذِكْرًا ، وَحَاتِلًا أَيْ أُنْثَى -- فَقَالَتِ السَّجُوزُ : وَضَعْتُ أُنْثَى ، فَقَلْبُ أُنْثِيَّيْهَا ؟

(٢٥)

قال : وهل تبع العرب أولادها ! قال قلت : أحكم ، قال بالتقين والجل ، قلت : لك ذلك ، على أن ينقلني الجمل وإياها ففعل ؛ فأمنت بك يا رسول الله ، وقد صارت لي سنة على أن أشتري كل موهودة بناقتين عشراوين وجمل ، فعندى الى هذه الغاية ثمانون ومائتا موهودة قد أخذتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا ينفعك ذلك لأنك لم تبغ به وجه الله تعالى وإن تعمل في إسلامك عملا صالحا نُبَّ عليه " ففى ذلك يقول الفرزدق مفتخرا :

وجدى الذى منع الوائدين * وأحيا الوئيد فلم توءد

وممن قتلهم خشية العار : قيس بن عاصم المقرئ وكان من وجوه قومه ومن ذوى الأموال فيهم وكان يئد بناته ، وسبب ذلك : أن النعمان بن المنذر لما منعه بنو تميم الإتاوة التى كانت تؤدّيا له جهز اليهم أخاه الريان بن المنذر ، ومعه بكر بن وائل ففزعاهم ، فاستاق النعم وسبى الذرارى ، فوفدت اليه بنو تميم فلما رأها أحب البقاء عليها ، فقال النعمان :

ما كان ضرر تميما لو تعمدها * من فضلنا ما عليه قيس عيلان

فأناب القوم وسألوه النساء ، فقال النعمان : كل امرأة آخترت أباه ردت اليه وإن آخترت صاحبها تركت عليه ، فكأن اخترن آباءهن إلا ابنة لقيس بن عاصم آخترت صاحبها عمرو بن المشمرج ، فنذر قيس لا يولد له ابنة إلا قتلها ، فاعتل بهذا من وأد وزعم أنه حمية .

(١) كذا فى النسخة الراحية . وفى باقى الأصول : « ينقلني الجمل » وهو محريف .

(٢) فى الأعاني (ج ١٩) فى الكلام على الفرزدق ، ساق أبو الفرج هذا القصة وقال فقال : هل ل

فى ذلك من أجر يا رسول الله فقال عليه السلام : « هذا باب من البروك أجره اذ من الله عليك بالإسلام » .

الباب الثالث

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أخبار الكهنة

ويتصل به الزجر والفأل والطيرة والفِراسة والذكاء، وكانت كهنة العرب

- لهم أتباع من الشياطين يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار، فيلقونها لمن يتبعهم ويسألهم عن خفيات الأمور حتى جاء الإسلام، فَنُعت الشياطين من استراق السمع، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمِعْ آلَا نَحْنُ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ فعند ذلك انقطعت الكهانة فلم يسمع في الإسلام بكاهن، وهذا من معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوال الإشكال في الوحي. فمن أخبار الكهنة: خبر سطيح الكاهن حين ورد عليه ابن أخته عبد المسيح وهو يسأل الموت، فأخبره خبر ما جاء لأجله، وذلك أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرتجس إيوان كسرى، وسقط منه أربع عشرة شُرْفَةً، ونجّدت نَارُ فارس، ولم تكن تحدث قبل ذلك بألف عام، وغازت بحيرة ساوة، ورأى الموبدّان إبلا صاعبا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس، فلما أصبح [وأخبر] كسرى تصبّر تسعجما ١٥ ثم رأى ألا يكتم ذلك عن وزرائه ومرازبته، فلبس تاجه، وقعد على سريره، وجمعهم وأخبرهم الخبر فبيناهم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بنحود النار فأزداد غما وسأل الموبدّان وكان أعلمهم فقال: حادث يكون من قبل العرب، فكتب كسرى الى الثّمان بن المُنذر: أن وجه الى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه إليه عبد المسيح بن حسان بن نقيلة الفسّاني، فقال له كسرى: أعندك علم بما أريد ٢٠

أَن أَسْأَلَكَ عَنْهُ ؟ قَالَ : لِيَجْعَلَ الْمَلِكُ فَإِنْ كَانَ عِنْدِي مِنْهُ عِلْمٌ ، وَإِلَّا أَخْبَرْتُهُ بِمَنْ يَعْلَمُهُ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا رَأَاهُ فَقَالَ : عِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَ خَالٍ لِي يَسْكُنُ مَشَارِفَ الشَّامِ يَقَالُ لَهُ : سَطِيطِحْ ، فَأَرْسَلَهُ كَسْرَى إِلَيْهِ فَوَرَدَ عَلَى سَطِيطِحٍ وَقَدْ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَحَيَّاهُ فَلَمْ يُجِبْ سَطِيطِحٌ جَوَابًا فَأَنشَدَ يَقُولُ :

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمِينِ * أَمْ فَازَ فَازَلُمُ بِهِ شَاؤُ الْعَنَنِ
يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أَعَيْتَ مَنْ وَمَنْ * وَكَاشَفَ الْكُرْبَةَ عَنْ وَجْهِ الْقَضَنِ
أَتَاكَ شَيْخُ الْحَى مِنْ آلِ سَنَنْ * وَأَتَمَّهُ مِنْ آلِ ذَنْبِ بْنِ حَجَنْ
أَزْرَقُ مُهْمَى النَّابِ صَرَارَ الْأَذْنُ * أَبْيَضُ فَضْفَاضِ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنِ
رَسُولُ قَيْلِ الْمُعْجَمِ يَسِيرُ بِالْوَسْنِ * لَا يَرْهَبُ الرِّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنِ
يُحِبُّ فِي الْأَرْضِ عَلَى ذَاتِ شَيْخِنْ * تَرْفَعُنِي وَجْهًا وَتَهْوِي بِي وَجَنْ
حَتَّى أَتَى عَارَى الْجَحَاجَى وَالْقَطَنُ * تَلْقَاهُ فِي الرِّيحِ بَوَغَاءُ الدَّمَنِ
* كَأَنَّمَا حُجِّمَتْ مِنْ حِضْنِي نَكَنْ *

فَفَتَحَ سَطِيطِحٌ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ : عَبْدُ الْمَسِيحِ ، عَلَى جَمَلٍ مُشِيحٍ ، أَتَى إِلَى سَطِيطِحٍ ، وَقَدْ أَوْفَى عَلَى الضَّرِيحِ ، بَعَثَكَ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ ، لَأَرْتَجِسَ الْإِيوَانَ ، وَنَحْمُدَ النِّيْرَانَ ، وَرَوْيَا الْمُؤَبِّدَانَ : رَأَى إِبِلًا صَعَابًا ، تَقْوَدُ خَيْلًا عِرَابًا ، قَدْ قَطَعَتْ دِجْلَةً وَأَنْتَشَرَتْ فِي بِلَادِ فَارَسَ ، يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ إِذَا كَثُرَتِ التَّلَاوَةُ ، وَبُعِثَ صَاحِبُ الْهَرَاوَةِ ، وَقَاضَى وَادِي السَّمَاءِ ، وَغَاضَتْ بِحِيرَةُ سَاوَهُ ، وَخِدَلَتْ نَارُ فَارَسَ ، فَلَيْسَ الشَّامُ لِسَطِيطِحٍ شَامَا ، وَلَا بَابِلُ الْفَرَسِ مُقَامَا ، يَمْلِكُ فِيهِمْ مَلُوكٌ وَمَلِكَاتُ ، بَعْدَ الشُّرَفَاتِ ، وَكُلُّ مَا هُوَ أَتَى آتٍ ، ثُمَّ قَضَى سَطِيطِحٌ لَوْقَتَهُ ، فَتَارَ عَبْدُ الْمَسِيحِ إِلَى رَحْلِهِ وَهُوَ يَقُولُ :

شَمِّرْ فَإِنَّكَ مَاضِي الْعَزْمِ شَمِيرٌ * لَا يَفْزَعُكَ تَفْرِيقٌ وَتَقْيِيرٌ
إِنْ كَانَ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ * فَإِنْ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارُ دَهَارِيرُ

فربما ربما أضحوا بمثلة * تهاب صولم الأسد المهاصير
 منهم أخوال الصرح بهرام وإخوته * والمهرمزان وسابور وشابور
 والناس أولاد علات في علموا * أن قد أقل فمحور ومهجور
 وهم بنو الأثم أتما إن رأوا نشبا * فذلك بالغيب محفوظ ومنصور
 والخير والشر مقرونان في قرن * فالحير متبع والشر محذور
 فلما قص الخبر على كسرى قال : إلى أن يملك منا أربعة عشر تكون أمور؛ فلك
 منهم عشرة في أربع سنين ، وملك الباقون الى زمن عثمان رضى الله عنه .
 ومن أخبارهم : أن سعدى بنت كرز بن ربيعة كانت قد تطزقت وتكهننت
 وهى خالة عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ روى عنه أنه قال : لما زوج النبي صلى
 الله عليه وسلم أبنته رقية من عتبة بن أبي لهب وكانت ذات جمال رائع ، دخلتني
 الحسرة أو كالحسرة ألا أكون سبقت إليها ، ثم لم ألبث أن أنصرفت الى منزلي فالفيت
 خالتي فلما رأيته قالت :

أبشر وحييت ثلاثا ترى * ثم ثلاثا وثلاثا أنرى
 ثم بأخرى كي تم عشرا * أناك خير ووقيت شرا
 نكحت والله حصانا زهرا * وأنت بكر ووقيت بكرا
 وافتتها بنت نفيس قدرا * بنت نبي قد أشاد ذكرا
 قال عثمان : فعجبت من قولها ؛ وقلت : ماذا تقولين ؟ فقالت :

عثمان يابن أخت يا عثمان * لك الجمال ولك اليان
 هذا نبي معه البرهان * أرسله بحقه الديان
 وجاءه التنزيل والفرقان * فاتبعه لا تبتالك الأوثان^(١)

(١) اجتاله : حوله عن قصده ، ومنه اجتالهم الشياطين أى صرفهم عن هدام الى ضلالتها .

فقلت : يا خالة ، إنك لتذكرين ما قد وقع ذكره في بلدنا فأثبته لي ، فقلت :
إن محمد بن عبد الله رسولٌ من عند الله ، جاء بتزويل الله ، يدعو إلى الله ، مصباحه
مصباح ، وقوله صلاح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، وقرنه نطاح ، ذلت له البطاح ،
ما ينفع الصياح ، لو وقع الذباح ، وسُلت الصفاح ، ومُتت الرماح ، قال : ثم قامت
فانصرفتُ ووقع كلامها في قلبي ، وجعلت أفكر فيه ، وذكر بعد ذلك إسلامه وترويحه
رقية ، فكان يقال : أنهما أحسن زوجين أخفاقا وجمالا .

ومنها أن هنداً بنت عُتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المُغيرة ، وكان من فنان
قريش ، وكان له بيت الضيافة خارجا من البيوت ، تفشاه الناس من غير إذن ، فخلا
اليثُ ذات يوم وأضطجع هو وهند فيه ، ثم نهض لبعض حاجته ، وأقبل رجل ممن
كان يشقى البيت فوجده ، فلما رآها ولَّى هاربا وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضرها
برجله وقال لها : من هذا الذي خرج من عندك ؟ قالت : ما رأيتُ أحدا ،
ولا أنتهيتُ حتى أنتهيتُ ! فقال لها : أرجعي إلى أبيك ، وتكلم الناس فيها ، فقال
لها أبوها : يا بنية ، إن الناس قد أكثروا فيك ، فأنبئني نبأك ، فإن يكن الرجل
ملك صادقا دسستُ عليه من يقاتله ، فتقطع عنك المقالة ، وإن يك كاذبا حاكنه
إلى بعض الكهان ، فقلت : لا والله ! ما هو عليّ بصادق ، فقال له : يافاك ! إنك
قد رميتُ أبتى بأمر عظيم ، فأكفني إلى بعض كهانِ إيمان ، فخرج الفاكه في جماعة
من بني مخزوم ، وخرج عُتبة في جماعة من بني عبد مناف ، ومعهم هند ونسوة ، فلما
شاوروا البلاد ، وقالوا : غدا نرد على الرجل ، تنكرتُ حال هند ، فقال لها عُتبة : إني أرى
ما بك من تنكر الحال ، وما ذاك إلا لمكروه عندك ، فهلا كان هذا قبل أن يشتهر عند
الناس مسيرنا ! فقلت : لا والله ! ولكني أعرف أنكم تأتون بَشْرًا يخطئ ويصيب
ولا آمنه أن يسمى ميسما يكون على سبة فقال : إني سوف أخبره لك ، فصفر لفرسه

- حتى أدلى ثم أدخل في إحليله حبة حنطة وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم، فلما تغتوا قال له عتبة: قد جئتكَ في أمر وقد خبأتُ لك خبيثاً اختبرك به، فانظر ما هو؟ فقال: ثمرة، في كرهه. قال: إني أريد أئين من هذا، قال: حبة برّ، في إحليل مهر، قال: أنظر في أمر هؤلاء النسوة، بفعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، أنهضى، حتى دنا من هند فقال لها:
- أنهضى غير رجاء ولا زانية، ولتلدك ملكاً اسمه معاوية؛ فنهض إليها الفاكة فأخذ بيدها فغذبت يدها من يده، وقالت: اليك عني فواقه لأحرصن أن يكون من غيرك؛ فترجها أبو سفيان.

- ومنها: أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المنافرة، فقال هاشم:
- ١٠ إني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق نخعها بمكة، أو الحلاء عن مكة عشرين، فرضى أمية وجعل بينهما الخزاعي الكاهن ونحرا إليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا نجبا له خبيثاً فإن أصابه تحاكننا إليه، وإن لم يصبه تحاكننا إلى غيره، فوجدوا أباهم مهمّة وكان معهم أطباقٌ بحجّة، أمسكها معه ثم أتوا الكاهن فأنخوا ببابه وكان منزله بسفان. فقالوا: إنا قد خبأتُ لك خبيثاً فأنبتنا عنه. قال: أحلف بالضوء والظلمة، وما بتامة من تهمة، وما بنجيد من أكده، لقد خبأتُ لي أطباق بحجّة، مع القلندح أبي مهمّة فقالوا: صدقت أحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أيهما أشرف بيتاً ونفساً، قال: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجؤ من طائر، وما أعتدى بعلم مسافر، من مُنجد وغار، لقد سبق هاشم أمية إلى المسائر، أو لا منه وآخر، فأخذ هاشم

الإبل ونحرها وأطعمها من حضر ونرج أمية إلى الشام فأقام بها عشرين سنة؛
فيقال : إنها أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبين بني أمية .

ومنها : أن بني كلاب وبني رباب من بني نضر خاضوا عبد المطلب في مال
قريب من الطائف فقال عبد المطلب : المال مالي فسلوني أعطكم ، قالوا : لا ،
قال : فأختاروا حاكماً ، قالوا : ربيعة بن حذار الأسدي فراضوا به وعقلوا مائة ناقة
في الوادي وقالوا : الإبل والمال لمن حكم له ، وخرجوا وخرج مع عبد المطلب
حرب بن أمية ، فلما نزلوا بريعة بعث اليهم بجزائر فتحرها عبد المطلب ، وأمر فصنع
جزرا وأطعم من أناه ، ونحر الكلابيون والنضريون وشقوا ، فقيل لربيعة فقال :
إنا عبد المطلب أمرؤ من ولد نخزيمة فتى يملك بصله بنو عمه ، وأرسل اليهم أن أجبوا
لى خبيثاً ، فقال عبد المطلب : قد خبأت كلباً اسمه سوار في عنقه فلادة ، في خرزة
مزادة ، وضمتها بعين جرادة ، فقالوا الآخرون : قد رضينا ما خبأت وأرسلوا إلى
ربيعة ، فقال : خبأ ثم خبيثاً حياً ، قالوا : زده ، قال : ذو برن أغبر ، وبطن أحمر ،
وظهر أنمر ، قالوا : قربت ، قال : سما فسقط ، ثم هبط فقطع ، فترك الأرض بلقع ،
قالوا : قربت فطبق ، قال : عين جرادة ، في خرزة مزادة ، في عنق سوار ذى الفلادة
قالوا : زه زه ! أصبت فاحكم لأشدنا طماناً ، وأوسعنا مكاناً ، قال عبد المطلب :
أحكم لأولانا بالخيرات ، وأبعدنا عن السومات ، وأكرمنا أمهات ، فقال ربيعة :
والعسق والشقق ، والخلق المتفق ، ما لبني كلاب وبني رباب من حق ، فانصرف
يا عبد المطلب على الصواب ، ولك فصل الخطاب ، فوهب عبد المطلب المال
لحرب بن أمية .

وأخبار الكهنة كثيرةٌ نذكر منها إن شاء الله تعالى في السيرة النبوية جملةً تنفص
عليها في المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في السفر الرابع عشر من
كتاب الأصل .

الزَّجَر

- قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في زجر الطير : إن العلماء بهذا الفن قالوا :
إذا خرجتَ من منزلك تطلب حاجةً ، أو تخطب امرأةً ، فنَعَبَ غرابٌ عن يمينك
وعن يسارك أو سَنَحَ أو برح فأمض فإِنَّكَ مُدْرِكٌ حاجتك إن شاء الله تعالى ،
فإن نَعَبَ أمامَكَ أو فوقَكَ فأرجع ففها تأخير .

وإن خرجتَ تريد خصومةً فنَعَبَ فوق رأسِكَ فأمض فإِنَّكَ مُدْرِكٌ حاجتك
إن شاء الله تعالى .

فإن خرجتَ تطلب دابةً فنَعَبَ عن يمينك أو يسارك على حائط مرتفع فامض
لحاجتك ، فإن نَعَبَ أمامَكَ فأرجع .

وإن خرجتَ تطلب مالاً ضلَّ عنكَ أو مُرِقَ ، فنَعَبَ غرابٌ على شجرة يابسة
فلا تطلبه فقد آسَتهك وقد يَأْتِيكَ بعضُهُ ، فإن نَعَبَ على جدار جديد أو شجرة
خضراء فإِنَّكَ تصيب مالَكَ إن شاء الله تعالى .

فإن خرجتَ تريد الضَّالَّ فنَعَبَ من ورائك فأرجع فليس لك في ذلك خَيْرَةٌ ،
وإن نَعَبَ عن يسارك فإني خائف على نفسك إلا أن يشاء الله .

فإن خرجتَ تريد الصيد فنَعَبَ من فوقكَ فأرجع ، فإن نَعَبَ أمامَكَ فامض
فإِنَّكَ تدرِكُ خيراً .

وإن خرجت تطلب سلطاناً في طلب مال أو حاجة فتنب عن يمينك ثم طار
ثم نعب أدركت منه طلبتك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد شراء شيء فتنب عن يمينك فإنه صالح، وإن نعب عن يسارك
فلا خير فيه .

وإن خرجت من منزلك فرأيت غراباً يمسح منقاره على الأرض فإنك تصيب
أو تأتيك هدية من مكان بعيد .

وإن خرجت تطلب حاجة فتنب عن يمينك ثم قطع الطريق إلى يسارك فتنب
فإنك تدرى حاجتك عجلًا إن شاء الله تعالى ، فإن نعب فوق رأسك فارجع فإن
أخاف عليك بعض أعدائك .

وإن خرجت تريد سلطاناً فتنب غراب وهو مستقبل الشرق فامكث يومك ذلك
فإن أخاف عليك .

فإن خرجت فرأيت غراباً ينفض ريشه؛ فإنه يأتيك خير عاجل .

وإن خرجت تريد أرضاً بعيدة فرأيت غراباً ينفض فامض لحاجتك، فإنك تدرى
أملك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد السلطانَ فوقع غرابٌ على شيء فتنب ثلاث مرات فامض
لحاجتك، فهو خيرٌ عاجل وتيسرُ للهوائج إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت فرأيت غراباً ناشراً جناحيه يريد الطيران فامض، فإن نعب فارجع
يومك .

وإن خرجت تريد خصومة فتنب من فوقك فامض، وإن نعب فأجابه الآخر
فهو جيد صالح .

وإن خرجت تريد خصومةً فنعب من فوقك أو شحج فامض ، فإنك تلقى في يومك ذلك ما تريد إن شاء الله تعالى .

وإن خرج جماعةً وفيهم رجل شريف فشحج غراباً^(١) على رأس الشريف ، ثم أتوا ملكاً فإنهم يصيبون خيراً إن شاء الله تعالى .

وإن خرج يطلب حاجةً إلى سلطان فواجهه غراب فليمكث يومه ذلك ولا يمض في تلك الحاجة ، وإن نعب عن يمينه فقطع الطريق ثم وقع فهو يدرك حاجته .

وإن خرج يريد السلطان أو بعث إليه وهو لا يدري فرأى غراباً يطير قليلاً ثم يقع فيلقط من الأرض شيئاً فليمض فإنه يصيب سلطاناً ولى قوماً ، وإن رأى غراباً يبحث في الأرض فإن بعض أهله يموت سريعاً ، وإن رآه ينقر في الأرض فذلك ملك .

وإن خرج فرأى غراباً يطير ثم وقع ثلاث مرات وهو ساكت لا ينب ، فذلك غم يصيبه إلا أن يدفع الله عز وجل عنه .

وإن خرج فرآه يتفص ثم ينب ثم يطير فذلك سلطان يناله ويتزوج ، والعلم عند الله .

وإن خرج فرأى غراباً يطير ثم يقع فذلك خير وسرور يأتيه .

وإن خرج فرأى غراباً يطير نحو عين الشمس فذلك هم يصيبه شديد .
وإن خرج فلقى بقراً فليرجع فإن لقي من البغال شيئاً لم يركب فليرجع والمركوبة صالحة لا بأس بها .

وإن خرج يعود مريضاً فتهق حمار عن يمينه أو عن يساره فالمرضى صالح ، وإن نهق خلفه فقد أشدَّ بالمرضى مرضه وأنا خائف عليه .

(١) في الأصلين العتورافين : « سنح » بالحاء المهملة . وفي النسخة الراجية : « شنج » وما أتيته هو الأسب بالمقام . وشحج الغراب : غلط صوته .

وإن خرج يريد حاجة فاستقبله غلامٌ يبكي وهو متلفحٌ بعذرة وهو ذاهب والغلام راجع فليمض فإن حاجته تقضى ، وإن استقبله غلامٌ يعدو ويتلف فإن حاجته تسمر وتطول .

وإن خرج في حاجته فرأى ورشاً يطير، يرتفع ويهبط فليمض فإن ذلك أنجح لحاجته، وإن رآه يطير مستعلياً فليرجع، وإن رأى حمامةً مسرولةً تطير من فوق رأسه وتدور فإن حاجته مقضية بعد بلاء ومطل، وإن رأى حمامةً هابطةً واقعةً تقع وتطير فإن ذلك خير صالح وسرور إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فاستقبله جنازةٌ وجماعةٌ فليرجع يومه ذلك، ولا يعود لحاجته فإنها غير مقضية ، فإن كانت الجنازة قد جاوزته مُدبرةً فليذهب لحاجته ، وإن ذلك صالح . وإن رأى نسوةً إلى المقابر وهنّ مقبلات نحوه فليعد حتى يمضين عنه فإنه أنجح لحاجته، وإن رآهن مُدبرات فليمض في حاجته فإنها مقضية .

٣٩

وإن خرج من داره فرأى في أرضها نملاً كثيراً وفي حائطها فليمض لحاجته فذلك خير وسرور يناله . فإن رأى دُباباً كثيراً جمعهما على حائط وهو يسمع لمن ديبها فذلك مرض يصيبه في بدنه أو يصيب بعض أهله . ومن رأى ذراً كثيراً وقرداناً فذلك فرح ورزق عاجل يناله إن شاء الله تعالى . ومن رأى دجاجتين يقتلان بقر بعضهما فذلك يدل على أنه يقع بينه وبين أمراته كلامٌ وغضب .

وإن خرج من منزله فرأى ورشاً يقتلان في جو السماء رافعين وهابطين فيأتيه ما يُسرّه، وإن رأى كلباً والكلاب تطوف حولها ويتبع بعضها بعضاً : فإن كان عليه دين قضاه الله عنه، وإن كانت له حاجة مهمة قضيت في وجهه ذلك، وإن أراد شيئاً يسره الله له، وإن أراد سفراً تيسراً له ورجع سالماً .

وإن خرج فرأى على رجل قربة ثم آتشت فليرجع الى منزله ويتعوذ بالله من شر ذلك اليوم فإنه مكروه جدا .

وإن خرج فرأى رجلا وهو يريد أن يملأ قربة فليعض في حاجته فإنه فرح وسرور وخير يناله عاجلا إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى حمارا أو بغلا عليه راوية مملوءة فشأنه غير صالح وهو مكروه ، وإن كان صاحب الراوية يريد أن يملأها فليعض في حاجته مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فرأى جملا عليه حطب أو بعض منافع الناس فهو من علامات النجاح في الخوصومة والظفر العاجل إن شاء الله تعالى ، فإن رآه غير محمول عليه وعليه صاحبه فإن ذلك خير يأتيه وينى اليه بعض أهله من مكان بعيد .

قال : وأرجو أن يدفع الله ، فإن رآه مُناخا يرغو فإن ذلك خير يأتيه ويُخبر عن شيء مما يحب من تزويج أو غنيمة وهو صالح .

وإن خرج فرأى بعيرا قد شرد ورأى من يطلبه فإن ذلك نجاة من عدوه وفرح قريب إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى بعيرا قد شرد فاجتمع عليه الناس فإن ذلك يدل على ظفوره بعدوه وانتقامه منه فليحمد الله على ما رأى ويشكره .

ومن خرج من منزله فرأى قردا يتقلب والناس حوله فليعض لحاجته فإنها مقضية .

وإن خرج فرأى القرد يلعب والناس مجتمعون عليه وقد صار لعبه الى أن يتقلب ظهرا لبطن في الأرض فليرجع من وجهه ذلك فليس بموفق وهو مكروه .

وإن خرج من منزله فرأى غلاما يلعبون بالأكرة ويتساقون فليعض في وجهه ذلك فإنه يصيب رفعة وشرقا وتمكنا من السلطان ويصيب مالا عظيما .

وإن خرج فرأهم يلبون بالصوالحة فهو رخصة ويدل على مال ردىء حرام يصيبه من سلطان، ويركب أمراً عظيماً من عمله فليترك الله .

وإن رأى جوارى يلبن بالطرق كأنهن يزفن عروساً فهو خير وسرور ودخول في أمر شريف وأنه يربح ربها عظيماً، وهو خير الزجر .

وإن خرج فرأى عصفورين يلقتان الحب فهو صالح، وإن رأهما يتسافدان فهو

خير يناله في يومه، وإن رأهما مدبرين فليعض لحاجته فإنها مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فتعلق بشئ فليرجع؛ فإنى أكره له أن يذهب في حاجته تلك .

وإن خرج فرأى حداةً تسفد حداةً وهي نصيح فهو نجاح فليعض لحاجته .

وإن خرج فعثر فلا يذهبن في تلك الحاجة وليؤخرها .

ومن الزجر ما مخرجه مخرج الكهانة .

فمن ذلك ما حكى أن أمية بن أبي الصَّات التَّمَنَّى، بدا هو يشرب مع إخوان له

في قصر عِلَّان بالطائف إذ سقط غرابٌ على شُرْفَةِ القصر فَنَعَب نعبه فقال أمية :

بفِكَ الْكَتْكُتْ أَى التراب فقال له أصحابه : ما يقول؟ قال يقول : إنك إذا شربت

الكأس التى بيدك مت ، ثم نعب نعبه أخرى ، فقال أمية كقائمه الأولى فقال

أصحابه : ما يقول؟ قال : يزعم أنه يقع على هذه المذبة في أسفل القصر فيستثير عظاما

فيلبغها فيشجى به فيموت ، فوقع الغرابُ على المذبة فأثار العظم وأبتلمسه فشجى

فمات ، فانكر أمية ووضع الكأس من يده وتغيّر لونه فقال أصحابه : ما أكثر ما سمعنا

مثل هذا وكان باطلاً، وألحوا عليه حتى شرب الكأس فقال فاعمى عليه ثم أفاق فقال :

لا برىء فاعتذر ، ولا قوى فانتصر ، ثم خرجت نفسه .

وزعموا أن رجلاً من كعب خرج في جماعة ومعه سقاء من لبن فسار صدر يومه

فعطش فأناخ ليشرب ، فإذا غراب ينعب فأثار راحلته ، ثم سار فلما أظهر أناخ

لِشْرَب، فَنَعَبَ الْغَرَابَ وَتَمَرَّغَ فِي التَّرَابِ فَضْرَبَ الرَّجُلَ السَّقَاءَ بَسِيفِهِ فَذَا فِيهِ أَسْوَدٌ^(١)
 ضَخْمٌ قَتَلَهُ، ثُمَّ سَارَ فَذَا غَرَابٌ وَقَعَ عَلَى سِدْرَةٍ، فَصَاحَ بِهِ فَوَقَعَ عَلَى سَلَمَةٍ، فَصَاحَ بِهِ
 فَوَقَعَ عَلَى صَخْرَةٍ، فَاتَهَى إِلَيْهَا فَاتَارَ كَثْرًا، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَبِيهِ قَالَ لَهُ : إِيهَ مَا صَنَعْتَ ؟
 قَالَ : سِرْتُ صَدْرَ يَوْمِي، ثُمَّ انْحَثُ لِأَشْرَبَ فَنَعَبَ الْغَرَابَ، قَالَ أَتَرَاهُ وَإِلَا فَلَسْتُ
 بَابْنَى، قَالَ : أَتَرَاهُ، ثُمَّ انْحَثُ لِأَشْرَبَ فَنَعَبَ الْغَرَابَ وَتَمَرَّغَ فِي التَّرَابِ، قَالَ : أَضْرِبَ
 السَّقَاءَ وَإِلَا فَلَسْتُ بَابْنَى، قَالَ : فَعَلْتُ، فَذَا أَسْوَدٌ ضَخْمٌ، قَالَ : ثُمَّ مَهْ ! قَالَ : ثُمَّ رَأَيْتُ
 غَرَابًا عَلَى سِدْرَةٍ، قَالَ : أَطَرَّهُ وَإِلَا فَلَسْتُ بَابْنَى، قَالَ : فَعَلْتُ فَوَقَعَ عَلَى سَلَمَةٍ، قَالَ :
 أَطَرَّهُ وَإِلَا فَلَسْتُ بَابْنَى، قَالَ : فَعَلْتُ فَوَقَعَ عَلَى صَخْرَةٍ، قَالَ : أَحْذِ يَا بَنَى ! فَاحْذَاهُ
 وَمِنَ الزَّجَرِ : مَا يُرَوَى أَنَّ كَسْرَى أَبْرُو زَبَعَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ
 بَعَثَ زَاجِرًا وَمَصُورًا وَقَالَ لِلزَّاجِرِ : أَنْظِرْ مَا تَرَى فِي طَرِيقِكَ وَعِنْدَهُ، وَقَالَ لِلْمَصُورِ :
 إِنِّي بِصُورَتِهِ، فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ أَعْطَاهُ الْمَصُورُ صُورَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهَا
 كَسْرَى عَلَى وَسَادَتِهِ، وَقَالَ لِلزَّاجِرِ : مَا رَأَيْتَ ؟ فَقَالَ : لَمْ أَرِ مَا أَزْجِرُهُ حَتَّى الْآنَ
 وَأَرَى أَمْرَهُ يَعْلُو عَلَيْكَ لِأَنَّكَ وَضَعْتَ صُورَتَهُ عَلَى وَسَادَتِكَ .

وَقِيلَ : إِنَّ كَثِيرًا تَعَشَّقُ امْرَأَةً مِنْ خُرَاعَةٍ يُقَالُ لَهَا : أُمُّ الْحَوِيرِثِ، فَتَنْتَبِهَا فَاكْرَهْتُ
 أَنْ يَفْضَحَهَا كَمَا فَضَحَ عَزَّةٌ فَقَالَتْ لَهُ : إِيَّاكَ دَجَلٌ فَقِيرٌ لَا مَالَ لَكَ فَابْتَغِ مَالًا ،
 ثُمَّ تَعَالَى فَاحْطَبْنِي كَمَا يَحْطَبُ الْكَرَامُ قَالَ : فَاحْطَبْنِي وَوَقَّيْتُ أَنَّكَ لَا تَرْجِعِينَ حَتَّى
 أَقْدِمَ عَلَيْكَ خَلْفَتٌ وَوَقَّعْتُ لَهُ ، فَمَدَحَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ [أَبْرِيقٍ] الْأَزْدِيُّ وَخَرَجَ إِلَيْهِ ، فَاتَى
 ظَبَاءً سَوَانِخَ ، وَلَقِيَ غُرَابًا يَفْحَصُ التَّرَابَ بِوَجْهِهِ ، فَتَطْيِرُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى حِمَى
 مِنْ لُحَبٍ فَقَالَ : أَيُّكُمْ يَزْجُرُ ؟ قَالُوا : كُلُّنَا ، فَمَنْ تَرِيدُ ؟ قَالَ : أَعْلِمُكُمْ بِذَلِكَ ،

(١) الأسود : العليم من الحيات . (٢) أحذاه من العناية : أعطاه منها .

(٣) الزيادة عن الأغاني ، وفي الأصل ياض .

قالوا : ذاك الشيخ المنحني الصُّلب ، فأناه ققص عليه القصّة فكره ذلك له وقال :
قد ماتت أو تزوجت رجلا من بنى عمّها ، فقال كثير :

تيممتُ لِمَا أبتنى العِلْمَ عندهم * وقد رُدَّ علمُ العائِفينَ ^(١) الى لِهْبِ
تيممتُ شيخا منهمُ ذا بَحَالَةٍ ^(٢) * بصيرا بزجر الطير مُنحني الصُّلْبِ
فقلتُ له : اذا ترى فى سوانح * وصوتِ غرابٍ يفحص الوجه بالتريب
فقال جرى الطير السنيح بيدها * ونادى غرابٌ ^(٣) بالفراق وبالسلب
فإلا تكن ماتت فقد حال دونها * سواك خليل باطن من بنى كمي

قال : ثم مدح الرجل الأزدي فأصاب منه خيرا ، ثم قديم عليها فوجدها قد تزوجت
رجلا من بنى عمّها فأخذه الهلاس ^(٤) فكشّح جنباه بالنار ؛ فلما أندمل من علته ووضع
يده على ظهره فاذا هو برقتين فقال : ما هذا ؟ قالوا : أخذك الهلاس وزعم الأطباء
أنه لا علاج لك إلا بالكشّح بالنار فكشّحت بها ، فانشأ يقول :

عفا الله عن أم الحويرث ذنبها * علام تعيننى وتنجى دوائيا
ولو آذونى قبل أن يرقوا بها * فقلتُ لهم أم الحويرث دائيا

وحكى أن صاحب الروم بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له :
أنظر أين تراه جالسا ، ومن الى جانبه ، وأنظر ما بين كتفيه حتى انلتم والشامة ؛ فقدم
ورسول الله صلى الله عليه وسلم على تشيز واضعا قدميه فى المراء ، وعن يمينه على عليه
السلام ؛ فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال : ” تحوّل فانظر ما أمرت به ” فنظر

(١) كذا فى الأغاني وبلوغ الأرب ، وفى الأصول : « الماشقين » . وهو تعريف .

(٢) البجالة : الشرف والسيادة .

(٣) كذا فى بلوغ الأرب للألوسى . وفى الأصل والأغاني : . وقال غراب جد منهم السكب *

(٤) الهلاس : الدقة والضموور ومرض السل .

ثم رجع الى صاحبه فأخبره الخبر، فقال : ليعلوت أمـره ولعلكن ما تحت قدمي وقال :
بالنشر : العلو، وبالماء الحياة .

ومن الزجر : ما روى عن أبي ذؤيب الهذلي قال : إنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحى خيفةً عليه فبت ليلة ثابتة النجوم طويلة الأناة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها حتى اذا قرب السحر غفوت فنهض لي هاف يقول :
• خَطْبُ أَجْلٍ أَنَاخَ بِالإِسْلَامِ * بَيْنَ التَّخِيلِ وَمَعْقِدِ الآطَامِ
قُبُضَ النَّبِيِّ عَمْدَ فَعْيُونِنَا * تَذَرِي الدَّمْعَ عَلَيْهِ بِاتِّسَامِ

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومي فزعاً، فظنرت الى السماء فلم أر إلا سعد الذابح، ففناءت به ذبحاً يقع في العرب، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات أو هو ميت من علته، فركبت ناقى وسرت حتى أصبت . فطلبت شيئاً أزجره، فعن لي^(١) شيم^(٢) قد قبض على صل وهو يتأوى عليه والشيم يقضمه حتى أكله، فزجرت ذلك [وقلت : شيم] شى هم، وتلوى الصل أنثال الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أولت أكل الشيم إياه : غلبة القائم على الأمر، فثنت ناقى حتى اذا كنت بالعلية زجرت الطير فأخبرني بوفاته . ونعب غراب سانحاً بمنثل ذلك فتعوذت من شر ما عز لي في طريق . ثم قدمت المدينة ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج أهلوا جميعاً بالإحرام، فقلت : مه ! قالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بخثت المسجد فأصبته خالياً فأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبته بابه مرتجاً وقد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس ؟ فقليل : في سقيفة بنى ساعدة صاروا الى الأنصار بخثت السقيفة فوجدت أبا بكر ، وعمر رضى الله عنهما ، وأبا عبيدة ، وسالمًا ،

(١) الشيم : ذكر القنفذ . (٢) كذا في بلوغ الأرب (ج ٣ ص ٢٢١) . وفي الأصل : . ٢٠

قد أرم . (٣) الزيادة عن بلوغ الأرب .

وجامعة من قريش، ورايت الأنصار فيهم سعد بن عبادة، ومعهم شعراؤهم، وأمامهم
 حسان بن ثابت، وكعب في ملائمتهم، فأويئت إلى الأنصار فكلّموا فأكثروا، وتكلّم
 أبو بكر فيهم من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع الفصل ! والله لتكلّم بكلام
 لم يسمعه سامعٌ إلا أقاد له ومال إليه، وتكلّم بعده عمر رضي الله عنه بكلام دون
 كلامه، ومدّ يده فبايعه؛ ورجع أبو بكر رضي الله عنه ورجعت معه، فشهدتُ
 الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهدتُ دفنه . قال : ولقد بايع الناس
 من أبي بكر رجلا حلّ قدامها ولم يركب دُناها، وأنصرف أبو ذؤيب إلى بادية
 وثبت على إسلامه .

ومنه : ما روى عن مصعب بن عبد الله الزبيري أنه حدّث عن رجل قال :
 شردت لنا إبلًا فأتيت حليسا الأمدى فسألته عنها؛ فقال ابنت له : خطي، فخطتُ
 ونظرت ثم آتقتضت وقامت مصرفة، فنظر حليس في خطها فضحك وقال :
 أأندري لم قامت ؟ قلت لا، قال : رأيت أنك تجد إبلك وأنك تتزوجها فاستجبت
 فقامت، فخرجت فاصبت إبلًا ثم تزوجتها بعد .

القال والطيرة

حكى أنه لما ولد لسعيد بن العاص عتبة قال سعيد لأبنته يحيى : أرى شيئا
 نحله ؟ قال : دجاجة بفرار يحها، وإنما أراد احتقاره بذلك لأن أمه كانت أمة،
 فقال سعيد : إن صدق الطير ليكون أكثركم ولدًا؛ فكان كذلك .

لما طلب عامر بن إسماعيل مروان بن محمد أعرضه بالقيوم قوم من العرب
 فسأل رجلاً : ما اسمك ؟ فقال : منصور بن سعد، وأنا من سعد العشيرة، فنبهم
 فهاؤلاً به ويحتما، وأستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة .

ومن الطَّيْرَةِ ما حكى عن بعضهم قال : حضرتُ الموقفَ مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فصاح به رجلٌ من خلقه : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، فقال رجل من خلقه : دعاه بأسم ميت ، مات والله أمير المؤمنين ، ولا يَقِف هذا الموقف أبداً ، فالتفت إليه فاذا هو اللّهُيُّ ؛ فقتل عمر قبل الحول .

وحكى أن عمر رضى الله عنه ، خرج الى حَرَّةٍ واقم ، فلقى رجلاً من جُهميَّة ، فقال له : ما أسمك ؟ قال : شهاب ، قال : أين من ؟ قال : ابن بحسرة ، قال : ومن أنت ؟ قال : من الحرقة ، قال : ثم ممن ؟ قال : من بنى ضرام ، قال : وأين منزلك ؟ قال : بمجرة ليل ، قال : وأين تريد ؟ قال : لظى ! وهو وضع ؛ فقال عمر : أدرك أهلك ، فما أراك تُدركهم إلا وقد احترقوا . قال : فأدركهم ، وقد أحاطت بهم النار .

وقال المدائنى : وقع الطاعونُ بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان فخرج هارباً منه فقتل قريةً من الصعيد يقال لها : سُكْرٌ ، فقدم عليه حين نزل رسولُ لعبد الملك ، فقال له عبد العزيز : ما أسمك ؟ قال طالب بن مُدْرِك ! فقال : أوه ! ما أراى راجعاً الى القُسطَاط أبداً ، ومات في تلك القرية

وقيل : بينا مروان بن محمد في إيوان له يُنْفَذُ الأَمُورُ ، فانصدعت زُجاجةُ الإيوان ، فوقعَت الشمسُ منها على منكب مروان وكان هناك عَيَاف فقال : صَدَعُ الزُّجاجِ أمر منك على أمير المؤمنين ، ثم قام فأتبعه ثوبان مولى مروان . فقال له : ويحك !

(١) كذا في أحد الأصلين المتوعرايين ومعهم ياقوت في إحدى روايته والأغانى (ج ١ ص ٢٦٠) طبع دار الكتب المصرية . وفي رواية أخرى لياقوت وتاريخ الإسلام للذهبي والحوتم الزاهرة والكندى أنه نزل الى حلوان قرب مصر ومات بها . وفي الأصل الآخر المتوعراي : « شكر » بالثمن المعجمة وهو تحريف .

ما قلت ؟ قال . قلت : صَدْعُ الزجاج صدع السلطان ، سذهب الشمسُ بملك مروان ، بقوم من الترك أو خراسان : ذلك عندي واضح البردان . قال : فما ورد لذلك شهران حتى ورد خبر أبي مسلم .

وقال إبراهيم بن المهدى : أرسل إلى محمد الأمين في ليلة مُقَمَّرة من ليالى الصيف فقال : يا عمي ! إن الحرب بيني وبين طاهر قد سكنت فِصر إلى فاني اليك مشتاق بفتنه وقد بَسِطَ له على سطح ، وعنده سليمان بن جعفر ، وعليه كساء رُوذباري ، وَقَلَسُوا طويلاً ، وجواريه بين يديه ، وضعف جاريته عنده . قال لها : غنّيني فقد سررتُ بعمومتي ، فاندنعتُ تغنيته :

هَمْ قُلُوهُ كِي يَكُونُوا مَكَانَهُ * كَمَا فَاتَتْ يَوْمًا بِكَسْرَى مَرَّازِيَهُ
بَنِي هَاشِمٍ كَيْفَ التَّوَّاصِلُ بَيْنَنَا * وَعِنْدَ أَخِيهِ سَيْفُهُ وَنَجَابَتُهُ
هَكَذَا غَنَّتْهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ :

* وَعِنْدَ عَلِيٍّ سَيْفُهُ وَنَجَابَتُهُ *

فغضب ونظير ، وقال : مَا قِصَّتُكَ ؟ وَيَحْك ! غَنِّينِي مَا يَسُرُّنِي ؟ فَغَنَّتْ :
هَذَا مَقَامُ مُطَرِّدٍ * هُدِمَتْ مَنَازِلُهُ وَدَوْرُهُ

فازداد تطليراً ، ثم قال : وَيَحْك ! أَتَمَّتْ وَغَنَّتْ غَيْرَ هَذَا ، فَغَنَّتْ :

كُلِّيبٌ لِعَمْرَى كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً * وَأَيْسَرُ جُرْماً مِنْكَ ضَرَجَ بِالْدَمِ

فقال لها : قومي إلى لعنة الله ، فوثبت ، وكان بين يديه قَدَحٌ بِلُورٍ وكان لجه إِيَّاهُ يَسْمِيهِ محمداً باسمه ، فأصابه طَرْفٌ ذليلها فسقط على بعض الصواني فانكسر ؛ فأقبل على وقال : أرى والله يا عم أن هذا آخر أمرنا ، فقلت : كَلَّا ! بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك . قال : وَدِجَلَةٌ وَاللهُ هَادِئَةٌ مَا فِيهَا صَوْتٌ يَحْدَافُ ، وَلَا أَحَدٌ يَتَحَرَّكُ ؛ فَسَمِعْتُ هَاتِفًا يَهْتَفُ : (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) قال فقال لي :

سمعتَ يا عم؟ قلتُ: وما هو؟ وقد والله سمعتهُ، فاذا الصوتُ قد عاد، فقال: أنصرف
بِيتِكَ اللهُ بِجَيْرٍ، فَمَاحَالُ أَلَّا تَكُونَ الْآنَ قَدْ سَمِعْتَ مَا سَمِعْتَ، فَاَنْصَرَفْتُ وَكَانَ آخِرَ الْمَهْدِيَةِ.

(٤٢)

وشبهه بهذا ما حكى عن طُوبَى الْمَغْنَى قَالَ: كُنْتُ مَعَ الْمَأْمُونِ لَمَّا خَرَجَ إِلَى
الشَّامِ، فَدَخَلْنَا دِمَشْقَ فُطِفْنَا فِيهَا، وَجُعِلَ يَطُوفُ عَلَى قُصُورِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَيَتَّبِعُ
آثَارَهُمْ، فَدَخَلْنَا صَحْنًا مِنْ صُحُونِهِمْ، مَفْرُوشًا بِالرَّخَامِ الْأَخْضَرِ، وَفِيهِ رِبَكَةٌ مَاءٍ فِيهَا سَمَكٌ،
وَأَمَامَهَا بَسْتَانٌ، فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ وَعَزِمَ عَلَى الصُّبُوحِ وَدَعَا بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَأَقْبَلَ
عَلَى قَعَالٍ: غَنَى وَنَشْطَى، فَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْسَانِي الْغَنَاءَ كُلَّهُ إِلَّا هَذَا الصَّوْتُ مِنْ
شَعْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ:

لو كان حولي بنو أمية لم * تنطق رجالُ أراهمُ نطقوا
من كلِّ قَرْمٍ حَيْضُ ضَرَائِبِهِ * عن مَنِيكِيه القَمِيصِ يَغْرِقُ
قال: فنظر إلى مُغَضَّبًا، وقال: عليك وعلى بني أمية لعنة الله، وبلك! أقلت
لك سُرْنِي أو سُرْنِي؟ ألم يكن لك وقت تذكرك فيه بني أمية إلا هذا الوقت
مُغْرَضٌ بي؟ فتجلدتُ عليه وعلبتُ أُنَى قَدْ أَخْطَأْتُ، قلتُ: أتلومني على أن أذكر
بني أمية! هذا مولاكم زُرْيَابٌ عندهم يركب في مائتي غلامٍ مملوكٍ له، ويملك
ثَلَاثَةَ أَلْفِ دِينَارٍ [وهبوا له سوى الخليل والضياع^(١) والرقيق]: وأنا عندكم أموت
جوعًا، فقال: أو لم يكن لك شيء تذكرك به نفسك غير هذا؟ قلتُ: هكنا
حَضَرْتَنِي حِينَ ذَكَّرْتَهُمْ، فقال: أعرض وتنبه على إرادتي وعن فأنساني الله كلَّ شيء
أُحْسِنُهُ إِلَّا هَذَا الصَّوْتُ:

الحينُ ساقٍ إلى دِمَشْقٍ وما * كانت دِمَشْقُ لِأَهْلِهَا بِلْدًا
قادتكَ نفسك فَاسْتَقَدْتَ لَهَا * وأرتك أمرَ غَوَايَةِ رَشْدًا

٢٠

فرماني بالقدح فأخطاني وانكسر القدح ، وقال : قم الى لعنة الله وحرّسقر !
فركب ؛ وكانت تلك الحال آخر عهدى به حتى مرض ومات بعد ذلك بقليل .

ومثل ذلك ما حكى في قتلة المتوكل ، وذلك أنه جلس يوم الأربعاء لأيام خلون
من شوال سنة تسع وأربعين ومائتين ، وقال للفتح بن خاقان : أحب أن نصطحب ؛
فأحضر المغنين وفيهم أحمد بن أبي العلاء فقال له : غنّ ، غنّ :
٥

يا عاذلّي من الملام دعاني * إن البليّة فوق ما تصفان
زعمت بُشينة أنّ فرقنا غدا * لا مرحبا بغدٍ فقد أبكاني

فطير المتوكل منه ، وقال : أحد ، كيف وقع لك أن تتغنى بهذا الشعر ! قال :
فشغل قلبُ ابن أبي العلاء لما أنكر عليه ، ثم ذهب ليغنى غيره ، فغناه ثانية ، فقال
المتوكل : نسأل الله خير هذا اليوم ، وصرف المغنين وقام لصلاة الظهر ، فلما فرغ
قال له الفتح : يا سيدي أتمم يومك ، فدعا بالشراب وقال : أين ابن أبي العلاء ؟
فأحضر فقال له : غنّ ، فاغنى عليه فأعاد البيتين فاغتم المتوكل غاية الغم ، وقُتل
في الليلة الآتية من ذلك اليوم .

قال القاضي أبو علي الجويني : حضرتُ بين يدي سيف الدولة أبي الحسن
صدّقة بن منصور بن دُبّس ، وابنه أبو المكارم محمد اذ ذاك مريض مرضه الذي
١٥ مات فيه ، وقد أتى بديوان أبي نصر بن نباته فتصفّحه فوقع بيده : وقال يعزّي
سيف الدولة أبا الحسن ويرث ابنه أبا المكارم محمدا ، فأخذتُ المجلّد وأطبقته فماد
فتصفّحه ففرج ذلك ، ومن القصيدة التي عنها قوله :

إنّ بيمًا فأريقن حُفيرةً * تركّا عليها ناظر الجود داما
نضمّنها أيدي فتّى نكلت به * غداة نوى أماننا والأمانيا
ولما عدنا الصبر بعد محمد * أتينا أباه نستفيد التمازيا

وحكى أن أبا الشَّمَقْمَقِ تُخَصَّصَ مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد المَوْصِلَ ،
فلما أراد الدخول إليها أُنذِقَ لواءه في أوّل درب منها ، فتطير من ذلك وعظم عليه ،
فقال أبو الشَّمَقْمَقِ :

ما كُنتَ مندقَ اللواءِ لِرِيَّةٍ * تُحْتَشَى ولا أمرٍ يكون مبدلاً

لكنّ هذا الرّيحَ ضَعَفَ منته * صَغُرَ الولاية فاستقلّ المَوْصِلَا

فُسرّى عن خالد . وكتب صاحبُ البريد بذلك الى المأمون ، فزاده ديناراً ربعة
وكتب اليه : هذا التضعيف المَوْصِلَ من رحك . فأعطى خالدُ أبا الشَّمَقْمَقِ عشرة
آلاف درهم .

وقيل : لما توجّه المسترشد للقاء السلطان مسعود بن محمد بن ملکشاه

السلجوقي ، وقع على الشمسية التي تُرفع على رأسه طائرٌ من الجوارح وألح ، كلما نُقِرَ
عاد ، فتفاعل الناس له بذلك وسُرّوه به ، فقال إنسان يُعرف بِمَلِكْدَار : هذا جارح
ومتقبض الكف وليس فيه بُشرى بل ضئها ، وأقبل السلطان في جيشه فكانت
الكسرة وقُبِضَ على المسترشد وقُتِلَ مِنْ بعد .

خرج بعضُ ملوك الفُرس الى الصيد ، فكان أوّل من استقبله أَعورٌ فامر بضربه

وحبسه ، ثم خرج وتصيداً كبيراً ، فلما عاد استدعى الأعور وأمر له بِصَلَّةٍ ،
فقال الأعور : لا حاجة لي في صلتك ، ولكن أئنن لي في الكلام ، فقال : تكلم ! قال :
لقيتني فضربتني وحبستني ، ولقيتكَ فصدتَ وسَلِمْتَ فأينا أشام ؟ فضحك وخلاه .

الفراصة والذكاء

يقولون : عظم الجبين يدلّ على البَلَّة ، وعَرَضُهُ يدلّ على قلة العقل ، وصِفَرُهُ على

لُطْفِ الحركة ، والحاجبان اذا اتصلا على استقامة دلّان على تخنيت واسترخاء ، واذا

تَرَجَّحَا نَحْوَ الصُّدْغَيْنِ دَلَاً عَلَى طَيْرٍ وَأَسْتَهْزَأَ ؛ وَالْعَيْنِ إِذَا كَانَتْ صَغِيرَةً الْمَوْقِ دَلَّتْ عَلَى
سُوءِ دِيخَلَةٍ وَخُبَّتْ شِمَائِلُ ، وَإِذَا وَقَعَ الْحَاحِبُ عَلَى الْعَيْنِ دَلَّ عَلَى الْحَسَدِ ؛ وَالْعَيْنُ
الْمُتَوَسِّطَةُ فِي مَجْمَعِهَا دَلِيلُ فُطْنَةٍ وَحَسَنِ خُلُقٍ وَمَرْوَعَةٍ ، وَالتَّائِنَةُ عَلَى اخْتِلَاطِ عَقْلِ ،
وَالطَّائِرَةُ عَلَى حِدَّةٍ ، وَالَّتِي يَطُولُ تَحْدِيقُهَا عَلَى خُفَّةٍ وَحَقِّقٍ ، وَالَّتِي تَكْتُمُ طَرَفُهَا عَلَى خُفَّةٍ
وَطَيْشٍ ؛ وَالشَّعْرُ عَلَى الْأُذُنِ يَدُلُّ عَلَى جُودَةِ السَّمْعِ ؛ وَالْأُذُنُ الْكَبِيرَةُ الْمُتَصَبِّبَةُ تَدُلُّ
عَلَى حَقِّ وَهْدْيَانٍ .

وَحَكِيَ أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ وَجَّهَ السَّائِبَ بْنَ الْأَفْرَعِ فِي خِلَافَةٍ عَمْرٍاءَ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى مَهْرَجٍ تَقَدَّقَ فَفَتَحَهَا وَدَخَلَ دَارَ الْمُزْمَنْ بَعْدَ أَنْ جَمَعَ السَّيِّ
وَالنَّائِمَ ، وَرَأَى فِي بَعْضِ مَجَالِسِ الدَّارِ تَصَاوِيرَ فِيهَا مِثْلَ ظُلْمٍ وَهُوَ مِثْرٌ بِأَحَدِي يَدَيْهِ
إِلَى الْأَرْضِ ، فَقَالَ السَّائِبُ : لَأَمْرٍ مَا صُوِّرَ هَذَا الظُّلْمُ هَكَذَا ، إِنْ لَهُ لَشَأْنًا ، فَأَمَرَ
بِخَفْرِ الْمَوْضِعِ الَّذِي الْإِثَارَةُ إِلَيْهِ فَانْضَى إِلَى مَوْضِعٍ فِيهِ حَوْضٌ مِنْ رِخَامٍ ، فِيهِ سَفَطٌ
جَوْهَرٍ فَأَخَذَهُ السَّائِبُ وَخَرَجَ بِهِ إِلَى عَمْرِاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقِيلَ : كَانَ الْمُتَعَصِّدُ يَوْمًا جَالِسًا فِي بَيْتٍ يُبْنَى لَهُ وَهُوَ يَشَاهِدُ الصُّنَّاعَ فَرَأَى فِي جِهَاتِهِمْ
عَبْدًا أَسْوَدَ مِنْكَ الْخَلْقِ ، شَدِيدَ الْمَرَحِّ ، يَصْعَدُ عَلَى السَّلَالِمِ مِرْقَاتَيْنِ مِرْقَاتَيْنِ وَيَحْمِلُ
ضِعْفَ مَا يَحْمِلُ غَيْرُهُ ، فَأَنْكَرَ أَمْرَهُ ، وَأَحْضَرَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ ، فَطَلَعَ فَقَالَ
لَوْزِرُهُ : قَدْ تَعَمَّقْتُ فِي هَذَا نَحْيَةً مَا أَحْسَبُهُ بِاطِّلَا ، إِنَّمَا أَنْ يَكُونَ مَعَهُ دَنَائِرُ قَدِ
ظَفَرِهَا مِنْ غَيْرِ وَجْهِهَا ، أَوْ لَيْسَ يَتَسَوَّرُ بِالْعَمَلِ ، ثُمَّ قَالَ : عَلَى الْأَسْوَدِ فَأَحْضَرَهُ
وَضَرَبَهُ ، وَحَلَفَ إِنْ لَمْ يَصْدَقْهُ لِيَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ ، فَقَالَ الْأَسْوَدُ : وَلِي الْإِيمَانُ يَا أَمِيرَ
لِلْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : ثُمَّ ! إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَدٍّ ، فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَتَمَّهُ ، فَقَالَ : كُنْتُ
أَعْمَلُ فِي أَتُونِ الْأَجْرِ ، مِنْذُ سَنِينَ فَأَنَا مِنْذُ شُهُورٍ جَالِسٌ إِذْ مَرَّتْ بِي رَجُلٌ فِي وَسْطِهِ

(١) الطَّلَزَةُ : السَّفَرِيَّةُ . (٢) كَوْرَةُ ذَاتِ مَدَنٍ وَفَرَى عَزِيزٍ الْقَاعِدِ مِنْ طَلْوَانِ الْعِرَاقِ إِلَى مِزْدَانَ .

كيس فتبعته وهو لا يعرف مكانه، فحلَّ الهميان وأخرج منه دينارا فتألمته فأذا كله دنائير، فكشفت وسددت فاه وأخذت الهميان وحملت على كتفي وطرحته في التور وطينت عليه، فلما كان بعد أيام أخرجت عظامه وطرحتها في دجلة، والدنائير معي تقوى قلبي، قال : فأرسل المعتضد من أحضر الدنائير، وإذا على الكيس : لفلان بن فلان، فنادى في المدينة، فحضرت أمراؤه وقالت : هذا زوجي وقد ترك طفلا صغيرا، خرج في وقت كذا ومعه كيس فيه الف دينار، فغاب إلى الآن، فسلم الدنائير إليها وأمرها أن تعتد، وضرب عنق الأسود وأمر أن يوضع في الآتون.

وقيل : جلس المنصور في إحدى قباب المدينة فرأى رجلا ملهوا فامهموما يحول في الطرقات، فأرسل من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنه خرج في تجارة فأفاد مالا ورجع إلى منزله به، فدفعه إلى أمراؤه، فذكرت المرأة أن المال سرق ولم يرتقبا ولا تسلفا، فقال له المنصور : منذ كم تزوجتها ؟ قال : منذ سنة، قال : فبكرا أو ثيبا؟ قال : ثيبا، قال : فلها ولد من سواك؟ قال : لا، قال : شابة أم مسنة؟ قال : شابة، فدعا المنصور بقارورة طيب، وقال : تطيب بهذا، فهو يذهب هك، فأخذها وأقلب إلى أهله، ثم قال المنصور لأربعة من قناته : أقصدوا على أبواب المدينة، فمن مر بكم وعليه شيء من هذا الطيب فاتوني به، وأشمهم من ذلك الطيب، ١٥ ومضى الرجل بالطيب، فدفعه إلى أمراؤه وقال : وهبه لي أمير المؤمنين، فلما شتمه بعث به إلى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت إليه المال فطيب به، ومر بجنازة ببعض الأبواب، فأخذ وأتى به إلى المنصور، فقال له : من أين آستفدت هذا الطيب؟ فلجلج لسانه، فسأله إلى صاحب شرطته وقال : إن أحضر الدنائير وإلا فأضربه ألف سوط، فها هو إلا أن جرد وهدد، فأحضر الدنائير على حالتها فأعلم ٢٠ المنصور بذلك، فدعا صاحب الدنائير وقال : أرايتك إن رددت عليك متاعك بعينه أمحكني في أمر أتك؟ قال : نعم ! قال : خذ دنائيرك وقد طلقت أمراك وخبره الخبر.

ودخل شريك بن عبد الله القاضي على المهدي فأراد أن يخبره فقال للخادم: ائت القاضي بعود، فذهب بجاء بالعود الذي يلهم به، فوضع في حجر شريك، فقال شريك: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: عود أخذه صاحب السمس البارحة فأحيينا أن يكون كسره على يد القاضي، فقال شريك: جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين، ثم ضرب به الأرض فكسره ثم أفاضوا في حديث آخر حتى نسي الأمر، ثم قال المهدي لشريك: ما تقول فيمن أمر ويكلاه أن يأتي بشيء بجاء غيره فتلف ذلك الشيء؟ فقال: يضمن يا أمير المؤمنين، فقال الخادم: أضمن ما تلف.

الباب الرابع

من القسم الثاني من القرن الثاني

في الكايات والتعريض

والكايات لها مواضع، فأحسنها المدول عن الكلام الفصح إلى ما يدل على معناه في لفظ أبهى منه. ومن ذلك أن يعظم الرجل فلا يدعى باسمه ويكنى بكنيته، أو يكنى باسم أبنة صيانة لاسمه، وقد ورد في ذلك كثير من آي القرآن فمنها قوله تعالى (قُولُوا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا) أي كنيته. وقد كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بابي تراب؛ وقال البعري:

يتشاعن بالفرير المسمى * من تصاب دون الجليل المكنى^(١)

(١) كذا في ديوان البعري طبع الأستاذ سنة ١٣٠٠ هـ (ص ٢٣١ ج ١) وفي الأصول:

يتشاعن بالصغر المسمى * موشحات والكبير المكنى

وهذا يدل على أن المرلد بالكنية التبجيل؛ وقول ابن الرومي :

بكت شجوها الدنيا فلما تينت^(١) * مكانك منها آستشرت وتنت
وكان ضيلا شخصها فتناولت * وكانت تسمى ذلة فتكنت

وقال أبو محضر الهذلي :

أبى القلب إلا حبه عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمرو

ومن عادة العرب وشأنهم؛ استعمال الكنايات في الأشياء التي يستجيا من ذكرها، قصدا للتعفف باللسان، كما يتعفف بسائر الجوارح، قال الله عز وجل تأديبا لعباده: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ ﴿فقرن عفة البصر بعفة الفرج؛ وفي القرآن كنايات عُدل بها عن التصريح تنزيها عن اللفظ المستهجن،

كقوله تعالى: ﴿نِسَاءُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتَكُمْ أُنَى شَتْمٍ﴾ وقال أبو عبيد : هو كناية، شبه النساء بالحَرِّ، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اجْلُودِيهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾، قيل: هو كناية عن الفروج، وفي موضع آخر: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَا كَلَّاَنِ الطَّعَامَ﴾ قال المفسرون : هذا تنبيه بأكل الطعام على عاقبة

ما يصير إليه؛ وهو الحَدَث، لأن من أكل الطعام فلا بد أن يحدث . ثم قال : ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنْ لَهُمْ الْآيَاتِ﴾ وهذا من أطف الكناية، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسَتُ الْمَرْءَ﴾ فالغائط : المطمئن من الأرض، وكانوا يأتونه لحاجتهم ويستترون به عن الأماكن المرتفعة . ومن لم ير الوضوء من لمس النساء جعل الملاسة هائنا كناية عن الفعل .

(١) هذان البيتان لم يردا في ديوانه المطبوع في الأستانة والأجزاء المطبوعة منه في مصر ولا في النسخة الخلية المحفوظة بدار الكتب المصرية .

ومن الكنايات في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو وإن كان قد ورد في الأثر
أشبه بالكناية — منها قوله صلى الله عليه وسلم: "إياكم وخضراء الدمن" يريد بها المرأة
الحسنة في المنبت السوء، وتفسير ذلك: أن الريح تجمع الدمن؛ وهو البحر في البقعة
من الأرض فاذا أصابه المطر نبت نباتا غضا يهر وتحت الدمن الخبيث، يقول:
فلا تسكحوا هذه المرأة الحسنة لجمالها، ومنبتها خبيث كالذمن؛ فإن أعراق السوء
تترع أولادها. وقال زفر بن الحارث:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ٥ وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقوله صلى الله عليه وسلم: "سحى الوطيس" قاله لما جال المسلمون يوم حنين،
والوطيس: حفرة تخفر في الأرض شبيهة بالتور. وقال الحسن: لبث أيوب عليه
السلام على المذيلة سبع سنين، وما على الأرض يومئذ خلق أكرم على الله منه، فما سأل
الله العافية إلا تعريضا في قوله: (إِنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) والعرب
تكنى عن العفلة المستفدرة بالألفاظ كلها كنايات؛ منها: الرجيع والتجو والبراز والغائط
والعذرة والحش، فبعض هذه الألفاظ يراد بها نفس الحديث، وبعضها يراد بها
المواضع التي يأتي إليها الحديث؛ وكذلك استعملوا في إتيان النساء: المجامعة، والمواقعة،
والمباضعة، والمباشرة، والملازمة، والمماس، والخلوة، والإفضاء، والغشيان،
والتفتي، وكل هذه الألفاظ مذكورة في القرآن.

وحكى: أن رجلا من بني العبر كان أسيرا في بكرين وائل، وعزموا على غزوه
قومه، فسألهم رسولا إلى قومه، فقالوا: لا ترسل إلا بمحضرتنا لئلا تذرهم، ووجه
بعبد أسود، فقال له: أتعقل؟ قال: نعم إني لعاقل، قال: ما أراك عاقلا! ثم
أشار يده إلى الليل، فقال: ما هذا؟ قال: الليل! قال: أراك عاقلا. ثم ملا
كفيه من الرمل فقال: كم هذا؟ قال: لا أدري وإنه لكثير، قال: أيما أكثر،

- النجوم أم النيران؟ قال : كلٌ كثير، فقال : أبلغ قومي التحية، وقل لهم : ليُكرموا فلانا -
يعني أسيرا كان في أيديهم من بكر - فإن قومه لي مكرمون وقل لهم : إن العرَّج قد
أدَّبني، وشكَّت النساء، وأمرهم أن يُعروا ناقي الحمراء، فقد أطلوا ركوبها، وأن
يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معكم حنيساً، وأسألوا عن خبري أخى الحارث؛
فلما أذى العبد الرسالة إليهم قالوا : قد جُنُّ الأعورُ، والله ما نعرف له ناقة حمراء،
ولا جملاً أصهباً، ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة، فقال :
قد أنذركم؛ أنا قوله : قد أدَّبني العرَّج؛ فإنه يريد : أن الرجال قد استلأموا ولبسوا
السلاح، وقوله : وشكَّت النساء، أى اتخذن الشكَّاء للسفر، وقوله : الناقة الحمراء،
أى أرَّحلوا عن الدعاة، وأركبوا الصَّيَّان وهو الجمل الأصهب، وقوله : بآية ما أكلت
معكم حنيساً، أى أخلاطاً من الناس قد غَرَّوكم؛ لأن الحنيس يجمع التمر والسمن والأقسط؛
فأمثلوا ما قال، وعرفوا الحن كلامه .

- وحكى أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى مجاهد بن سعيد عن عبد الملك بن
عُمير قال : قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة، فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من
وجوه أهل الكوفة، فسمروا عنده . ثم قال : ليحدثني كل رجل منكم أحديثه .
وأبدأ أنت يا أبا عمرو، فقلت : أصلح الله الأمير، أحدث الحق أم حديث^(١)
الباطل؟ قال : بل حديث الحق، قلت : إن أمراً القيس إلى ألبه
ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين، بفعل يخطب النساء فإذا
سألن عن هذا، قلن أربعة عشر، فينأ هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل
أبنة له صغيرة، كأنها البدر لثمته، فأعجبته فسألها : يا جارية ! ما ثمانية وأربعة واثنان؟
فألت : أما ثمانية فأطباء الكلبة، وأما أربعة فأخلاف الباقية، وأما آثان

(١) في الأمانى : « يا أبا عمر » .

فتديا المرأة؛ فغطبها الى أبيها ، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن
ثلاث خصال ، بفعل لها ذلك ، على أن يسوق إليها مائة من الإبل ،
وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس ؛ ففعل ذلك ، ثم إنه بعث عبدا له
الى المرأة ، وأهدى لها نِجْيًا من سمن ، ونِجْيًا من عسل ، وحلّة من قصب ، فنزل العبد
على بعض المياه ، فنشر الحلّة فلبسها فتملقت بِسَمْرَةٍ فانشقت ، وفتح النّحّين فاطعم أهل
الماء منهما فقصا ، ثم قدم على حى المرأة وهم خلوف فسالها عن أبيها وأما وأخيها ،
ودفع إليها هديتها ، فقالت له : أعلم مولاك أن أبى ذهب يقرب بيديا ، ويبعد قريبا ،
وأن أمى ذهبت تشق النفس نفسين ، وأن اخى ذهب يراعى الشمس ، وأن سماءكم
أنشقت ، وأن وعاءكم نضبا ، فقدم الغلام على مولاه ناخبره ، فقال : أما قولها : أن
أبى ذهب يقرب بيديا ويبعد قريبا : فإن أباهما ذهب يحالف قوما على قومه ، وأما
قولها : ذهبت أمى تشق النفس نفسين : فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نفسها ؛ وأما
قولها : ذهب أخى يراعى الشمس : فإن أخاها فى سرج له يرعاه ، فهو ينتظر وجوب
الشمس ليروح به ، وقولها : أن سماءكم أنشقت : فإن البرد الذى بعث به انشق ،
وأما قولها : أن وعاءكم نضبا : فإن النّحّين قصا ، فأصدقنى ، فقال : يا مولاي !
إنى نزلت بماء من مياه العرب ، فسألونى عن نسبي ، فأخبرتهم أنى أبى عمك ، ونشرت
الحلّة فلبستها وتجلّت بها ، فتملقت بِسَمْرَةٍ فانشقت ، وفتح النّحّين فاطعمت منهما
أهل الماء . فقال : أوّلى لك ؛ ثم ساق مائة من الإبل ، وخرج ومعه الغلام ليسقى
الإبل ، فعجز ، فأعانه امرؤ القيس فرمى به الغلام فى البئر ، وخرج حتى أتى المرأة
بالإبل فأخبرهم أنه زوجها ، فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى
أزوجى هو أم لا ؟ ولكن آنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ؛
فاكل ما أطعموه ، قالت : أسقوه لبنا حازرا (وموالص) فسقوه فشرب ،

٥

١٠

١٥

٢٠

- فَقَالَتْ : أَفْرَشُوا لَهُ عِنْدَ الْقَرْثِ وَالْهَم ، فَفْرَشُوا لَهُ ؛ فَنَامَ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ : أَرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ثَلَاثٍ ، قَالَ : سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ ، فَقَالَتْ : لَمْ تَخْتَلِجْ شَفْتَكَ ؟ قَالَ : مَنْ تَهْمِيلُ إِيَّاكَ ! قَالَتْ : لَمْ تَخْتَلِجْ نَفْثَكَ ؟ قَالَ : لِنُورِكَ إِيَّاكَ ! قَالَتْ : فَلَمْ يَخْتَلِجْ كَشْحَكَ ؟ قَالَ : لِأَكْزَامِي إِيَّاكَ ! قَالَتْ : عَلَيْكَ الْعَبْدُ ! فَشَدُّوا أَيْدِيَكُمْ بِهِ ؛ فَفَعَلُوا . قَالَ : وَمَرَّ قَوْمٌ فَاسْتَخْرِجُوا أَمْرًا الْقَيْسَ مِنَ الْبُئْرِ ، فَرَجَعَ إِلَى حَيَّةٍ وَأَسْتَأْذَنَ مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ وَأَقْبَلَ إِلَى أَمْرَأَتِهِ . فَقِيلَ لَهَا : قَدْ جَاءَ زَوْجُكَ ! فَقَالَتْ : وَاقِدْ مَا أَدْرِي أَزَوْجِي هُوَ أَمْ لَا ؟ وَلَكِنْ أَنْعَمُوا لَهُ بِحُزُورٍ وَأَطْعَمُوهُ مِنْ كَرَشِهَا وَذَنْبِهَا ، فَفَعَلُوا ؛ فَلَمَّا أَتَوْهُ بِذَلِكَ ، قَالَ : وَأَيْنَ الْكَبِدُ وَالسَّيِّئُ وَالْمُلْعَاءُ ؟ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ ، فَقَالَتْ : أَسْقُوهُ لَبَنًا حَازِرًا ، فَأَتَى بِهِ ، فَأَبَى أَنْ يَشْرِبَهُ وَقَالَ : أَيْنَ الصَّرِيفُ ^(٢) وَالرَّيْثَةُ ^(٣) ؟
- فَقَالَتْ : أَفْرَشُوا لَهُ عِنْدَ الْقَرْثِ وَالْهَم ، فَفْرَشُوا لَهُ ؛ فَأَبَى أَنْ يَنَامَ وَقَالَ : أَفْرَشُوا لِي فَوْقَ الثَّلَاثَةِ الْحُمْرَاءِ وَأَضْرِبُوا عَلَيْهَا خِيَاءً ، ثُمَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ : هَلَمْ شَرِبْطِي عَلَيْكَ فِي الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : سَلْنِي عَمَّا شِئْتُ ، فَقَالَتْ : لَمْ تَخْتَلِجْ شَفْتَكَ ؟ قَالَ : لَشَرْبِ الْمَشْعِشَاتِ ؛ قَالَتْ : فَلَمْ يَخْتَلِجْ كَشْحَكَ ؟ قَالَ : لِلْبَيْسِ الْخَبْرَاتِ ؛ قَالَتْ : فَلَمْ يَخْتَلِجْ نَفْثَكَ ؟ قَالَ : لِرُكُضِ الْمُطَهَّمَاتِ ؛ قَالَتْ : هَذَا زَوْجِي لِعَمْرِي ! فَعَلِيكُمْ بِهِ ، وَأَقْتُلُوا الْعَبْدَ فَفَتَلُوهُ ، وَدَخَلَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ بِالْجَارِيَةِ ؛ قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ : حَسْبُكُمْ ! فَلَاحِظٌ فِي الْحَدِيثِ فِي سَائِرِ اللَّيْلَةِ بَعْدَ حَدِيثِكَ يَا أَبَا عَمْرٍو وَلَنْ يَأْتِيَنَا أَحَدٌ بِأَعْجَبَ مِنْهُ ، فَقَعْنَا فَاَنْصَرَفْنَا وَأَمْرٌ لِي بِجَائِزَةٍ .

وقيل : بعث بَشَامَةُ بْنُ الْأَعْوَرِ الْعَبْرِيُّ إِلَى أَهْلِهِ ثَلَاثِينَ شاةً وَنَحْيِي صَغِيرَ فِيهِ

سَمْنٌ ، فَسَرَقَ الرُّسُولُ شاةً ، وَأَخَذَ مِنْ رَأْسِ النَّحْيِ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُمُ الرُّسُولُ : أَلَكُم

(١١)

(١) الملعاء : لم في الصلب من الكاهل إلى العجز من الجعر .

(٢) الصريف : اللبن ساعة الحلب .

(٣) الرَيْثَةُ : اللبن الحامض يخلط بالحلو ليحتر .

حاجة أخبره بها؟ فقالت أمراءه : أخبره أن الشهر حاق، وأن جدينا الذي كان يطالهما وجدناه مرثوما، فارتفع منه الشاة والسمن .

وقيل : أسرت طيًّا غلاما، فقدم أبوه ليفديه، فاشتطوا عليه . فقال أبوه : لا والذي جعل الفرقدن يُسيان ويصبحان على جبل طيٍّ ! ما عندي غير ما بذلته، ثم أنصرف وقال : لقد أعطيتك كلاما إن كان فيه خير فهمه كأنه قال : ائزم الفرقدن على جبل طيٍّ، ففهم الابن تعريضه وطرده إبلا لهم من ليلته ونجا .

ومن التخلّص المتوصل إليه بالكناية ما روى عن عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي، أنه قال يوما في حق الوليد بن عقبة بن أبي معيط : ألا تعجبون لهذا؟ أشعر بركا يولّى مثل هذا المصر، والله ما يحسن أن يقضى في تمرتين . فبلغ ذلك الوليد فقال على المبر : أنشد الله رجلا سمانا أشعر بركا لآ قام ، فقام عدي بن حاتم فقال : أيها الأمير، إن الذي يقوم فيقول : أنا سميتك أشعر بركا لجرى^١، فقال له : اجلس يا أبا طريف ! فقد برك الله منها، بخلص وهو يقول : ما برأى الله منها .

وقيل : كان شريح عند زياد بن أبيه وهو مريض، فلما خرج من عنده أرسل إليه مسروق رسولا وقال : كيف تركت الأمير؟ فقال : تركته يأمر وينهى، قال مسروق : إنه صاحب تعريض^(٢)، فارجع إليه وأسأله ما يأمر وينهى، قال : يأمر بالوصية وينهى عن النوح .

خطب رجل إلى قوم فجاءوا إلى الشعبي يسألونه عنه، وكان به عارفا، فقال : هو والله ما علمت نافذ الطمعة، ركين الجلسة، فزوجه، فاذا هو خياط فاتوه فقالوا : غررتنا فقال : ما فعلت وإنه لكما وصفت .

(١) أشعر بركا، لأنه كان أشعر الصدر .

(٢) كذا في العقد العريد . وفي الأصول : «عرس» ولها : «عريس» .

وخطب باقلاني الى قوم وذكر أن الشعبي يعرفه فسأله عنه فقال : إنه لعظيم الرماد، كثير الغاشية .

قيل : أخذ العسس رجلين فقال لهما : من أنتم ؟ فقال أحدهما :
أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره * وإن نزلت يوما فسوف تعود
تري الناس أفواجا إلى ضوء ناره . ففهم قيام حولها وقعود
وقال الآخر :

أنا ابن من تخضع الرقاب له * ما بين مغزومها وهاشمها
تأتيه بالنل وهي صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها
فظنوها من أولاد الأكابر ، فلما أصبح سأل عنهما ؛ فاذا الأول ابن طبّاخ
والثاني ابن حجام .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف : أيّ الطعام أحب إليك ؟
قال : الزُّبْدُ والكُمَاة . فقال : ما هما بأحبّ الطعام إليه ، ولكنه يحبّ الخصب
للسمين .

وقال لقمان لابنه : كُلْ أطيب الطعام ، ونَمْ على أوطأ الفرش . كُنْ عن إسْكَار
الصيام وإطالة القيام .

ومن جيد التورية وغريبها مع تونّي الصدق في موطن الخوف : قول أبي بكر
الصدّيق رضي الله عنه ، وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رديفه عام
الهجرة ، فقيل له : من هذا يا أبا بكر ؟ فقال : رجل يهديني السبيل .

ورُفِعَ الى عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة وصية لرجل بمال أمر أن يُتَّخَذَ به
حصون . فقال : اشتروا به خيلا للسبيل ، أما سمعتم قول النخعي .

ولقد علمت على تجبّي الردى . أن الحصون الخيل لا مدر القرى

قيل كان البراء بن قبيصة صاحب شراب؛ فدخل على الوليد بن عبد الملك،
وبوجه أثر، فقال: ما هذا؟ قال فرس لي أشقر، ركبته فكبأ بي، فقال: لوركت
الأشهبَ لَمَّا كبأ بك؛ يريد الماء.

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن الزبير: ما ثابت من الأسماء! ليس باسم
رجل ولا امرأة. قال: يا أمير المؤمنين لا ذنب لي لو كان اسمي إلى لسميتُ
نفسى زينب، يُعرضُ به؛ فانه كان يشق زينب بنت عبد الرحمن بن هشام فخطبها؛
فقال: لا أوتخ نفسى يابى اللبان^(١).

قال نُمَيْرٍ لفقعسى: إني أريد إتيانك فأجد على بابك خرما، فقال له الفقعسى:
اطرح عليه ترابا وادخل؛ أراد النُمَيْرى قول الشاعر:

ينام الفقعسى وما يُصلى * ويخرا فوق قارعة الطريق

وأراد الفقعسى قول الآخر:

ولو وطئت نساء بنى نمير * على ترابٍ تخبئ الترابا

قال عبد الله بن الزبير لأمرأة عبد الله بن حازم السلمي: أخرجى المال الذى
وضعت تحت آيتك، قالت: ما ظننت أن أحدا يلى شيئا من أمور المسلمين
يتكلم بهذا! فقال بعض من حضر: أما ترون الخلع الخفى الذى أشارت إليه؟ فلما
أخذ المجتاج أم عبد الرحمن بن الأشعث تجنب ما عيب على ابن الزبير فكفى عن
المعنى فقال لها: عمدت إلى مال الله فوضعت تحت ذيلك.

ماتت للهذلى أم ولد فامر المنصور الربيع بأن يعزیه ويقول له: إن أمير
المؤمنين يوجه إليك بخارية نفيسة لها أدب وظرفٌ تُسليك عنها، وأمر لك بفرس

(١) كنية كان يكنى بها عبد الملك بن مروان لخره.

وكسوة وصلة؛ فلم يزل الهذلي يتوقعها ونسيها المنصور، ثم حج ومعه الهذلي فقال له وهو بالمدينة : أحب أن أطوف الليلة في المدينة ، وأطلب من يطوف بي ، فقال : أنا لها يا أمير المؤمنين ؛ فطاف به حتى وصل الى بيت عاتكة فقال : يا أمير المؤمنين ! وهذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص :

• يا بيتَ عاتكةَ الذي أنعزلُ •

فأنكر المنصور ذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه ؛ فلما رجع أمر القصيدة على خاطره فاذا فيها :

وأراك تفعل ما تقولُ وبعضهم • منقُ الحديث يقول مالا يفعلُ

فتذكر الموعدَ وأنجزه واعتذر إليه •

١٠ اجتمع الشعراء بياب أمير من أمراء العرب ، فترجل بياز فقال رجل من بني تميم لآخر من بني نمير : هذا البازي ! فقال النميري : إنه يصيد القطا ؛ عرض الأول بقول جرير :

أنا البازي المطل على نمير • أتيح من السماء لها انصبابا

وأراد الآخر قول الطرماح :

١٥ تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا • ولو سلكت طرق المكارم ضلّت

قال عمر بن هبيرة الفزاري لأيوب بن طليان النميري وهو يسايره : غص من بفلتك ! فقال : إنها مكتوبة ، أراد ابن هبيرة قول جرير :

نفص الطرف إنك من نمير • فلا كعبا بلفت ولا كلابا

وأراد النميري قول ابن دارة :

٢٠ لانا نحن فزارياً حلوت به • على قلوبك واكتبها بأسبار

وقيل : كان العزيز بن المعز العيدي أحد الخلفاء بمصر يلعب بالحمام ، فتسابق هو وخدام له فسبق طائر الخادم طائر الخليفة ، فبعث الى وزيره ابن كلس اليهودي يستعلمه عن ذلك فاستجبا أن يقول : إن طائر الخليفة سبق ، فكتب إليه :

يا ابن الذي طاعته عصمة * وحبه مقترض واجب
طائرک السابق لکته * جاء وفي خدمته حاجب

جاءت امرأة الى عمر رضى الله عنه فقالت : أشكو اليك زوجي ، خير أهل الأرض إلا رجلا سبقه لعمل ، أو عمل مثل عمله ، يقوم الليل حتى يصبح ، ويصوم النهار حتى يمسي ، ثم أخذها الحياء فقالت : أقنني يا أمير المؤمنين ، فقال : جزاك الله خيرا ! فقد أحسنت الثناء ، فلما ولت قال كعب بن سور^(١) : يا أمير المؤمنين لقد أبلغت اليك في الشكوى ، فإنها كنت بذلك عن عدم المباذعة .

الباب الخامس

من القسم الثاني من الفن الثاني

في الألفاظ والأحاجي

قالوا : وأشتقاق الألف من الفز البريوع ولنز ، إذا حفر لنفسه مستقيا ، ثم أخذ يمتة ويسرة ليورى بذلك ويعتى على طالبه . وللفز أسماء ، منها : المعاينة ، والعويص ، والرمز ، والمهاجرة ، وأبيات المعاني ، والملاحن ، والمرموس ، والتأويل ، والكتابة ، والتعريض ، والإشارة ، والتوجيه ، والمعنى ، والممثل ، ومعنى الجميع واحد ،

(١) كنا في أحد الأملين المتوغرافين والقاموس والمشتبه في أسماء الرجال الذي . وفي باقي

الأصول : «شود» بالسين وهو تحريف :

- وأختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته، فانك إذا اعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يهابك، أى يُظهر إعياءك وهو التعب، سَمِيَتْه : معاياة؛ وإذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه وأعتياص استخراجه، سَمِيَتْه عَوِيصًا ؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه قد عمل على وجوه وأبواب، سَمِيَتْه : لُغْزًا وفعلك له : إلغازًا؛ وإذا اعتبرته من حيث إن واضعه لم يفصح عنه قلت : رمز، وقريب منه الإشارة؛ وإذا اعتبرته من حيث إن غيرك حاجاك أى استخرج مقدار عقلك، سَمِيَتْه : حاجة؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه استخرج كثرة معانيه سَمِيَتْه : أبيات المعاني؛ وإذا اعتبرته من حيث إن قائله قد يوهك شيئًا ويريد غيره، سَمِيَتْه : لحنا وسميت فعلك : الملاحن؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه ستر عنك ورؤس فهو : المرموس، والرسم : القبر؛ وإذا اعتبرته من أن معناه يؤول إليك، سَمِيَتْه : مؤولًا، وسميت فعلك : ١٠. تاويلًا؛ وإذا اعتبرته من حيث إن صاحبه لم يصرح بفرضه، سَمِيَتْه : تعريضًا وكتابة؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه ذو وجوه، سَمِيَتْه : الموجّه، وسميت فعلك : التوجيه؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه مغطى عليك، سَمِيَتْه : مُعْمًى .

قال الحكم ^(١) أمين الدولة المعروف بابن التليذ في الميزان :

١٠. « واحد مختلف الأسماء * يبدل في الأرض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء * أعمى يرى الرشاد كل رائي
أنرس لا من علة وداء * يُبنى عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو أمترء * بالرفع والخفض عن النداء
* يُفصح إن علّق في الهواء * »



(١) في أحد الأصول : « أمير » . وهو تحريف . واسمه : « أبو الحسن بن ساعدة ابنه الطيب » راجع الإعجاز في فنون الألفاظ الطبرى .

قوله : مختلف الأسماء يعني ميزان الشمس والأصطرلاب، وسائر آلات الرصد؛ وهو معنى قوله : يحكم في السماء.. وميزان الكلام النحو . وميزان الشعر: العروض . وميزان المعاني : المنطق . وهذه الميزان^(١)، والفراع والمكيل .
وقال آخر فيه :

• ما تقولون ؟ : فيما نزل من السماء، وعلّق في الهواء، له عين عبياء، وكفّ شلاء،
ليس له إن عدل ثواب، ولا عليه إن جار عقاب، خلّق من ثلاثة أجناس، تضعضه
الأنفاس، جسمه عارٍ من غير لباس، أنرس اللسان، في أذنه حُرّصان، مكرّ الذكر
في القرآن، ينطوى إذا نام كالصلّ، وفعله المستقبل معتلّ، وله في الآخرة أكبر محلّ .
وقال أبو نصر الكاتب في الخاتم :

• ومتكوج إذا ملكته كفّ * وليس يكون في هذا مرأه
له عينٌ تخلّها ضياءٌ * فإن تحلّت فبالميل العاء^(٢)
يظلّ طالبةً للوصل هونا * ولجاني بزورته آحتاء
وقد أوصغته وأبنت عنه * ففسره فقد برح الخفاء
أراد بقوله : تخلّها ضياءٌ أي أنها مفتوحة، وكلّها بالإصبع، وقد بيعت المحبوب بخاتمه
• علامة للزيارة أو رهنًا عليها، وهو أمانٌ لجاني .

وقال ابن الرومي في فتيلة السراج :
ما حيّة في رأسها دُرّة * تسبح في بحر قليل المدى
إن غيّبت كان العمى حاضرا * وإن بدت لاح طريق الهدى

(١) كذا في الأصول، وهو غير ظاهر المعنى .

(٢) كذا في أحد الأصول وفي كتاب الإعجاز في فنون الألفاظ - وفي باقي الأصول : « طليل » .

وقال السري الرفاء في شبكة العبياد :

وكثيرة الأحداق إلا أنها * عجماء ما لم تنغمس في ماء
واذا هي اغتمست أفادت ربها * ما لا ينال بأعين البصراء
وقال آخر في النوم :

وحاملي يحملني * وماله شخص يرى
إذا حصلت فوقه * وهو لنيل المحتلى
سريت لا أدري أفي * أرض سريت أم سما

وقال أبو العلاء المعري في ركابي السرج :

خليان نيطأ في جوانب مجلس * جداراه قدأما له ووراء
متى يضع الرجلين ماش عليهما * يزل عنه في وشك حفا وحفا

قوله : خليان لتشابههما، والمجلس : السرج، وجداراه : قربوسه ورادفته،

والحفا مقصور : وجع الرجل، وممدود : من مشى الرجل حافيا بغير نعل .

وقال أبو القاسم عبد الصمد بن بابك في القفل ^(١) :

مجامع يعقد عقد الكلبة * إن رامه غيرك جز نكبة
ينام كالأمرد لا كالفحبة * حتى إذا شك القمد جنبه
وطاح الجذبة بعد الجذبة * وأتمحل بالحقنة لا بالشرية
ألقى جنينا تتجته العزبة * ثم إذا عاد إليه أشبه
بعض حروف المعجم المنكبة * يفيض وهو صادق المحبة
يمتقد السلم وينوى حربة * وهو على ذاك طويل الصبة

(١) كذا في أحد الأصول ونكاح الإغمار في موزن الألفاظ ونية الدهر ووفيات الأعيان

لابن حلكان . وفي باقي الأصول : « مائل » وهو تحريف .

شَبَّهَ بالمجامع : لدخول القَرَّاش في بطنه ، وقوله : يعقد عقد الكلبة : في سُرِّ المفارقة ، وإن فتحه غيرك جن نكبة عليك لسرقة ما [أفقلت عليه] ، ينام كالأمرد لأنكابه . والقُمْدُ : الذكر وهو المفتاح ، والجنين : القَرَّاش ، وإذا عاد إليه أشبه حرف الكاف . وقال في اسم سعيد :

يسم عن أول اسمه جَيَّ * ثم بثاني حروفه يسي
ثم بحرفين لو بدا بهما * أسدى يدا صورة اسمها ثني
أربعة نصفها بكملتها * في العد لم تنقص ولم تُزَي
هذا وفيه اسم يوم آتفت * مفاخر العُجم فيه والعُرب
فأعمل الفكر في تأمله * واركب به كل مَرَكَبٍ صعب

شَبَّهَ السين بالثغر ، وثانيه العين وهى تسي القلوب ، والحرفان ، يد وهو أربعة
في العدد وستة في الصورة ، وإذا أخذت السين والعين فهى أربعة وهى جملة
العدد ، وفيه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة والملبوس .

وقال ابن أبي البَقل^(٢) الكاتب في القلم :

أصم عن المنادى لا يجيب * به تحبو وتشمل الخطوب
ضئيل الجسم أعلم ليس تخفى * عليه غيوب ما تخفى القلوب
تراه راجلاً لا رُوحَ فيه * ويحييه ويُطلقه الزكوب
يرين لسانه ما كان سوداً * مفارقة ويحرسه المشيب^(٣)

(١) التصحيح عن كتاب الإعجاز في فنون الألفاظ - وفي الأصل : « ما فيه » .

(٢) هو أحمد بن محمد بن يحيى ، كان أميراً على فارس لعنى اليباس سنة ٣٠٠ هـ ؛ شاعر مشهور .

(٣) أنظر صلة تاريخ الطرى لعريب بن سعد القرطبي ص ٤٠ طبع ليدن) .

(٣) كذا في كتاب الإعجاز - وفي الأصل : « ما كن سودا * مباره » وهو تحريف .

يَقْسَمُ فِي الْوَرَى بِؤْسَى وَنَعْمَى * وَيَحْكُمُ وَالْقَضَاءُ لَهُ مَجِيبُ
عَجِبَتْ لِسَطْوَةِ فِيهِ وَضَعْفُ * وَكَلَّ أُمُورَهُ عَجَبٌ عَجِيبُ
أَرَادَ بِقَوْلِهِ «أَعْلَمُ» مَشْقُوقُ الشَّقَّةِ .

وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ فِي الْمَلْعُحِ :

وَبِضَاءٍ مِنْ سَرِّ الْمَلَّاحِ مَلَكْتُهَا * فَلَمَّا قَضَيْتُ إِرْبِي حَبِوتُهَا مَعِي
فَبَاتُوا بِهَا مُسْتَمْتَعِينَ وَلَمْ تَزَلْ * تَحْتَمُّ بِعَدِ الطَّعَامِ عَلَى الشَّرْبِ
قَوْلُهُ : سَرِّ أَيْ خَالِصَةِ، وَالْمَلَّاحِ جَمْعُ مَلْعُحٍ، وَالْإِرْبُ : الْحَاجَةُ .

وَقَالَ آخَرُ فِي عَوْدَى الْغَنَاءِ وَالْبُخُورِ :

وَمَا شَيْئَانِ إِسْمَهُمَا سَوَاءُ * وَأَصْلُهُمَا مَعًا عِنْدَ أَنْتَابِ
إِذَا حَضَرَكَ بَتْ قَرِيرِ عَيْنِ * بَلَا طَعْمَ يَلْذُ وَلَا شَرَابِ
وَمَا إِنْ يَوْجِدَانِ النَّفْعَ إِلَّا * بِضَرْبٍ أَوْ ضَرْبٍ مِنْ عَذَابِ
مَعْنَى إِسْمَهُمَا سَوَاءُ ظَاهِرٌ ، وَأَصْلُهُمَا خَشَبٌ، وَالضَّرْبُ الْأَوَّلُ : ضَرْبُ الْعُودِ،
وَالثَّانِي : مِنَ الْعَذَابِ وَهُوَ الْإِحْرَاقُ .

وَقَالَ آخَرُ فِي الْحَرْبِ :

مَا ذَاتَ شَوْكِ لَهَا جَنَاحِ * يَخْتَلِفُ النَّاسُ عَنْ قَرِيبِ
وَهِيَ عَقِيمٌ تَرَى بَنِيهَا * مَا بَيْنَ مُرْدٍ وَبَيْنَ شَيْبِ
يَأْكُلُ بَعْضُ الْبَنِينَ بَعْضًا * طُلُوعَ شَمْسٍ إِلَى غُرُوبِ
تَصْغِفُهَا الدَّاءُ غَيْرَ شَكِ * قَدْ يُحْمَمُ الدَّاءُ بِالطَّيِّبِ
وَالدَّاءُ مَعْكُوسُهُ مَكَانُ * يَصْلُحُ لِلطَّائِرِ التَّجِيبِ
يَعْرِفُهَا مَنْ يَكُونُ طَبَا * بِالشَّعْرِ وَالْحَوِ وَالْفَرِيبِ

هذا لئلا يرمي في الحرب ، وشوكها : السلاح ، وجناحها : جانبها ، وعقيم :
لأنها لا تلد ، وبنوها : رجالها ، وأكلهم : قتلهم ، وتصحيفها : الحرب ،
وعكس : برج .

وقال آخر في التلوي :

وما أخوان مشتهران جدًّا * كما أشتبه الغراب والغراب
يضمهما على مرّ الليالي * وما اجتمعا ولا افرقا إهاب
لذلك وذا دموع هاملات * ولكن كلّ دمعهما شراب
يصونهما عن الأبصار دين * ويضرب دون نيلهما حجاب
هما ثديا المرأة ، ويضمهما إهاب وهو الجلد .

وقال آخر في الفخ :

وما ميت كفته ودفته * فقام الى حق صحيف فاقته

وقال آخر وهو لغز :

حلف الحبيب على لا سميته * فكنته ولطفت خوف تفاضيه
ظبي اذا ما زارني حلّ أسمه * قلبي وذلك من عجيب عجائبه
ويكون إن رحتّه ونرمتّه * وقلبتّه ما تشتهي من صاحبه
ويكون إن صحفت مبدأه الذي * أصبحت تهواه لعين مراقبه
وتراه بعد الجزم إن ميزت في التصحيف مقلوبا أشدّ معاينه
وحروفها فالنصف منها جذرها * وحساب ذلك غير متعب حاسيه
فاطلبه سادس سادس ثانيه تا * نيه وثالثه كذلك لطلابه
وتمامه من بعد مثل حروفه * في البيت صحّ أسم الحبيب لقاليه

هو لغز في فرحة ، والترخيم : حذف الآخر ، والحصرم : حذف الاول ؛ فاذا رخم
ونحرم وقلب بقى : حر ، واذا قلبت الفاء قافا بقى : قرحة لعين المراقب ، واذا صحفته
مقلوبا ، وجزمت آخره صار : هجر ، والنصف من حروفه آثنان ، وهما جذر جميع
حروفه ، وقوله : فأطلبه سادس سادس : يعنى البيت السادس .

ونال آخر فى سلمى :

سَلْ مَاهِرًا بِالْقَرِيضِ وَالْأَدَبِ * مَا أَسْمَ فَنَاءِ قَعِيدَةِ النَّسَبِ
قَدْ صَرَّحَ الشَّعْرُ بِأَسْمَها فَنَى * فَكُرَّتَ فِيهَا ظَفَرَتَ بِالْعَجَبِ
الْأَسْمَ سَلِمَى ، وهو ظاهر فى أول البيت .

وقال آخر فى الكوة :

ومضروبة تحيا إذا ما ضربتها * وإن تُرُكْتَ مِنْ شِدَّةِ الضَّرْبِ مَاتَ
وقال أبو عبد الله بن المُغَلِّسِ فى السَّراجِ :
وداع الى نفسه فى الظلام * وما سمعتُ أذنهُ صوتهُ
إذا هو يَبْيضُ وجهه الطريشُ فى سَوْدٍ فى وقته يَبْتَسُهُ
وقال آخر فى الصُّدى :

وساكِنِ يَسْكُنُ فى الفَلَاةِ * ليس من الوحش ولا النبات
ولا من الحنَّ ولا الحياتِ * ولا الخيامِ الشَّعْرَ والأُيُوتِ
ولا بذى جسم ولا حياةٍ * كَلَّا ولا يدرك بالصفاتِ
بلى له صوت من الأصواتِ * يُسْمَعُ فى الأحيان والأوقات
وقال ابن المغلِّس فى النخلة :

وقائمة أبدا لا تنام * وما قصدت قط مذقائِ
تعيش إذا غسلوا رجلها * وإن حلقوا رأسها مات

وقال آخر :

ما يقول سيدنا الشيخ : في شيء نزل من السماء ، وركض في الهواء ، وخيم
في اليلءاء ، نطق على نفسه فافصح ، وتكلم فين وأوضح ؛ أهروأغنى ، وأمات وأحيا ؛
له شوارق من غير غضب ، ورقصات على غير طرب ؛ يسبق الفرس السريع ، ويسبقه
الطفل الرضيع ؛ مختلف الألوان ، يوجد في كل زمان ؛ ما أكثر لغاته ؛ وأعم في البشر
ذكر صفاته ؛ وهو خفيف ثقل ، كثير قليل ، كبير صغير ، طويل قصير ؛ غال رخيص ،
قوى ضعيف ، سريع بطيء ، بارد حار ، نافع ضار ، أبيض أسود أزرق ، قريب
بعيد ، قديم جديد ؛ متحرك ساكن ، ظاهر باطن ؛ يتجمر ويتكمر ، ويتعوج
ويتدور ؛ سلطانه في الشمال وبه يذل ، وضعفه في الجنوب وبه يمز ، نحيل ينحى
جثة الفيل في طيه وعطمه ، ويتخلل جفن العين الزمءة برقعه ولطفه ؛ يمشى على
الحديق فلا يؤلمها ، ويطأ القلوب فلا يكسها ؛ على أنه يقطع الطريق ، ويخيف
الفريق ؛ كم أهلك من قوم وما أراق ولا سفك ! يحمل ألف قطار ، ويمجز عن حمل
دينار ؛ وهو ليلى نهارى ، عربى عجمى ، برى بحرى ، سهلى جبلى ، رومى نوبى ،
هنءى حبشى صينى ؛ جاهل إسلامى ؛ كان مع آدم في الجنة ، وصحب نوحا في السفينة ،
وتوسط النار مع إبراهيم ، كم له مع موسى من خبر ! ولموسى فيه من آية وأثر ! حل
المسيح على غير ظهره ، وما سار في بر ولا بحر ؛ أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم من
جسده ، وفزقه على صحابته ؛ اسم هذا إذا نطقت به كان بعض أسم أحد خلفاء
بنى العباس السبعة وهو ١٤٣١

وقال آخر :

٢٠ ما شيء وجهه قر ، وقلبه حجر ؛ إن علقته ضاع ، وإن أدخلته السوق أبى أن
يساع ؛ وإن فككته دعا لك ، وإن ركبت نصفه هالك ، وربما كثر أموالك ؛ وإن

حذفت آخره، وشددت ثانيه، أوردك الألم عند الفجر، والضجر عند العصر؟ هو
الدملج الفضة .



ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويص

٥. فمن ذلك — أمر أن ألقنا برجلين قاتلا لها: مرحبا بابنينا وزوجينا وأبني زوجينا ؛
وذلك أن كل واحد منهما تزوج بأم الآخر، فهما أبناهما وزوجاهما وابنا زوجيهما .
رجلان كل واحد منهما عم الآخر وأبن أخيه ؛ وذلك : أن كل واحد من
أبويهما تزوج بأم الآخر، فرزق كل واحد منهما ولدا ؛ فكل من الولدين عم الآخر
وَأبن أخيه .

١٠. رجلان كل واحد منهما خال الآخر وأبن أخته ؛ وذلك : أن كل واحد من
أبويهما تزوج بابنة الآخر، فرزق كل واحد منهما ولدا، فكل من ولديهما خال الآخر
وَأبن أخته .

- رجل وأمر أنان هو خال إحداهما وهي خالته ، وعم الأخرى وهي عمته ؛
وذلك : أن جدته أُم أبيه تزوجت بأخيه لأمه، وأخته لأبيه تزوجت باب أمه ،
١٥ فولدتا بنتين فبنت أخته خالته وهو خالها، وبنت جدته عمته وهو عمها، وهذا أصل
الآيات المنظومة في ذلك :

ولي خالة وأنا خالها • ولي عمّة وأنا عمها

- رجلان كل واحد منهما ابن خال الآخر وأبن عمته ؛ وذلك : أن كل واحد
من أبويهما تزوج بأخت الآخر، فرزق كل منهما ولدا، فكل من ولديهما ابن خال
الآخر وأبن عمته .

رجلان كل واحد منهما عم والد الآخر؛ وذلك : أن كل واحد من أبيهما تزوج بأم أب الآخر، فكل من أولادهما عم أب الآخر

رجلان كل واحد منهما عم أم الآخر؛ وذلك : أن كل واحد من أبيهما تزوج بأبنة ابن الآخر، فكل من أولادهما عم أم الآخر .

• رجلان كل واحد منهما خال أم الآخر؛ وذلك : أن كل واحد من أبيهما تزوج بأبنة بنت الآخر، فكل من أولادهما خال أم الآخر .

رجلان أحدهما عم الآخر والآخر خاله؛ وذلك : أن رجلين تزوج أحدهما امرأة وتزوج الآخر ابنة أبها، فولد لكل منهما ولد فأب الأب عم ابن الابن، وابن الابن من أم امرأة الأب؛ هو أخوها وخال أبها .

١٠ رجلان أحدهما عم الآخر وخاله، والآخر ابن أخيه وابن أخته؛ وذلك : أن رجلاً له أخ لأب وأخت لأم فزوج أخاه لأبيه بأخته لأمه فأولدها ولدا فهما كذلك .

القسم الثالث من الفن الثاني

في المدح، والهجو، والمجون، والفكاهات، والملح، والخر، والمعاقرة،

والندمان، والقيان، ووصف آلات الطرب

وفيه خمسة أبواب

الباب الأول

من هذا القسم

في المدح، وفيه ثلاثة عشر فصلاً

حقيقة المدح وما قيل فيه، ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام، ما قيل

في الإعطاء قبل السؤال، ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام، ما قيل في وفور

العقل، ما قيل في الصدق، ما قيل في الوفاء والمحافظة، ما قيل في التواضع، ما قيل

في القناعة والزهادة، ما قيل في الشكر والثناء، ما قيل في الوعد والإنجاز، ما قيل

في الشفاعة، ما قيل في الاعتذار والاستعطاف.

فأما حقيقة المدح، فقد عبر عنها الحدوثي في "غاية الاختصار والإيجاز" بقوله

حقيقة المدح: وصف الموصوف بأخلاق يُحمد صاحبها عليها، ويكون نعمًا حميدًا.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ

الْفَوْصِ مَعْزُومُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ وقال

عز وجل: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ أَرَأَيْكُمْ أَلَسَّاجِدُونَ لِلْأَمْرُِونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وروى

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أصحابي كالنجم بأيهم أقدمت أهديتهم » .
وقد أولوا الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم المدّاحين
فأحثوا في وجوههم التراب » قال العُتْبِيُّ : هو المدح الباطل والكذب . وأما مدح
الرجل بما هو فيه فلا بأس به ، ومما يعتضد هذا أن العباس بن عبد المطلب وكعب
ابن زهير ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد
أنه حنّ في وجه أحد منهم ترابا . وقيل في حنو التراب معنيان : أحدهما التغليظ
في الرد عليه ، والثاني يقال له : بفيك التراب .

وللشعراء عادة في تجاوز قدر الممدوح فوق ما يستحقه حتى إن ذلك أفضى
بكثير منهم إلى الكفر والخروج عن الحد أعادنا الله من ذلك . وقال أنوشروان :
من أثنى عليك بما لم توله فغير بعيد أن ينقك بما لم تجنيه . وقال وهب بن منبه :
من مدحك بما ليس فيك فلا تأمن أن ينقك بما ليس فيك .

وأشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول زهير بن أبي سلمى في هريم بن سنان :
دع ذا وعد القول في هريم . خير الكهول وسيد الحضر^(١)
لو كنت من شيء سوى بشر . كنت المتور ليلة القدر^(٢)
ولأنت أوصل من سمعت به . لنوائل الأرحام والصبر^(٣)
ولعم حشو الدرع أنت اذا . دُعيت نزال ولج في الدُغبر^(٤)
فقال عمر رضي الله عنه : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما حضر أبا بكر الصديق رضي الله عنه الرفاة قالت عائشة رضي الله عنها
وهو يغمض :

وابيض يستسقى الفأم بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

(١) في ديوان زهير : « خير البداهة » أي خير أهل البدو . (٢) في ديوانه : « ليلة البدر » .

فنظر إليها وقال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخر :

ولو كنت أرضاً كنت مَيْشَاءَ سَهْلَةً * ولو كنت ليلاً كنت صاحبة البدر
ولو كنت ماءً كنت ماء عَمَامَةٍ * ولو كنت يوماً كنت تعريسة الفجر

وقال محمد بن هاني :

أغير الذي قد خُط في اللوح أبنتي * مديحاً له إني إذا لعنودُ
وما يستوى وحى من الله منزل * وقافية في الغابرين شرودُ

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمُتَمِّ بن نُؤيرة : صف لي أخاك فإني أراك

تدمعه^(١) فقال : كان يركب الجمل الثقَل في الليلة الباردة ، يرتجى لأهله بين المزداتين

المضرَجَين ، عليه الشملة القُلُوب ، يقود الفرسَ الحُرُون ثم يصبح ضاحكاً .

وسأل عبد الله بن عباس صَعَصَعَةَ بن صُوحان العبدي عن إخوته فقال :

أما زيد فكما قال أخو غني^(٢) :

فني لا يبالي أن يكون وجهه * إذا نال خلان الكرام شحوبُ

ثم قال : كان والله يأبى عباس ، عظيم المروءة ، شريف الأُتُوَّة ، جليل القدر ،

بعيد الشر^(٣) ، كَيْش العُرُوَّة ، زين الدُّوَّة ، سليم جوانح الصدر ، قليل وساوس الفكر ،

(١) هذه عبارة الأُخ في ج ١٤ ص ٦٩ عبر أنه ورد فيها لفظة الحرون محرومة الى الحرور ويسمح

محرومة الى يصح . وعارة الأصل : « كان أخى يحبس المراد بين الصوحين في الليلة القرة منتقلاً للرخ الخطل

عليه الشملة القلوب بهود الفرس الحرون يصح ضاحكاً مستبشراً . الخطل : الطويل المضطرب .

والقلوب : التي لا تصم على الرجل لقصرها . والتعريف فيها واضح فلا يحل هنا ذكر الصوحين وهما

حايبا الوادي ولأنه يحبس المراد بينهما ، وكذلك القلوب محرومة عن العلوت وهو من الكـ . لا يصم طرفاه

من صمعه أو ضيقه فهو يعلت عنه كل ساعة ، والرجل محرومة عن الرجل .

(٢) كذا في الأصلين الفتنوعرايين . وفي النسخة الراحية : « أخو عبس » .

(٣) في أحد الأصلين : « بعيد الأشر » .

ذا كَرَّ الله تعالى طَرْفِي النَّهَارَ وَزَلَقًا مِنَ اللَّيْلِ ! الْجُوعَ وَالشَّجَّ عِنْدَ سَيَّانٍ ، لَا مَنَافَسَ
فِي الدُّنْيَا ، وَلَا غَافِلَ عَنِ الْآخِرَةِ ؛ يَطِيلُ السَّكُوتُ ، وَيَدِيمُ الْفِكْرُ ، وَيَكْثُرُ الْإِعْتِبَارُ ،
وَيَقُولُ الْحَقُّ ، وَيُلْهَجُ الصَّدْقُ ؛ لَيْسَ فِي قَلْبِهِ غَيْرُ رِيهِ ، وَلَا يَهْمُهُ غَيْرُ نَفْسِهِ . فَقَالَ
أَبْنُ عَبَّاسٍ : مَا ظَلَمَكَ بِرَجُلٍ سَبَقَهُ عَضْوُ مِنْهُ إِلَى الْجَنَّةِ ؟ رَحِمَ اللَّهُ زَيْدًا ! فَأَيْنَ كَانَ
عَبْدُ اللَّهِ مِنْهُ ؟ فَقَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ سَيِّدًا شَجَاعًا ، شَيْخًا مُطَاعًا ، خَيْرَهُ وَسَاعَ ، وَشَرَهُ
دِفَاعَ ، أَيْنَ النَّجْدِيَّةُ ، أَحْوَذَى الْغَرِيْزَةِ ، لَا يُنْهِنُهُ مُنْهِنَةٌ عَمَّا أَرَادَ ، وَلَا يَرْكَبُ إِلَّا
مَا أَعْتَادَ ؛ سِمَامَ الْعَدَى ، فَيَاضَ النَّدَى ؛ صَعْبَ الْمَقَادَةِ ، جَزَلَ الرَّفَادَةِ ؛ أَخُو إِخْوَانِ ،
وَفِي قِيَانٍ ؛ ثُمَّ أَتَشَدُّ شَعْرَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرَكَ مَقَالًا لِقَائِلٍ * بِلُحْقَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَصْلًا

قَضَى فِشْنِي مَا فِي النَّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ * لَذَى لِمَرْبَةِ فِي الْقَوْلِ حَتَّى وَلَا هَزْلًا

وَدَخَلَ ضِرَارُ بْنُ صَمْرَةَ الْكَافِيَّ عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ لَهُ : صَفِّ لِي
عَلِيًّا ، فَقَالَ لَهُ : أَوْ تَعْنِي ؟ فَقَالَ : لَا أَغْفِيكَ ، قَالَ : أَمَا إِذْ لَا بَدَّ ، فَإِنَّهُ كَانَ
بَعِيدَ الْمَدَى ، شَدِيدَ الْقُوَى ؛ يَقُولُ فَصْلًا ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ؛ يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ ،
وَتَسْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ ؛ يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا ، وَيَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظُلُمَتِهِ ؛
كَانَ وَاقِعَ غَزِيرِ الْعَبْرَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ ؛ يَقْلَبُ كَفَيْهِ ، وَيَخَاطِبُ نَفْسَهُ ؛ يَعْجِبُهُ مِنْ
الْبَاسِ مَا قَصُرَ ، وَمِنْ الطَّعَامِ مَا خَشِنَ ؛ كَانَ وَاقِعَ [فِينَا] كَأَحَدِنَا ، يَدِينُنَا إِذَا أَتَيْنَاهُ ،
وَيُحْيِينَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ؛ وَكَانَ مَعَ تَقَرُّبِهِ إِلَيْنَا وَقُرْبِهِ مِنَّا لَا نَكَلِّمُهُ هَيْبَةً لَهُ ، [وَلَا نَبْتَدِئُهُ
أَعْظَمَتِهِ] ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعِنَ مِثْلَ لَوْثٍ مَنْظُومٍ ؛ يُعْظَمُ أَهْلُ الدِّينِ ، وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ ؛
لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ ، وَلَا يَبْأَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ .

(١) كَذَا فِي الْمَقْدُودِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢١٤) وَبِعْيُونِ الْأَحَارِطِ طَبْعُ دَارِ الْكِتَابِ الْمَصْرِيَّةِ (ج ٢ ص ١٧٠) .
وَفِي الْأَصْلِ : « الْقَوْمُ » . (٢) الزِّيَادَةُ عَنِ الْأَمَالِيِّ طَبْعُ دَارِ الْكِتَابِ (ج ٢ ص ١٤٧) .
(٣) وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْوَصْفُ لِسَيِّدَا عَلِيٍّ فِي الْأَمَالِيِّ زِيَادَةً عَمَّا هُنَا ظَهَرَ أَيْجَعُ .

وذكر عمرو بن معد يكرب بن سليم فقال: بارك الله على حنّ بن سليم، ما أصدق في المبيّعات لقاءها! وأثبت في التوازل بلائها! وأجزل في الثائبات عطاءها! والله لقد قاتلهم فما أجبتهم، وهاجبتهم فما أغمتهم، وسالتهم فما أبخلتهم.

وقال بعض العرب: فلان حنّف الأقران غداة النزال، وربيع الضيّقان عشيّة

الترول.

وقال آخر: فلان ليث إذا غدا، وبدر إذا بدا، ونجم إذا هدى، وسُم إذا أُردي.

ودخل التابعة على النعمان بن المنذر بن أمّريّ القيس بن عمرو بن عدى القحى حياّه بتحية الملوّك، ثم قال: أيها نرك ذو فائش وأنت سائس العرب، وغرة الحسب؛ واللات، لأُمسك أيمن من يومه، ولعبدك أكرم من قومه، ولعفاك أحسن من وجهه، وليسارك أجود من يمينه، ولظنك أصدق من يقينه، ولوعدك أنلج من رفته، ونظالك أشرف من جدّه، ولتفكك^(١) أمتع من جُنده، وليومك أزهر من دهره. وافترق أبسط من شوره؛ ثم قال:

أخلاقُ مجدك جَلَّتْ ما لها خطر * في البأس والحدود بين الحلم والخفَر^(٢)

مُتَوَّج بالمعالي فوق مَفْرَقه * وفي الوغى ضيغم في صورة القمر

(١٥٢)

إذا دجا الخطب جلاّه بصارمه * كما يُجَلِّ زمانُ المحل بالمطر

فتهلّ وجه النعمان سرورًا، ثم أمر أن يُحشى فوه دزًا، وكبى أثواب الرضا، وكانت جبابًا أطواقها الذهب بقصب الزمرد. ثم قال النعمان: هكنا فليمدح الملوّك.

وذو فائش: هو سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يَحْصَب بن مالك وكان التابعة

(١) يقال: إبل أو غنم قش: ترى ليلًا راع. وفي الأصول: «لعمك» وهو تحريف.

(٢) الخمر بالحريك: شدة الحياء. والدى في كتاب (التوضيح والبيان في شعر نابتة بن ذبيان):

«من العلم والخبر»

متصلاً به قبل اتصاله بالتمان، وله فيه مدائح كثيرة فأقتصر الله تعالى من التمان بن المنذر بعد ذلك لما حكي أنه دخل حسان بن ثابت على الحارث الجفني فقال: أنتم صباحاً أيها الملك! السماء غطاؤك، والأرض وطاؤك، ووالدي وولدي فداؤك، أي ينافسك ابن المنذر! فوافقه لقذاك أحسن من وجهه، ولأهلك خير من أبيه، ولظلك خير من شخصه، ولصمتك أبلغ من كلامه، ولشمالك خير من يمينه ثم قال:

فذاك أحسن من وجهه * وأهلك خير من المنذر

ويُسرى يدك إذا أعسرت * كيمنى يديه فلا تمتري

أخذ المعنى الحسن بن هاني فقال :

بأبي أنت من غزال غرير * بد حسن الوجوه حسن ففاكا

ونظر بعض الشعراء الى هذا المعنى فقال يمدح زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور أم الأميين :

أزبيدة بنت جعفر * طوبى لزارك المثاب

تعطين من رجليك ما * تعطى الأكف من الرغاب

فلما أنشد ذلك تبادر العبيد ليقعوا به، فقالت زبيدة: كفوا عنه فلم يرد إلا خيراً، ومن أراد خيراً فأخطأ خير ممن أراد شراً فاصاب، إنه سمع الناس يقولون: ففاك أحسن من وجه غيرك، وشمالك أئدى من يمين سواك، فقدّر أن هذا مثل ذاك، أعطوه ما أمل، وعرفوه ما جهل. ومثله: مدح شاعر أميراً فقال:

أنت الهام أبى الهما * م الواسع أبى الواسعة

فقال له: من أين عرفت؟ قال: قد جربتها، فقال: أسوأ من شعرك ما أتيت

به من عذرك! ٢٠

قال دخل خالد بن عبد الله القسري على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة فقال : يا أمير المؤمنين من تكن الخلافة قد زانته فانت قد زيتها ، ومن يكن شرقته فقد شرقتها ، وانت كما قال الشاعر :

وإذا الدّر زان حسنَ وجوه * كان للذهر حسنُ وجهك زِيناً

- فقال عمر بن عبد العزيز : أُعْطِيَ صاحبكم مَقُولاً ، ولم يُنْطِ مَقُولاً . ولما دخل عبد الله المأمون بغداد تلقاه وجوه أهلها فقال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين ، بارك الله لنا في مُقَدِّمك ، وزادك في نعمتك ، وشركك على رِعِيَّتِكَ ، تقدّمت من قبلك ، وأتعت من بعدك ، وأياست أن نعاين مثلك ؛ أما فيمن مضى فلا نعرفه ، وأما فيمن بقى فلا نرجوه ؛ فنحن جميعاً ندعوك ، ونُثْنِي عليك ؛ خِصِّبْ لنا جنابك ، وعَدِّبْ شرابك ، وحَسِّنْ نُصْرَتَكَ ، وكرِّمْ مقدرتك ؛ جبرتَ الفقيرَ ، وفككتَ الأسيرَ ؛ فانت — يا أمير المؤمنين — كما قال الشاعر :

ما زلت في البذل للنوال وإط * للاق لعان يجرمه غَلَقِ

حتى تمنى البراء أنهم * عندك أمسا في القِدِّ والخلَقِ

- وقال رجل للحسن بن سهل : لقد صرت لا أستكثر كثيرَكَ ، وإن قليلَكَ أكثر من كثير غيرك . وقال الرشيد لبعض الشعراء : هل أحدثت فينا شيئاً ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ المديح كله دون قدرك ، والشعر فيك فوق قدرى ، ولكنى استحسن قول العتّابي :

ماذا عسى مَادِحٌ يُثْنِي عليك وقد * ناداك في الوحي تَقْدِيسٌ وتَظْهِيرُ

فَتَ الْمَادِحِ إِلَّا أَنْ أَلْسَنَا * مستنطقات بما تخفى الضمائرُ

وقال رجل في خالد بن صفوان : قريع المنطق ، جزل الألفاظ ، عربيّ اللسان ،
 قليل الحركات ، حسن الإشارات ، حلو الشئامل ، كثير الطلاوة صموتا قولا ؛ ^(١) ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤) ^(١٥) ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨) ^(١٩) ^(٢٠) ^(٢١) ^(٢٢) ^(٢٣) ^(٢٤) ^(٢٥) ^(٢٦) ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) ^(٣٥٣) ^(٣٥٤) ^{(٣٥}

وقيل لبعض الخلفاء : إن شبيب بن شيبة يعمل الكلام ليستعد به ؛ فلو أمرت به أن يصعد المنبر فجأة لاقتضح ، قال : فأمر من أخذ بيده فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إن لأمر المؤمنين أشباها أربعة ، فمنها : الأسد الخلد ، والبحر الزانح ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر ، فاما الأسد الخلد ، فأشبهه منه صوته ومضاهه ؛ وأما البحر الزانح ، فأشبهه منه جوده وعطاءه ؛ وأما القمر الباهر ، فأشبهه منه نوره وضياهه ؛ وأما الربيع الناضر ، فأشبهه منه حسنه وبهاه ، ثم نزل .

وقيل دخل رجل على المنصور فقال له تكلم بمحاجتك ؛ فقال : يبيك الله تعالى يا أمير المؤمنين ، قال : تكلم بمحاجتك ؛ فأنك لا تهتد على مثل هذا المقام في كل حين ؛ قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أستصبر أجلك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغنم مالك ؛ وإن عطائك لشرف ، وإن سؤالك لزين ، وما بأمرئ يبدل إليك وجهه نقص ولا شين ؛ فأحسن جائزته وأكرمه .

(١) هنا الجرب، الهاء : القطر أو أى أنه لا يتكلم ؛ لا فيما يجب الكلام ، مثل الحال الرفيق الذى يضع الهاء . وضع الجرب .

٢٠ (٢) يقل الحز ويطلق القفل أى يقل الكلام ويصيب الحانى، شبه بالجرار الزيق يقل جرانهم ويصيب مفاصله. وهذه أمثلة لضرب فى البلاغة. راجع عيون الأخبار طبع دار الكتب (ج ٢ ص ١٦٩ والمقدّم القريد طبع بولاق (ج ١ ص ٢١٤).

وقال محمد بن مالك انقراطى من رسالة: ما رأيتُ وجها اسمع، ولا حلما أرجح،
ولا سحبة أسمع، ولا بشرا أبدى، ولا كفاً أبدى، ولا غرة أجمل، ولا فضيلة أكل،
ولا خلقاً أصفى، ولا وعداً أوفى، ولا نوباً أطهر، ولا ستماً أوفر، ولا أصلاً أطيب،
ولا رأياً أصوب، ولا لفظاً أعذب، ولا عرضاً أنقى، ولا بناءً أنقى، أما خص الله به
ثالث القمرين، وسراج الخافقين، وعماد الثقلين، المعتصم بالله .

وقال بعض الكتاب : إن من النعمة على المتنى عليك ألا يخاف الإفراط ،
ولا يأمن التقصير ، ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الكذب ، ولا يتهى به المدح الى
غاية إلا وجد في فضلك عوناً على تجاوزها ، ومن سعادة جدك أن الداعي لك
لا يعدم كثرة المشايخين له ، والمؤمنين معه .

- وقال آخر : إني فيما أنصا طى من مدحك كالخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر
الزاهر الذى لا يخفى على كل ناظر؛ وأيقنت أنى حيث آتتهى بي القول الى العجز
مقصّر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك؛ ووكلت الإخبار عنك
الى علم الناس بك .

- وقال أبو عبدالله محمد بن الخياط من رقعة طويلة فى المظفر قال فى أولها: حجب
الله عن الحاجب المظفر أعين اللبّات، وقبض دونه أيدي الحادّات؛ فإنه مذ كان
أنور من الشمس ضياءً، وأكل من البدر بهاءً؛ وأندى من الفيت كفاً، وأحمى من
الليث أنفاً؛ وأحمى من البحر بناها، وأمضى من النصل لساناً؛ وأنجبه المنصور بخرى
على سنّته، وأدّبه فأخذ بسنّته؛ وكانت الرياسة عليه موقوفة، والسياسة اليه مصروفة؛
قصرت الأروام عن كنه فضله، وعجزت الأقلام عن وصف مثله؛ غير أن الفضائل
لا بد من نشرها، والمكارم لا عذر فى ترك شكرها .

فهذه نبذة كافية مما ورد فى المشور فلندكر ما ورد من المنظوم فى ذلك .

(١١)
قال أبو هلال العسكري : سمعتُ أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد يقول :
أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر :
ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملكٍ دونها يتذبذبُ
بأنك شمس والملوك كواكب * إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبُ

• وهو مأخوذ من قول بعض شعراء كندة يمدح عمرو بن هند :
تكاد تميد الأرض بالناس أن رأوا * لعمرو بن هند غضبةً وهو عاتبُ
هو الشمس وافت يوم سعيداً فضلت * على كل ضوء والملوك كواكبُ
وقال نصيب :

هو البدر والناس الكواكبُ حوله * وهل يشبه البدر المضيء كواكبُ

وقالوا : أبدع بيت قيل في المديح قول النابغة :
فإنك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلت أن المتأني عنك واسعُ
وقوله : «أخلاقُ مجدك» — الأبيات وقد تقدمت — وقد تداول الناس معنى قول
النابغة :

« فإنك كالليل الذي هو مدركي »

فقال الفرزدق :
فلو حملتني الريحُ ثم طلبتني * لكنتُ كشيءٍ أدركته مقادرةُ
وقول النابغة أبلغ ، لأن الليل أعم من الريح ، والريح يُمتنع منها بأشياء ، والليل
لا يمتنع منه شيء . وأخذ سلم الخاسر قول الفرزدق فقال :

(١) كما في الأصول . وفي ديوان الحافظ لأبي هلال العسكري نسخة خطية محفوفة بدار الكتب

٢٠ المصرية تحت رقم (١٨٧٤ أدب) : « سعد » .

فأنت كالدهر مبتوتا جباله * والدهر لا ملجأ منه ولا هرب^(١)
ولو ملكت عانَ الریح أصرفه * في كل ناحية ما فاكك الطلب
وقالوا : أجدو شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين والمحدثين
قول أبي العتاهية يمدح الرشيد بن المهدي وولده :

- بنو المصطفى هارون حول سريره * نغير قيام حوله وقعود^(٢)
تقلب الحافظ المهابة بينهم * عيون طباء في قلوب أسود
وقالوا : أمدح بيت قاله العرب قول أبي الطمّحان القتيبي :
أضاعت لهم أحسابهم ووجوههم * دبحى الليل حتى نظم الجزع ناقبه^(٣)
نجوم سماء كلما أقض كوكب * بدا كوكب تاوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود^(٤) * تسير المنايا حيث سارت كائنه
• وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها بختيار بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي ، وكان
أسيرا في يده ، فلما مدحه بها أطلقه بعد أن جرّ ناصيته ، وأول القصيدة :
إذا قيل أى الناس خير قبيلة * وأصبر يوما لا توارى كواكبه
فإن بنى لأم بن عمرو أرومة : علت فوق صعب لا شال مرابته
أضاعت لهم أحسابهم الأبيات .

١٥

(١) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري . وفي الأصول : « مبتوتا » .

(٢) في ديوان المعاني : « بير » .

(٣) كذا في الأصول والأغانى والكامل للبرد وديوان المعاني . وقد ذكرت هذه الأبيات في الشعر
والشعر لابن قتيبة في ترجمة لقيط بن زورارة حيث قال : « وبعض الرواة يحمل هذا الشعر أبا الطمّحان
القتبي وليس كذلك إنما هو لقيط » .

٢٠

(٤) الجزع (منع الجهم وسكون الرأى) : الخرز الزمانى والصينى ، وهو الذى فيه يراض وسواد .

(٥) كذا في أحد الأصول والأغانى وشرح القاموس . وفي باقي الأصول والمشتبه في أسماء الرجال
للذهبي « بختيار » بفتح الباء وبالخاء المهملة .

ومثله قول ابن أبي السَّمُط :

قَتِي لَا يَسَالَى الْمُدْبِلُونَ بِسُورِهِ * إِلَى بَابِهِ الْأَنْتِزِيءُ الْكُوكَابُ
لَهُ حَاجِبٌ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَسْتَبِيهِ * وَلَيْسَ لَهُ عَنِ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبُ

(٥٤)

ومثله قول الحُطَيْيَةِ :

نَمَشَى عَلَى ضَوْءِ أَحْسَابِ أَضْأَنْ لَنَا * كَمَا أَضَاعَتْ نَجُومُ اللَّيْلِ لِلْسَّارَى

ومثله قول الآخر :

وَجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْمُدْبِلِينَ أَعْتَشَوْا بِهَا * صَدَعْنَ الدَّبَجِي حَتَّى يَرَى اللَّيْلُ بَجَلِي

وقال عيسى بن أوس يمدح الحُنَيْد بن عبد الرحمن :

إِلَى مُسْتَبِيرِ الْوَجْهِ طَالِ بِسُودِي * تَقَاصَّرَ عَنْهُ الشَّاهِقُ الْمُتَطَاوِلُ
مَدْحَتِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ * وَمِنْ مَدَجِ الْأَقْوَامِ حَقٌّ وَبَاطِلُ
يَعِيشُ النَّدَى مَا دَمَتْ حَيًّا فَإِنْ تَمَتَّ * فَلَيْسَ لِحَيٍّ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ
وَمَا لِأَكْرَمِي عِنْدِي نَحِيلَةٌ نَعْمَةٌ * سَوَالِكُ وَقَدْ جَادَتْ عَلَى نَحَائِلِ

١٠

وقالوا : أَمَدَحَ بَيْتَ قَاتِلِهِ الْعَرَبُ قَوْلَ الْأَعَشَى :

قَتِي لَوْ يَبْأَدَى الشَّمْسُ أَلْقَتْ فِتْنَاعَهَا * أَوْ الْقَمَرُ السَّارَى لَأَكْنَى الْمَقَالِدَا

١٥ وهذا من الغلو وهو مذموم عند بعضهم .

ومثله فِي التَّنَزُّعِ قول طَرْخِيز بن إِسْمَاعِيلَ :

لَوْ قُلْتُ لِلسَّبِيلِ دَعِ طَرِيقَكَ وَالْـ * حَوِجٌّ عَلَيْهِ كَالْهَضْبِ يَتَلَجُّ
لَا كَرْتَهُ أَوْ سَاخَ أَوْ لَكَانَ لَهُ * فِي جَانِبِ الْأَرْضِ عَنْكَ مَنَرَجٌ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَدِيوَانِ الْهَافِي . وَفِي كِتَابِ الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ : « فِي سَائِرِ الْأَرْضِ » .

ومن الغلو قول أبي تمام في المعتصم بالله :

بَيْنَ أَبِي إِسْحَاقَ طَالَتْ يَدُ الْعِلَاءِ * وَقَامَتْ قَنَاءُ الدِّينِ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ ^(١)
هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيْ النَّوَاحِي أُنَيْتَهُ * فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
تَعَوَّدَ بِسَطِّ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ * أَرَادَ اتِّقَابَا لَمْ تُطْعَمْهُ أُمَامِلُهُ ^(٢)
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ * لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ

وقال العسكري :

وَكَيْفَ يَبْتَئِ الْجَارُ مِنْكَ عَلَى صَدَى * وَكَفُّكَ بِمَجْرُبَةِ الْجُودِ سَاحِلُهُ ^(٣)

وقال أبو هلال العسكري يرفعه الى الأصمعي قال : سمعت أعرابياً يقول :

إِنَّكُمْ مَعَاشِرَ أَهْلِ الْحَضَرِ لَتُخْطِئُونَ الْمَعْنَى ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُصِفُ الرَّجُلَ بِالشَّجَاعَةِ فَيَقُولُ :

كَأَنَّهُ الْأَسَدُ ، وَيُصِفُ الْمَرْأَةَ بِالْحَسَنِ فَيَقُولُ : كَأَنَّهَا الشَّمْسُ ، وَلَمْ لَا تَجْعَلُونَ
هَذِهِ الْأَشْيَاءَ بِهِمْ أَشْبَهَ ؟ ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَا تُشَدُّنَّكَ شَعْرًا يَكُونُ لَكَ إِمَامًا ،
ثُمَّ أَنْشَدَنِي :

إِذَا سَأَلْتَ الْوَرَى عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ * لَمْ تُلَفْ نِسْبَتُهَا إِلَّا إِلَى الْهَوْلِ

فَقِيَ جَوَادُ أَعَارِ النَّيْلِ نَائِلُهُ * فَالْتَيْلُ يُشْكِرُ مِنْهُ كَثْرَةُ النَّيْلِ

وَالْمَوْتُ يَرْهَبُ أَنْ يَلْقَى مَيْتَهُ * فِي شِدَّةٍ عِنْدَ لَفِّ الْخَيْلِ بِالْخَيْلِ ^{١٥}

لَوْ عَارَضَ الشَّمْسُ أَلَى الشَّمْسِ مَظْلَمَةً * أَوْ زَا حَمَّ الْعُمِّ أَلْبَاهَا إِلَى الْمَيْلِ

أَوْ بَارَزَ اللَّيْلَ غَطَّتْهُ قَوَادِمُهُ * دُونَ الْخَوَافِ كَتَلِ اللَّيْلَ فِي اللَّيْلِ

أَمْضَى مِنَ النِّجْمِ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ * وَعِنْدَ أَعْدَائِهِ أُجْرَى مِنَ السَّيْلِ

(١) في ديوانه طبع مصر : « قناة الملك » .

(٢) كذا في الأصول وديوان الماتى . وفي ديوانه : « شاعا لقبض الخ » . ^{٢٠}

(٣) في ديوان الماتى : « بلجة البحر » .

ومثله قول الآخر :

عَلَّمَ الْغَيْثَ الْبَنْدَى حَتَّى إِذَا * مَا حَكَاهُ عِلْمُ الْبَاسِ الْأَسَدُ
فَلَهُ الْغَيْثُ مَقَرٌّ بِالْبَنْدَى * وَلَهُ الْإِثْمُ مَقَرٌّ بِالْجِلْدِ

وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أُمَّ قَدْ كَفَانِي * حَيَاؤُكَ^(١) ، إِنْ شِمَيْتَ الْخِيَاءُ
كَرِيمٍ لَا يَغْيِرُهُ صَبَاحٌ * عَنِ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَلَا مَسَاءُ^(٢)
وَأَرْضُكَ أَرْضٌ مَكْرَمَةٌ بَنِيهَا * بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ^(٣)

ونحوه قوله :

لِكُلِّ قَبِيلَةٍ شَرَفٌ وَعِزٌّ * وَأَنْتَ الرَّأْسُ تَقْدُمُ كُلَّ هَادٍ

وقال آبَنُ الرُّومِيِّ :

قَوْمٌ يَحْلُونَ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ شَرَفٍ * وَمِنْ غَنَاءٍ عِلُّ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ
حَلُّوا مَحْلَهُمَا مِنْ كُلِّ جُحْمَةٍ * نَفْعًا وَدَفْعًا وَإِطْلَالًا عَلَى الرِّبِ
قَوْمٌ هُمُ الرَّأْسُ إِذْ حَسَادُهُمْ ذَنْبٌ * وَمَنْ يَمْتَلُ بَيْنَ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ

وقال أَبُو هِلَالٍ الْمَسْكِيُّ :

فَابْشِرْ فَإِنَّكَ رَأْسٌ وَالْعَلَا جَسَدٌ * وَالْمَجْدُ وَجْهُ وَأَنْتَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
لَوْلَاكَ لَمْ تَكْ لِلْأَيَّامِ مَتَقَبَّةٌ * تَسْمُو إِلَيْهَا وَلَا لِلدَّهْرِ مَفْتَحَرُ

(١) كذا في الأصلين وأكثر الكتب المطبوعة . وفي نسخة الراعية : « حياؤك ... الحياء » .

(٢) في شرح ديوان الحامسة طبع مدينة بن شعراء النصرانية : « حليل ... » ... عن الخلق الجليل ... » .

(٣) في شرح الديوان المتقدم : « وأرضك كل مكربة ... الخ » .

(٤) كذا في الأصول وديوان ابن الرومي . وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري : « همارضا » .

وقال علي بن جبلة :

لولا أبو ذؤيف لم نَحْيَ عارفةً * ولم يَنْقُ نَوْهُ مأمولٍ بآمالٍ
يا بن الأكارم من عدنان قد علموا * وتالد المجد بين العلم والحالِ
وناقِلَ الناس من عُدْمٍ إلى جَدَةٍ * وصارف الدهر من حالٍ إلى حالِ
أنت الذي تُنْزِلُ الأيامَ مترماً * وتُمسِكُ الأرضَ عن خِيفٍ وزِلْزالِ
وما مددتَ مَدَى طرفٍ إلى أحدٍ * إلا قَضَيْتَ بِأَمالٍ وأجالِ
تَزَوُّرُ مخطأ فتَمْسِي اليَئُسُ راضيةً * وتَسْتَهْلُ قَبْكَى أوجهُ المالِ

وقالوا : أمدح بيت قائله العرب قول زهير :

نراه إذا ما جتته متهللاً * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وعاب بعضهم هذا البيت وقال : جعل المدوح يفرح بعرض يتاله ، وليس هذا
صفة كبير الهمة . والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي :

وإئن فرحت بما يُبْلِكُ إنهُ * لبما يُبْلِكُ من نداء أفرح
ما زال يطلى ناطقا أو ساكناً * حتى ظننت أبا عَقيِلٍ يَمزج

ومثله قول أبي تمام :

أسائل نصير لا تسألُه فإنه * أحسن إلى الإرفاد منك إلى الرَّد

وقالوا أمدح بيت قائله العرب قول الحطيئة :

متى تأنه تمسوا إلى ضوء ناره * تجد خير ناره عندها خير موقد

وقال القاسم بن حنبل :

من البيض الوجوه بنى سنانٍ * لو أنك تستضيء بهم أضاعوا
لهم شمس النهار إذا استقلت * ونورٌ لا يغييه العماء

هم حلّوا من الشرف المعلّ * ومن حسب العشيرة حيث شاعوا
فلو أن السماء دنت لمجد * ومكرمة دنت لهم السماء

وقالوا أيضا أمدح بيت قيل قول الأول :

قومٌ سنانٌ أبوم حين تنسبهم * طابوا وطاب من الأولاد ، اولدوا
أو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قومٌ بعزهم أو مجدهم قعدوا
مُحسدون على ما كان من نعم * لا يترع الله عنهم ماله حسدوا

وقالوا : أمدح بيت قاله محدث ، قول مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * أسود لها في غيل خفان أنسل^(١)
هم المانعون الجار حتى كأنما * بلارهم بين السماكين مترل
بهايل في الإسلام سادوا ولم يكن * كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا * أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

وقال العسكري : وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر وقال : لو استعمل

الإنصاف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدّم ومتأخّر ، وهو :

إذا أبو أحمد جادت لنا يده * لم يُجَدِ الأجودان البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوار غمرته * تضاعل النيران الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أو جد عزيمته * تأخر الماضيان السيف والقتل
من لم يكن حذرًا من حدّ صولته * لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر
حلّوا إذا أنت لم تبعث مرارته * فإن أمر فلوله عند الصبر
سهل الخلاق إلا أنه خشن * لين المهزّة إلا أنه حجر

لَا حَيَّةٌ ذَكَرْتُ فِي مَثَلِ صَوْلَتِهِ * إِنَّ صَالِ يَوْمًا وَلَا الصَّمَامَةَ الذَّكَرُ
إِذَا الرِّجَالُ طَفَّتْ أَرَاؤُهُمْ وَعَمَّوْا * بِالْأَمْرِ رُدَّ إِلَيْهِ الرَّأْيُ وَالنَّظَرُ
الْجُودُ مِنْهُ عَيْنٌ لَا أَرْتَابَ بِهِ * إِذْ جُودَ كُلِّ جَوَادٍ عِنْدَهُ خَيْرُ
وَقَالَ : وَمِنَ الْمَدِيحِ الْقَلِيلِ النَّظِيرُ قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَفْوَهِ :

أَوْفَوْا مِنَ الْحَمْدِ وَالْعِلْيَاءِ فِي قُلَّيْ * ثُمَّ قَوَاعِدُكَ الْبَاسُ وَالْجُودُ
سُبُطُ الْلِقَاءِ إِذَا شِيتَ مَخَالِيَهُمْ * بُسْلُ الْلِقَاءِ إِذَا صِيدَ الصَّنَادِيدُ
مُحْسَدُونَ وَمَنْ يَعْلَقُ بِحَبْلِهِمْ * مِنَ الْبَرِيَّةِ يُصْبِحُ وَهُوَ مُحْسَدُ

وَقَالُوا : أَمْدَحُ بَيْتَ قَالِهِ مَحْدَثُ قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ حَبَلَةٍ فِي أَبِي دُلْفٍ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ * بَيْنَ بَادِيَةٍ وَمَحْضَرَةٍ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ * وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَنْفَرَةٍ

وَهِيَ مِنَ الْقَصَائِدِ الْمَشْهُورَةِ، وَأَوَّلُهَا :

ذَا دَرَدَ النَّفْيَ عَنْ صَدْرِهِ * وَأَرَعَوَى وَاللَّهُوْ مِنْ وَطْرِهِ

جَاءَ مِنْهَا فِي مَدْحِهِ :

يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ * وَتَجِيرَ الْبِسرَ مِنْ عُسرَةٍ
كُلِّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ * بَيْنَ بَادِيَةٍ إِلَى حَضْرَةٍ
مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ * يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مَفْتَحَرَةٍ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ *

قَالَ الْمُسْكَوِيُّ : وَمِنَ الْمَدِيحِ الْبَارِعِ قَوْلُ بَشَّارٍ :

أَلَا أَيُّهَا الطَّالِبُ الْمُبْتَغَى * نَجْمُ السَّمَاءِ بِسَعْيِ أُمِّ

سَمِعَتْ بِمَكْرِمةِ ابْنِ العلاءِ * فاندثأت تَطْلُبُها لَسْتُ ثُمَّ
 إِذَا عَرَضَ المَهْمُ فِي صدرِهِ * لَهَا بِالْعطاءِ وَضربِ البُهْمِ
 فَقُلْ لِلخَلِيفةِ إِنْ جِئْتَهُ * نَصِيحًا وَلَا خَيْرَ فِي المَتَّهِمِ
 إِذَا أَهْطَنتُكَ جِسامُ الأُمُورِ * فَبِنِّهْ لَهَا عُمْرًا ثُمَّ ثُمَّ
 فَتَى لَا يَبِيتُ عَلَى دِمْنَةٍ * وَلَا يَشْرَبُ المَاءَ إِلَّا بِدَمٍ
 يَحِبُّ العطاءَ وَسَفَكَ الدَّمَاءِ * فَيُخْذِلُو عَلَى نَعِيمٍ أَوْ يَنْقِمُ

قال ومن المدح القليل النظير : قول أئمة بنت الجلاح الكلية :

إِذَا شِئْتُ أَنْ تَلْقَى فَتَى لَوْ وَزَنَتْهُ * بِكُلِّ مَعْدِيٍّ وَكُلِّ يَمَانِي
 وَفِي يَهُمِّ جَوْدًا وَحِلْمًا وَسُودَدًا * وَبِأَسَا فَهَذَا الأَسُودُ بْنُ قَتَانِ
 فَتَى كَالْفَتَاةِ الْبَكْرِ يُسْفِرُ وَجْهَهُ * كَأَنْ تَلَالِي وَجْهَهُ الْقَمَرَانِ
 أَغْرَأُ أَوْ أَبْرَأُ أَخِي زَارٍ وَيَعْرُبٍ * وَأَوْثَقُهُمْ عَقْدًا بِقَوْلِ لِسَانِ
 وَأَوْفَاهُمْ عَهْدًا وَأَطْوَلُهُمْ يَدًا * وَأَعْلَاهُمْ فِعْلًا بِكُلِّ مَكَانِ
 وَأَضْرِبُهُم بِالسِّيفِ مِنْ دُونِ جَارِهِ * وَأَطْعَمُهُمْ مِنْ دُونِهِ بِسَنَانِ
 كَأَنْ العَطَايَا وَالْمَنَايَا بِكُفِّهِ * سَحَابَانِ مَقْرُونَانِ مُؤْتَلِفَانِ

ومن المدح البارع قول أبي تمام :

رَأَيْتُ لِعَيَّاشٍ خَلَّاقًا لَمْ تَكُنْ * لَتُكَلِّ إِلَّا فِي الأَلْبَابِ المِهْدَبِ
 لَهُ كَرَمٌ لَوْ كَانَ فِي المَلَأِ لَمْ يَنْفُضْ * وَفِي البَرْقِ مَا شَامَ أَمْرُهُ بَرْقُ خُلْبِ
 أَخُو عِزِّ مَاتَ بَنَلُهُ بِنَلِّ مُحْسِنٍ * أَلَيْتَا وَلَكِنْ عَذْرُهُ عَذْرُ مَذْنِبِ

(١) كذا في الأصول وديوان المعاني . وفي كتاب انشعروا وانشعروا : * إِذَا أَهْطَنتُكَ حُرُوبُ العَدَا *

وفي الأغانى : * إِذَا دَهَمَكَ مَظَامُ الأُمُورِ *

(٢) في أحد الأصلين «أعز» .

يهولك أن تلقاه في صدر محفل ^(١) * وفي نحر أعداء وفي قلب موكب
وما سبق أقطار البلاد أضافني * اليك ولكن منهي فيك مذهبي
وهذي ثياب المدح فأجرز ذبولها ^(٢) * عليك وهذا مركب الحمد فأركب
وقد أحسن التنويع في قوله :

وفية من خير حمر الطبا * بيض المطايا حين يسود الأمل
شموس مجيد في سموات علا * وأمسد موت بين غابات أسل
وقالت الخنساء في أخيها صخر :

طويل النجاد رفيع العما . د ساد عشيرته أمردا
إذا القوم مدوا بأيديهم * إلى المجيد مد إليه يدا
فقال الذي فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مضعدا
فكلفه القوم ما علمهم * وإن كان أصفرهم مولدا
تري الحمد يهوى إلى بيته * يرى أفضل الكسب أن يجمدا
وقال آخر :

ومضعد هضبات المجد يطلها * كأنه لسكون الجاش منحدر
ما زال يسبق حتى قال حاسده * له طريق إلى العلاء مختصر
وقال إبراهيم بن العباس :

تلج السنون بيوتهم وتري لها * عن بيت جارهم أزوار مناكب

(١) في ديوانه : يهولك أن لقاء صدر المحفل * وعمر الأعداء وقلب الموكب

(٢) كما في ديوانه وديوان الحارثي : وفي الأمول : «وهذي بات المدح الخ» وهو تعريف .

وتراهم بسبيوفهم وشفارهم * مستشرقين لراغب أو راهب^(١)
حامين أو قارين حيث لقيتهم * نهب العفاة ونزهة للراغب

وقال أيضا :

إذا السنّة الشبهاء مدتّ سماءها * مدتت سماء دونها فتجلّت
وعادت بك الريح العقيم لدى القرى * لقاحا فدرت عن نذاك وطلّت

وقال ابن الرومي :

كأن مواهبه في المحو * ل آراؤه عند ضيق الحيل
فلو كان غيثا لعم البلاد * ولو كان سيفاً لكان الأجل
ولو كان يُعطى على قدره * لأغنى النفوس وأقنى الأمل

وقال أبو الحسن بن أبي البغل البغدادي يمدح أبا القاسم بن وهب وقد تقدم

ذكر بعضها لأبن أبي طاهر :

إذا أبو قاسم جادت لنا يده * لم يحمد الأجودان البحر والمطر^(٢)
وإن أضاءت لنا أنوار غمرته * تضائل النيران الشمس والقمر
وإن بدا رأيه أوجد عزّ منته * تأخر الماضيان السيف والقدّر
ينال بالظن ما كان اليقين به : والشاهدان عليه العين والأثر
كانه وزمام الدهر في يده * يدرى عواقب ما يأتي وما يذر

وقال ذو الرقة :

يطيب تراب الأرض أن يزلوا بها : وتختال أن تعلو عليها المنابر

(١) كذا في الأصول . وفي الأعان ج ٩ ص ٣٣ طبع ولانق : « نزهة » أى فرسة « يقال :

هو هزة الخنفس أى صيد لكل أحد » .

(٢) الذى تقدم : « إذا أبو أحمد » .

وما زلت تسمو للعالي وتجتنى * جنى المجد مذ شئت عليك المآزرُ
الى أن بلغت الأربعين فألقيت * اليك جماهير الأمور الأكابرُ
فأحكمتها لا أنت في الحكم عاجز * ولا أنت فيها عن هدى الحق جائزُ^(١)
وقال الشريف الرضي :

يا مخمس الدهر عن مقالته * كل زهانة عليك متهمة
شخصك في وجه كل داجية * ضحى وفي كل مجمل علم
وقال أبو الحسن السلامي :

إذا زرتَه لم تلق من دون بابِه * حجاباً ولم تدخل عليه بشافع
كجاء الفرات الجلم أعرض ورده * لكل أناس فهو مهل الشرائع
تراه إذا ما جتته متهللاً * تهلل أبكار الفيث الهوامع^(٢)
وقال محمد بن الحسين الأرمدي :

من القوم لما استغرب المجد غيرهم * من الناس أمسوا فيه فوق الفرائب^(٣)
إذا سالموا كانوا صدور مراتب * وإن حاربوا كانوا قلوب مواكب
جواد متى ما رامت الريح شأوه * كبت دون مرمى خطوه المتقارب
وبجر ندى لو زاره البحر حدث * عجائبه عن فعله بالعجائب^(٤)

وقال الأصمعي : كنت بالبادية فرأيت امرأة على قبر تبكي وتقول :
فن للسؤال ومن للنوال * ومن للقال ومن للخطب
ومن للهمة ومن للكأ * إذا ما الكأه جثوا للركب

(١) كذا في السعة الراحية - وفي الأصلين المتوعرايين : « حازر » .

(٢) في السعة الراحية : « الأمدى » .

(٣) في السعة الراحية : « مه » .

إذا قيل مات أبو مالك * فتي المكلمات قريع العرب

[فقد مات عز بن آدم * وقد ظهر النكد بعد الطرب^(١)]

قال : قلتُ إلهاء، وسألها عنه، فقالت : فديتُك ! هذا أبو مالك المجام، ختن
أبي منصور الحائك. [قلت : عليك لعنة الله^(١)] فما ظننتُ إلا أنه من سادات العرب.

وقال الهماد الأصفهاني :

حيون يخفون إحسانهم * ويعتذرون كأن قد أساءوا

إذا ظلم الدهر أعدوا عليه * وإن أظلم الخطب يوما أضاءوا

بمثلكم قد أقر الرجال * فثلثكم لم تله النساء

وللناس من حسن أيامكم * بدولتكم كل يوم هناء

وقال أيضا :

فلأطوين على أغر عجل * عرض الفلاة إلى أغر محبب

ليث الوغى غوث الوري غيث الندى * بدر الندي نعم وصدور الموكب

وإذا استوى في دسه مات له * أعناق كل متوج ومقصب

وميت رأقه حقد عذاته * ويحل هيبته عقود المحبي

إن الممالك ما تزال برأيه * في صائب ويحوده في صيب

يحبوك معتذرا اليك فيآله * من محسن تعروه نخلة مذنب

يزمي بأصيل في العلا تحم * شرقا وفرج بالكرام مطب

وقال أحمد بن محمد النامي :

له سورة في البشر تقرأ في العلا * وتثبت في صحيف العطاء وتكتب

إذا ما على أمطرتك سماءه * رأيت العلا أنوارها تحلب

وأزهر يبيض الندى منه في الرضا * وتحمراً أطراف القناحين ينضب
أمير الندى ما للندى عنك مذهب * ولا عنك يوماً للوغائب مرغب

وقال أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي :

سيد شادت علاه له . في العلا آباؤه النجب
وله بيت يمد له . فوق مجرى الأنجم الطنب
حسه بالمصطفى شرفاً . وعلى حين يتسب
رتبة في العرش شاعته . قصرت عن مثلها الرتب

(٥٧)

وقال ابن نباتة السعدي :

يرى الشمس أما والكواكب إخوة . وينظر من يد السماء الى ترب
غيت عن الآمال حين رأيته . وأصبح من بين الورى كلهم حسي
فلم أطلب المعروف من غير كفه . وهل تطلب الأمطار إلا من السحب

وقال أبو حامد أحمد الأنطاكي :

لو تبيل بالمجد في العلياء متلة . لنال بالمجد أعنان السموات
يرى الخطوب برأي يستضاء به . اذا دجا الرأي من أهل البصيرات
فليس يقاه إلا عند عارفة . أو واقفا في صدور السمهرات

وقال أبو طالب الماموني :

قد وجدنا خطا الكلام فإساحاً . فجعلنا النسيب فيك أمتداحاً
وأفضنا ما في الصدور قفاض الـ . مدح قبل النسيب فيك أنفصاحاً
وعمدنا الى علاك فصفتنا . لصدور القريض منها وشاحاً
وصدعنا في أوجه الشعر من به . في مساعيك بالندى أوضاحاً

كم كسير جبرته وفقير * مستميج رددته مُستماحا
وأمانٍ تُحرس بسطت لها في الـ * بقول حتى أعدتهن فصاحا
وبلايد جوايح رُضتها بالـ * حزم حتى أنسيتها المباحا
شهرت منك آل سامانَ غضبا * يُجج السعى غربه إنجاحا
لا ينوق الإغفاء إلا رجاء * أن يرى طيف مستميج رواحا

وقال أحمد بن محمد النامي :

أميرَ العلّا إن العوالي كواسب * علامك في الدنيا وفي جنة الخلد
يمرُّ عليك الحولُ سيفك في الطلّا * وطرفك ما بين الشكيمة واللبد
ويَمْضى عليك الدهرُ فَعَلْكَ للعلّا * وقولك للتقوى وكُفْكَ للرفد

وقال أيضا :

فتى قَسَمَ الأيام بين سيوفه * وبين طريفات المكارم والتلد
فسود يوما بالعجاج وبالردى * وبيّض يوما بالفضائل والمجد

وقال الصاحب بن عباد :

أيها الآملون حُطّوا سريرا * برفيع المهاد وارى الزناد
فهو إن جاد دُتم حاتم طيء * وهو إن قال قل قَسَ إِياد
وإذا ما أَرْتَبِي فأين زياد * من علاه وأين آل زياد

وقال أبو طالب الماموني من قصيدة :

فتى مُلكت بردناه عُلّا * ونُبلا وفضلاً ومجداً وخيرا
إذا ضمه الدُسْتُ أَلْفَيْته * صحاباً مطيراً وهدراً مُنيرا

وإن أبرزته وعى خلتَه * حُساما بتورا ولينا هَمُورا
 فطورا مُفيدا وطورا مُبيدا * وطورا مجيرا وطورا مبرا^(١)
 ترى في ذراه لسانَ المنى * طويلا وباعَ الليالي قصيرا
 تضم الأسرة منه دُكاء * وتحمل منه المذاكي ثبرا

وقال أبو الطيب المتنبي :

يمشى الكرام على آثار غيرهم * وأنت تخلق ما تأتي وتبتدع
 من كان فوق محلّ الشمس موضعه * فليس يرفعه شيء ولا يضع

وقال أبو المعالي محمد بن مسعود الأصفهاني شاعر الخريفة :

قد حلّ في مدرج العلاء مرتبة * مطامحُ الشهب عن غاياتها تقف
 أغرى بوصف معاليه الوردى شغفا * لكنه والمعالي فوق ما وصفوا
 إن ناصبته العدا فالدهر معتذر * أو أنكروا فضله فالمجد معترف

وقال السلمي شاعر اليتيمة :

يزور نائلُك العافي وصارمك الـ * عاصي فتحو بهما أيدي وأعناق
 في كل يوم لييت المجد منك غنى * وثروة وليت المال إملاق
 كم خضت من لجة للنفع زانخة * ماء المنون بها — حاشاك — دقاق

وقال المتنبي :

أنت الجواد بلا من ولا كدير * ولا مطالٍ ولا وعدٍ ولا مذل^(٢)

(١) كذا في يتيمة الدهر . وفي الأصول : « وطورا أميرا » والمير : المهلك .

(٢) كذا في الأصلين . يتيمة الدهر وديوانه . وفي النسخة الراغية : « مال » وهو تحريف .

والمذل : السرة والضجر والقلق .

وقال أبو الفرج البقاء :

لا غيثُ نمله في الوري خَلْب الـ * برق ولا وِرْدُ جوده وشَلْ
جاد الى أن لم يُبقِ نائله * مالا ولم يبقَ للسورى أمل

وقال محمد بن الحسن الحاتمي شاعر اليتيمة :

وَمَنْ عودته المكومات شماتلا * فليس له عنها - ولو شاء - ناقل
وإن راسل الأعداء فالجرد رُسُلُه ^(١) * اليهم وأطراف العوالى الرسائل
عظمت فهذا الدهرُ دونك همة * وجدتَ فهذا القطرُ عندك باخل

وقال مؤيد الدين الطغرائي :

لو دبَّ رأيك في كهوبِ قنا * ما متهبا طَنَبٌ ولا خطل ^(٢)
أو كان ضوءك للفضالة لم * يحجب ضياءَ جبينها الطفل ^(٣)
أو كان لطفك في الحياة لما * طافت بها الأسقام والعلل
أنت الذي لولا علاه عَفَتْ * طُرُقُ الهدى وأستهم السبل
في كلِّ شِعْبٍ من رويته * شُعْبٌ ومن آرائه شُعْل
يرتد عنه جفنُ حاسده * فكأنه بالنار يكتحل
وجهٌ كيوم الصحو مبسمٌ * ويدٌ كليل الدجن تنهل
مَسَحَتْ على الأنواءِ راحته * فأنساق منها العارضُ المطل
إن ضنَّ غيثٌ أو خبا قرٌ * فجبينه ويمينه البدل

(١) كذا في أحد الأصلين وبيتة الدهر . وفي الأصل الآخر والنسخة الراجية : « فالجود »

وهو تحريف .

(٢) الطب : الوج .

(٣) كذا في النسخة الراجية وأحد الأصلين . وفي الأصل الآخر : « ولا خلل » .

وقال ابن الرومي :

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم - في الحادثات اذا دجوت نجوم
فيها معالم للهدى ومصايح * تجلّو الدجى والأحرىات رجوم
وقال أبو الطيّب المتنبي :

قومٌ بلوغُ السلام عندهم * طعنُ تحوّرِ الحكمة لا الحلم
كانما يولد الندى معهم * لا صفرٌ عنيدٌ ولا هَرَمٌ
إذا تولّوا عداوةً كشفوا * وإن تولّوا صنيعةً كنوا
تظن من فخذك اعتدائهم * أنهم أنعموا وما علموا
إن برقوا بالخشوف حاضرة * أو نطقوا بالصواب والحكم
أوشهدوا الحرب لا لحا أخذوا * من مهج الدارعين ما آتوا
أوركبوا الخيل غير مُسرّجة * فإن اغتادهم لها حزم
تُشرق أعراضهم وأوجههم * كأنها في نفوسهم شيم
أعيدكم من صروف دهركم * فإنه في الكرام منهم

وقال أيضا :

ودانت له الدنيا فأصبح جالسا * وأيامه فيما يريد قيام
وكل أناس يتنون إمامهم * وأنت لأهل المكرمات إمام

وقال أيضا :

هم المحسنون الكرّ في حومة الوغى * وأحسنُ منه كرم في المكارم
ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة في البهائم

(١) كذا في ديوان الخفي وقيمة الدهر العالي . والمعنى : أنهم لا يمتدّون بصنيعهم وانما هم
كانهم لم يعلوا بذلك . وفي الاصول : « تظن من كثرة إغثارهم ... الخ » .

وقال المشوق الشامي شاعر اليتيمة :

يروح الى كسبِ الثناء ويتدى * اذا كان هم الناس كسبِ الدراهم
وإن جلس الأقوام عن واجبِ الندى * وحقَّ العطايا كان أول قائم
يزيد أبتهاجا كلما جاء قاصد * كانت به شوقاً إلى كل قادم

وقال السلامي شاعرها :

تُشبهه المذاح في البأس والندى * بمن لو رآه كان أصغر خادِم
ففي جيشه خمسون ألفاً كمتير * وأمضى وفي خزانه ألف حاتم

وقال أبو طالب الماموني من قصيدة :

يُعتمُّ بالهندي حين يسُّله * أسود الوغي بالضرب فوق العالم
فلا ملك إلا ما أقت عمر وشه * ولا غيث إلا ما أفضت لثام
ولا تاج إلا ما توليت عقده * على جبهة الملك المكنى بقمم
فرايك نجم في دجى الليل ثاقب * وعزمك غضب في طلي كل ناجم

وقال المشوق الشامي :

ما زال يبنى كعبةً للعلا * ويحمل الجود لها ركناً
حتى أنى الناس فطافوا بها * وقبلوا راحته اليمنى

وقال الماموني من قصيدة :

همام يسكن المشرقة ساخطا * ويضحك أبكار الأمانى راضيا
ولو أنَّ بحرا يستطيع ترقياً * إليه لأم البحر جدواه راجيا

(١) كذا في السبعة الراغبة و يتيمة الدهر . وفي الأصلين الفترغرافيين : « كلما زار قاعدا » .

وفي اليتيمة أن هذه الأيات من شعر عبد المحسن بن محمد العموري .

(٢) في يتيمة الدهر : « الحطب » .

ذكر ما قيل في الافتخار

قالوا : أنخر بيت قاله العرب قول جرير :

إذا غَضِبْتُ عَلَيْكَ ^(١) بنو تميم . حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا

قال : دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له : ممن

الرجل؟ قال : من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بنو تميم * البيت .

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل :

يزيدُ بنو سعدٍ على عَدَدِ الحصى * وأثقلُ من وزن الجبالِ حُلومُها

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

ثيابُ بني عوفٍ طَهَارَى ثَمِيَّةَ * وأوجهُهم عندَ المشاهِدِ غُرَانُ ^(٢)

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

فلا وأبيكَ ما ظَلَمْتُ قُرَيْبُ * بأن يبنوا المكارمَ حيث شاموا

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

قوم هم الأنف والأذنان غيرُهم * ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

قال : آجلس، لا جَلَسْتُ؛ والله لقد خفت أن تمخر علي !

وقالوا : أنخر بيت قاله العرب قول الفرزدق :

تري الناس ما سِرنا يسعون خلفنا * وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

(١) في ديوان الماتى : « إذا غضبت على » .

(٢) في لسان العرب مادة « غر » : « يهضر المسافر ... » في إحدى روايته .

وقال عمرو بن كلثوم وهو أبلغ ما قاله جاهل في الافتخار :
ونحن الحاكون إذا أُطعنا * ونحن العارمون إذا عُصينا^(١)
ونحن التاركون لما نَحْطَنَّا : ونحن الآخذون لما رَضِينَا
وقال إبراهيم بن العباس :

إما ترى أمامَ القوم متبعا * فقد أرى من وراء الخيل أتبعُ
يوما أبيعُ فلا أرى على نَسَب * وأستبيعُ فلا أبقي ولا أدعُ
لا تسألِ القومَ عن حَيِّ صَبَحْتُهُمْ * ماذا صنعتُ وماذا أهله صنعوا

وقالوا : من أحسن ما مدح به الرجل نفسه قولُ ربيعة :
وما أنا في نفسي ولا في عيَرتي * بمهتَضِمٍ حتَّى ولا قارِعِ سِنِي
ولأُسلمِ مولاى عند جنائية * ولا خائِفِ مولاى من شرِّ ما أجنى
وإن فؤادى بين جنبيَّ عالمٌ * بما أبصرتُ عيني وما سمعتُ أذنى
وفضلتى في الشَّعر واللَّبِّ أنى * أقول على عِلمٍ وأعلمُ ما أعنى
فاصبحتُ إذ فضلتُ مروانَ وأبنه * على الناس قد فضلتُ خيرَ أبٍ وأبن
وقال أبو هفان :

لعمري لئن بَيَّعت في دارِ غُرَبةٍ * ثيابي إذ ضاقت على الماكِلِ
فما أنا إلا السيف يأكلُ جَفَنَه * له حليَّةٌ من نفسه وهو عاِطِلُ

قال أبو هلال العسكري : ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشدَه أبو تمام وهو :

قُلْ لِرُهْرٍ إِنْ شَتَمَتْ سَرَاتِنَا * فَلَسْنَا بِشَتَامِينَ لِّلشُّتَمِ

(١) كذا في جهرة العرب . والدارم : صاحب الغرام وهو الشدة والقوة والشراسة . وفي السمة
الراغبة وشرح الملقات : «المازمون» بالراى المعجمة . وفي باقي الأصول : «الماثمون» .

وَلَكِنَّا نَأْبَى الظَّلَامَ^(١) وَتَقْتَضِي * بِكُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَيْنِ مَصْمِيَّ
وَيَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْمُ رَأْيُنَا * وَتَشْتُمُّ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكْلِيمِ

ومن الافتخار قول السموعل بن عاديء من كلمته التي أولها :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عِرضَهُ * فكلَّ رداء يرتديه جميلُ
وإن هولم يحل على النفس ضَمِيمُها * فليس إلى حُسن الثناء سيلُ
وقائِلُهُ ما بالُ أُسرَةٍ عَديَاءُ * تُنادِي وفيها قِلَّةٌ وُحُولُ
تُعيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَديدُنَا * قُلتُ لها إن الكرامَ قَلِيلُ
وما قُلَّ من كانت بَقاياهُ مثلُنَا * شَبَابٌ نَسَامِيٌّ لِلْعَلَا وَكُهُولُ
وما ضَرَبْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا * عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
وَأَنَا أَنَا لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً * إذا ما رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا * وَتَكْرَهُهُ أَجَامِلُهُمْ فَتَطُولُ
وما ماتَ مِنَّا سَيِّدٌ خَفَّ أَثَرُهُ * وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الطُّبَاةِ تَقْوُسُنَا * وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الطُّبَاةِ تَسِيلُ^(٢)
صَفَوْنَا فَلَمْ نَكْذُرْ وَأَخْلَصَ سِرُّنَا * إِنَّا نُوْطِبُ أَطَابِتَ حَمَلَتَا وَغُولُ
علونا إلى خيرِ الظُّهورِ وَحَطْنَا * لَوْ قَتَلَ إِلَى خَيْرِ الْبَطُولِ زُؤُولُ
فَنَحْنُ كَمَا الْمَرْزَنِ مَا فِي نِصَابِنَا * كَكِهَامُ وَلَا فِينَا بُعْدٌ بِخَيْلُ
وَتُسْكِرُ إِنْ شَتَّنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلُهُمْ * وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ قَوْلُ
إذا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدُ * قَوْلُ لَمَّا قَالَ الْكَرَامُ فَعَوْلُ

(١) الظلام : الظلم .

(٢) رواية الأماال : « وانا لقوم ما نرى ... » .

(٣) رواية الأماال : « السيوف » .

وما أُنحَدْتُ نَارُ لَنَا دُونَ طَارِقٍ * وَلَا ذَمْنَا فِي النَّازِلِينَ تَزِيلُ
وَأَيُّمْنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدَوْنَا * لَهَا غُرُرٌ مَعْلُومَةٌ وَمُجْجُولُ
وَأَسِيفَانَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ * بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّرَاعِينَ فَلُولُ
مَعزُودَةٌ أَلَا تُسَلِّ نِصَالُهَا * فَتُقَمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَيْلُ
سَلَى إِنْ جَهَلَتِ النَّاسُ عَنَا وَعَنَهُمْ * وَلَيْسَ سَوَاءَ عَالَمٌ وَجَهْلُولُ
فَإِنْ بَنَى الدِّيَانَ قَطْبُ لِقَوْمِهِمْ * تَدُورُ رَحَامُ حَوْلِهِمْ وَتَجُولُ

وقال أبو هلال العسكري من قصيدة :

وما ضَاعَ مِثْلِي حَيْثُ حَلَّتْ رِكَابُهُ * بَلَى حَيْثُ ضَاعَ الْمَجْدُ مِثْلَ ضَائِعِ
وَمِثْلِي مَخْضُوعٌ لَهُ غَيْرَ أَنَّهُ * إِذَا كَانَ بِمَجْهُولِ الْفَضَائِلِ خَاضِعُ
وَمِثْلِي مَتَّبِعٌ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ * فَإِنْ يَتَقَلَّبُ وَجْهَ الزَّمَانِ فَتَابِعُ

وقال عبد الله بن المعتز :

سَأَلْتُكَ يَا اللَّهُ هَلْ تُعَلِّمَانِي * وَلَا تَكْتُمَانِ شَيْئًا فَمَنْدُكَا خُبْرِي
أَأَرْفَعُ نِيرَانِ الْقِرَى لِعُفَاتِهَا * وَأَصْبِرُ يَوْمَ الرُّوعِ فِي ثَغْرِ الثَّغْرِ
وَأَسْأَلُ نَيْلًا لَا يُجَادُ بِمِثْلِهِ * فَيَفْتَحُهُ بِشَرِي وَيَخْتُمُهُ عُذْرِي

ومن الاختصار قول بعض الشعراء، ويروى لحسان بن ثابت من قصيدة أولها :

أَنْسِيْمُ رِيحِيكَ أَمْ خِيَارُ الْعَنْبَرِ * يَا هَذِهِ أَمْ رِيحُ مَسِيكِ أَذْفَرِ
قَوْلِي لَطِيفِكَ أَنْ يَصُدَّ عَنِ الْحَشَى * سَطَوَاتِ نِيرَانِ الْأَسَى ثُمَّ أَجْهَرِي
وَأَنْهَى رُمَاتِكَ أَنْ يُصْبَنَ مَقَابِلِي * فَيَنَالَ قَوْمَكَ سَطَوَةٌ مِنْ مَعْشَرِي
إِنَّا مِنَ التَّفْسِيرِ الَّذِينَ جِيَادُهُمْ * طَلَعَتْ عَلَى عَادِ بَرِيحِ صَرَصِيرِ

وَسَلَبْنِ تَابِي مُلْكٍ قِصَرَ الْقَنَا * وَأَجَرْنَ بَابَ الدَّرْبِ لَابِنِ الْأَصْفَرِ
 كَمْ قَدْ وَلَدْنَا مِنْ كَرِيمٍ مَاجِدٍ * دَامِ الْأَطَافِرِ أَوْ رِبْعِ مُنْطَرِ
 خَلَقْتَ أَنَامِلَهُ لِقَائِهِمْ مُرْهِفٍ * وَلِبَذْلِ مَكْرَمَةٍ وَذِرْوَةِ مِنْبَرِ
 يَلْتَقَى الرَّمَاحَ بِوَجْهِهِ وَبَصْدَرِهِ * وَيُقْسِمُ هَامَتِهِ مَقَامَ الْمِفْقَرِ
 وَيَقُولُ لِلطَّرَفِ أَصْطَبِرْ لِشَبَابِ الْقَنَا * فَهَدَمْتَ رُكْنَ الْمَجِيدِ إِنْ لَمْ تَصْبِرِ
 وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ * مُتَسَرِّيلٍ سِرْبَالِ نَوْبِ أَغْبِرِ
 أَوْ مَا إِلَى الْكُومَاءِ هَذَا طَارِقُ * نَحْرَتُنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنْحَرِ

ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام

- حقيقة الجود بذل المال، قال الله عز وجل : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وقال تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
 "إِنَّ اللَّهَ أَسْتَخْلَصَ هَذَا الدِّينَ لِنَفْسِهِ وَلَا يَصْلَحُ لَدِينِكُمْ إِلَّا السَّخَاءُ وَحَسَنُ الْخُلُقِ
 أَلَا فَرِيتُوا دِينَكُمْ بِهِمَا" وقال صلى الله عليه وسلم : "تَجَاوَزُوا عَنْ ذَنْبِ السَّخِي" فإن الله
 عز وجل أخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما أفقر" وقال صلى الله عليه وسلم : "الجود
 من جود الله تعالى بغيره" . "ألا إن السخاء شجرة في الجنة أغصانها
 متدلية في الأرض فمن تعلّق بفضن منها أدخله الجنة" . "ألا إن السخاء من الإيمان
 والإيمان في الجنة" . وقال علي بن عبد الله بن عباس : سادة الناس في الدنيا
 الأخشياء . وقال بعض الحكماء : الجواد من جاد بماله وصان نفسه عن مال غيره .
 وقيل لعمرو بن عبيد : ما الكرم؟ فقال : أن تكون بمالك متبرعا، وعن مال غيرك
 متوزعا . ويقال : مراتب السخاء ثلاثة : سخاء وجود وإشراق، فالسخاء إعطاء

الأقل وإسماك الأكر؛ والجود إعطاء الأكثر وإسماك الأقل؛ والإيثار إعطاء الكل من غير إسماك لشيء؛ وهو أشرف درجات الكرم، وبه استحقوا شاء الله عز وجل عليهم في قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ . ومن كلام ينسب إلى جعفر بن محمد: لا يتم المعروف إلا بثلاثة: نمجيته، وتصغيره، وسنّته . الجود زكاة السعادة، والإيثار على النفس موجب لأسم الكرم، وقال: لا يستحي من بذل القليل فإن الحرمان أقل منه . قال بعض الشعراء:

أعط القليل ولا يمنك قتله - فكل ما سدّ فقراً فهو مجود

❦

وقال علي بن الحسين: الكريم يتهج بفضل، والاثم يفتخر بماله .

وقال الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما: أيها الناس من جاد ساد، ومن بحل رذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه . وقيل ليزيد بن معاوية: ما الجود؟ قال: أن تعطى المال من لا تعرف، فإنه لا بصير إليه حتى يتخطى من تعرف .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه: لو لم يكن في الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى تسمى بها، فهو الكريم عز وجل . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أناكم كريم قوم فأكرموا" . وقيل لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفت في بذل المال، قال: إن الله عز وجل قد عودني عبادة أن يتفضل عليّ، وعودته أن أفضّل على عباده، وأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني . وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلبّي: إنك متلاف، قال: منع الموجود، سوء ظنّ بالمعبود . قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ . وقال أكرم بن صيفي حكيم

(١) كذا في هامش أحد الأصولين المتوغرايين وكتب عليه كلمة «صواب» . وفي سائر الأصول والنفذ

المريد (ج ١ ص ٨٤) : «منع الجود» .

المرب : ذَلَّلُوا أَخْلَاقَكُمْ لِلطَّالِبِ ، وَقَوِّدُوا إِلَى الْحَامِدِ ، وَعَلِّمُوا الْمَكَارِمَ ،
وَلَا تَقِيمُوا عَلَى خَلْقٍ تَذُمُّونَهُ مِنْ غَيْرِكُمْ ، وَصَلُّوا مِنْ رَغَبِ الْيَكْمِ ، وَتَحَلَّوْا بِالْجُودِ يَكْسِبُكُمْ^(١)
الْحُبَّةُ ، وَلَا تَعْتَدُوا الْبَخْلَ تَتَجَلَّوْا الْفَقْرَ . أَخَذَهُ شَاعِرٌ فَقَالَ :

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تَعَبَّتَهُ ، وَأَتَوَتْ إِضْطَاقٌ مَا تَجْمَعُ

فَصَرَّتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنَى ، وَمَا كُنْتَ تَعْدُو الَّذِي تَصْنَعُ

وكتب رجل من البخلاء إلى رجل من الأتخياء يأمره بالإففاق على نفسه ويخوفه
الفقر ، فأجابته : ﴿ الشَّيْطَانُ يَمِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَمِدُّكُمْ مَغْفِرَةً
مِنْهُ وَفَضْلًا ۖ وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَتْرِكَ أَمْرًا قَدْ وَقَعَ لِأَمْرِ لَعَلَّهُ لَا يَبْقَى .

وكان سعيد بن العاصي يقول على المنبر : من رزقه الله رزقا حسنا فلينفق منه

- ١٠ سرا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به ، فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين :
إما لمُصْلِحٍ فلا يَبْقَى عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وإما لمُفْسِدٍ فلا يَبْقَى لَهُ شَيْءٌ . أَخَذَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

اسْعِدْ بِمَالِكَ فِي الْحَيَاةِ فَإِنَّمَا يَبْقَى خِلَافُكَ مُصْلِحٌ أَوْ مُفْسِدٌ

وَإِذَا جُمِعَ لِمُفْسِدٍ لَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ ، وَأَخُو الصَّلَاحِ قَلِيلُهُ يَتَرَدَّدُ

- ١٥ وقال أبو ذر رضي الله عنه : لك في مالك شريكان : الحَدَثَانِ ، والوَارِثُ ؛ فَإِنْ
أَسْتَطَعْتَ إِلَّا تَكُونَ أَبْجَسَ الشُّرَكَاءِ حَطًّا فَأَقْعِلْ . وقال بُزْرُجُمَهْرُ الْعَارِسِيُّ : إِذَا
أَقْبَلَتْ عَلَيْكَ الدُّنْيَا فَأَهْطِقْ مِنْهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَقْبَلُ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَلَيْكَ فَأَهْطِقْ مِنْهَا ،
فإنها لا تَبْقَى . أَخَذَ الشَّاعِرُ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

(١) كذا في المقدِّم المريد وفي الأصول : « وَلَا تَقِيمُواهَا » .

(٢) كذا في النسخة الرَّاعِيَّة - وفي الأصلين المتون عرابين والمقدِّم المريد : « بِسَبْكٍ » .

(٣) في أحد الأصلين والمقدِّم المريد والنسخة الرَّاعِيَّة : « لَا يَبْقَى » .

لا تَجُنَّ بُدْنِيَا وَهِيَ مَقِيلَةٌ * فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها * فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وكان كسرى يقول : عليكم بأهل السخاء والشجاعة ، فإنهم أهل حسن ظن بالله ؛
واو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرب مجلهم ، ومذمة الناس لهم ، وإطباق
القلوب على بغضهم إلا سوء ظنهم برهم في الخلف ، لكان عظيما . أخذه محمود
الوزراق فقال :

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا * والبخل من سوء ظن المرء بالله

وقيل لأبي عقيل البلخي العراقي : كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب
الحاجة إليه ؟ قال : رأيت رغبته في الإنعام فوق رغبته في الشكر ، وحاجته الى
قضاء الحاجة أشد من حاجة صاحبا .

وقال زياد : كفى بالبخیل طارا أن اسمه لم يقع في حمد قط ، وكفى بالجود
محدا أن اسمه لم يقع في ذم قط .

وقال أسماء بن خارجة : ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة طلبها ، لأنه لا يخلو
أن يكون كريما فأصون له عرضه ، أو ثيبا فأصون عرضي منه .

وقال إبراهيم بن المهدي : قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها كان
لا يثيف بيده قلم ، ولا يستريح قلبه ، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال ،
وإدخال المرافق على الضعفاء : أخبرني عن الحالة التي خفت عنك النصب ،
وهوت عليك الثمب في القيام بحوائج الناس ، ما هي ؟ قال : قد والله سمعت
تفريد الطير بالأصهار ، في فروع الأشجار ، وسمعت حَقَق أوتار العيذان وترجيع
أصوات القيان ، فما طربت من صوت قط ، طرني من ثناء حسن ، بلسان حسن ،

على رجل قد أحسن؛ ومن شُكر حرٍّ لمنيم حرٍّ؛ ومن شفاعة محتسب، لطالب شاكرك؛
قال إبراهيم : فقلت، لله أبوك ! لقد حشيت كرما .

وكان طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري من أجود قريش في زمانه، فقالت
له امرأته : ما رأيت قوما أأمن من إخوانك ! فقال لها : له ؟ وأنى قلت ذاك ؟
فقلت : أراهم إذا أيسرت أنوك، وإذا أعسرت تركوك، قال : هذا واقع من
كرمهم ، يأتوننا في حال القزة عليهم ، ويتركوننا في حال العجز عنهم .

وحكى أن رجلا شيخا أتى سعيد بن سالم، وكتبه في حاجة وما شاء؛ فوضع الشيخ
زُجَّ عصاه التي يتوكأ عليها، على رجل سعيد حتى أدماها، فما تأوه لذلك، وما نهاه؛
فلما فارقه، قيل له : كيف صبرت على هذا مه ؟ فقال : خفتُ أن يعلم جنائتيه،
فيقطع عن ذكر حاجته .

١٠

ذكر من أتتهى اليهم الجلود في الجاهلية

وذكر شيء من أخبارهم

(١١)

والذي أتتهى اليهم الجلود في الجاهلية : حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، وهريم
ابن سنان المُرِّي، وكعب بن مامة الإيادي؛ وضرب المثل بحاتم وكعب، والمشهور
حاتم . وكعب هذا : هو الذي جاد بنفسه، وآثر رفيقة بالماء في المفازة، ولم يشهر
له خبر غير هذا . وأما حاتم فأخباره مشهورة

١٥

منها : أنه كان إذا أشدَّ البرد، أمر غلامه يساراً، فأوقد ناراً في بفاع من
الأرض، لينظر إليها مَنْ ضلَّ عن الطريق [إيلاً]، وفي ذلك يقول :

أوقدْ فإنَّ الليلَ ليلٌ قَرٌّ والريحُ يا واقِدْ ريحٌ صرٌّ

عسى يرى ناركَ مَنْ يمرُّ - إن جليتْ ضيفا فانتَ حرٌّ

٢٠

قالوا : ولم يك حاتم يُمسك غير سلاحه وفرسه ، ثم جاد بفرسه في سنة أزمة .
 قالت النوار امرأة حاتم : أصابتنا سنة أقشعرت لها الأرض ، وأغبر أفق السماء ،
 وضبت المراضع عن أولادها ، لا تبيض بقطرة ، وأيقنا بالهلاك ؛ فوالله ، إني لفي ليلة
 صبرة^(١) ، بعيدة ما بين الطرفين ، إذ تصاغى صبيتنا جوعا ؛ عبد الله ، وعدى ، وسفانة ؛
 فقام حاتم الى الصبيين ، وقت الى الصبية ؛ فوالله ما سكتوا إلا بعد هذأة من الليل ؛
 وأقبل يطلني ، فعرفت ما يريد ، فتناومت ؛ فلما تهورت النجوم ، إذا بشيء قد رفع كسرت
 البيت ، فقلت : من هذا ؟ فوالى ، ثم عاد آخر الليل ؛ فقال من هذا ؟ فقالت : جارتك
 فلانة ، أتيتك من عند صبية يتعاونون عواء الذئب ، فما وجدت معولا إلا عليك
 أبا عدى ، فقال : أعجلهم ، فقد أشبعك الله وإياهم ؛ فاقبلت المرأة تحمل آئين .
 ويمشي بجانبها أربعة كأنها نعامه حولها رثاء ؛ فقام الى فرسه ، فوجأ لبته بمديّة ،
 فخر ، ثم كسّط عن جلده ، ودفع المديّة الى المرأة ، وقال : شاك ؛ فأجته منا على اللحم
 نُسوي ونأكل ثم جمل [يمشي في الحى] يأتيهم بيتا بيتا ، فيقول : هبوا ، عليكم
 بالنار ، وألتفع بشوبه ناحية ينظر البناء ، لا والله إن ذاق منه مضغة ، وإنه لأحوج اليه
 منا ! فأصبحنا وما في الأرض إلا عظم أو حافر .

وقيل : كان مبدأ الأمر لحاتم في الجود ، أنه لما ترعرع ، جعل يُخرج طعامه
 فإن وجد من يأكله معه أكله ، وإن لم يجد طرحه ؛ فلما رأى أبوه أنه يهلك
 طعامه ، قال له : ألحق بالإبل ، فخرج إليها ، فوهب له جارية وفرسا وفلّوها .

(١) ليلة صبرة أى شديدة البرد .

(٢) تصاغى الصبيان : تضوروا من الجوع .

(٣) تهورت النجوم : أديرت .

(٤) وجأ لته أى ضربه في منخره .

(٥) الزيادة عن المقد المريد .

- وقيل : بل هلك أبو حاتم وهو صغير ، وهذه القصة كانت مع جده سعد بن الحنشرج ، فلما أتى حاتم الإبل طفقَ يتنقى الناس فلا يخدمهم ، ويأتى الطريق فلا يجد عليه أحداً ؛ فبينما هو كذلك ، إذ بَصُرَ برَكْبٍ على الطريق فأتاهم ، فقالوا : يا بني ، هل من فَرَى ؟ فقال : تسألونني عن الفَرَى وقد تَرَوْن الإبل ! وكان الذي بَصُرَ بهم : عَيْدَ آبن الأبرص ويُسْرَبْن أبي خازم والتابضة الذُّبْيَانِي وكانوا يريدون النعمان ، فحرم لهم ثلاثة من الإبل ، فقال عَيْدَ : إنما أردنا اللبن ، وكانت تكفيتنا بَكْرَةٌ إن كنت لا بدّ متكلِّفاً لنا شيئاً ؛ فقال حاتم : قد عرفتُ ، ولكنني رأيت وجوهاً مختلفةً وألواناً متفرقةً ، فظننت أن البلدان غير واحدة ، فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه ؛ فقالوا أشعاراً آمندحوه بها وذكروا فضله ؛ فقال حاتم : أردت أن أحسن اليكم ، فصار لكم الفضل على ، وإني أعاهد الله أن
- أضرب عراقيبَ إبلٍ عن آخرها أو تقوموا إليها فتقتسموها ؛ ففعلوا ، فأصاب كل واحد تسعة وثلاثين سيرا ، وهضوا على سفرهم إلى النعمان ؛ وإن أبا حاتم أو جده سمع بما فعل ، فقال : أين الإبل ؟ فقال : يا أبت طوقتُك بها طوق الحمامة مجداً وكراً ، لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أتى به علينا عوضاً من إبلِك ؛ فلما سمع أبوه ذلك ، قال : أبا إبلٍ فعلتَ ذلك ؟ قال : نعم ، قال : والله لا أسألك أبداً ، فخرج
- أبوه بأهله ، وترك حاتماً ومعه جاريته وفرسه وفِئْله . قال : فبينما حاتم يوماً نائم إذ أتته وحوله نحو مائتي بعير تجول ويحطِّم بعضها بعضاً ، فساقها إلى قومه ، فقالوا : يا حاتم ، أبقى على نفسك فقد رزقتَ مالا ، ولا تمودتَ إلى ما كنت فيه من الإسراف ، قال : فإنها تُهَيِّبُ^(١) بينكم ، فأتيت . ثم أقبل ركب من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان ، فلقوا حاتماً فقالوا له : إنا تركنا قومنا يَتَّبِعُونَ عليك خيراً ، وقد

أرسلوا إليك برسالة، قال : وما هي ؟ فأنشده الأسديون شعرا لعبد، وأنشده القيسيون شعرا للناجعة، ثم قالوا : إنا لنسجى أن نسألك شيئا وإن لنا حاجة، قال : وما هي ؟ قالوا : صاحب لنا ورجل، فقال حاتم : خذوا فرسي هذه، فاحملوا عليها صاحبكم، فاخذوها، وربطت الجارية فلوها بنوبها، فأظت فأتبعته الجارية لترده، فقال حاتم : ما لحقكم من شيء فهو لكم، فذهبوا بالفرس والغلو والجارية .

وَأما هَرَمُ بنِ سِنان ، فن أخبره : أنه آلى على نفسه أنه لا يسلّم عليه زهير إلا أعطاه قتل مال هَرَم ، وكان زهير يمز بالنادى وفيه هَرَمُ فيقول : أنعموا صباحا ما خلا هَرَمًا ، وخير القوم تركت .

قالوا : وكان عبد الله بن جُدعان ، حين تكبر، أخذت بنو تميم على يده، ومنعوه أن يعطى شيئا من ماله ، فكان الرجل إذا أماه يطلب منه قال له : آذن متى . فإذا دنا منه لطمه ، ثم قال : أذهب فاطلب لطمتك أو ترضى، فترضيه بنو تميم من ماله ؛ وفيه يقول الشاعر :

والذى إن أشار بحوك لَطْمًا * تبع اللطم نائلٌ وعطاء

ومن أخبار الكرام : ما حكى أن خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق كان يكثر الجلوس ثم يدعو باليد ويقول : إنما هذه الأموال ودائع لا بد من تفرقتها ، فقال : ذلك مرة، وقد وفد عليه أخوه أسد بن عبد الله من نجران، فقام فقال : أيها الأمير إن الودائع تجتمع لا تفرق؛ فقال : ويحك ! إنها ودائع المكارم، وأيدينا وكلاؤها، فإذا أنا بالملق فأغنيته، والظمان فأرونيته، فقد أدبنا فيها الأمانة .

ومرّ يزيد بن المهلب بأعرابية في هروبه من يحيى بن عمر بن عبد العزيز وهو يريد البصرة، فقدمت له عتراً فقبلها، ثم قال لابنه معاوية: ما مكنك من النفقة؟ قال ثمانمائة دينار، قال: أدفعها إليها! فقال له أبنته: إنك تريد الرجال، ولا تكون الرجال إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهي بعد لا تعرفك، فقال: إن كانت ترضى باليسير، فاني لا أرضى إلا بالكثير؛ وإن كانت لا تعرفني، فأنا أعرف نفسي، أدفعها إليها، فدفعها إليها.

قال الأحنف: كثرت على الديّات بالبصرة، لما قُتل مسعود، فلم أجدها في حاضرة تميم، فخرجت نحو يبرين، فسألت: من المقصود هناك؟ فأرسلت إلى قبة، فإذا شيخ جالس يفثاها، مؤزر بشملة، محتب بجبل، فسلمت عليه، وأنشبت له، فقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: توفّي، قال: فما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها؟ قلت: مات، قال: فأخبرني في حاضرتمكم بعدهما؟ قال: فذكرت الديّات التي لزمنا للأزد وربيعة، قال: أتم، فإذا راج قد أراح عليه بالف بعير، فقال: خذها، ثم أراح عليه آخر بمثلها، فقال: خذها، قلت: لا أحتاج إليها، فانصرفت بالألف، وواقه ما أدرى من هو إلى الساعة.

١٥

وروى عن معن بن زائدة، قال: لما هربت من المنصور، خرجت من باب حرب، بعد أن أقمت في الشمس أياماً، وخففتُ لحيتي وعارضني، ولبست جبةً صوف غليظة، وركبت جملاً، ونحيت عليه لأمضي إلى البادية؛ قال: فتبني

(١) باب حرب: أحد أبواب بغداد (وينسب لحرب بن عبد الملك) أحد تواد أبي جعفر المنصور،

وعده مقبرة ضمت كثيراً من أعلام المسلمين منهم: الامام الجليل أحمد بن حنبل وبشر الحافي رضى عنهما. راجع باقوت.

(٢) كذا في أحد الأصولين والنسخة الراغبة: وفي الأصل الآخر: «عريضة».

أسود متقلد سيفا ، حتى إذا غبت عن الحرس ، قبض على خطام الجمل فأناخه ،
وقبض على- فقلت : ما شأك؟ فقال : أنت بغية أمير المؤمنين ، فقلت له : ومن
أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين؟ فقال معن بن زائدة ، فقلت : يا هذا أتق الله! وأين أنا
من معن؟ فقال : دع هذا عنك ، فأنا والله أعرف بك ، فقلت له : فإن كانت
القصة كما تقول فهذا جوهر حمله معي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي ،
نخذه ولا تَسِفِكَ دمي ، فقال : هاته ، فأخرجته إليه ، فنظر إليه ساعة ، وقال :
صدقته في قيمته ، لستُ قابله حتى أسألك عن شيء . فإن صدقتني أطلقتك ،
فقلت : قل ، فقال : إن الناس قد وصفوك بالجود ، فأخبرني هل وهبت قط مالاً
كله؟ قلت : لا ، قال : فنصفه؟ قلت : لا ، قال : فثلثه؟ قلت : لا ، حتى بلغ
العشر فاستحييت وقلت : إني أظن قد فعلت هذا ، فقال : ما ذاك بعظيم ، أنا والله
راجل ، ورزق على أبي جعفر كل شهر عشرون درهما ، وهذا الجوهر قيمته ألف
دينار ، وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ، لجودك المأثور بين الناس ، ولتعلم أن في الدنيا
من هو أجود منك ، ولا تعجبك نفسك ، ولتُحَقِّقْ مد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف
عن مكِّمة ، ثم رمى بالعقد إلى- وخلى خطام الجمل وانصرف ، فقلت : يا هذا
قد والله فضحتني ! ولَسَقْتُ دمي أهوُ على- مما فعلت ، فخذ ما دفعته إليك ، فإني عنه
في غنى ، فصاحك ، ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامى هذا ، فوالله لا آخذه ،
ولا آخذ لمعروف ثمتا أبداً ، ومضى . فوالله لقد طلبته بعد أن أمنتُ ، وبذلت لمن
جاءني به ما شاء ، فما عرفت له خيراً ، وكأن الأرض ابتلعتة . وكان سبب غضب
المنصور على معن بن زائدة أنه خرج مع عمرو بن يزيد بن عمر بن هبيرة وأبلى
في حربه بلاء حسناً .

٥

١٠

١٥

٢٠

٦٢

ويقال : إن شاعرا أتى وهب بن وهب ، وكان جوادا ، فدحه فهش له وبش ،
وثنى له الوسادة وأضافه ورفده وحله ؛ فلما أراد الرجل الرحلة لم يجد معه أحد من
غلمان وهب ، فأنكر الرجل ذلك مع جميل فعله ، فعاب بعضهم ، فقال له
الغلام : إنا أنما نعين النازل على الإقامة ولا نعين الراحل على الفراق .

- وكان الحارث بن هشام المخزومي في وقعة اليرموك ، وبها أصيب فأثبته الجراح ،
فاستسقى ماء ، فأثقي به ، فلما تناوله ، نظر الى عِكرمة بن أبي جهل صريعا في مثل
حاله ، فرد الإثاء على الساق ، وقال : أمض الى عِكرمة بن أبي جهل ، ففضي اليه ،
فأبى أن يشرب قبله ، فرجع الى الحارث ، فوجده ميتا ، فرجع الى عِكرمة ، فوجده
قد مات ، فلم يشرب واحد منهما .

- ١٠ • وقد وصف الناس أهل الجود والكرم بمدائح ، سندكر ما أستجودناه منها .
فن ذلك ما حكى عن أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ، قال : كان
يبغداد قتي يُحَيِّ سته أشهر ، فاستقبلته ببعض السكك ذات يوم ، فقال : ثعلب ؟
قلت : نعم ، قال : فأنشدني فأنشدته :

وإذا مررت بقبـره فاعـفـر به * كـوـم المـجـاد وكل طرف سابع

- ١٥ وأنضج جوانب قبره بدمائها * فلقد يكون أحادهم وذبايح

فتضاحك ، ثم سكت ساعة ، وقال : ألا قال :

أنـهـا بـي إن لم يـكـن لكـا عـقـد * رـُ على تـُـرب قـبـره فاعـفـرـا نـي

وأنضحا من دمي عليه فقد كا * نـ دـمـي من مـنـاه لو تـعـلـمان

ثم رأى يوما بعد ذلك فأتلتني ، وقال : ثعلب ! قلت : نعم ، قال : أنشدني

فأنشدته :

أعار الجَوْدَ نَائِلَه * إذا ما مَالَه فَنَدَا

وإن لَيْتَا شَكَا جُبْنَا * أعار فَوَادَه الْأَسَدَا

فضحك، وقال : ألا قال :

عَلَّمَ الْجَوْدَ التَّدِي حَتَّى إِذَا * مَا حَكَاه عِلْمُ الْبَاسِ الْأَسَدُ

فَلَهُ الْجَوْدُ مِقْرٌ بِالنَّدَى * وَلَهُ اللَّيْثُ مِقْرٌ بِالْجَلْدِ

وقال مسلم بن الوليد وهو مما يجوز إirاده في الشجاعة والكرم :

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا * وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَفْصَى غَايَةِ الْجُودِ

وأول من أتى بهذا المعنى علقمة بن عبدة حيث قال :

تَجُودُ بِنَفْسٍ لَا يُحَادُ بِمِثْلِهَا * فَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ الْلِقَاءِ خَصِيبُ

وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني : من جاد بنفسه عند اللقاء، وبماله عند

المطاء، فقد جاد بنفسه كليهما .

قالوا : وأجود ما قيل في ذلك قول أبي العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ * قُلْ لَا وَأَنْتَ عَمَلْدٌ مَا قَالَمَا

إِنَّ السَّامِحَةَ لَمْ تَزَلْ مَعْقُولَةً * حَتَّى حَلَّتْ بِرَاحَتِكَ عَقَالَمَا

وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَايَرَتْ فِي بِلَدَةٍ * كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكَتَتْ هِلَالَمَا^(٢)

فلم يشبه العباس، فقال :

هَزَزْتُكَ هَزَّةَ السَّيْفِ الْمَحْلُ^(٣) * فَلَمَّا أَنْ ضَرَبْتُ بِكَ أَنْثِيْتُ

فَهَبَهَا مِذْحَةً ذَهَبَتْ ضَيَاعَا * كَذَبْتُ عَلَيْكَ فِيهَا وَأَفْتَرْتُ

(١) سبروى المؤلف عن الأعاني أن هذه الأبيات لربيعة الرقي .

(٢) كذا في الأعاني . وفي الأصول «وأنت» . وفيه مخالفة لروى الشعرونى بأن يأتى بعده

(٣) سيذكر المؤلف في ص ٢١٣ هذا البيت برواية أخرى فلاح عن الأعاني .

فلما سمع العباس الأبيات غضب ، وقال : والله لأجاهدن في حقه . قال : فتر
أبو العتاهية بإسحاق بن العباس ، وقال له إسحاق : أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده

ألا أيها الطالبُ المستغيثُ * بن لا يُقيدُ ولا يَرفدُ

ألا تسأل الله من فضله * فإن عطاياه لا تَقْدُ

إذا جئت أفضلهم للسؤا * ل رد وأحشاؤه تُرعدُ

كأنك من خشية للسؤا * ل في عينه الحياة الأسود

فبصر إلى الله من لؤمهم * فإني أرى الناس قد أصلدوا

وإني أرى الناس قد أبرقوا * بلؤم الفعّال وقد أرعدوا

ثم مضى ، فقيل لإسحاق : إن هذا الشعر له في أبيك ، فقال إسحاق : أول له ،

لم عرض نفسه وأحوج أبا العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقدرته ! .

وقد أورد أبو الفرج الأصفهاني خبر هذه الأبيات ، فقال : امتدح ربعة الرقي

العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بقصيدة لم يُسبق إليها حسناً ، وهي

طويلة يقول فيها :

لو قيل للعباس يا بن محمد * قل لا وأنت مخلّد ما قالها

ما إن أعد من المكارم خصلة * إلا وجدتك عمها أو خالها

وإذا الملوك تسأرت في بلدة * كانوا كواكبها وكنّت هلالها

إن المكارم لم تزل معقولة * حتى حلت براحتك عقالها

قال : فبعث إليه بني نارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين ،

كاد أن يُخج غضباً ، وقال للرسول : خذ الدينارين فهما لك على أن تردّ إلي الرقعة ،

من حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربعة ، وأمر من كتب

في ظهرها :

مدحتك مِدحة السيف المحلّ^(١) : لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مِدحة ذهب ضياعا * كذبت عليك فيها وأقريت
فانت المراء ليس له وقاء * كاني إذ مدحتك قد زينت

⑬

ثم دفعها الى الرسول وقال : ضعها في الموضع الذي أخذتها منه . ففعل ، فلما كان
من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات غضب ، وقام من وقته ،
فركب إلى الرشيد ، وكان أثرا عنده يحمله ويقدمه ، وكان قد هم أن يخطب إليه
أبنته ، فرأى الرشيد الكراهة في وجهه ، فقال ما شأنك ؟ قال : هجاني ربعة الرقي ،
فأحضره الرشيد ، وقال له : يا ماص كذا وكذا من أمته ! أنهجو عمي ، وآثر خلق الله
عندي ! لقد هممت أن أضرب عنقك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد أمتدحتة
قصيدة ما قال أحد مثلها من الشعراء في أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت في الثناء ،
وأكثر الوصف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضارها فعل ؛ فلما سمع
الرشيد ذلك ، سكن غضبه ، وأحب أن ينظر في القصيدة ، فأمر العباس بإحضارها
فطلعاً عليه ؛ فقال له الرشيد : سالتك بحق أمير المؤمنين ، إلا أمرت بإحضارها ؛
فأحضرت ، فإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها واستجادها وأعجب بها ، وقال :
والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ! ولقد صدق ربعة فبر ،
ثم قال للعباس : كم أثبتة عليها ؟ فسكت العباس ، وتغير لونه ، وجرض بريقه ؛ فقال^(٢)
ربعة : أتأبى عنها يا أمير المؤمنين دينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من المودة
عليه ، فقال : بجياني يا رقي كم أتأبك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أتأبى

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « لتجري في الكرام فاجريت » .

(٢) كذا في الأغاني والأملين . وجرض ريقه أى ابتله بيجهد على ثم وسرن . وفي النسخة الراجية :

« وجرض ريقه » .

إلا بدينارين، فغضب الرشيد غضبا شديدا ، ونظر في وجه العباس ، وقال : سوء لك ! أية حال قدمت بك عن إتابته ! أقله مال ؟ فوالله لقد تولتُك جهدي ، أم اقطاع المادة^(١) عنك ؟ فوالله ما أقطعْتُ بك ، أم أصلُك ؟ فهو الأصل الذي لا يدانيه شيء ، أم نفسك ؟ فلا ذنب لي ، بل نفسك والله فعلت بك ذلك ، حتى فضحت آباءك وأجدادك وفضحتني ، وفضحت نفسك ، فنكس العباس رأسه ، ولم ينطق ، فقال الرشيد : يا غلام ، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم ، وخِلمة ، وأحمله على بغلة ، ثم قال له : بجيأتى لا تذكره في شيء من شعرك تعريضا ولا نصريحا ، وقتر الرشيد عما كان قد هم به من أن يتزوج إليه ، وأظهر له بعد ذلك جفاء واطراحا .

وقال محمد بن هاني :

١٠ الواهب الألف إلا أنها يدُر * والطاعن الألف إلا أنها تسق
تأتي عطاياه شئى غير واحدة * كما تدافع موج البحر يصطفق

وقال الرضى الموصى :

ريان والأيام ظمآنه * من الندى تشوان بالبشر
لا يمسك العذل يديه ولا * تأخذ منه نشوة الخمر

وقال أيضا :

١٠ ذخائره المرف في أهله * وتزائن أمواله السائلونا

وقال أمية بن أبى الصلت الثقفي يمدح عبد الله بن جعدان :

أذكر حاجتي أم قد كفاني * حياؤك إن شيمتك الحياء
وعلمك بالأمور وأنت قرم * لك الحسب المهذب والسناء

كريمٌ لا يغيره صباحٌ * عن الخلق السني ولا مساءً

إذا اتى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه النساء

وقال الشماخ^(١) بن ضرار :

ترورُ أمراً يُعطى على الحمد ماله * ومن يُعطِ أمانَ المحامدِ يُجَدِّ

وأنتَ أمرؤ من يُعطيه اليوم نائلا * بكفك لا يمنعك من نائل الغدِ

ترى الجودَ لا يُدنى من المرء حتفه * كما البخل والإمساك ليس يُجَلِّدِ

مُفِيدٌ ومِتْلَأٌ إذا ما سألته * تهلّل وأهترأهتاز المهتدِ

متى تأته تشوالى ضوء ناره * تجد خيراً نارِ عندها خيرٌ موقِدِ

قال : ولما سمع عمر رضى الله عنه هذا البيت، قال : كذب، تلك نار موسى عليه

السلام .

وقال السري الرفاء :

كالغيث والليث والهلل إذا * أفر بأساً وبهجةً وندى

نايس من الجود ما يحود به * وذاكراً منه كلما وعدا

وقال أبو الفرج الوأواء :

من قاس جدواك بالغام فإ * أنصف في الحكم بين الاثنين

أنت إذا جدت ضاحكاً أبدا * وهو إذا جاد باكي العين

وقال ابن نباتة السعدي من قصيدة :

لم يبق جودك لي شيئا أؤمله * تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

(١) كذا في الأصول . وفي زهر الآداب لأبي اسحاق الحصري القيرواني طبع مصر (ح ١ ص ٥٠)

ونزاة الأدب البغدادي (ج ٣ ص ٦٦٢) : أن الشعر للطيبة .

(٢) الذي في زهر الآداب ونزاة الأدب :

يرى البخل لا يبق على المرء ماله * ويصلم أن الشح غير محله

ذكر ما قيل في الإعطاء قبل السؤال

- قال سعيد بن العاصي : قبح الله المعروف ، اذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة ،
 فال معروف عوضٌ من مسألة الرجل ، اذا بذل وجهه ، فقبله خائفٌ ، وفوائده تُرعد ،
 وجيشه يرشح ، لا يدري أيرجع يُنجح الطلب ، أم بسوء المقلب ؛ قد بات ليلته
 يتمل على فراشه ، يعاقب بين شقيه . مرة هكذا ، ومرة هكذا ؛ مَنْ لحاجته *
 فخطرتُ بباله أنا وغيري ، فثقل أرجاهم في نفسه ، وأقربهم من حاجته ؛ ثم عزم
 على ، وترك غيري ، قد انتفع لونه ، وزهد دُم وجهه ؛ فلو خرجتُ له مما أملك
 لم أكافئه ، وهو على أمنٍ متى عليه ، اللهم فإن كانت الدنيا لها عندى حظ فلا تجعل
 لي حظاً في الآخرة .

- وقال أكرم بن صيفي : كل سؤال وإن قل أكثر من كل نوال وإن جل .
 وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه : من كانت له إلى منكم حاجة
 فليرفعها في كتاب ، لأصون وجوهكم عن المسألة .
 وقال عبد العزيز بن مروان : ما تأتاني رجل قط إلا سألتُه عن حاجته ،
 ثم كنت من ورائها .
 وقال حبيب :

عطاؤك لا يفتني ويستغرق المنى . وتبقى وجوه الراغبين بمائها

وقال أيضاً :

ماء كفك إن جادت وإن بخلت * من ماء وجهي إذا أفتيتُه عوض

(١) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٨٨) وهو الأصب . وفي الأصول : «المعروف» .

وقالوا : مَنْ بَذَلَ إِلَيْكَ وَجْهَهُ فَقَدْ وَقَلَكَ حَقَّ نِعْمَتِكَ .

وفال معاوية لَصَّعَصَةَ بْنِ صُوحَانَ : مَا الْجُودُ؟ فقال : التَّبَرُّعُ بِالْمَالِ ،
والعطاء قبل السؤال .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

كَرِيمٌ عَلَى الْعَلَاتِ بَزْلُ عَطَاؤِهِ * يُنِيلُ وَإِنْ لَمْ يُعْتَمَدْ لِنَوَالِ
وَمَا الْجُودُ مَنْ يُعْطَى إِذَا مَا سَأَلَتْهُ * وَلَكِنَّ مَنْ يُعْطَى بِغَيْرِ سَأَالِ

وقال حبيب الطائي :

لَنْ يَحْذُتَكَ مَا أُولَيْتَ مِنْ كَرَمٍ ^(١) * إِنِّي لَفِي اللَّؤْمِ أَمْضَى مِنْكَ فِي الْكِرَمِ ^(٢)
أَنْسَى أَبْسَأُكَ وَالْأَلْوَانُ كَاسِفَةٌ * تَبَسَّمَ الصَّبِيحُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ ^(٣)
رَدَدْتَ رَوْقَ وَجْهِهِ فِي صَحِيفَتِهِ ^(٤) * رَدَّ الصَّقَالِ صَفَاءَ الصَّارِمِ الْخَلِيزِ ^(٥)
وَمَا أَبَالِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدُقُهُ * حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِهِ أَمْ حَقَنْتَ دِمِي

ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "الشجاعة غريزة يضعها الله
فيمن شاء من عباده إن الله يحب الشجاع ولو على قتل حبة" .

وقالوا : حَدَّ الشَّجَاعَةُ سَعَةَ الصَّدْرِ بِالْإِقْدَامِ عَلَى الْأُمُورِ الْمُتَلَفَةِ .

(١) في ديوان أبي تمام : « من حسن » . وفي العقد الفريد : « من نعم » .

(٢) في ديوان أبي تمام : « أخطى » .

(٣) في ديوان أبي تمام : « أسي » .

(٤) كما في ديوان أبي تمام والعقد الفريد وفي الأصول : « صفيحه » .

(٥) انغم : السيف القاطع .

وسئل بعضهم عن الشجاعة فقال : جِلَّةُ نفس أَبِيَّةٌ ، قيل له : فما النجدة ؟
قال : ثقة النفس عند أَسْرَسِهَا إلى الموت ، حتى تمحذ بفعلها دون خوف .

وقيل لبعضهم : ما الشجاعة ؟ فقال : صبر ساعة . وقال بعض أهل التجارب :
الرجال ثلاثة : فارس ، وشجاع ، وبطل ؛ فالفارس : الذي يَشُدُّ إذا شَدُوا ، والشجاع :
الداعى إلى البراز والمجيب داعيهِ ، والبطل : الحامى لظهور القوم إذا ولَّوْا .

قال يعقوب بن السَّكِّيت في كتاب الألفاظ : العرب تجعل الشجاعة في أربع
طبقات ، تقول : رجلٌ شجاعٌ ، فإذا كان فوق ذلك ، قالوا : بطلٌ ، فإذا كان فوق
ذلك ، قالوا : بَهْمَةٌ ، فإذا كان فوق ذلك ، قالوا : أَلِيسُ ^(١) .

وقال بعض الحكماء : جُسمُ الحرب : الشجاعة ، وقلها : التدبير ، ولسانها :
المكيدة ، وجناحها : الطاعة ، وقائدها : الرفق ، وسائقها : النصر .

قالوا : لما ظفِرَ المهلب بن أبي صُفْرة بالخوارج ، وَجَّهَ كعبَ بنَ مَعْدَانَ إلى
الاحتجاج ، فسأله عن بنى المهلب ؛ فقال : المغيرةُ فارسهم وسيِّتهم ، وكفى يزيد
فارسا شجاعا ، وجوادهم ومخيمهم : قَيْصَةُ ، ولا يستحيي الشجاعُ أن يفز من
مدركه ، وعبدُ الملك : سَمُّ نافعٌ ، وحيبٌ : موتٌ زعافٌ ، ومحمدٌ : لبثٌ ظالمٌ ،
وكفالك بالمفضل تَجْدَةً ؛ قال : فكيف خلقت جماعة الناس ؟ قال : خلقتهم بخير ،
قد أدركوا ما أتملوا ، وأمنوا ما خافوا ؛ قال : فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟ قال :

(١) البهمة : الفارس الذي لا يدري من أين يؤتى له من شدة بأسه . والأليس : الشجاع الذي
لا يبالى هولا .

(٢) ورد هذا الخبر في الكامل للبرد طابقا لما هنا في نسق الجمل وترجيها اللهم إلا زيادة بعض
فترات رأيا ضرورة إثباتها فأضناها ونهيا عليها . وورد أيضا في الجزء الثاني من تذكرة الصدى المحفوظة
بدار الكتب تحت رقم ٤٢٠ أدب : باطناب في كثير من المواضع مع تقديم وتأخير عما هنا .

كانوا حُماة السَّرجِ نهاراً، فإذا أَلْيُوا فُرسانَ البِياتِ ؛ قال : فأَيُّهم كان أنجَدَ ؟ قال :
كانوا كالحلقة المفرغة ، لا يُدرى أين طَرَفُها ؛ قال : فكيف كنتم أنتم وعدوكم ؟
قال : كَمَا إذا أخذنا عَفْونا ، [وإذا أخذوا يَنْسِنَا مِنْهُمْ] ^(١) وإذا أَجْتَهَدُوا وَأَجْتَهَدْنَا ،
[طَمَعْنَا] فِيهِمْ ؛ فقال الجَحَّاجُ : إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ .

وقالوا : أَصْبَحُ بَيْتَ قَاتِلِ الْعَرَبِ قَوْلَ الْعَبَّاسِ بْنِ مُرْدَاسِ السُّلَمِيِّ :

أَشَدُّ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبَالِي * أَحْتَنِي كَانَ فِيهَا أُمُّ سِوَاهَا

وقد مدح الشعراءُ الشجاعةَ وأهلها ، وأوسعوا في ذلك ، فمن ذلك قول المتنبي :

شَجَاعٌ كَأَنَّ الْحَرْبَ عَاشِقَةٌ لَهُ * إِذَا زَارَهَا فَدَثَّتْهُ بِالْحَلِيلِ وَالرَّجُلِ

وقال أيضاً :

وَكَمْ رَجُلٍ بَلَا أَرْضَ لِكُفْرَتِهِمْ * تَرَكْتَ جَمْعَهُمْ أَرْضًا بَلَا رَجُلٍ

مَا زَالَ طَرَفُكَ يَجْرِي فِي دِمَائِهِمْ * حَتَّى مَشَى بِكَ مَشَى الشَّارِبِ الْقِيلِ

وقال العبدُ الإصفهاني :

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ إِلَى الْوَغَى * لَيْسَ الْحِدَادُ عَدُوَّهُمْ فِي الْمَهْرَبِ

الْمُصْدِرُونَ الدُّهْمَ عَنْ وَرْدِ الْوَغَى * شُقْرًا تُجَلَّلُ بِالْعَاجِجِ الْأَشْبَهِ

وقال أبو الفرج البَغْدَادِيُّ :

وَالْيَوْمُ مِنْ غَسَقِ الْعَاجِجَةِ لَيْلَةٌ * وَالْكَرْبُ يَخْرِقُ بَجَعِهَا الْمُدُودَا

وَعَلَى الصَّفَاحِ مِنَ الْكِفَاجِ وَصِدْقُهُ * رَدَّعُ ^(٢) أَحَالَ بِيَاضَهَا تَوْرِيدَا

(١) الزيادة عن الكامل للبرد .

(٢) الردع : أثر الدم

والطعنُ يَنْتَصِبُ الجِيَادَ شَبَاتَهَا ^(١) * والضربُ يَدْحُ في التريكَ ^(٢) وقودا
وعلى النفوس من الحِمامِ طلائعُ * والخوفُ يَنْشُدُ صَبْرَهَا المَقْقُودَا
وقد استحالَ البُرُّ بَحْرًا والضُحَا ^(٣) * ليلا ومضَخِرُقِ القَضَاءِ حديدَا
وأَجَلُ ما عندَ الفَوَارِسِ حُبُّهَا * في طاعةِ المَرْبِ الجِيَادَ القُودَا
حتى إذا ما فارقَ الرأى المَهِوَى * وغدا اليقينُ على الظنونِ شَهِيدَا
لم يُنِفِ غَيْرَ أَبِي شُجَاعٍ والعَلَا * عنه تُسَاحِي النَصْرَ والتَّائِبِدَا
وقال أيضا ورُويَ للبحرَى ^(٤) :

مِنْ كُلِّ مَنِيْعِ الْأَخْلَاقِ مَبْنِيْمٌ * لِقَطْبِ إِنْ ضَاقَتْ الْأَخْلَاقُ وَالْحَيْلُ
يَسْعَى بِهِ السَّبْقُ إِلَّا أَنَّهُ قَرَسٌ * فِي صُورَةِ الْمَسْوِيَةِ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلُ
يَلْقَى الرَّمَاحَ بِصَدْرِ مَنْ لَيْسَ لَهُ * ظَهْرٌ وَهَادِي جَوَادٍ مَا لَهُ كَفْلُ
وقال البحرى :

مَعْرِضُكُمْ حُلُومُهُمُ الْأَرُ * صَنَّ وَكَادَتْ لَوْلَاهُمْ أَنْ تَمِيدَا
فَإِذَا الْجَلْدُ جَاءَ كَانُوا غِيُونَا * وَإِذَا النِّقْعُ نَارَ نَارُوا أَسْوَدَا
وَكُنَّ الْإِلَهِ قَالَهُمْ فِي الْإِلَ * حَرْبُ كُونُوا حِمَارَةً أَوْ حَدِيدَا

- ١٥ (١) في أحد الأصول : « شياتها »
(٢) كذا في قيمة الدهر . والتركيب جمع التريكة وهي بيعة الحديد . وفي الأصول : « التليل » وهو العتق .
(٣) كذا في الأصلين وقيمة الدهر . ولم يوجد هذا البيت في باقي الأصول .
(٤) نسبت هذه الأبيات في قيمة الدهر لأبي العرج البناه . ولم توجد في ديوان البحرى طبع
الأسنانة ولا في ترجمته في الأعاني .
٢٠ (٥) في ديوان البحرى : « وكادت من عزمهم ... الخ »
(٦) رواية الديوان : « فإذا المحل جاء جاؤا سيولا ... الخ »
(٧) رواية الديوان : « ... قال لنا ... الخ »

وقال مُسلم :

لو أنتَ قوماً يَطْلُقُونَ مِنِّيَّةً * من بأسهم كانوا بنى جبريلاً
قوم إذا حَمَى الوطيسُ لَدَيْهِمْ^(١) * جعلوا الجماعِمَ للسيوفِ مَقِيلًا

وقال آخر :

عِقبَانُ رَوْعٍ والسروجُ وكورها * وليوثُ حَرْبٍ والقفَا آجَامُ
وبدورتُم والشواثِكُ في الوغَى * هالأنها والسارِي غَمَامُ^(٢)
جادوا بمنوعِ التلادِ وجؤدوا * ضرباً تُحَدِّدُ به الطُّلَا والمهَامُ
وتجاورت أسياهُم وجيادُهم * فالأرضُ تُمَطِّرُ والسماءُ تُفَامُ

وقال آخر :

قوم شرابُ سيوفِهِم ورماحِهِم * في كلِّ معتركٍ دُمُ الأشرافِ
رَجِمَتْ إليهم خيلُهُم بمعاثِرِ * كلُّ لَكَلٍّ جسيمٍ أمرٍ كافٍ
يَتَحَنَّنُونَ إلى لقاءِ عدوِّهم * كَتَحَنَّنَ الأُلُفُ للألُفِ
ويباشرونَ طَبَا السيفِ بأنفُسِ * أمَضَى وأقطعَ من طَبَا الأسيافِ

وقال ابن حَيَّوس :

إن تُرْدَ خُبْرُ حَالِمٍ عن قَرِيبِ^(٣) * فَأَنْتِهِمْ يَوْمَ نَائِلٍ أو زَالِ
تَلْقَى بِيضَ الوجوهِ سودَ مَنَارِ الشَّقَقِ خُضْرَ الأَكْفِ حُمْرَ النِّصَالِ^(٤)

(١) رواية ديوان مسلم بن الوليد طبع مصر ص ٩١ : « قوم إذا حَمَى الهَجِير من الوغَى ... الخ » .

(٢) السارِي : الدروع السارية المنسوبة إلى سايور .

(٣) رواية ديوان ابن حيوس (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٩١ أدب) :

« ... علم حالم عن يقين » فالفهم في مكارم أو قتال » . ٢٠

(٤) في ديوانه : « ... بيض الاعراض ... الخ » .

ومما قيل في الصبر والإقدام :

- قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاغْلُظْوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا تَقْتُمُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْبَتُوا^(١) وَاكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِنْ جَلَبُوا وَجَّعُوا فَعَلَيْكُمْ بِالصَّحْتِ» .

ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه : ربِّ حَيَاةٍ سُبُهَا التَّعَرُّضُ لِلْمَوْتِ ، وَرَبِّ مَنِيَّةٍ سُبُهَا طَلَبُ الْحَيَاةِ .

وقالوا : أجمع كلمة قُلت في الصبر قول بعضهم : الصبر مطيعة النصر .

- وقال آخر : الصبر مطيعةٌ لَا تَكْبُو وَإِنْ عَنَّفَ عَلَيْهِ الزَّمَانُ .
وقال آخر : الصبر شريعةٌ تَمُورُ أَرِيَّةً^(٢) .^(٣)

وقيل للهلب بن أبي صفرة : إناك لَتَلْقَى نَفْسَكَ فِي الْمَهَالِكِ ، فَقَالَ : إِنْ لَمْ آتِ الْمَوْتُ مُسْتَرَسِلًا أَتَانِي مُسْتَعْبِلًا ، إِنِّي لَسْتُ آتَى الْمَوْتِ مِنْ حُبِّهِ ، وَإِعْمَا آتَيْهِ مِنْ بَغْضِهِ ، وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْحُصَيْنِ بْنِ الْحُثَمَاءِ :

- تَأْتَرْتُ أَسْتَبِقُ الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ * لَغِيصِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أُنْقَدَمَا
وَهِيَ قَصِيدَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنْهَا :

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمِي كُلُّوْنَا * وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَهْطُرُ الدُّمَا
تَهْلُقُ هَامًا مِنْ كَرَامِ أَعْزَمَةٍ^(٤) * عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَطْلَمَا

(١) ورد هذا الحديث في صحيح البخارى وسلم برواية تختلف عما هنا في شطره الأخير .

(٢) الشريعة : المختلة . (٣) الأرية : السِّل .

(٤) في تذكرة الصفدى والشعر والشعراء لأن قتيبة وشرح ديوان حماسة أبي تمام : « من رجال ... » .

ولما رأينا الصبر قد حيلَ دونه * وإن كان يوماً ذا كواكب مُظلمًا
صبرنا وكان الصبر منا بحجة * بأسيفنا يقطعن كفاً ومِعصماً
ولما رأيت الودَّ ليس ينفعني * عمدتُ إلى الأمر الذي كان أحزنا
فلستُ بمبتاع الحياة بُسْبة * ولا مرتقي من خشية الموت سُلمًا

وقالت العرب: الشجاعة وقاية، والجبن مقتلة. وكذلك: إن مَنْ يُقتل مدبراً
أكثر من يقتل مقبلاً.

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لخالد بن الوليد: أحرص على الموت،
توهب لك الحياة.

وقالت الحكماء: استقبال الموت خير من استدباره.

وقال العلوي:

محزومة أكفأ خيل على القنا * ودامية لبأثها ونحوها
حرام على أرمأنا طعن مدبر * وتندق منها في الصدور صدورها
وقال أبو تمام:

قلوا ولكتهم طابوا فأنجدم * جيش من الصبر لا يحصى له عدو
إذا رأوا لنا يا عارضاً ليسوا * من اليقين دروا ما لها زرد
ناوا عن المصير^(١) الأدنى فليس لهم * إلا السيوف على أعدائهم مدد
وما زالت العرب يتماذحون الموت قعصاً، ويتسايون بالموت على الفرائش،
ويقولون فيه: مات فلان حنقاً أنه، وأقول من قال ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم.

ومدح أعرابي قوما فقال: يقتحمون الحرب كما يلقونها بنفوس أعدائهم.

(١) كذا في ديوان أبي تمام. وفي الأصول: «عن المصريح» بالخاء المهملة وهو تعريف.

وقال عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مُصعب : إن يُقتل فقد قُتل أخوه وأبوه وعمه ، إنا والله لا نموت حتّى^(١) ولكن قَعَصًا بأطراف الرماح ، وموتًا تحت ظلال السيوف .

وقال السمّوع بن عاديا :

وما مات منا سيّد في فراشه * ولا طُلّ منا حيث كان قتلُ^(٢)
تسيل على حدّ الطّباة نفوسنا * وليست على غير الطّباة تسيلُ
وقال آخر :

وإنا لتستحلّ المنايا نفوسنا * وتترك أخرى مُرّةً مانقوها

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صيّن ، وقد قيل له : أتقاتل أهل

(٧)

الشّام بالفسادة ، وتظهر بالعشيّ في إزار ورداء ؟ : أبا الموت تحسوفوني ! فوالله
ما أبالي ، أسقطت على الموت ، أم سقط الموت عليّ . وقال لأبنيه الحسن : لا تدعون
أحدًا إلى المبارزة ، وإن دعيت إليها فأجب ، فإن الداعي إليها باغٍ ، والباغى مصرعٌ .
وقال رضي الله عنه : بقية السيف أنى عددا [وأطيب ولدا] يريد أن السيف اذا
أسرع في أهل بيتٍ كثر عددهم ونعى [ولدهم]^(٣) .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : عُصمت النساء أن تأتي بمثل عليّ بن أبي طالب
رضي الله عنه ، أمّهمي به يوم صيّن ، وعلى رأسه عمامة بيضاء ، وهو يقف على

(١) في صيون الأبحار طبع دار الكتب (س ٢٤٠) من المجلد الثّاني : « إنا والله ما نموت حينما
ولا نموت الا تلاقصا ... الخ » والحق : أن يأكل البعير لحاء العريج يرم بطنه سمار ويمسكه
ذلك . وفي لسان العرب بعد أن ذكر كلام ابن الزبير : « يمرض بني مروان بكثرة أكلهم وإسرافهم
في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالثخمة » وقصه . (من ما قطع) : قتله مكانه .

١٠

(٢) الرواية المشهورة : « وما مات منا سيّد حتف أمّه » .

(٣) الزيادة عن القصد القويّد لأن عبد ربه (ج ١ ص ٢٨) .

شَرِذْمَةٍ شَرِذْمَةٍ مِنَ النَّاسِ ، يَحْضُهُم عَلَى الْقِتَالِ ، حَتَّى آتَهِيَ إِلَى ^(١١) ، وَأَنَا فِي كَيْفٍ مِنَ النَّاسِ ، وَفِي أَغْلَامَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، تَجْلِبُوا السَّكِينَةَ ، وَأَكْلُوا اللَّامَةَ ^(١٢) ، وَأَقْلَقُوا السُّيُوفَ فِي الْأَعْمَادِ ، وَكَاغُوا بِالْقُبَا ، وَصَلُوا السُّيُوفَ بِالْخَطَا ، فَإِنَّكُمْ بَعَيْنَ اللَّهِ ، وَمَعَ آبْنِ عَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَاوَدُوا الْكَرَّ ، وَأَسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ ، فَإِنَّهُ عَارِفِي الْأَعْقَابِ ، وَنَارُ فِي الْحَسَابِ ، وَطِيبُوا عَلَى الْحَيَاةِ أَنْفُسًا ، وَسِيرُوا إِلَى الْمَوْتِ سِيرًا مُجْتَمِعًا ^(١٣) ، وَدُونَكُمْ هَذَا الرُّوَاقُ الْأَعْظَمُ ، فَاصْبِرُوا ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ رَاكِبَ صَعْدَتِهِ ، قَدَمُوا لِلْوُثْبَةِ رِجْلًا . وَأُخْرُوا لِلنَّكَوْصِ أُخْرَى ، فَصَمَدًا صَمَدًا ، حَتَّى يَبْلُغَ الْحَقُّ أَجَلَهُ . وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَتْرَكَ أَعْمَالَكُمْ ، ثُمَّ صَدَرْنَا ، وَهُوَ يَقْرَأُ : قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ .

وَكَانَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ يُمَثِّلُ يَوْمَ صَفَيْنَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

أَبْتُ لِي شَيْئِي وَأَبَى بِلَائِي . وَأَخَذَنِي الْحَمْدُ بِالثَّنِّ الرَّبِيسِجِ
وَإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي * وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطِيلِ الْمُشِيجِ
وَقَوْلِي كَلَّمَا جَشَّاتُ لِنَفْسِي ^(١٥) * مَكَانِكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرْجِي
لَأُدْفِعَ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتِي * وَأَجِمَّ بَعْدُ عَنْ عِرْضِ صَحِيحِ

(١) وردت هذه الخطبة في نهج البلاغة لسيدنا علي رضي الله عنه طبع بيروت مع بعض الاختلاف :
زيادة أو تغيير في بعض الكلمات .

(٢) اللامة : الدرع . وإكلها أن يراد عليها البيضة والسواعد .

(٣) السجج يضم من : الذين السهل .

(٤) كذا في الأصول . وفي نهج البلاغة : «فإن الشيطان كاس في كسره» .

(٥) الرواية المشهورة : «وقول كذا جشأت وجاشت» كما في العقد الفريد وعيون الأخبار والجلد

وقال قَطْرِيُّ بن القُبَّاء أمير الخوارج :
(١)

وقولى كُتِبَ جِشَاتُ لِنَفْسِي * من الأبطال ويحك لا تُرَاعِي
فإنَّكَ لو سَأَلْتَ بقاءَ يَوْمٍ * على الأجل الذى لك لم تَطَاعِي
فصبراً فى مجال الموت صَبْرًا * فإ نَيْلُ الخلود بمِستطاع
سَيْلُ الموت غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ * وداعيه لأهل الأرض دَائِي

وقال عبد الله بن رواحة الأنصارى :

يا نفس إن لم تُقَتِّلِي تموتى * إن تسلمى اليوم فلا تنفوتى
أو تُبَحِّلَ فطالما عُوِفِيَتْ * هذى حياضُ الموت قد صليت
وما تَمَتَّيْتُ فقد لَقِيْتُ * إن تفعلِ فعلهما هُدَيْتِ
* وإن تولَّيْتُ فقد شَقِيْتُ *

يريد بقوله :

* إن تفعلِ فعلهما هُدَيْتِ *

فعلَ زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وكانا قُتِلَا فى ذلك
اليوم بمُؤْتَةَ .

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه ، يخرج كلَّ يومٍ بصَفَيْنِ حتى يقف
بين الصَّفَيْنِ ويُشَد :

من أىَّ يومٍ من الموتِ أفرّ * أَيْوَمُ لا يُقَدَّرُ أم يَوْمٌ قُدِّرَ
فِيَوْمٍ لا يُقَدَّرُ لا أَرْهَبُهُ * ثمَّ من المقدور لا ينجو الحذرُ

(١) روى هذا المصراع فى حاشية أبى تمام وتذكرة الصمدى هكذا :

أقول لها وقد طارت شعاعا : من الأبطال ... الخ

(٢) فى العقد القرمذ : « ... حياة ... * سوى الأجل ... الخ » .

ومثله قول جرير من قصيدة أولها :

* هاج ^(١١) الفراق لقلبك المهتاج *

منها :

قل للجان إذا تآخر سرجه * ما أنت من شرك المنية ناج

وقالت امرأة من عبد القيس :

أبوا أن يقرؤا والقفا في نحورهم * ولم ينفوا من خشية الموت سلما
ولو أنهم قرؤوا لكانوا أعزّة * ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما

وقال حبيب بن أوس الطائي :

فأثبتت في مستنقع الموت رجله * وقال لها من تحت أنحمصك الحشر
وقد كان فوت الموت سهلا فودّه * عليه الحفاظ المرء والخلق الوعر
غدا غدوة والحمد نسج رداؤه * فلم ينصرف إلا واكفائه الأجر
تردى ثياب الموي حمرّا فأتى ^(١٢) * لها الليل إلا وهى من سندس خضر

وقال :

قوم ^(١٣) إذا لبسوا الحديد حسبتهم * لم يحسبوا أن المنية تُخلق
أنظر بحيث ترى السيوف لواثعا * أبدا وفوق رؤوسهم تتألق

وقال البيهقي :

يسعى الى الموت والقتل قصد * وخيله بالراء وس تتعلم
كانه واثق بأن له * عمرا مقيا وما له أجل

(١) رواية الشعر والنثر لابن قتيبة : « هاج الموي بغواذك ... الخ » .

(٢) كما في الأصول وفي ديوان أبي تمام : « فادجى » .

(٣) في المقد الفريد وديوان أبي تمام : « بله اذا ... الخ » .

وقال كعب بن مالك :

نَصلُ السيوف اذا قصُرْنَ بخطوينا * قُدُماً ونَلحقُها اذا لم تَلحقِ

ومثله لبعض بن ثعلبة :

لو كان في الألف مئاً واحد فدعوا * مَرَبٌ فارسٌ خالهم إياه يعنونا

• اذا الكفاة تمحوا أن يصيبهم * حدُّ الغلبة وصلناها بأيدينا

ومثله قول الآخر :

إذا قصُرَتْ أسافنا كان وصلها * خُطانا الى أعدائنا فقارب^(١)

ومثله قول ودّك بن ثُميل المازني :

مَقادِيمُ وصّالون في الرّوع خطوهم * بكلّ رقيق الشّفتين يمانى

• اذا استجدوا لم يسألوا من دعاهم * لأية حرب أم باى مكان

وقال أبو تمام في سعة الخطو :

خَطوُ ترى الصّارم الهندي متصرا * به من المازن الخطى متصفا^(٢)

وقال آخر :

كأن سيوفه صيفت عقودا : تجول على التراب والنحور

(٨)

• وسرّ رماحه جملت هموما * فما يخطرن إلا في ضمير

وأجود ما قاله محدث في الصبر قول ابن الرومي :

أرى الصبر محمّدا وفيه مذاهب^(٣) * فكيف اذا مالم يكن عنه منهج

هناك يحقّ الصبر والصبر واجب * وما كان منه كالضرورة أوجب

(١) في تذكرة الصفي : «ضارب» بالصاد المعجمة .

(٢) رواية ديوان أبي تمام : «خطوا ...» فيه من المازن الخ .

(٣) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري وديوان ابن الرومي . وفي الأصول : «ع» .

فشد امرؤ بالصبر كفاً فانه * له عصاة أسياها لا تقضب
هو المهرب المتجى لن أحدثت به * مكاره دهر ليس عنق مهرب^(١)
لبوس جمال الجنة من شماتة * شفاء أسى يفتى به ويثوب
فيا عجباً للنشء هذى خلالة * وتارك ما فيه من الخط أعجب
وقد يتفلن الناس أن أساهم * وصبرهم فيهم طابع مرغب
فإنهما ليسا كشيء مصرف * يصرفه ذو نكة حين يكب
فإن شاء أن يأسى أطاع له الأسمى * وإن شاء صبرا جاء الصبر يجلب
وليسا كما ظنوها بل كلاهما * لكل لبيب استطاع مسبب
يصرفه المختار منا فتارة * يراد فيأتى، أو يذاد فيذهب
إذا احتج عتج على النفس لم تكد * على قدر يمضى لها تتعب^(٢)
وساعدتها الصبر الجليل فأقبلت * إليها له طوعاً جنائب تجنب
وإن هو ماها الأباطيل لم تزل * تقاتل بالعب القضاء وتغلب
فخصحى جزوعاً إن أصابت مصيبة * وتمسى هلوها إن تمدد مطاب
فلا يمدرك التارك الصبر نفسه * بأن قيل إن الصبر لا يتكسب

•

١٠

ذكر ما قيل في وفور العقل

١٥

قال الله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)
قال المفسرون : عبر عن العقل بالقلب ، لأنه محل وسكنه ، وقال تعالى : (وَلِيَذْكُرَ

(١) كذا في ديوان المعاني والأصول . وفي ديوان ابن الرومي : « منه » .

(٢) كذا في ديوان ابن الرومي . وفي الأصول وديوان المعاني : « ... لم يكن » : على قدر ما معنى

أُولُو الْأَلْبَابِ)، وقال تعالى : (وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) . وقال تعالى : (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ ادْبُرْ فَادْبَرُ ثُمَّ قَالَ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَىَّ مِنْكَ بَكَ أَخَذَ وَبَكَ أَعْطَى وَبَكَ أَيْبَ وَبَكَ أَعَاقَبَ “ .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ الْعَقْلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ فَمَنْ كُنَّ فِيهِ كُلُّ عَقْلُهُ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ جُزْءٌ مِنْهَا فَلَا عَقْلَ لَهُ “ ، قيل : يا رسول الله ، ما أجزاء العقل ؟ قال : ” حَسَنُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَحَسَنُ الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَحَسَنُ الصَّبْرِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ “ . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” مَا أَكْتَسَبَ رَجُلٌ مِثْلَ فَضْلِ عَقْلٍ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى هُدًى وَيُرِّدَهُ عَنْ رَدًى وَمَا تَمَّ إِيْمَانُ عَبْدٍ وَلَا اسْتِقَامَ دِينُهُ حَتَّى يَكْمُلَ عَقْلُهُ “ .

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لَتَمِيمِ الدَّارِيِّ : ما السُّؤْدُ فَيْكُمْ ؟ قال : العقل ، قال : صدقت ، سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كما سألتُكَ ، فقال كما قلت ، ثم قال : ” سألت جبريل ما السُّؤْدُ فقال العقل “ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، بأي شيء يتفاضل النَّاسُ فِي الدُّنْيَا ؟ قال : ” بِالْعَقْلِ “ قلت : وفي الآخرة ؟ قال : ” بِالْعَقْلِ “ قلت : أليس إنما يُجْزَوْنَ بِأَعْمَالِهِمْ ! فقال : ” يَا عَائِشَةُ وَهَلْ عَمَلُوا إِلَّا بِقَدَرِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعَقْلِ ، فَبِقَدَرِ مَا أُعْطُوا مِنَ الْعَقْلِ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ وَبِقَدَرِ مَا عَمِلُوا يُجْزَوْنَ “ .

وعن سعيد بن المسيب : أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، مَنْ أَعْلَمُ النَّاسِ ؟ قال : ” الْعَاقِلُ “ قالوا : ٢٠

فمن أعبد الناس ؟ قال : « العاقل » قالوا : فمن أفضل الناس ؟ قال : « العاقل »
قالوا : اليس العاقل من تمت مروءته ، وظهرت فصاحته ، وجادت كفته ،
وعظمت منزلته ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ . إن العاقل هو التقيُّ وإن كان في الدنيا خسيسا
دينيا .

وورد في الأثر : « أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام العقل والدين والحياة
فاختار العقل ، فقبل للدين والحياة أرفعا ، قال : لا ؛ قال : أَعْصَيْنَا أَمْرَ رَبِّكُمَا ؟ قال :
مَا عَصَيْنَا أَمْرَ رَبِّنَا وَلَكِنَّا أَمِرْنَا أَنْ نَتَّبِعَ الْعَقْلَ حَيْثُ كَانَ » .

وقال لقمان لابنه : إن غاية الشرف والسؤدد في الدنيا والآخرة حسنُ العقل ،
لأن المبدأ إذا حسن عقله غطى ذلك عيوبه ، وأصلح مساوئيه ، ورضى عنه خالقه ،
وكفى بالمرء عقلا أن يسلم الناس من شره .

وقيل : مكتوبٌ في حكمة آل داود عليه السلام : على العاقل أن يكون عالما
بأهل زمانه ، مالكا لسانه ، مقبلا على شأنه .

وقال بعض الحكماء : كل شيء يعز إذا قل ، والعقل كلما كان أكثر كان أعز
وأعلى ، ولو بيع لما اشتراه إلا العاقل لمعرفته بنفسه ؛ وأول شرف العقل أنه
لا يشتري بالمال .

قال أبو عطاء السندی :

فإن العقل ليس له إذا ما • تذكَّرت الفضائل من كفاء

وقالوا : العلم قائد ، والعقل سائق ، والنفس بينهما حرون ^(١) ، فإذا كان قائد بلا سائق هلكت ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يما وشمالا ، فإذا اجتمعا ^(٢) أجابت طوعا أو كرها .

ذكر ما قيل في حد العقل وماهيته وما وصف به

- وقد اختلف الحكماء في حد العقل ، فقيل : حده الوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفعلًا . وقيل : النظر في المواقب . وقال المتكلمون : هو آسم لعلوم إذا حصلت للإنسان صح تكليفه . وقيل : العاقل من له رقيب على شهوته . وقيل : هو من عقل نفسه عن المحارم . وقال عمرو بن العاص : أن يعرف خير الخيرين ، وشر الشرين .

- ١٠ قال أبو هلال : ومن العجب أن العرب تمتلئ في جميع الخصال ، بأقوام جعلوهم أعلاما فيها ، فضربوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة ، فقالوا : أحلم من الأحنف ومن قيس بن عاصم ؛ وأجود من حاتم ومن كعب بن مامة ؛ وأشجع من بسطام ، وأبين من سبحان ، وأرمى من ابن يقين ، وأعلم من دغقل ؛ ولم يقولوا : أعقل من فلان ؛ فلمعلم لم يستكملوا عقل أحد ، على حسب ما قال الأعرابي ، وقد قيل له : حد لنا العقل ، فقال : كيف أحده ولم أره كاملا في أحد قط ؟ ! .
- ١٥ وقيل للحكيم : ما جامع العقل ؟ فقال : ما رأيته مجتمعاً في أحد فأصفه ، وما لا يوجد كاملا فلا حد له .

وقالوا : لكل شيء غاية وحد ، والعقل لا غاية له ولا حد ، ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار في الرائحة والطيب .

وآختلفوا في ماهية العقل، كما آختلفوا في حده، فقال بعضهم : هو نور وضعه الله تعالى طبعا وغريزة في القلب، كالنور في العين وهو البصر، فالعقل نور في القلب، والبصر نور في العين، وهو ينقص ويزيد، ويذهب ويعود، وكما يدرك بالبصر شواهد الأمور، كذلك يدرك بالعقل كثير من المحجوب والمستور، وعمى القلب كعمى البصر، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ليس الأعمى من عمى بصره ولكن من عميت بصيرته " .

وقال عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة المعروف بالعتبي : العقل عقلان : عقل تفرد الله تعالى بصنعه، وهو الأصل، وعقل يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع ؛ فإذا اجتمعا قوى كل واحد منهما صاحبه، تقوية النار في الظلمة للبصر . ١٠
نظم بعض الشعراء هذا اللفظ فقال — و يروى لعل — بن أبي طالب رضى الله عنه — :

رأيت العقل عقابين * فطبوعٌ ومسموعٌ

ولا ينفع مسموعٌ * إذا لم يك مطبوعٌ

كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوعٌ

وأكثر الناس على أن العقل في القلب، ودليله قوله عز وجل : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ . ١٥

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " العقل في القلب يفرق به بين الحق والباطل " .

وقال بعضهم : هو في الدماغ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه . ٢٠

وأما ما وُصف به، ثقيل : العقل وزير رشيد، وظهير سعيد، من عصاه
أرداه، ومن أطاعه أنجاه .

وقال سعيد بن جبير : لم تر عينا أجل من فضيل عقل يتردى به الرجل، إن
أنكر جبره، وإن تصدع أنثى، وإن نل أعزّه، وإن أوج أقامه، وإن عثر
أقاله، وإن أنقر أغناه، وإن عرى كساه، وإن غوى أرشده، وإن خاف أتمنه،
وإن حزن أفرحه، وإن تكلم صدقه، وإن أقام بين أظهر قوم أغبطوا به، وإن
غلب عنهم أسفوا عليه، وإن بسط يده قالوا : جواد، وإن قبضها قالوا : مقتصد،
وإن أشار قالوا : عالم، وإن صام قالوا : مجتهد، وإن أفطر قالوا : معذور . قال
بعض الشعراء :

- ١٠ بعد رفيع القوم من كان عاقلا • وإن لم يكن في قومه بحسب
وإن حل أرضا عاش فيها بعقله • وما عاقل في بلدة بنسريب
وقال بعض الحكماء : إذا غلب العقل الهوى ، صرف المساوى الى المحاسن ،
بفعل البلادة حِلما، والحدة ذكاء، والمكر فطنة، والمهذب بلاغة، والحي صمتا، والدة وبة
أدبا، والجبن حذرا، والإسراف جودا .
- ١٠ وقيل : لو صور العقل لأضاء معه الليل، ولو صور الجهل لأظلم معه النهار .
قال المتنبي :

لولا العقول لكان أدنى ضيخم • أدنى الى شرف من الإنسان
وقد نُبب الى محبة العقلاء .

- قال الرهمري : إذا أنكرت عقلك، فاقدحه بما قبل . وقال ابن زُرارة : جالس
العقلاء أعداء كانوا أم أصدقاء، فإن العقل يقع على العقل . قال بعض الشعراء :
- ٢٠ عدوك ذو العقل أبى عليك • وأبى من الوامق الأحسنى

وقال آخر :

لله دُرُّ العقل من راشِدٍ * وصاحب في السير والسير
وحاكم يقضى على غائب * قضية الشاهد للأمر
وإنَّ شيئاً بعضُ أحواله * أن يفصل الخير من الشر
له قُوَى قد خصه ربُّه * بخالص التقديس والطهر

وقال آخر :

إذا لم يكن للراء عقلُ فإنه * وإن كان ذا قدر على الناس — هين
وإن كان ذا عقل أجَلْ لمقله * وأفضل عقلٍ من يتبين

وقال آخر :

العقل حِلَّةٌ خَيْرٌ مَنْ تَسَرَّبَهَا * كانت له نَسَباً يُفْنِي عن النَسَبِ
والمقل أفضل ما في الناس كَلِّهِمْ * بالعقل ينجو الفقي من حومة العطب

وقال ابن دُرَيْد :^(١)

وأفضل قَسَمٍ الله للراء عقله * فليس من الخيرات شئٌ يقاربه
فزينُ الفقي في الناس صِحَّةُ عقله * وإن كان محظورا عليه مَكَايِبُهُ
ويزري به في الناس قِلَّةُ عقله * وإن كُرِّمَتْ أعرافه ومَنَاسِبُهُ
إذا اكمل الرحمنُ للراء عقله * فقد كَمَلَتْ أخلاقه ومَآرِبُهُ

(١) كما في أحد الأصول المتوغر أمين . وفي الأصل الآخر : « ... نَسَباً يَفْنِي عن النَسَبِ » .

وفي الراغية : « ... نَسَباً يَفْنِي عن النَسَبِ » .

(٢) كما في الأصول . وفي أدب الدنيا والدين لأبي الحسن البصري ص : طبع بلاق : أن هذه

الآيات من شعر إبراهيم بن حسان ، مع اختلاف يسير في بعض كلماتها . ٢٠

وقال آخر :

ما وهب الله لأمرئ هبة * أشرف من عقله ومن أدبه
 مما جال الفتي فإن علما * فإن فقد الحياة أنفع به

وقال آخر :

- ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى * ولم أر مثل المال أرفع للنذل
- ولم أر من عديم أضر على الفتى * إذا عاش بين الناس من عديم العقل

ذكر ما قيل في الصدق

قال الله عز وجل مبشرا للصادقين : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تحروا الصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة، وإن المرء ليتحرى الصدق حتى يكتب صدقا" .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله، ما عمل أهل الجنة؟ قال : "الصدق إذا صدق العبد برًا وإذا برًا أمينًا وإذا آمن دخل الجنة" . قال : يا رسول الله، ما عمل أهل النار؟ قال : "الكذب إذا كذب العبد بغيره وإذا كفر بغيره وإذا كفر دخل النار" .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بم يعرف المؤمن؟ قال : "بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه" . ومن كلام علي

(١) في الإحياء للقرطبي : « ... وإن الرجل ليعتق حتى يكتب عند الله صديقاً » .

رضي الله عنه : [علامة] الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك، على الكذب حيث ينفعك .

وقال بعض الحكماء : الصدق أزين حلية، والمعروف أريح تجارة، والشكر أدوم نعمة . وقال بعضهم : رأيت أرسطاطاليس في المنام، فقلت : أي الكلام أحسن؟ فقال : ما صدق فائله، قلت : ثم ما ذا؟ قال : ما استحسنته سامعه، قلت : ثم ما ذا؟ قال : كل كلام جاوز هذا فهو ونهيق الحمار بمقلته .

وقال الأحنف لأبيه : يا بني، يكفيك من شرف الصدق، أن الصادق يُقبل قوله في عدوه، ومن دناءة الكذب أن الكاذب لا يُقبل قوله في صديقه ولا عدوه؛ لكل شيء حلية، وحلية المنطق الصدق . الصدق يدل على اعتدال وزن العقل .

قال عامر بن الظرب العدواني في وصيته : إني وجدتُ صدق الحديث طرفاً من الغيب فأصدقوا . من لزم الصدق وعزّده لسانه، فلا يكاد يتكلم بشيء يظنه، إلا جاء على ظنه .

وقالوا : ما السيف الصارم في كفّ الشجاع بأعز من الصدق .

وقيل : مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بمجوز تبع اللبن [في سوق الليل] ، فقال لها : يا مجوز، لا تفتني المسامين، ولا تشوي لبنك بالماء، قالت : نعم يا أمير المؤمنين؛ ثم مرّ بها بعد ذلك، فقال : يا مجوز، ألم أعهد إليك ألا تشوي لبنك بالماء؟ فقالت : والله ما فعلتُ يا أمير المؤمنين، فتكلّمتُ بنتُ لها من داخل الخباء، فقالت : يا أمّاه، أغشّ وحتّاً جمعتِ على نفسك ! فسمعها عمر

فأعجبته، فقال لولده : أيكم يترجىها ؟ فقل الله أن يخرج منها نَسَمَةً طَيِّبَةً ، فقال ابنه عاصم : أنا أترجىها يا أمير المؤمنين ، فزوجها منه ، فأولدها أم عاصم ، تزوجها عبد العزيز بن مروان فأولدها عمر بن عبد العزيز .

وَرَوَى أَنَّ بِلَالًا لَمْ يَكْذِبْ مِنْذُ أَسْلَمَ ، فَلَمَّا فَتَحَ ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ يَحْسُدُهُ [فَأَرَادَ أَنْ يُبَشِّرَهُ] ^(١) ، قَالَ : الْيَوْمَ أَكْذَبَهُ ، فَسَارِهِ فَقَالَ لَهُ : يَا بِلَالُ مَا سَنُ فَرَسُكَ ؟ قَالَ : عَظْمٌ ، قَالَ : فَمَا جَرِيهِ ؟ قَالَ : يُحْضِرُ مَا اسْتَطَاعَ ؛ قَالَ : فَأَيْنَ تَتَرَلُّ ؟ قَالَ : حَيْثُ أَضْعَ قَدَمِي ؛ قَالَ : أَبْنُ مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : ابْنُ أَبِي وَامِي ؛ قَالَ : فَكَمْ أُنَى عَلَيْكَ ؟ قَالَ : لَيْلٍ وَأَيَّامٌ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَدَدِهَا ؛ قَالَ : هِمَاتِ ، أَعَيْتَ فَيْكَ حَيْلِي ، مَا أَتَمَنْتَ ^(٢) بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا .

(٧١)

١٠ ذكر ما قيل في الوفاء والمحافظة والأمانة

قال الله عز وجل : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ .

وروى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه :

١٠ "عليك بصدق الحديث ووفاء العهد وحفظ الأمانة فإنها وصية الأنبياء" .

كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبنه زينب تاجرا تضاربه قريش بأموالهم ، فخرج إلى الشام

(١) زيادة عن تذكرة الصعدي تناسب المقام .

(٢) كما في تذكرة الصعدي . وفي الأصول : « ما أتيت ... » وهو محريف .

(٣) الخ : الصبر أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ .

سنة الهجرة، فلما قدم عرض له المسلمون فأسروه، وأخذوا ما معه، وقدموا به
المدينة ليلاً، فلما وصلوا الفجر، قامت زينب على باب المسجد، فقالت :
يا رسول الله، قد أجرت أبا العاص وما معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
”قد أجرتنا من أجرت“ ودفع إليه ما أخذوه منه، وعرض عليه الإسلام، فأبى، وخرج
إلى مكة، ودعا قريشاً، فاطعمهم، ثم دفع إليهم أموالهم، ثم قال : هل وقيت ؟
قالوا : نعم، قد أذيت الأمانة ووقيت، قال : أشهدوا جميعاً أنى أشهد أن لا إله
إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وما منعتنى أن أسلم إلا أن تقولوا : أخذ أموالنا، ثم
هاجر، فأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على الكاح، وتوفي في سنة اثنتي عشرة .

وقيل لما قوى أمر بني العباس وظهر قال مروان بن محمد لعبد الحميد بن يحيى
كاتبه : إنا نجد في الكتب، أن هذا الأمر زائل عنا لعمالة، وسيظهر اليك هؤلاء
القوم، يعنى ولد العباس، فصر إليهم، فإني لأرجو أن تمكن منهم، فتغننى في محلى
وفى كثير من أمورى، فقال : وكيف لى يعلم الناس جميعاً أن هذا عن رأيك، وكلهم
يقول : إني غدوت بك، وصرت إلى عدوك ؟ وأنشد :

أستز وفاءً ثم أظهرُ غَدْرَهُ * فنلّ بغيرِ يوسع الناس ظاهِرَهُ

ثم قال :

ولو لمْ ظاهرٌ لا شكَّ فيه * للآئمه وصدرى بالمغيبِ

فلما سمع مروان ذلك، علم أنه لا يفعل، ثم قال له عبد الحميد : إن الذى
أمرتنى به، لأنفع الأمرين لك وأقبحهما بى، ولك على الصبر معك، إلى أن
يفتح الله عليك، أو أقتل معك .

والعرب تضرب المثل فى الوفاء بالسموط بن عادياء الأزدي، وقيل : إنه من
ولد الكاهن بن هارون بن عمران، وكان من خبره، أن أمراً القيس بن مجر أودعه

أدراعا مائة، فأتاه الحارث بن ظالم، ويقال الحارث بن أبي شمر الغساني، ليأخذها منه، فتحصن منه السموم، فأخذ أبنا له غلاما وقاداه : إما أن أسلمت إلى الأدرع، وإما أن قتلتُ أبنك، فأبى أن يسلمها، فقتل أبنه بالسيف، ففي ذلك يقول :

وَقَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكِندِيِّ إِنِّي * إِذَا مَا الْقَوْمُ قَدَّغَدَرُوا وَقَيْتُ
وَأَوْصَى عَادِيًا يَوْمًا بِأَلَا * تُهْدَمُ يَا سَمُومُ مَا بَنَيْتُ

وفيه يقول الأعشى :

كن كالسموم إذ طاف المهام به - في بحفيل كسواد الليل جرار
الأبلق الفرد من تيماء منزله - حصن حصن وجار غير غدار
قد سامه خطي خفيف فقال له - قل ما بدا لك إني سامع حار
فقال نكل وغدر أنت بينهما - فأختر وما فيهما حظ مختار
فشك غير طويل ثم قال له - اقتل أميرك إني مانع جاري

ومن وفاء العرب ما فعله هاني بن مسعود الشيباني، حتى جرّ ذلك يوم ذي قار، وكان من خبره : أن النعمان بن المنذر لما خاف كسرى، وعلم أنه لا منجى منه ولا ملجأ، رأى أن يضع يده في يده، فأودع ماله وأهله عند هاني، ثم أتى كسرى فقتله، وأرسل إلى هاني يطالبه بوديعة النعمان، وقال له : إن النعمان كان عاملي، فأبعثت إلى بوديعة، وإلا بعثت إليك بجنود تقتل المقاتلة وتسيب الذرية؛ فبعثت إليه هاني : إن الذي بلغت باطل، وإن يكن الأمر كما قيل، فأنا أحد رجلين : إما رجل

(١) في الكامل الجيد ص ٣٤١ طع ليزج : « إذا عاهدت أنوما ... الخ » . وفي المحاسن والأضداد لمحايط والمحاسن والمساوي للبيهي : « إذا ما حان أنوم .. الخ » . وفي تذكرة الصقلي : « إذا ما ذم أنوما ... الخ » .

(٢) في الشعر والشعراء لابن قتيبة : « حيرة ... الخ » .
(٣) كلها في الشعر والشعراء . وفي جميع الأصول : « مكر ... الخ » .

استودع أمانة، فهو حقيق أن يردها على من استودعه إياها، ولني يسلم الخزائنته؛
أو رجل مكذوب عليه، وليس ينبغي للالك أن يأخذه بقول عدو؛ فبعث كسرى اليه
الجنود، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب، وبعث معه الكتيبة الشهباء
والأساورة^(١)، فلما ألتقوا، قام هاني بن مسعود، وحرض قومه على القتال، وجرى
بينهم حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها، وسندكرها إن شاء الله في وقائع العرب،
فانتصر هاني وأنهزمت الفرس، وكانت وقعة مشهورة .

(٧٦)

قيل : وكان مرداس في سجن عبيد الله بن زياد بن أبيه ، فقال له السجان :
أنا أحب أن أوليك حسنة ، فإن أذنت لك في الانصراف الى دارك أفتدبج علي ؟
قال : نعم ، فكان يفعل ذلك به ؛ فلما كان ذات يوم ، قتل بعض الخوارج صاحب
شرطة ابن زياد ، فأمر أن يقتل من في السجن من الخوارج ، وكان مرداس
إذ ذاك خارجا ، فقال له أهله : أتق الله في نفسك ، فإنك مقتول إن رجعت ،
فقال : ما كنت لألقى الله غادرا ، وهذا جبار ، ولا آمن أن يقتل السجان ؛ فرجع
وقال للسجان : قد بلغني ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا ، فبادرت لئلا
يلحقك منه مكروه ؛ فقال له السجان : خذ أي طريق شئت ، فانيج نفسك .

١٠

خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب الى بعض جاين الشام ، وإذا
بامرأة جالسة عند قبر تبكي ، فجاء سليمان ينظر اليها ، فقال لها يزيد ، وقد عجب
سليمان من حسنها : يا أمة الله ، هل لك في أمير المؤمنين ؟ فنظرت إليهما ، ثم نظرت
الى القبر ، وقالت :

١٥

(١) الأساورة جمع اسوار بالعم والكسر : وهو قائد الفرس . وفي تذكرة الصفدي : «ومعه كتيبة

الشهباء والهدوسر» . والهدوسر : كتيبة النعمان .

٢٠

فإن تسألاني عن هواي فأته * يحوماء هذا القبر يا فتيان
وإني لأستحيه والترُّبُ بيننا * كما كنتُ أستحيه وهو يراني

ومن أحسن الوفاء ما حكى عن نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان بن عفان رضى الله عنه : أن معاوية خطبها فرتته ، وقالت : ما يُعجب الرجال مني ؟ قالوا : ثياك ، فكسرت ثياها ، وبعث بها الى معاوية ، فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء كلب . وأمرأة هذبة لما قُتل زوجها قَطَمَتْ أنفها وشفتيها ، وكانت جميلة الوجه ، لثلا يُرغبَ فيها .

وحيث ذكرنا الوفاء والمحافظة فلنذكر بيعة خليفة ويمين ، ذكرها بعض أهل الأدب في تصنيفه ، وهي : تُبَاجِعُ عبداً لله الإمام أمير المؤمنين ، بيعة طوع وإيثار ، ورضا واختيار ، وأعتقاد وإضمار ، وإعلان وإسرار ، وإخلاص من طويتك ، وصدق من نيتك ، وأنشراح من صدرك ، وصحة من عزيمتك ، طائفاً غير مُكره ، ومتقاداً غير مُجبر ، مقراً بفضلها ، مُدْعِناً بحقها ، ومعتزفاً بركتها ، ومُعتدّاً بحسن عائدتها ، وعالمياً بما فيها ، وفي توكيدها من صلاح الكافة ، واجتماع كلمة الخاصة والعامة ، ولم الشعث ، وأمن العواقب ، وسكون الذمماء ، وعِزَّ الأولياء ، وقمع الأعداء ؛ على أن فلانا عبد الله وخليفته المفترض عليك طاعته ، الواجبة على الأمة إمامته وولايته ، اللازم لهم القيام بحقه والوفاء بهده ؛ لا تُشْكُ فيه ، ولا ترتاب به ، ولا تُدَاهِن من أمره ، ولا تميل ^(١) [إلى غيره] ؛ ولكك ولي أوليائه ، وعدو أعدائه ، من خاص وعام ، وقريب وبعيد ، وحاضر وغائب ؛ متمسك في بيعته بوفاء العهد ، وفئة العقد ؛ سريرتك مثل علانيتك ، وضميرك فيه وفق ظاهرك ، على أن إعطائك هذه البيعة من نفسك ، وتوكيدك إياداً في عنقك ، لفلان أمير المؤمنين ، على سلامة من قلبك ، وأستقامة من عزمك ،

(١) الكلمة من تذكرة الصمدى .

وأستمرار من هواك ورأيك ؛ على ألا تتأول عليه فيها ، ولا تسعى في نقض شيء منها ، ولا تقعد عن نصرته له في الرضاء والشدة ، ولا تدع النصيح له في كل حال راهنة وحادثه ؛ حتى تلقى الله موافيا بها ، مؤديا للأمانة فيها ، إذ كان الذين يبايعون ولاة الأمر وخلفاء الله في الأرض ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . عليك بهذه البيعة التي طوقتها عنقك ، وبسطت لها يدك ، وأعطيت ما شرط عليك فيها : من وفاء ونصح وموالة ومشايعة ، وطاعة وموافقة ، واجتهاد ومبالغة ؛ عهد الله إن عهده كان مستولا ، وما أخذ الله على أنبيائه ورسله عليهم السلام ، وعلى من أخذ من عبادته من مؤكدات موثيقه ، ^(١) ومحككات عهوده ، وعلى أن تملك بها فلا تبدل ، وتستقيم فلا تميل . وإن نكثت هذه البيعة ، وبذلت شرطاً من شروطها ، أو عقيت رسماً من رسومها ، أو غيرت حكماً من أحكامها ، معلماً أو مسرراً ، محتالاً أو متأولاً ، أو زُغت عن السبيل التي يسلكها ^(٢) من لا يخفى الأمانة ، ولا يستحل القدر والحياة ، ولا يستجيز حل العقود ^(٣) و[ختر] المهود ، فكل ما تملكه من عين أو ورق ، أو آنية أو عقار ، أو سائمة أو زرع أو ضرع أو غير ذلك من صنوف الأملاك المعتقدة ، والأموال المدخرة ، صدقة على المساكين ، يحزم عليك أن ترجع شيئاً من ذلك الى مالك بحيلة من الحيل على وجه من الوجوه ، أو سبب من الأسباب ، أو مخرج من مخارج الإيمان ؛ فكل ما نفذه عمرتك من مال يقل خطره أو يحل فلك سبيله الى أن تتوفاك [منيتك] ، أو يأتيك

(١) كذا في تذكرة الصمدى . وفي الأصول : « من وكالات » .

(٢) كذا في تذكرة الصمدى . وفي الأصول : « من لا يخفى الأمانة » وهو خطأ .

(٣) زيادة عن تذكرة الصمدى .

(٤) الكلام الذى جئى بهذا المربع يفتى في صحيفة ٢٥٠ بمرجع مثله هو ساقط بالأصل المتنوع رافى

ويقع في صحيفتي (٧٣ و ٧٤) وقد قلناه من السخنة الراعية والأصل المتنوع رافى الآخر .

أجلك ؛ وكل مملوك لك اليوم من ذكر أو أنثى أو عبدك إلى آخر أيامك ؛ أحرار سائبون لوجه الله تعالى ، ونساؤك يوم يلزمك الحنث ^(١) ومن تروج بعدهن مدة بقائك طوالق ثلاثا ، طلاق الحرج والسنة لا مشنوية فيها ولا رجعة ؛ عليك المشي إلى بيت الله الحرام ، ثلاثين حجة حافيا راجلا ، لا يرضى الله منك إلا بالوفاء بها ، ولا يقبل الله صرفا ولا عدلا ، وخذلك يوم تحتاج إليه ، وبرأك من حوله وقوته ، وأجلك إلى حولك وقوتك ؛ والله عز وجل بذلك شهيد . وكفى بالله شهيدا ، والله على ما نقول وكيل .

ذكر ما قيل في التواضع

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وقال قتادة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْخَاشِعِينَ ﴾ قال : هم المتواضعون . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض تواضعا .

وقال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويحجب دعوة المملوك ويركب الحمار ، ولقد رأيت يوم خُتِنَ على حمارٍ خطامه ليف . وقال صلى الله عليه وسلم : "إن العفو لا يزيد العبد إلا عزًا فاعفوا بعزكم الله وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رِفعة فتواضعوا يرفعكم الله وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نماء فصصدقوا يزدكم الله " . وقال عروة بن الزبير : التواضع أحد مصابيد الشرف ، وفي لفظ : التواضع سلم الشرف . وقال جعفر بن محمد :

(١) كذا في تذكرة الصمدى . وفي الأصول : « ما يترج » .

(٢) كذا في الأصول . وفي تذكرة الصمدى : « قال عمرو بن الزبير ... الخ » . وفي المعارف

لأبي قتيبة : أن عروة وعمرا كلاهما من ولد الزبير .

رأس الخير التواضع، فقيل له : وما التواضع ؟ فقال : أن ترضى من المجلس بدون شرفك، وأن تُسَلِّمَ على من لقيت، وأن تترك المرء وإن كنت مُحِقًّا . وقد روى عن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكر المرء فيه، وزاد فيه : وتكره الرياء والسمعة . وقيل : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة . وقيل : التواضع نعمة لا يفتن لها الحاسد . وقيل : التواضع كالوَهْدَةِ يجتمع فيها قَطْرُهَا وقَطْرُ غَيْرِهَا . وقال عبد الله بن المعتز : متواضع العلماء أكثرهم علما . كما أن المكان المنخفض أكثر الأما كن ماء . وكان يحيى بن خالد يقول : لست أرى أحدا تواضع في إمارة إلا وهو في نفسه أكبر مما نال من سلطانه .

ومن التواضع الماثور ما روى : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ ويده على المَعْلَى بن الجارود، فلقبته امرأة من قريش، فقالت له : يا عمر، فوقف لها، فقالت له : كما نعرفك مرةً ثم صرتَ بعدَ عُمَيْرٍ عُمَيْرَ ثم صرتَ بعدَ عمرٍ أميرَ المؤمنين . فائق الله يابن الخطاب، وأنظر في أمور الناس، فإنه من خاف الوعيد، قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي القوت، فقال لها المَعْلَى : إيهَا ! إِلَيْكَ يَا أُمَّةَ اللَّهِ لقد أبكيت أمير المؤمنين ! فقال له عمر : أتدري من هذه ؟ ويحك ! هذه خَوْلَةُ بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه، فعمرُ أخرى أن يسمع قولها ويقنّدي به .

وقال عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : إنك لسريع المشية ؛ قال : ذلك أبعد من الكبر وأسرع إلى الحاجة .

وقال عمر رضي الله عنه — وقد قيل له مثل هذا — : هو أنجح للحاجة وأبعد من الكبر، أما سمعت قوله عز وجل : ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ .

قد مدح الشعراء أهل التواضع، فمن ذلك قول أبي تمام حبيب :
مُتَبَدِّلٌ فِي الْقَوْمِ وَهُوَ مُبْجَلٌ * مُتَوَاضِعٌ فِي الْحَيِّ وَهُوَ مُعْظَمٌ

وقال آخر :

متواضع والنبل يحرس قدره * وأخو النباهة بالنباهة يَبْئُلُ

وقال البحترى :

دَنَوْتُ تَوَاضِعًا وَعُلُوْتُ مَجْدًا * فشاناك أنحدارُ وأرتِفاعُ

كذلك الشمسُ تبعد أن تُسَامَى * ويدنو الضوء منها والشُّعَاعُ

وقال أبو محمد التيمي :

تواضع لما زاده الله رِفْعَةً * وكلُّ رفيع قدره متواضعٌ

وقال آخر :

دَنَوْتُ تَوَاضِعًا وَعُلُوْتُ قَدْرًا * ففيك تواضعٌ وعُلوٌّ شانٍ

ذكر ما قيل في القناعة والزهادة

جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ أن المراد بالحياة الطيبة : القناعة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” القناعة مَالٌ لَا يَنْفَدُ “ . وقال عليه السلام : ” مَا عَالَ مِنْ أَقْتَصَدَ “ .

ومن كلام علي رضي الله عنه : كفى بالقناعة مُلْكًا ، وبحسن الخلق نِعمًا .

وقال جعفر بن محمد : ثمرة القناعة الراحة .

وقال علي بن موسى : القناعة تجمع إلى صيانة النفس وعز القدرة ، طَرَحَ مُؤْنُ الاستِغَارِ والتَّعَبْدِ لأهل الدنيا ، ولا يسلكُ طريقَ القناعة إلا رجلان : إما متقلِّلٌ يريد أجر الآخرة ، أو كريمٌ يتَّزَهُ عن آثام الدنيا .

(١) كذا في تذكرة الصفدى وهو الأنسب بالمقام : وفي الأصول : « ولا ملك » .

(٢) في تذكرة الصفدى : « عن لثام » .

وقال : الراضى القانع يعيش آمناً مطمئناً مستريحاً مريحاً ، والشَّيرُ^(١) [الحريص]
لا يعيش إلا تَعَباً نَصَباً فى خوف وأذى .

وقال بعض الحكماء : عَزَّ التَّزَاهَةُ أَحَبُّ إِلَى من فرح الفَائِدَةُ ، والصبر على العسرة
أَحَبُّ إِلَى من آحَمَالُ الْمِنَّةِ . وقال أبو ذؤيب الهذلي :
والنفسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا * وَإِذَا تَرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقَنُّعُ
وقال سالم بن وابصة^(٢) :

غَيَّ النَّفْسُ مَا يَكْفِيكَ فِي سَدِّ قَافَةٍ * فَإِنْ زَادَ شَيْطَانُكَ ذَلِكَ الْغَى فَقَرَأْ
وقال أبو هلال العسكري :

أَلَا إِنَّ الْقِنَاعَةَ خَيْرُ مَالٍ * لِذِي كَرَمٍ بِرُوحٍ بِغَيْرِ مَالٍ
وَأَنْ يَصْبِرَ فَإِنَّ الصَّبْرَ أَوْلَى * مِنْ عَثَرَتْ بِهِ نُوبُ اللَّيَالِي
تَجَمَّلُ إِنْ بُلِيَتْ بِسُوءِ حَالٍ * فَإِنْ مِنَ التَّجَمُّلِ حَسَنَ حَالٍ

ذكر ما قيل فى الشكر والثناء

قال الله تبارك وتعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) فالشكر مما
يوجب الزيادة .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : لَا يُزِيدُكَ فى المعروف من لَا يَشْكُرُكَ
عليه ، فقد يشكركَ عليه من لَا يَسْتَمْتِعُ بشيء منه ، وقد يُدْرِكُ من شكر الشاكر
أكثر مما أضاع الكافر ، وَأَفْهَى يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

(١) الزيادة عن تذكرة الصفدى .

(٢) كذا فى شرح القاموس وتهذيب التهذيب وتذكرة الصفدى . وفى الأصول : « واضع » وهو

ومما تعزوه الفرس الى إسفنديار : الشكر أفضل من النعمة ، لأنه يبقى وتلك تنفى .

وقال موسى بن جعفر : المعروف لا يفكك إلا المكافاة أو الشكر . وقال : قلّة الشكر تُرهدّ في أصطناع المعروف .

وقيل : إذا قصّرت يدك عن المكافاة فليطّل لسانك بالشكر . وقيل : للشكر ثلاث منازل : ضمير القلب ، ونشر اللسان ، ومكافاة اليد . قال الشاعر :

أفادتكُمُ النِّعماءُ مِنِّي ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجّب

وقال يحيى بن زياد الحارثي بن كعب :

حلفتُ ربِّ العِيسِ تهوى برّكها - الى حريم ما عنه للناس معيلُ
لَمَّا يسلُغُ الإنعامُ في النفع غايةً * على المرءِ ألا مبلغُ الشكرِ أفضلُ
ولا بلغتُ أيدي المُنيلين بَسْطَةً * من الطُّولِ إلّا بسْطَةُ الشكرِ أطولُ
ولا ثقلتُ في الوزنِ أعباءُ مِنَّةٍ * على المرءِ إلّا مِنَّةُ الشكرِ أنقلُ
مَنْ شَكَرَ المعروفَ يوماً فقد أتى * أخا العرفِ من حُسنِ المكافاةِ مَنْ عُلُ

وقال رجل من غطفان :

الشكر أفضل ما حاولت ملتيماً * به الزيادة عند الله والناس

وقال أبو نَحِيلَةَ ^(١) :

شكرُك إن الشكرَ حَبْلٌ من الثَّقَى * وما كلُّ من أوليته نعمة يقضى
ونَهَتْ لى ذِكْرى وما كان خاملاً * ولكنَّ بعضَ الذِّكرِ أنبه من بعض

(١) كذا في الأغاني طبع بولاق (ج ١٨ ص ١٤٠) والقاموس . وفي الأصول : « أبو نَحِيلَةَ »

وقال آخر :

ساشكرَ عَمْرَآما تَراختَ مِنِّي * أَيْادِي لَمْ تُمَنِّنَ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ
قِيَّ غَيْرُ مَحْجُوبٍ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ * وَلَا مُظْهِرُ الشُّكْرِ إِذَا النُّعْلُ زَلَّتْ
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا * فَكَانَتْ قَدَى عَيْنِهِ حَتَّى تَجَلَّتْ

وقال أبو تمام :

كَمْ نِعْمَةٍ مِنْكَ تَسْرِبُلتُهَا * كَأَنَّهَا طُسْرَةٌ بُرِدَ قَشِيبُ
مِنَ اللِّوَاتِي إِنْ وَنَى شَاكِرُ * قَامَتْ لِمُسْنِئِهَا مَقَامَ الْخَطِيبِ

وقال أبو عبيدة بن محمد بن أبي عينة المَهْلِي :

بِإِذَا الْيَمِينِ قَدْ أُولِيتِي مِنِّي * تَتَرَى هِيَ الْغَايَةُ الْقُصُوى مِنَ الْمَنَنِ
وَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ مِنْ شُكْرِ أَجْءٍ بِهِ * إِلَّا أَسْتَطَاعَةَ ذِي جِحْمٍ وَذِي بَدَنِ
لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مِثْلَهُ * أَوْفَى مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الثَّنَنِ
أَخْلَصْتُهَا لَكَ مِنْ قَلْبِي مُهْدَبَةٌ * حَذَوْنَا عَلَى مِثْلِ مَا أُولِيتَ مِنْ حَسَنِ
قَالُوا : وَأَجُودُ ، أَقِيلُ فِي عِظَمِ النِّعْمَةِ وَقُصُورِ الشُّكْرِ مِنْ قَدِيمِ الشُّعْرِ ، قَوْلُ طَرِيحٍ

ابن إسماعيل :

سَمِعْتُ أَبْتِغَاءَ الشُّكْرِ فَمَا صَنَعْتُ لِي * فَقَصَرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لِشَاكِرُ
لَأَنْتَ تُوَلِّينِي الْجَمِيلَ بَدَاهَةً * وَأَنْتَ لَمَّا اسْتَكْثَرْتُ مِنْ ذَاكَ حَاقِرُ
فَارْجِعْ مُغْبُوطًا وَتَرْجِعْ بَالِي * لَهَا أَوَّلُ فِي الْمَكْرَمَاتِ وَآخِرُ

وقال دُعَيْل :

جَهْرُكَ لَا عَنْ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ * وَلَا لِقَلِّ أَبْطَأَتْ عَنْكَ أَبَا بَكْرٍ

(١) في ديوان الماعاني لأبي هلال العسكري : * قِيَّ غير مفراخ إذا الخية منه *

(٢) كذا في الشعر والشعراء لابن قتيبة والاعاني (ح ٥ ص ٩) طبع بولاق ، وفي الاصول : « عتبة » .

ولكنني لما أتيتك راغباً * فافطمت في برى عجزت عن الشكر
فلان^(١) لا أتيتك إلا تعسداً * أزورك في الشهرين يوماً وفي الشهر
فان زدت في برى ترايدت جفوة * فلا نلتقي حتى القيامة والحشر
وقال البحرى :

• هاتيك أخلاق إسماعيل في تعب * من الملا والملا منهق في تعب
أدأبت شكرى فأسى منك في نصيب * أقصر^(٢) فالى في جدواك من أرب
لا أقبل الدهر نيل لا يقوم له * شكرى ولو كان يسديه إلى أبى
لما سالتك وافانى نذاك على * أضعاف شكرى فلم أظفر ولم أخيب^(٣)
وقال أيضا :

• ١٠ إلى هجرتك إذ هجرتك وحشة * لا السود يذهبها ولا الإبداء
أنجليتي بتدى يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتنى بالحدود حتى إني * متخوف ألا يكون لقاء
صلة غدت للناس وهى أقطعية * عجباً وبرراح وهو جفاء
ليواصلنك ركب شعير سائر * يرويه فيك لحسنه الأعداء
حتى ييم لك الثناء مخلصاً * أبدا كما تمت لك النعماء^(٤)
• ١٠ فظلل تحسدك الملوك الصيدين * وظلل تحسدنى بك الشعراء

(٧٥)

(١) فلان، أى فى الآن .

(٢) فى ديوان البحرى (ج ٢ ص ٦٤) طبع الاشارة : « أتيت »

(٣) فى ديوان البحرى : « فاذهب ... ان » .

(٤) فى ديوان البحرى : « ... ظنى فلم أخفق ... ان » .

(٥) فى ديوان البحرى : « ل » .

وقال الحسن بن هاني :

قد قلت للعباس معتذراً * من ضَعِيفٍ شكري ومعتزلاً
أنت أمرؤ جَلَلْتَنِي نِعْماً * أوهت قُوى شكري فقد ضَعُفَا
لا تُسَدِّينِ إلَيَّ مَافِةً * حتَّى أقومَ بِشُكْرِ ما سَلَفَا

وقال الحسين بن الضحاک للواتق من أبيات :

إذا كنتُ من جَدِّواك في كُلِّ نعمةٍ * فلا كنتُ إن لم أفني عُمرِي بِشُكْرِكا

وقال البحتري :

إذا أنا لم أشكر لِنُعمِكَ جَاهِداً * فلأنت نُعمى بعدها تُوجب الشُكْرا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

إني لسا كُرْأَمِيهِ وولِيهِ * في يومه ومُؤْمَلٍ فيه غداً^(١)

وقال آخر :

وكيف أنساك لا نَعْمَاك واحدةً * عندي ولا بالذي أوليت من قَدَم

وقال عبد الأعلى بن حماد : دخلتُ على المتوكل ، فقال لي : قد هممتُ أن نَصَلَّكَ ،

فتدافعت الأمور ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد بلغني عن جعفر بن محمد الصادق أنه

قال : من لم يشكر للهمةً ، لم يشكر للنعمة ، وأنشدته قول الباهل :

لأشْكركَ معروفاً هممتَ به * إن اهتمَّكَ بالمعروفِ معروفاً

ولا ألومك إن لم يُمِضْه قَدَرٌ * فالشيءُ بالقَدَرِ المحتومِ معروفاً

(١) كذا في ديوان الماتى ، وفي الأصل : « من عظم ... » وهو غير المناسب .

(٢) في الأصول : « ع » .

وقال ابن الرومي :

كَمْ مِنْ يَدٍ بِيضَاءَ قَدِ اسْدَيْتَهَا * تَتْنِي إِلَيْكَ عَنَانٌ كُلُّ وَدَادٍ
شَكَرَ إِلَهُهُ صَانِعًا أُولَيْتَهَا * سُلِّكْتُ مَعَ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ

وقال آخر :

• وَأَحْسَنُ مَا قَالُ أَمْرُؤُفِيكَ مِدْحَةٌ * تَلَقَّيْتُ عَلَيْهَا مِنْهُ وَقَبُولُ
وَشَكَرُكَ كَانَ الشَّمْسُ تُغْنِي بِنُشْرِهِ * قَفَى كُلِّ أَرْضٍ مُخْبِرٌ وَرَسُولُ

ومن كلام الحسن بن وهب : من شكر لك على درجة رفعتك إليها ، أو ثروة أفدته إياها ، فإن شكرى لك على مهجة أحييتنا ، وحشاشة أبقيتنا ، ورمقى أسسكته وقتت بين التلّف وبينه ؛ ولكل نعمة من نعم الدنيا حدٌ ينتهى إليه ، ومدى يوقف عليه ، وغاية من الشكر يسمو إليها الطرف ، خلا هذه النعمة التي فانت الوصف ، وطالت الشكر ، وتجاوزت كل قدر ، وأنت من وراء كل غاية ، وردت عنا كيد العدو ، وأرغمت أفق الحسود ؛ نلجأ منها إلى ظلّ ظليل ، وكنت كريم ؛ فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ جهد المجهود !

وقال الشريف الرضي :

١٥ أَلْبَسْتَنِي نِعَمًا عَلَى نَعِيمٍ * وَرَفَعْتَ لِي عَلَا عَلَى عِلْمٍ
وَعُلَوْتَ بِي حَتَّى شَبَّيْتُ عَلَى * بُسُطٍ مِنَ الْأَعْنَاقِ وَالْقِمَمِ
فَلَا شُكْرَ نَدَاكَ مَا شُكِرْتُ * خُضِرُ الرِّيَاضِ صَنَائِعِ الدِّيمِ
فَالْحَمْدُ يُقِي ذِكْرَ كُلِّ قَفَى * وَيُبَيِّنُ قَدْرَ مَوَاقِعِ الْكَرَمِ
وَالشُّكْرُ مَهْرٌ لِلصَّدِيقَةِ إِنَّ * طُلَيْتُ مَهْوَرُ عَقَائِلِ النِّعَمِ

وقال أبو الحسن الكاتب المغربي :

٢٠

سَأَشْكُرُ نِعْمَاكَ الَّتِي أَنْبَسَطْتَ بِهَا * يَدِي وَلِسَانِي فَهُوَ بِالْمَجْدِ يَنْطَلِقُ

وأخني بما أوليتني من صبيعة * ومن مينة تفدو على وتطرو
وكل أمرئ يرجو نذاك موفق * وكل أمرئ يثني عليك مصدق

وقال ابن رشيق القيرواني :

خذ ثناءً عليك غب الأبادي * كثناء الرأيا على الأمطار
سقط الشكر وهو موجب نعمًا * لك سقوط الأنواء بالآثمار

ومن المنعمين من رأى أن الشكر بإظهار النعمة أبلغ منه بالنطق باللسان،
وعاقب على ذلك بالحِرمان .

فمن ذلك ما رواه أبو هلال السكري بسنده إلى القتي^(١) قال : أراد جعفر بن
يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأضيي، فدفع إلى خادم له كيسا فيه ألف
دينار وقال : إني سأزِل في رجعتي إلى الأضيي، ثم سيعدني ويضحكني، فإذا
ضحكت، فضجع الكيس بين يديه، فلما رجع ودخل إليه، رأى حبا مكسورا
الرأس، وجرّة مكسورة العتي، وقصعة مشعبة، وجفنة أعشار، ورآه على مُصلل
بال، وعليه برنكان أجرد، فغمز غلامه ألا يضع الكيس بين يديه، فلم يدع
الأضيي شيئا مما يضحك الثكلان والغضبان إلا أوردته عليه فلم يتهم، ثم خرج،
فقال لرجل يسيره : من آستري الذئب ظلم. ومن زرع سبعة حصص الفقر،
إني والله لما علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل، ما حلفت بفشره له باللسان،

(١) كما في الأصل . وفي ديوان المعاني لأبي هلال السكري : « أخبرنا أبو جعفر بن القتي عن

القتي قال : أراد جعفر بن يحيى ... الخ » .

(٢) الحب : البجرة الضخمة .

(٣) البرنكان على وزن زعفران : ضرب من الأكسية ويقال له أيضا بركان .

وَأَيْنَ يَقَعُ مَدِيحُ اللِّسَانِ مِنْ آثَارِ الْعِيَانِ ! إِنَّ اللِّسَانَ قَدْ يَكْذِبُ وَالْحَالُ لَا تَكْذِبُ ،
وَقَدْ دُرِّ نَصَبٍ حَيْثُ يَقُولُ :

فَاجْأُوا فَاسْتَوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ * وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

ثم قال : أعلمت أن ناووس أبرويز، أمدح لأبرويز، من [شعر] ^(٢١) زهير لآل سينان !

- وقالت الحكماء : لسان الحال أصدق من لسان الشكوى . وقد أجاد ابن

(٢١)

الرومي في هذا المعنى فقال :

حَالُ نَبُوحٍ بِمَا أُؤَلِّتَ مِنْ حَسَنِ * فَكُلُّ مَا تَدَّعِيهِ غَيْرُ مُرْدُودٍ

كَلَى هَبَاءٌ وَقَتْلٌ لَا يَمِئَلُ لَكُمْ * فَايْدَاوِيكُمْ مَنَى سَوَى الْجُودِ

وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ذكر ما قيل في الوعد والإنجاز

١٠

رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : "وَعْدُ الْمُؤْمِنِ كَأَخِذٍ
بِالْيَدِ" . وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : الوعد مرض في الجلود، والإنجاز
دواؤه . ومن كلامه : المستول حُرْحَتِي يَمِيدُ، وَمَسْتَرْقٌ بِالْوَعْدِ حَتَّى يُنْجِزَ . وقال
الزُّهْرِيُّ : حَقِيقٌ عَلَى مَنْ أَزْهَرَ بِالْوَعْدِ أَنْ يُثْمَرَ بِالْفِعْلِ ^(٢٢) .

- ١٥ وقال مسلم بن الوليد عن أبيه قال : سألت الفضل بن سهل حاجة، فقال :
أَشْرَفَكَ الْيَوْمَ بِالْوَعْدِ، وَأَحْبَبَكَ غَدًا بِالْإِنْجَازِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ يُحْيَى بْنَ خَالِدٍ يَقُولُ :

(١) الناووس والناوس : مقرة الصاري مررب . ويطلق على الحجر المنقوش نجيل فيه جنة الميت .

(٢) الكلمة من ديوان الحافى لأبي حلال السكري .

(٣) في ديوان ابن الرومي : * حال تصح بما أوليت سطة *

(٤) في العقد الفريد : « على من أوردك بوعد ... الخ » .

المواعيد شبكة من شباك الكرام، يصيدون بها حامد الأحرار؛ ولو كان المظلي لا يعد لأرتفعت مفاتيح إنجاز الوعد، وتقص فضل صدق المقال .

وقال الأبرش الكلبي لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، لا تصنع إلى معروف حتى تمديني ، فإنه لم يأتني منك سبب على غير وعد ألا هان علي قدره ، وقل منى شكره ؛ فقال له هشام : لئن قلت ذلك لقد قال سيد أهلك أبو مسلم الخولاني : انجح المعروف في القلوب وأبرده على الأجداد معروف منتظر بوعده لا يكدر بالمطل . وكان يحيى بن خالد لا يقضي حاجة إلا بوعده .

وقالت أعرابية لرجل : مالك تعطى ولا تعد ؟ فقال : مالك والوعد ؟ قالت ينفسح به البصر ، وينشر فيه الأمل ، وتطيب بذكره النفس ، ويرتجى به العيش ، وترجع أنت به المدح بالوفاء .

قيل : كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد في حاجة لرجل فقال : عده عني قضاها ، قال : وما يدعوك أعزك الله إلى المدة مع وجود القدرة ؟ فقال يحيى : هذا قول من لا يعرف موضع الصنائع من القلوب ؛ إن الحاجة إن لم تتقدمها بوعده ينتظر به تجيحها ، لم تجاذب الأنفس بسرورها ، ولم تلتذ بتأملها ؛ وإن الوعد تطعم ، والإنجاز طعام ، وليس من فاجاه طعام ، كن وجد راحته ، وتعلق له وتطعمه ، ثم طعمه ؛ فدع الحاجة تتخمر بالوعد ، ليكون لها عند المصطنع إليه حسن موقع ، ولطف محل .

وقال عيسى بن ماهان : إني أحب أن أهب بلا وعد ، وأحب أن أعده ، لأخرج من جملة المخلفين ، وأدخل في عدد الوافين ، وبؤثر عني كرم المنجزين ؛ فإن من سبق فعله وعده ووصف بكرم فرد ، وسقط عنه جميع ما ذكرت .

قال: ذكر العباس المأمون فقال: إنه ألقع معروفه عندي بالوعد، وتجه بالنجح، وأرضعه بالزيادة، وشببه بالتمهد، وهرمه باستقامه من جهاته، وهناه بترك الأمتان به.

وشكا رجل جعفر بن يحيى لأبيه: أنه وعده وعدا ومطله به؛ فوقع: يا بني، أتم معائل الأحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى، فكونوا مواء في الأقوال والأفعال؛ فإن الحر يزخر وعد الحر ويمتدده وينفقه قبل ملكته، فإن أخفق أمله كان سببا لذمه وأثامه وسوء ظنه، حتى يوارى قبح ذلك حسن يقينه؛ فأنجز الوعد، وإلا فأقصر القول، فإنه أعذر، والسلام.

قال: كَلَّمَ المأمون في الحسين بن الضحاك الخلع أن يرده عليه رزقه؛ فقال:

أليس هو القائل في الأمين:

فلا فَرِحَ المأمونُ بِمُلْكٍ بَعْدَهُ • ولا زالَ في الدنيا طَرِيدًا مُشْرِدًا

فما زالوا يتلطفون معه في القول، إلى أن أذن له أن يُنشدَه فأنشده:

أَنْ لِي فَاتِي قَدْ ظَمِئْتُ إِلَى الْوَعْدِ * مَتَى تُجِزِ الْوَعْدَ الْمُؤَكَّدَ بِالْمَهْدِ

أَعِيدُكَ مِنْ صَدِّ الْمُلُوكِ وَقَدْ تَرَى * تَقَطَّعَ أَنْفَاسِي عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ

فَمَا لِي شَفِيعٌ عِنْدَ حَسَنِكَ غَيْرِهِ • وَلَا سَبَبٌ إِلَّا التَّمَسُّكُ بِالْوَدِّ

أَيَحْتَلُّ قَرْدُ الْحَسَنِ قَرْدُ صِفَاتِهِ * عَلَى وَقْدِ أَفْرَدْتَهُ بِهَوَى فَرْدِ

رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ * فَلَمَّكَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ

(١) هناه: طلاه بالهاء، وهو التظنن.

(٢) رواية الأغاني طبع بولاق (ج ٦ ص ١٨٠): «أجرى... الخ».

(٣) في الأغاني: «من خلف الملوك وقد لها».

(٤) كما في الأغاني: وفي الأمين: «هوى وحدي».

فقال له المأمون : هذه بتلك ، وقد عفونا عنك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، فاتبع عفوك إحسانك ، فأمر برد أرزاقه عليه ، وكانت في كل شهر تسمية دينار . فقال المأمون : لولا أني نويتُ عفوا عنه ، وجعلت ذلك وعدا له من قبل ، ما فعلته . وإنما ذكر الوعد في قصيبه يذكركه .

وقال بعض ملوك العجم : البخل بعد الوعد ، يُضَعِفُ قبحه على البخل قبله ، فما قولك في أمير ، البخل أحسن منه ؟

وقال بعض الشعراء :

ولى منك مَوْعِدٌ طَلَبْتُ نِجَاحَهُ * وَأَنْتَ امْرُؤٌ لَا تُخْلِفُ الدَّهْرَ مَوْعِدًا
وَعَوْدَتِي أَلَا تَرَانِي قُطِيتُ * يَدُ مَنْكَ قَدْ قَدِمْتَ مِنْ قَبْلِهَا يَدًا
فَلَوْ أَنَّ مَجْدًا أَوْ نَدَى أَوْ فَضِيلَةً * تَخَلَّدَ شَيْئًا كُنْتَ أَنْتَ الْخَالِدًا

١٠

وقال بشار :

وَعَدَ الْعُكْرِمُ يَحْتُ نَائِلَهُ * كَالْفَيْثِ يَسْبِقُ وَعْدُهُ مَعْرَهُ

وقال ابن الرومي :

يَغْطِي الْعِدَاتِ عَمْدًا إِلَى الْبَدْ . لِ كَسَحِ الْحَيَا بِلَا إِيْمَاضِ

ذكر ما قيل في الشفاعة

١٠

قال الله عز وجل : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلتُ لك جاها فهل نصرت به مظلوما أو قمت به ظالما أو أعنت به مكروبا “ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” أفضل الصدقة أن تعين

يُجاهك من لا جاهَ له“ وقال : ”الخلق عيال الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله“ .
وقال : ”الشفيعُ جناحُ الطلب“ .

وقيل : قصد ابن السَّيِّد الواعظ رجلا في حاجةٍ لرجلٍ سأله الشفاعة فيها ،
فقال ابن السَّيِّد : إني أتيتك في حاجةٍ ، وإن الطالب والمطلوبَ إليه عزيران إن
قُضيت الحاجةُ ، وذليلان إن لم تُقَضَّ ؛ فاختر لنفسك عزَّ البذل على ذلِّ المنع ،
وأختر لي عزَّ التَّجَعُّع على ذلِّ الرَّدِّ ؛ ففَضِي حاجته .
قال أبو تمام :

وإذا أمرؤ أسدى اليك صنيعة * من جاهه فكانها من ماله

وقال رجل لبعض الملوك : إن الناس يتوسلون اليك بفيرك ، يسألون معروفك
ويشكرون غيرك ؛ وأنا أتوسل اليك بك ، ليكون شكرى لك لا لغيرك . قال بعض
الشعراء :

إذا أنت لم تعطفك إلا شفاعَةً * فلا خير في ود يكون بشافع

ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف

رأيت جماعة من أهل الأدب قد أخفقوا الاعتذار والاستعطاف بالمدح ،
كالحدوثي في تذكرته ؛ وغيره ؛ فلذلك أضفته إليه ، وجعلته من فصوله . قال الله
عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ .
وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” من آتذر إليه أخوه
المسلم فلم يقبل لم يرد على الخوض“ .

(١) في الجامع الصغير : « الخلق كلهم » ... إلى الله ... الخ .

وقال عليّ رضي الله عنه : أَوَّلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ . وقال :
العفو زكاة الظُّفْرِ . وقال : إِذَا قَدَّرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلْ عَفْوَكَ عَنْهُ شُكْرَ الْمَقْدَرَةِ
عَلَيْهِ .

وقال الحسن بن عليّ رضي الله عنهما : لَا تُعَاجِلِ الذَّنْبَ بِالْعُقُوبَةِ ، وَاجْعَلْ
بَيْنَهُمَا لِلْإِعْتِدَارِ طَرِيقًا . وقال : أَوْسَعُ مَا يَكُونُ الْكَرَمُ بِالْمَغْفِرَةِ ، إِذَا ضَاقَتْ بِالذَّنْبِ
الْمَعْذِرَةُ .

وقال جعفر بن محمد الصادق : شَفِيعُ الْمَذْنِبِ إِقْرَارُهُ ، وَتَوْبَةُ الْمَجْرُمِ الْإِعْتِدَارُ .
وقالوا : مَا أَذْنِبَ مِنْ أَعْتَرٍ ، وَلَا أُسِيءَ مِنْ أَسْتَغْفِرِ .

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال : يَا بُنَيَّ لَا يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، كَأَنَّكَ
مِنْ كَانٍ ، فِي أَى جَرَمٍ كَانٍ ، صَادِقًا كَانَ أَوْ كَاذِبًا ، إِلَّا قَبِلَتْ عِذْرَهُ ، فَكِفَاكَ
بِالْإِعْتِدَارِ بَرًّا مِنْ صَدِيقِكَ ، وَذُلًّا مِنْ عَدُوِّكَ .

قال بعض الشعراء :

فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو فِي الْعَفْوَةِ رَاحَةً * فَلَا تَرْهَدَنَّ عِنْدَ التَّجَاوُزِ فِي الْأَجْرِ
وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : الْإِعْتِدَارُ ذِلَّةٌ ، وَلَا يَذُ
مِنْهُ ، لِأَنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الذَّنْبِ ، فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَالَصِكَ هَلَكَةٌ ، وَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ
صَدِيقِكَ فُرْقَةٌ ، وَعِنْدَ سَائِرِ النَّاسِ مَثَلَةٌ وَهَجَنَةٌ ، فَعَلَيْكَ بِهِ إِذَا وَقَعْتَ الذَّنْبَ
وَقَارَفْتَ الْجُرْمَ ، وَلَا تَسْتَكْفِفْ مِنْ خُضُوعِكَ وَتَذَلُّكَ فِيهِ ، فَرُبَّمَا أَسْتَتِيرَ الْعِزُّ مِنْ
تَحْتِ الذِّلَّةِ ، وَأَجْتَنِيَ الشَّرْفُ مِنَ الشَّجَرَةِ النَّازِلَةِ ، وَرَبُّ مَحْبُوبٍ فِي مَكْرُوهٍ ، وَالْمَجْدُ شَهِدٌ
يُخَيِّنُنِي مِنْ حِفْظِي .

قال : وَمِمَّا خُصَّ بِهِ الْإِعْتِدَارُ أَنَّ الْحَقَّ لَا يَثْبِتُ لِباطِلِهِ ، وَالْحَقِيقَةَ لَا تَقُومُ
مَعَ تَخْيِيلِهِ وَتَعْوِيهِ ، وَأَنْ رَدَّهُ لَا يَسْعُ مَعَ الْكُذْبِ اللَّائِحِ فِي صَفْعَاتِهِ .

وقالوا : لا عذر في ردِّ الاعتذار ، والمعتذر من الذنب كن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشرك فيها غيره .

- (١١) قال بعضهم : كنت بحضرة عبيد الله بن سليمان ، فوردت عليه رقعة من جعفر ابن نوبة ، نسختها : قد فتحت للظلم بابك ، ورفعت عنه حجابك ؛ فانا احاكم الايام الى عدلك ، واشكو صروفها الى عطفتك ، واستجير من لؤم غلبتها بكرم قدرتك وحسن ملكك ؛ فانها تؤخرني اذا قدمت ، وتخيرني اذا قسمت ؛ فان اعطت اعطت يسيرا ، وان ارجعت ارجعت كثيرا ؛ ولم اشكها الى احد قبلك ، ولا اعددت للإنصاف منها إلا فضلك ؛ ولي مع ذمام المسألة لك ، وحق القلامة اليك ، حق تأمليك ، وقدم صديق في طاعتك . والذي يلا من النصفة يدي ، ويبرغ الحق على ، حتى تكون لي محسنا واكون بك الى الايام مغزا ، أن تحلطني بخواص خدمك الذين تقتلهم من حال الفراغ الى الشغل ، ومن الخمول الى الباهة والذكور . فان رأيت أن تصيدني فقد استعديت اليك ، وتضررتي فقد عذت بك ، وتوسع لي كنتك فقد أويت اليه ، وتسمني بإحسانك فقد عولت عليه ، وتسمعلي يدي ولساني فيما يصلحان له من خدمتك ، فقد درست كذب أسلافك وهم القدوة في البيان ، واستضأت بآرائهم ، وأقتفيت آثارهم أقتفاء جعلني بين وحشي الكلام وأنيسه ، ووقفني منه على جاذبة متوسطة ، يرجع اليها العالي ، ويسمو نحوها المقصر التالي ، فلت إن شاء الله . بفعل عبيد الله يرددها ويستحسنها ؛ ثم قال : هذا أحق بديوان الرسائل .

- (١) وردت هذه الرقعة في معجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص ٤١٧) لجعفر بن محمد بن خالد بن نوبة ، وهي تختلف بسبب في بعض كلماتها عما في الاصول ، وقد أثبتنا منها ما ياسب المقام مع تصويب كلمة «نوبة» بالهاء المنقولة التي وردت في الاصول : «نوبة» بالهاء محذوفة .

ومن الاستعطاف : ما حكى أن محمد بن الحنفية ، جرى بينه وبين أخيه الحسين كلام أترقا بسببه متفاضلين ، فلما وصل محمد الى منزله ، كتب الى الحسين رقعة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن لك شرفا لا أبلغه ، وفضلا لا أدركه ، أبونا على ، لا أفضلك فيه ولا تفضلني ، وأتى أمراءه من بنى حنيفة ، وأتتك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان ملء الأرض نساء مثل أمي ما وقين بأهلك .
فإذا قرأت رقتي هذه فالبس رداك ونعليك وتعال لثرضاني ، وإياك أن أسبقك الى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني ، والسلام . فلبس الحسين رداه ونعليه وجاء الى محمد وترضاه .

وقيل : وقع جعفر بن يحيى في رقعة معتذر : قد تقدمت طاعتك ونصحتك ، فإن نبت منك هفوة فلن تغلب سيئة حسنتين .
وقال شاعر :

إرض للسائل الخضوع واللقا * رف ذنباً مذلة الإعتذار
قال أبو هلال العسكري : لم يرو عن أحد قبل النابتة الديباني في الاعتذار شعر ، فمن أجود ما روى له فيه ، قوله حين سعى به المنخل البشكرى الى النعان ، وزعم أنه غشي المتجردة حظية النعان ، وذلك حين وصفها النابتة في شعره فقال :

وإذا لمست لمست أختم^(١) جامعا * متحيرا^(٢) بمكانه ملء اليد
وإذا طعنت طعنت في مستهلف * رابى المحسة بالبير مقرميد
وإذا نزع نزع من مستحصف * نزع الحزور بالرشاء المحصد

(١) كذا في اللسان في إحدى روايته مادة « ختم » . وفي الأصول وديوان النابتة الديباني طبع ياربس والسان في روايته الأخرى مادة « ختم » : « أجتم » .

(٢) كذا في الأصول المتوغلين والسان في إحدى روايته مادة « حير » وديوان المعاني لأبي هلال العسكري . وفي النسخة الزاغية وديوان النابتة المتقدم والسان في روايته الأخرى مادة « ختم » : « متحيرا » .

فقال المنخل للنعان : هذا وصف من ذاقها، فوَقَّرَ ذلك في نفس النعان، ثم وفد عليه رهط من بنى سعد بن زيد مناة من بنى قُرَيْع، فأبلغوه أن النابغة ما يزال يذكرها ويصف منها، فأجمع النعان على الإيقاع بالنابغة، فعرفه بذلك عصام حاجب النعان، وهو الذي قيل فيه :

• نفسِ عصامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا •

فانطلق النابغة الى آل غَسَّان وكانوا قتلوا المنذر والذ النعان، فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة؛ ثم اتصلت بالنعان كثرة مدائح النابغة لهم، فحسدهم عليه وأمنه وراسله في المصير اليه، فأتاه وجعل يعتذر مما قُرِفَ به ومن مدحه لآل غَسَّان؛ فقال :

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيَّةً • وليس وراء الله للرء مذهبُ

لئن كنت قد بُلِّغْتَ عَنِّي جَنَابَةً • لَمُبْلُكُ الواشي أعشُّ وأكذبُ

ولست بمستيقٍ أخا لا تَأْتُهُ : على شَعَبٍ أَيْ الرجال المهذبُ

فإنَّ أكَ مظلوماً فبعد ظلمته • وإن تك ذا عُنِي فثلك يُعْتَبُ

يقول : مثلك يعفو ويحسن وإن كان عاتبا، وفي كرمك ما يفعل ذلك؛ ولك العتي (٣)

والرجوع الى ما تحب . ومنه قوله أيضا للنعان :

أَتَانِي أَيْتُ الْأَمْرِ أَنَّكَ لَمُنَى • وتلك التي تستك منها المسامعُ

مقالة أن قد قلت سوف أناله • وذلك من تلقاء مثلك رائعُ

فبت كأتى ساورنخي ضئيلة • من الرقيش في أنيابها السمُّ نافعُ

لكلفني ذنب أمرئ وترصته • كذى المرء يكوى غيره وهو رائعُ

(١) كذا في ديوان الماعن، وقرئ : انهم . وفي الأصول : « مما قذف به » .

(٢) في ديوان النابغة وديوان الماعن : « حياة » .

(٣) كذا في الأصول . ولعلها أولك ... الخ .

الى أن قال :

فإن كنتُ لا فوالضُّمن غني مكذَّبُ * ولا حَلِي على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بشيء أقوله * وأنت بامرٍ لا محالة واقع
فإنك كالليل الذي هو مدرِك * وإن خلتُ أن المتأى عنك واسعُ

وقال أيضا :

أنبتت أن أبا قابوس أوعدني * ولا قرارَ على زارٍ من الأسدِ
مهلاً فداءً لك الأقوام كلهم * وما أئمرُ من ماٍ ومن ولدِ
لا تهذبنِّي بركنٍ لا كفاهَ به * وإن تأففك ^(١) الأعداءُ بالرفدِ
ما قلتُ من سيِّئٍ مما أتيتَ به * إذا فلا رصتُ سوطي إلى يدي
قال : نفع عليه الثمان خلع الرضا، وكن حبراً خضراً ^(٢) مطرفة بالجوهر .

قال العسكري : ولم يسلِّك أحد طريقته فأحسن فيها كإحسان البحري ، فن
اعتذاراته قوله في قصيدته التي أولها :

* لَوْتُ بالسَّلام بنانا خضياً *

قال منها :

فدينك من أيّ خطيِّ عَرَى * وثائبة أوشكت أن تسوبا
وإن كان رأيك قد حَالَ في * وأوليتني بعدَ نِيرٍ قُطوبا

(٣)

(١) تأفوه : تكفوه ، أي لا ترمي منك بركن لا مثل له وإن اجتمع حواك الأعداء متأذين متألين
على . والرصد : جمع ردة بكسر الراء .

(٢) قد تقدم في صفحة (١٧٢) من هذا الجزء : « وكى أبواب الرضا وكانت جباباً أطرافها الذهب
بصب الزمرد » .

(٣) كذا في ديوان البحري طبع الاسنائة (ج ١ ص ٥٨) والنسخة الراحية . وفي أحد الاصلين
الفتوغرافيين وديوان المعاني لابن مغلل العسكري : « قد جال » بالجم . وفي الاصل الآخر الفتوغرافي :
« قد خال » بالغاء المعجمة وكلاهما تحريف .

يربُنى الشيءُ تأتي به * وأكبرُ قدرك أن أستريا
وأصكره أن أتمادى على * سبيلِ اغترارٍ فالتى شَموبا
أَكْذَبَ نفسى بأن قد سَخِطْتُ ^(١) * وما كنتُ أعهد ظنى كذوبا
ولو لم تكن ساخطا لم أكن * أذم الزمان وأشكو الخطوبا
أُصْبِحَ وَرَدَى في ساحتى * لك طَرَفًا ومِرْعَاىَ عَمَلًا جديا
وما كان سخطك إلا الفراق * أفاض الدموعَ وأشجى القلوبا
ولو كنتُ أعرف ذنبا لما كا ^(٢) * ن خالجنى الشك في أن أتوبا
سأصبر حتى ألاقى رضا * ك إما بعيدا وإما قريباً
أراقب رأيك حتى يصح ^(٣) * وأنظرُ عطفك حتى يشوبا

وقوله

عَذِبرى من الأيام رَقَنَ مشربى * ولقيتني نحسا من الطير أشاما
والبسنى سخطَ أمرى بَتْ مَوْها ^(٤) * أرى سخطه ليلا مع الصبح مظما
تبليج عن بعض الرضا وأنطوى على * بقية عتب شارفت أن تنصرا
إذا قلتُ يوما قد تجاوز حذها * تلبت في أعقابها وتلوما
وأصيد إن نازعته الطرف رده * كليلا وإن راجعته القول جمجا
ثناء العدا غنى فأصبح مُعْرِضا * ووهمه الواشون حتى توهما

(١) كذا في ديوان البعري - وفي الأصول وديوان الماعاني : « بأن قد جئيت » .

(٢) كذا في ديوان الحرى والنسفة الرابعة وديوان الماعاني والورد : الماء الذى يورد - وفي الأصلين

الفتوح امين : « ودى » وهو تحريف .

(٣) الطرق : الماء الذى خوضته الإبل و بزلت به .

(٤) كذا في الديوان - وفي الأصول وديوان الماعاني لأبى هلال العسكري : لما « تخالجنى » .

(٥) كذا في الأصول وديوان الماعاني - وفي ديوان البعري : « أ كستى » .

وقد كان سهلا وانحفا فتوَعَّرت * رَبَاهُ وَطَلَّقَا ضاحكا فتَجَهَّما
أَمْتَحَدُ عِنْدِي الإِسَاءَةُ مَحْسَنٌ * وَمُسْتَقِمٌ مِنِّي أَمْرٌ كَانَتْ مِنْهُمَا
وَمَكْنِسِبٌ فِي الْمَلَامَةِ مَا جَدُ * يَرَى الْحَمْدُ غُفَاءً وَالْمَلَامَةُ مَقْرَمًا
يَخْوَفُنِي مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ مَعْشَرٌ * وَلَا خَوْفٌ إِلَّا أَنْ تَجُورَ وَتُظْلِمَا
أُعِيذُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ * تَبَيَّنَ أَوْ جُرِمَ إِلَيْكَ تَقْدَمَا
أَلَسْتُ الْمُوَالَى فِيكَ نَظْمَ قِصَائِدٍ * هِيَ الْأَنْجُمُ أَقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمَا
أَعِدْ نَظْرًا فِيمَا تَسَخَّطْتَ هَلْ تَرَى * مَقَالًا دَنِيْقًا أَوْ فَعَالًا مَذْمُومًا
وَكَانَ رَجَائِي أَنْ أَوْوَبَ مَمْلُوكًا * فَصَارَ رَجَائِي أَنْ أَوْوَبَ مُسْلِمًا
حَيَاءٌ فَلَمْ يَذْهَبْ بِي النَّيُّ مَذْهَبًا * بَعِيدًا وَلَمْ أَرْكَبْ مِنَ الْأَمْرِ مُعْظَمًا
وَلَمْ أَعْرِفِ الذَّنْبَ الَّذِي سَوَّيْتُ لَهُ * فَأَقْتُلَ نَفْسِي حَسْرَةً وَتَسَدُّمَا
وَلَوْ كَانَتْ مَا خُبَّرْتُهُ أَوْ ظَنَنْتُهُ * لِمَا كَانَ غُرُومًا أَنْ أَلُومَ وَتَكْرُمًا
أَذْكُرُكَ الْعَهْدَ الَّذِي لَيْسَ سُوْدُدًا * تَنَاسِيهِ وَالْوَدَّ الصَّحِيحَ الْمُسْلِمًا
وَمَا حَلَّ الرِّبَانَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا * وَأَنْجِدْ فِي أَعْلَى الْبِلَادِ وَأَتْمَمَا
أَقْرَبَمَا لَمْ أَجْنِسْهُ مَتَنَصِّلًا * إِلَيْكَ عَلَى أَنْيِّ إِخْلَاكِ أَلُومًا
لِي الذَّنْبِ مَعْرُوفًا فَإِنْ كُنْتُ جَاهِلًا * بِهِ فَكُلِّ الْعَتَبِي عَلَى وَأَنْعِمَا
وَمِثْلُكَ إِنْ أَبْدَى الْفَعَالَ أَعَادَهُ * وَإِنْ صَنَعَ الْمَعْرُوفَ زَادَ وَتَمَمَا
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ :

لَمْ أَتْ ذَنْبًا فَإِنْ زَعَمْتَ بَأَنِّ * أَتَيْتُ ذَنْبًا فَظِيرٌ مَعْتَجِدٍ
قَدْ تَطَرَّفُ الْكَفِّ عَيْنَ صَاحِبِهَا * فَلَا يَرَى قَطْعَهَا مِنَ الرُّشْدِ

(١) كذا في ديوان البعري وأحد الأملين المتوَعَّرتين وديوان المعاني وفي الأصل الآخر والسبعة

وقال آخر :

وكنْتُ اذا ما جئتُ أدنيتَ مجلسي * ووجهك من ماء البشاشة يقطرُ
فمن لي بالعين التي كنتَ مرّةً * الى بها في سالف الدهر تنظرُ

وقال آخر :

اغفر زلّتي تُحرز فضل الـ * محفو عني ولا يهونك أجرى
لا تنكفى الى التوسّل بالعذ * ر لعلّ آلا أقوم بهذرى

وقال بعض فضلاء الأندلس :

إني جنيتُ ولم يزل أهلُ النهى * يهبون للجائين ما يحنونهُ
ولقد جمعتُ من الذنوب فنونها * فاجمع من الصفح الجميل فنونهُ
من كان يرجو عفوّ من هو فوقه * فليحُف عن ذنب الذي هو دونهُ

الباب الثاني

من القسم الثالث من القرن الثاني

في الهجاء وفيه أربعة عشر فصلا

ما قيل في الهجاء ومن يستحقّه .

ما قيل في الحسد .

ما قيل في السعاية والبنى .

ما قيل في النية والنيمة .

ما قيل في البخل واللؤم وأخبار البخل وأحتجاجهم .

ما قيل في التطفيل ويستصل به أخيار الأكلة والمواكلة .

ما قيل في الجبن والفرار .

ما قيل في الحق والجهل .

ما قيل في الكذب .

ما قيل في النذر والخيانة .

ما قيل في الكبر والعجب .

ما قيل في الحرص والطمع .

ما قيل في الوعد والمطل .

ما قيل في العي والحصر .

ذكر ما قيل في الهجاء ومن يستحقه

١٠

قال الله تعالى : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَاهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِينُونَ وَهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ . فهذه رخصة لمن ظلم في الانتصار .

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يرثي على أبي سفيان بن الحارث :

١٥

ألا أبلغ أبا سفيان ^(١) عني * مقلقلة فقد برج الخفاء

هجوت عهدا فأجبت عنه * وعند الله في ذلك الجزاء

أنهجه ولسن له بكف * فشر كما لخبر كما الفداء

لنا في كل يوم من معد * سباب أو قتال أو هجاء

لساني صارم لا عيب فيه * وبحري لا تكدره الدلاء

فأبى والذنى وعرضى * لعرض محمد منكم وفاة

ويستحق الهجاء من أنصف بسوء الخصال، وأنتم باخلاق الأرذال والأندال،
وجعل اللؤم جلبابه وشعاره، والبخل وطاءه ودثاره. وساذكر جماع ما أنصفوا به من
سوء الفعل، وأسسوا بنيانهم عليه من قبح الخلال .

قال بعض الحكماء : أربعة من علامات اللؤم : إفشاء السر، واعتقاد الغدر،
وغيبة الأحرار، وإساءة الحوار .

وسأل عبد الملك بن مروان المجاج بن يوسف عن خُلُقهِ، فتلکأ عليه وأبى أن
يخبره، فأقسم عليه. فقال : حسود، كنود، حقود؛ فقال عبد الملك : ما في إبليس
شر من هذه الخلال ؛ فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال : لقد اتحل الشر بمخاويره،
ومرق من جميع خلل الخير، وتأتق في ذم نفسه، وتمجد في الدلالة على لؤم طبعه،
وأفرط في إقامة الحجّة على كفره، وخرج من الخلال الموجهة رضا ربه .

قال أبو تمام :

تأنست بذم الفعلِ طلعتُه * تأنس المقلّة الرمداء بالظلم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” أربعة من كفى فيه فهو منافق
من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا آوتمن خان “ .

وقالوا : اللئيم كذوب الوعد، خؤون العهد، قليل الرفد . وقالوا : اللئيم
إذا استغنى بطر، وإذا افتقر قنط، وإذا قال أخش، وإذا سئل يُحل، وإن سأل

(١) ورد هذا الحديث في الجامع الصغير بصيغة مختلف عما هنا ونصها : ” أربع من كفى فيه كان منافقا

حاصلا ومن كانت فيه حصة من كفى فيه خصله من النفاق حتى يدعى : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف
وإذا عاهد غدر وإذا خاصم بطر “ .

أَلْحَ، وَإِنْ أَسَدَيْ إِلَيْهِ صَنِيعَ أَخْفَاءِ، وَإِنْ أَسْتُكُمْ سِرًّا أَنْشَاءِ؛ فَصَدِيقُهُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ، وَمَعُونُهُ مِنْهُ عَلَى غَرَرٍ^(١).

وَأَنَّ لِلشَّعْرَاءِ وَالْبُلْعَاءِ فِي الْقَتْمِ وَالْمَجَاءِ نَفْلًا وَثَرًا سَنُودٌ مِنْهُ طَرَفًا، وَتَشْرِحُ مَا يَجْعَلُ ضَوْءَ النَّهَارِ عَلَى الْمَقُولِ فِيهِ سَدَفًا^(٢).

فَنَ ذَلِكَ مَا قَالَهُ أَحَدُ بَنِي يُونُسَ الْكَاتِبِ فِي بَنِي سَعِيدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ قَتَيْبَةَ :
مَحَاسِنُهُمْ مَسَاوِي السُّفَلِ، وَمَسَاوِيهِمْ فُضَائِحُ الْأُمَمِ، وَأَلْسِنَتُهُمْ مَعْقُودَةٌ بِالْعِي،
وَأَيْدِيهِمْ مَعْقُودَةٌ بِالخَلِّ، وَأَعْرَاضُهُمْ أَعْرَاضُ النَّتَمِ؛ فَهُمْ كَمَا قِيلَ :
لَا يَكْتُمُونَ وَإِنْ طَالَتْ حَيَاتُهُمْ * وَلَا تَيْسِدُ مَخَازِيهِمْ وَإِنْ بَادُوا
وَذَمُّ أَعْرَابِي قَوْمًا فَقَالَ :

هَمْ أَقَلُّ النَّاسِ ذُنُوبًا إِلَى أَعْدَائِهِمْ، وَأَكْثَرُهُمْ تَجَرُّمًا عَلَى أَصْدِقَائِهِمْ، يَصُومُونَ
عَنِ الْمَعْرُوفِ، وَيُفْطِرُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ.

وَذَمُّ أَعْرَابِي قَوْمًا فَقَالَ : قَوْمٌ سُلِّخَتْ أَفْقَاؤُهُمْ بِالْمَجَاءِ، وَدُبَّتْ جُلُودُهُمْ^(٣)
بِالزُّؤْمِ، فَلَبَّاسُهُمْ فِي الدُّنْيَا الْمَلَامَةُ، وَفِي الْآخِرَةِ النَّدَامَةُ.

وَكَانَ عَيْسَى بْنُ فَرَخَانَ شَاهَ يَتِيهِ عَلَى أَبِي الْيَنْبَاءِ حَالِ وَزَارَتِهِ، فَلَمَّا صُرِفَ عَنِ
الْوِزَارَةِ لَقِيَ أَبَا الْيَنْبَاءِ فِي بَعْضِ السُّكُكِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ سَلَامًا خَفِيفًا، فَقَالَ أَبُو الْيَنْبَاءِ
لِقَائِهِ : مَنْ هَذَا؟ قَالَ : أَبُو مُوسَى، فَنَادَاهُ مِنْهُ حَتَّى أَخَذَ بِيَمَانِهِ بَشَلَهُ وَقَالَ : لَقَدْ
كَنتَ أَفْنَعَ بِلَامَاتِكَ دُونَ بَنَاتِكَ، وَبِحِفْظِكَ دُونَ لَفْظِكَ؛ الْحَمْدُ لَهُ عَلَى مَا آلَتْ إِلَيْهِ
حَالُكَ، فَتَنَ كَانَتْ أَخْطَاطُكَ فِيكَ النِّعْمَةُ، لَقَدْ أَصَابَتْ فِيكَ النِّعْمَةُ؛ وَلَوْ أَنَّكَ كَانَتْ

(١) الفرر: المرض الهللكة. (٢) الدف: النذلة. (٣) في النسخة الراجية:

«تجرأ» (٤) في المقد الفريد (ج ٢ ص ١٠٩): «دبت وجروهم».

(٥) كذا في الأصول. وفي المقد الفريد: «وإدام في الآخرة... الخ».

الدنيا أبدت صفحتها بالإقبال عليك، لقد أظهرت محاسنها بالإدبار عنك، والله المنة
إذ أغناها عن الكذب عليك، وزهنا عن قول الزور فيك؛ فقد والله أسأت حمل
النعمة، وما شكرت حق المنعم؛ ثم أطلق يده من عنايه، ورجع إلى مكانه. فقيل له:
يا أبا عبد الله! لقد بلغت في السب، فما كان الذنب؟ قال: سأله في حاجة
أقل من قيمته، فردني عنها بأقبح من خلقته.

قال بعض الأعراب: نزلت بذلك الوادي، فإذا ثياب أحرار على أجسام عبيد،
إقبال حفظهم إدبار حظ الكرام. ألم بهذا المعنى شاعر فقال:
أرى حُللاً تُصَانُ على رجال * وأعراضاً تُكَلُّ ولا تُصَانُ
يقولون الزمانُ به فسادٌ * وهم فسدوا وما فسد الزمانُ

- ١٠ وسئل بعضُ البلغاء عن رجلٍ فقال: هو صغير القدر، قصير الشبر، ضيق
الصدر، ليم النجر، عظيم الكبر، كثير الفخر.
وذم أعرابي رجلاً فقال: هو عبد البدن؛ حُر الثياب، عظيم الزواق، صغير
الأخلاق؛ الدهر يرضه، ونفسه تَضَعُهُ.

- وقال آخر: فلان غث في دينه، قدير في دنياه، رث في مروءته، سمج في هيئته،
منقطع إلى نفسه، راضٍ عن عقله؛ بخيل بما أنعم الله عليه، كئوم لما آتاه الله من
فضله؛ حلاف للجوع، إن سأل ألحف، وإن وعد أخلف؛ لا ينصف الأصاغر،
ولا يعرف حق الأكابر.

(١) في القمد الفريد (ج ٢ ص ١١٠) «قال أعرابي دخلت البصرة... الخ».

(٢) النجر: الأصل.

(٣) في القمد الفريد: «عبد المال حُر الثياب عظيم الزواق ذو الأخلاق الخ».

وترجم الفتح بن عبد الله القنسي صاحب قلائد البقيان في كتابه عن أبي بكر بن
 ماجه المعروف بأبن الصائغ فقال : هو رَمْدُ جَفْنِ الدِّينِ ، وَكَدُّ نَفُوسِ الْمُهْتَدِينَ ؛
 أشهر سخفا وجنونا ، وهجر مقروضا ومسئونا ؛ فابشعر ، ولا ياخذ في غير الأضاليل
 ولا يشرع ؛ ناهيك به من رجل ما تظهر من جنابة ، ولا أظهر بحيلة إنابه ؛ ولا أستعجى
 من حدث ، ولا أنهي قزانه موارى في جدث ؛ ولا أقر ياربه ومصوره ، ولا فرعن
 تباريه في ميدان تهوره ؛ الإساءة اليه أجدى من الإحسان ، والبهيمة أهدى عنده
 من الإنسان ؛ نظري في تلك العالم ، وفكر في أحرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفض
 كتاب الله الحكيم العليم ؛ وبذره وراء ظهره ثاني عطفه ، وأراد إبطال مالا يأتيه
 الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ واقتصر على الهيبة ، وأنكر أن يكون له عند الله
 تبارك وتعالى فيشة ؛ وحكم للكواكب بالتدبير ، وأجترم على الله اللطيف الخبير ؛
 واجترأ عند مماع النهى والإيباد ، واستهزا بقوله تعالى : ﴿ إِنِّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ
 الْقُرْآنَ رَآدُّكَ إِلَىٰ مَقَادٍ ﴾ ؛ فهو يعتقد أن الزمان دور ، وأن الإنسان نبات له نور ؛
 حمانه قمامه ، واختلافه فطامه ؛ قد عيى الإيمان من قلبه فإله فيه رسم ، ونسي
 الرحمن لسانه فإيموله عليه أسم ؛ وأتمت نفسه للضلال وأنسبت ، وفتت يوما
 تجزى فيه كل نفس بما كسبت ؛ فقصر عمره على طرب وهوى ، وأستشعر كل كبر
 وزهو ؛ وهو يكتف على سماع التلاحين ، ويقف عليها كل حين ؛ يعلن بذلك
 الاعتقاد ، ولا يؤمن بشيء قادنا الى الله في أسلس مقاد ؛ مع منشا وخيم ، ولؤيم أصل
 وخيم ؛ وصورة شوها الله وقبحها ، وطلمة لوارها كلب لنبحها ؛ وقذارة يوبى

(١) كذا في قلائد البقيان لفتح بن خالان طبع بولاق (ص ٣٠٠) وفي الأصول : « ولا أنجي... الخ »

٢٠ بالسين المهملة . (٢) في قلائد البقيان : « واعتطفاه اعتطاه » .

(٣) النهم : السجية .

(٤) يوبى : يكرهها الرباء . وفي قلائد البقيان : « يوذى البلاد... الخ » .

البلاد نفسها، ووضارية يحكى الحداد دَنَسُهَا، وَقَتْدَ لَا يَعْمُرُ إِلَّا كَفْهَ، وَلَدِيدَ لَا يُقَوِّمُ
إِلَّا الصَّفَادُ جَفْهَ^(١).

وكتب أحمد بن يوسف : أما بعد، فإنى لا أعرف العروف طريقا أو صر من
طريقه إليك، لأنه يحصل منك بين حسب ذنى، ولسان بذى، وجهل قد ملك
عليك طباعك، فالمرعوف لديك ضائع، والشكر عندك مهجور، وإنما غايتك فى المعروف
أن تُحْرِزَهُ، وفى وَلِيَّهِ أَنْ تَكْفُرَهُ^(٢).



ومما قيل فى الهجاء من النظم

فمن ذلك قول جرير وهو أعمى بيت قائله العرب :

فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ * فَلَا كَتَبًا بَلَفَتْ وَلَا كَلَابًا
لَوْ وَضَعْتَ فِقَاحَ بَنَى مُنْمِرٍ * عَلَى حَبِثِ الْحَدِيدِ إِذَا لَذَابَا

وقال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم
شعرٌ ودوا أنهم أقتلوا منه بأموالهم، وشعرٌ لم يسرهم به حُرُّ النعم؟ فقال أسماء بن
خارجة : نحن يا أمير المؤمنين؟ قال : وما قيل فيكم؟ قال : قول الحارث بن ظالم :

وما قوى بـشـعـلـة بن سعد * ولا بفـزـارة الشـعـير الرقابا^(٣)

فوالله يا أمير المؤمنين ! إنى لَأَلْبَسُ الْعِمَامَةَ الصَّفِيْقَةَ فَيُخَيَّلُ إِلَى أَنْ شَعْرُ قَفَايَ قَدْ
بَدَا مِنْهَا، وقول قيس بن الخطيم :

هَمَمْنَا بِالْإِقَامَةِ يَوْمَ سِرْنَا * مَسِيرَ حَدِيثَةِ الْخَيْرِ بْنِ بَدِرٍ

(١) الحداد : ثياب سود تلبس فى المآتم - (٢) الجنف : الميل - (٣) فى الأصول :

«مُحْمَرُهُ» وفى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٠) : «مُحْمَرُهُ» وكلاهما محرف عما أُتِفِقَ عَلَيْهِ وقد رويت هذه الحكاية
فى الأمالج ج ٢ ص ١٩٢ طبع دار الكتب بعبس خلاصة عما هنا وضعت الى محمد بن مكرم كتب بها
الى أبى العباس - (٤) الشعر الرقاب : يريد الشعر رقابا، فلما أدخل الألف واللام نصب على
التشبيه بالضارب الرجل (راجع شرح الحماسة للبربرى طبع مدينة بن ص ٢٧٢) .

لما يسرنا أن لنا بها أويهِ حمر النعم . فقال هاني بن قبيصة النُميري : أولئك نحن

يا أمير المؤمنين؛ قال : ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

• فَنُصَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ •

والله لو ددنا أننا أفديناه بأملأ كنا، وقول زياد الأعجم :

لعمرك ما رِمَاحُ بَنِي نُمَيْرٍ • بطائفة الصدور ولا يقصار

فوافه ما يسرنا به حمر النعم .

قال العسكري : وَذَكَرَ أَنَّ جَرِيرًا قَالَ :

وَالْتَلَيْتُ إِذَا تَجَمَّعَ لِلْقِسْرِ • حَكُّ أَسْنَتِهِ وَمَثَلُ الْأَمْثَالِ

قال : قلت فيهم بيتا لو طعن أحدهم في أسنته لم يحكمها . وقالوا : مرت امرأة

بني نُمَيْرٍ فتغامزوا إليها، فقالت : يا بني نُمَيْرٍ، لم تعملوا بقول الله ولا بقول الشاعر،

يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ ويقول الشاعر :

• فَنُصَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ •

فجعلوا . وكان النُميري إذا قيل له : ممن أنت ؟ قال : من مُنْمِرٍ، فصار يقول :

من بني عامر بن صعصعة .

قال العسكري : ولو قيل إن أحمى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد، وهو :

وَلَوْ تَرَى بِلَوْمِ بَنِي كَلْبٍ • نُجُومُ اللَّيْلِ مَا وَصَّحَتْ لِسَارِي

وَلَوْ يَرَى بِلَوْمِهِمْ نَهَارٌ • لَدَسَ لَوْمُهُمْ وَنَحَّ النَّهَارُ ^(١)

وما يفتدو عزيزُ بني كَلْبٍ • ليطلب حاجة إلا يجار

(١) كما في الأصول وديوان الهادي لابن هلال العسكري . وفي القاموس طبع ليدن ص ٢٣٣ :

«ولو ليس النهار بنو كلب» .

ومثله قول الآخر :

وَلَوْ أَنَّ عَبْدَ الْقَيْسِ تَرَى بِلُومَهَا * عَلَى اللَّيْلِ لَمْ تَبْدُ النُّجُومُ لِمَنْ يَسِيرُ

وقالوا : أهجى بيت قاله العرب قول الأعشى :

يَتَيْتُونَ فِي الْمَشِيِّ مِلَاءً بَطُونَكُمْ * وَجَارَاتِكُمْ غَرَّتْ يَتَنَ نَحَائِصًا

- وهذا البيت من أبيات، ولها سبب نذكره الآن في هذا الموضع وإن كان خارجا عن مكانه، وذلك : أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة تنازعا الزمامة، فقال عامر : أنا أفضل منك، وهي لعنى ولم يمت، وعمه عامر بن مالك بن جعفر ابن كلاب وكان قد أهرق وسقط؛ وقال علقمة : أنا أفضل منك، أنا عفيف وأنت طاهر، وأنا ودي وأنت غادر، وأنا ولود وأنت عاقر، وأما أدنى الى ربيعة؛ فتداعيا الى هَرَمِ بن قُطَبة^(١) ليحكم بينهما، فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثائة من الإبل : مائة يطعمها من تبعه، ومائة يُعْطِيهَا لَهَا كَمْ، ومائة تُعْقَرُ إِذَا حَكَمَ؛ فأبى هَرَمِ بن قُطَبة أن يحكم بينهما مخافة الشر، وأبى أن يرتحلا؛ فخلفا هَرَمِ بمعلقة وقال له : أترجو أن ينفرك رجل من العرب على عامر فارس مُضَر، أئدى الناس كُفًا، وأشجعهم لِقَاءً! لِسَانُ رَجُلٍ عَامِرٍ أَذْكَرُ فِي الْعَرَبِ مِنَ الْأَحْوَصِ؛ وعمه مُلَاعِبُ الْأَيْمَنَةِ، وأمه كبشة بنت عُرْوَةَ الرِّحَالِ، وجَدَّتُهُ أُمُ الْبَيْنِ بنت عمرو بن عامر فارس الضُّحْيَاءِ، وأمك من النَّخَعِ، وكانت أُمُّ مِهْيَبَةٍ، وأم علاثة أخيدة من النَّخَعِ؛ ثم خلا بعامر فقال له : أَعْلَى عِلْقَمَةُ نَخَعَرُ! أَأَنْتَ تَسَاوَنَهُ! أَعْلَى ابْنُ عَوْفِ بْنِ الْأَحْوَصِ أَعَفَّ بَنِي عَامِرٍ وَأَيْمَنُهُمْ قَبِيَّةٌ، وَأَحْلَمُهُمْ وَأَسْوَدُهُمْ، وَأَنْتَ أَعْوَرُ عَاقِرُ مَشْتُوم! أَمَا كَانَ لَكَ رَأْيُ يَزْعُكُ

(١) هكذا في الأغاني وديوان الحماة والقاموس والمساريف لابن قتيبة . وفي الأصول : « هَرَمِ بن

قطبة » بالثون وهو مخربف .

(٢) قرره عليه : قضى له بالقطبة عليه .

عن هذا! أَكُنْتَ تظنّ أن أحدا من العرب يُنفرك عليه! فلما اجتمعا وحضر الناس للقضاء قال: أتما كركيتي الجمل قراجما راضيين.

قال العسكري: والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئا فيهما، ولو قال: أتما كركيتي الجمل لقال كل واحد منهما: أنا اليماني، فكان الشرّ حاضرا— قال: وسأله عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بعد ذلك بحين: لمن كنت حاكما لو حكمت؟ فقال: أعفني يا أمير المؤمنين! فلو قلتها لعادت جَذعة. فقال عمر: صدقت! مثلك فليُحكَمْ— قال: فارتحلوا عن هريم لما أعياهم نحو عكاظ، فلقبهم الأعشى، محدرا من اليمين— وكان لما أرادها قال للعامة: أعقد لى حَبْلا، فقال: أعقد لك من بنى عامر؟ قال: لايفنى عني، قال: فمن قيس؟ قال: لا، قال: فما أنا بزائدك؟ فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض، فقبل له: كيف تجيره من أهل السماء؟ قال: إن مات ودَيْتُهُ — فقال الأعشى لعامر: أظهِرْ أنكما حَكَمْتَانِي ففعل — فقام الأعشى فرفع عَقِيرَتَهُ (أى صوته) في الناس فقال:

حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ * أبلغ مثل القَمَرِ الزَاهِرِ
لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ * وَلَا يَسَالِي خُسْرَ الْخَاسِرِ
عَلِمَ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرِ السَّنَاقِصِ الْأَوْتَارِ وَالْوَاتِرِ
وَاللَّائِسِ الْخَلِيلِ بَخِيلِ إِنْهَا * نَارُ عَجَاجِ الْكَبْكَبَةِ النَّاتِرِ
إِنْ تَسِيدُ الْحَوْصَ فَلَمْ تَعُدْهُمْ * وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ
سَادَ وَأَلْقَى رَهْطَهُ سَادَةً * وَكَارِبًا سَادُوكَ عَنْ كَارِبِ

(١) كذا في الأغاني طبع بولاق (ج ١٥ ص ٥٢) وفي الأصول: «لأست... الخ».

(٢) كذا في الأصول. وفي الأغاني ودبران المعاني: «الناقص» بالصاد المهملة.

(٣) في دبران المعاني: «واللائس الخليل... الخ».

(٤) الكبة: الجملة في الحرب، يقال كانت لهم كبة في الحرب أى صرخة.

قال : وشذ القوم في أعراض الإبل المائة فعقروها وقالوا : نُفِّرَ عامر ، وذُهِبَ بها الفِوْغَاءُ ، وجهد علقمة أن يردَّها فلم يقدِرْ على ذلك ، فجعل يتهَدَّدُ الأعشى ، فقال :

- أتاني وعبد الحوص من آل عامر * فيا عبد عمرو لو نيتَ الأحوصا
فأذنبنا إن جاش بحر ابن عمك * وبحرك ساج لا يوارى الدعاما^(١)
كلا أبويكم كان فرع دعامية^(٢) * ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
تيتون في المشقى ملاء بطونكم * وجاراتكم غرقي يثتن نجائصا
يراقبن من جوع خلال غشافة * نجوم المساء العائيات القوامصا
رمى بك في أنحرام تركك الندى^(٣) * وفضل أقواما عليك مراهمصا
فقص حديد الأرض إن كنت ساخطا * بفيك وأحجار الكلاب الرواهمصا

- قال فيكي علقمة لما بلغه هذا الشعر، وكان بكأؤه زيادة عليه في العار ، والعرب
تعيّر بالبكاء ، قال مهلول^(٤) :

يُيَكِّي علينا ولا نبكي على أحد * لنحن أغلف أكلدا من الإبل

وقال جرير :

بكي دؤبل لا يُرى الله دَمَعَه * ألا إنما يبكي من اللؤلؤ دؤبل

- قال عبد الملك بن مروان لأمية^(٥) : مالك وللشاعر^(٦) إذ يقول :
إذا هتف المصفور طار فؤاده * وليت حديد الثاب عند الثرائد

(١) الدعامص : جمع دعووص وهي دوية صغيرة في مستنقع الماء ، وقيل نفوص فيه .

(٢) كذا في شراء النصرانية . وفي الأصول : « كان فرط ... الخ » .

(٣) في اللسان مادة « رمص » : « ... الملا » * وفضل أقوام ... الخ » . والمرامص : الدرج

(٤) كذا في الأصول ، وفي ميون الأخبار (جلد ثان ص ١٩٢) : أن هذا البيت من قول الخليل .

(٥) في الأمالي طبع دار الكتب المصرية (ج ٢ ص ١٥٧) : أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

(٦) حرمثان بن عمرو كما في الأمالي . وقد ورد فيه هذا الخبر كما هتا مع اختلاف في بعض الكلمات .

قال : أصابه حُدٌّ من حدود الله فآلته عليه ؛ قال : فهلَا دَرَاتَه عنه بالشُّبُهَات ؟
قال : كان أهونَ علٍّ من أن أُعْطِلَ حدًا من حدود الله ؛ قال : يا بني أمية ! أحسابكم
أحسابكم ، أنسابكم أنسابكم ، لا تعرضوا [ها] للفصحاء ، فإن الشعر مواسم لا يزيدُها الليل
والنهار إلا جِدَّةً ، والله ما يسرنى أبى هُجَيْت بيت الأعشى حيث يقول : تبتون
في المشق الخ ولى الدنيا بمخافيرها ، ولو أن رجلا خرج من عَرَض الدنيا كان قد أخذ
عوضا لقول ابن حُرثان :

على مكثرهم حق من يترهم ^(١١) * وعند المُقْلين السباحة والبذلُّ

وهذا البيت لزهير .

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الخطيئة في الزُّرِّقَان بن بدر :

دَع المكارم لا ترحل لبُغْيَتِها * وأَقْمَدُ فَنَلكَ أنت الطامع الكاسي

ولهذا الشعر حكاية نذكرها في أخبار الخطيئة في البغلاء . وقيل : أنفق جماعة

من الشعراء على أن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق في جرير :

أتم قرارة كلِّ مَعِدِن سَوَمة ^(١٢) * ولكل سائلة تسيل قرَّارُ

أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم أطمانت * كذاك لكل سائلة قرَّارُ ^(١٣)

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجرير :

ما زال فينا رِباط الخليل مُعَلِّمة * وفي كليب رِباط اللؤم والعار

قوم إذا استنبح الأضياف كأنهم * قالوا لأهمهم بولى على النار

(١) في الأمان طبع بولان (ج ٩ ص ١٥٤) في ترجمة زهير في الأمان : (... رزق ... الخ) .

(٢) رواية قاض جرير والفرزدق ص ٨٧٠ قصيدة رقم ٩٢ : « .. كل مدفع ... » ولكل دافعة تسيل الخ .

(٣) في ديوان أبي تمام طبع مصر ص ٧٠ : « وكانت لوعة ... الخ » .

قالت بنو تميم : ما هُجينا بنىء هو أشد علينا من هذا البيت ، وهو يتضمن وجوها شتى من اللؤم : جعلهم بخلاء بالقرى ، وجعل أهمهم خادمهم ، يأمرونها بكشف فرجها ، وجعلهم يخلون بالماء أن يطفئوا به النار ، وجعل نارهم من قتها تطفأ ببوله ، وأغرى بينهم وبين المحبوس ، لتعظيم المحبوس النار ، وإهانتهم لها إلى غير ذلك .

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح :
 تيمُّ بِطُرُقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا * ولو سلكتُ طُرُقَ المكارمِ ضَلَّتِ

وقيل : أهجى بيت قالته العرب قول الأعرابي :

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَالِدِهِ * واللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَلَدَا
 قوم إذا ما جئى جانبيهمُ أَمِنُوا * من لؤمِ أحسابهم أن يُقتلوا قوداً

وقال مسلم بن الوليد يهجو دُعَيْلًا الْخُزَاعِيَّ :

أما الهجاء فذقْ عِرْضُكَ دُونَهُ * والمدح عنك كما علمتَ جَلِيلُ
 فاذهبْ فانتَ طليقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ * عرضُ عِرْزَتِ به وأنتَ ذليلُ

وكان سبب ذلك أنه كان بخراسان عند الفضل بن سهل ، فبلغ دُعَيْلًا ما هو فيه من الحظوة عنده ، فصار إلى مَرَوْ ، وكتب إلى الفضل بن سهل :

لا تَبَيَّنْ بَابِنَ الْوَلِيدِ فَإِنَّهُ * يرميك بعد ثلاثة يَمَلِّلِ
 إن المَلُولَ إذا تقدمَ عَهْدُهُ * كانت مودته كَفَىءَ ظِلَالِ

فدفع الفضل الرقعة إلى مسلم ، فلما قرأها قال : هل عرفت لقب دُعَيْل وهو غلام أمرد يُنْسَقُ به ؟ فقال : لا ، قال : كان يُلقَّبُ بِمَيَّاسَ ، وكتب إليه :
 مَيَّاسُ قُلُوبِ أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الرِّبْرِ * لا أنت معلوم ولا مجهول

أما الهباء الخ . ومنه أخذ إبراهيم بن العباس فقال :

فكن كيف شئت وقُلْ ما تشاء * وأبرق بينا وأرعِدْ شِمَالَا

نجا بك لؤمك متجى الذباب * حمته مقاذيره أن ينالَا

وأنشد الجاحظ :

ووثقت أنك لا تُسد * بَحْمَاكَ لؤمك أن تُسبَا^(١)

وقال آخر :

بِذَلَّةٍ والذئب كُيِّبَ عِزًّا * وباللؤم أجترأت على الجوابِ

وقال آخر :

دناءة عِرْضِكَ حِصْنٌ مَنِيعٌ * يقبك إذا ساء منك الصنيعُ

فقل لعدوك ما تشتهى * فانت المنيعُ الرفيعُ الوضيعُ

وقال أبو نؤاس :

ما كان لو لم أهجه غالبٌ * قام له هجوى مقام الشرف

يقول قد أسرف في هجونا * وإنما ساد بذلك السرف

غالبٌ لا تسعَ لثني الملا * بلغت مجدا بهجائى فقف

قد كنت مجهولا ولكنى * توهمت بالمجهول حتى عرفت

وقال أبو هلال العسكري :

أهنت هجائى يابنُ عُرْوَةٍ فَأَتَمَّحَى * على ملام الناس في البعد والقريب

وقالوا أنهمجو مشله في سقوطه * فقلت لهم جربت سبني^(٢) في كلب

(١) كذا في ديوان المعاني وفي الأصول : « أن تنال » .

(٢) في هامش ديوان المعاني : « جردت سبني على الخ » .

وقال ابن لَنَكَّك :

وعُصْبِيه لَمَّا تَوَسَّطْتُهُمْ • صارت على الأَرْضِ كالخَلَامِ
 كَانَتْهُمْ مِنْ سِوَةِ أَفْهَامِهِمْ • لم يَخْرُجُوا بَعْدُ إِلَى الْعَالَمِ
 يَضْحَكُ إِبْلِيسُ سُرُورًا بِهِمْ • لَأَنْهُمْ عَارٌ عَلَى آدَمِ

وقالوا : أحمى بيت قاله محدث قول الآخر :

قَبِحتْ مَنَاظِرُهُمْ غَيْنَ خَبَرْتُهُمْ • حُسْنَتْ مَنَاظِرُهُمْ لَقَبِيعِ الْخَبَرِ

وقال العسكري : ولست أعرف في المهجاء أبلغ من قول الأول :

إِنْ يَضْجُرُوا أَوْ يَفْدُرُوا • أَوْ يَخْضَلُوا لَمْ يَخْضَلُوا
 وَغَدُوا عَلَيْكَ مُرَحَلًا • يَنْ كَانَتْهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

ومن البليغ قول حسان :

أَبْنَاءُ حَارِظٍ تَلَقَى لَمْ شَبَا • إِلَّا التَّبِيسُ عَلَى أَكْثَافِهَا الشَّعْرُ^(١)
 إِنْ نَافَرُوا نُفِرُوا أَوْ كَاثَرُوا كُتِّرُوا • أَوْ قَامَرُوا الرِّجْحَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قُرُوا^(٢)
 كَأَنَّ رِيحَهُمْ فِي النَّاسِ إِنْ خَرَجُوا • رِيحُ الْكَلَابِ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

(١) كذا في الأصول وديوان المعاني . وفي نسخة الدهر (ج ٢ ص ١٢٦) : « إذ زادهم الخ »

(٢) كذا في الراية وأحد الأصلين الفوتوغرافين . وفي الأصل الآخر وديوان المعاني
 « مرجلين » بالجمجمة .

(٣) في ديوان حسان طبع ليدن ص ٨١ : « حام » .

(٤) في النسخة الراية وأحد الأصلين وديوان المعاني : « على أكتافها » .

(٥) رواية الديوان :

ان سَابَقُوا سَبَقُوا أَوْ نَافَرُوا قُرُوا • أَوْ كَاثَرُوا أَحَدًا مِنْ غَيْرِهِمْ كُتِّرُوا
 شَبَّ الْإِمَاءُ فَلَادِينَ وَلَا حَسْبَ • لَوْ قَامَرُوا الرِّجْحَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قُرُوا

وقال أيضا :

أبوك أبو سؤيه وخالك مثله * ولست بخير من أبيك وخالك
وان أحق الناس ألا تلومه * على اللوم من ألقى أباه كذلكا

وقال آخر :

سئل الله ذا المن من فضله * ولا تسأل أباً وإيالة
فما سأل الله عبداً له * نغاب ولو كان من بابه

وقال آخر :

ولو قيل للكلب يا باهلي * لأقول من قُبِح هذا النسب

وقال زياد : ما هُجيتُ بيت قط أشدَّ عليَّ من قول الشاعر :

فكُفِّر فني ذاك إن فكرت معتبر * هل نلت مكُرمَةً إلا بتأمير
عاشت سُميمة ما عاشت وما علمت * أن أبنها من قريش في الجاهير

وقال إبراهيم بن العباس ^(١) :

ولما رأيتك لا فاسقا ^(٢) * تُهاب ولا أنت بالزاهد
وليس عدوك بالمتقي ^(٣) * وليس صديقك بالحامد
أتيت بك السوق سوق الهوان ^(٤) * فتأيت هل فيك من زائد
على وجلٍ غادر بالصدقي * فكفورٍ لنعمائه جاحد
فما جاءني رجلٌ واحد * يزيد على درهم واحد

(١) ذكرت هذه الأبيات في العقد الفريد (ج ٢ ص ١١٠) منسوبة لأعرابي ويختلف في بعض الألفاظ عما هنا .

(٢) في العقد الفريد : « ... لا ظمرا * فويا ... الخ » .

(٣) رواية العقد الفريد : ولا أنت بالرجل الحق * ولا أنت بالرجل العابد

(٤) كذا في الأصول . وفي العقد الفريد وديوان المهاني : « ... سوق الزقيق ... الخ » .

سوى رجلٍ حن منه الشقاء * وحلت به دعوة الوالد^(١)
 فبعتك منه بلا شاهد * مخافة ردك بالشاهد
 وأبئت إلى مثل سألها * وحلّ البلاء على الناقد
 وقال السكري :

• إن كان شكك غير متيقن * فكذا خلاك غير مؤثقة
 صورت من تظن قد اختلفت * فأت خلاك وهي غثقة
 من عصبية شتى إذا اجتمعوا * شبت داركم بهم عرقه
 فورت من ذا قبح منظره * وورثت ذاك خناه أو صفة
 وقال الحسن بن مطران شاعر البينة :

• كم غصت في مدحك فكرا على * درّ قيس غير مقبوع
 ولم يقص رأيك يوما على * يرى ولا رأى لمكبوب
 إن كان موعودك في الجودلى * أكذب من موعود عرقوب
 فإن أخبارك في مدحتي * أكذب من ذنب ابن يعقوب
 وقال أحمد بن محمد بن حامد شاعر الحريدة :

• لبئت بقوم مالم في العلايد * ولا قدم تسمى لبذل الصنائع
 إذا نظرت عيني إليهم تجبست * برؤيتهم طهرتها بالمدايع
 وقال المتنبي :

• إن أوحشتك المعالي * فلنأها دار غربه
 أو أنستك المخازي * فلنأها بك أشبه^(٢)

(١) رواية العقد الفريد : ... زادن داتها * ولم أك في ذاك بالجاهد
 (٢) في ديوان المتنبي ص ٤٢٣ طبع مصر : قاتها لك نهب *

(١)

وقال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن المجاج :

ولقد عهدتكَ تشبى * قربى وتستدعى حضورى
وأرى الجفا بعد الوفا * مثل الفسا بعد البخور
يا خربة العدى الصبح * يبع النحر والخبز الفطير
في جوف منحل الطيب * حمة والقوى شيخ كبير
ينحراً فيخرجُ سرْمه * شبرين من وجع الزحير
يا فسوة بعد العشا * بالبيض واللبن الكثير
وفطائر تُجَنَّتْ بلا الـ * صلح الجريش ولا الحير
يا تن رأية الطيب * يخ إذا تغير في القدير
يا عُش بيض القمل فرخ في السوالف والشعور
يا بول صبيان الفطا * م ويا خرام في المجرور
يا بفض تدخين الحشا * في الصوم من تُخَم السحور
يا حر قَوْلنج البطو * ن وبرد أعصاب الظهور
يا ذلة المظلوم أصـ * بيج وهو معدوم النصير
يا سوء عاقبة التعقـ^(٢)د عند تمشية الأمور
يا كل شئ مُتعب * متعب صعب عسير
يا حيرة الشيخ الأصم * وحمرة الحديث الضير
يا قعدة في دجلة * والريح تلعب بالجسور

(١) في ينية المهر (٢ ص ٢١١) : « الحسن » .

(٢) كذا في ينية المهر (ج ٢ ص ٢١٦) . وفي الأصول : يا بفض تدخين الحشا .

(٣) كذا في ينية المهر وفي الأصول : « ... المتفقد عند تشبيه الخ » .

يا قرحة السل التي * هتت شراسيف الصدور
يا أرياء لا تدو * ربه مخافات^(١) الشهور
يا هدة الحيطان * تقض بالمعاول والمُرور
يا قرحة في ناظر * غظفوا عليها بالندور^(٢)
فتسلخت مع ما يلي * لها في الجفون من البثور
يا خيبة الأمل الذي * أمسى يعلل بالفسور
يا غلصة المتخذرا * ت وراء أبواب القصور
يا وحشة الموتى إذا * صاروا إلى ظلم القبور
يا صخرة المحوم بال * غدوات من ماء الشمر
يا شؤم إقبال الشتا * ء أضر بالشيخ الفقير
يا دولة الحزن التي * خسفت أيام السرور^(٣)
يا ضجة الصخب المصدع^(٤) بالتنازع والشرور
يا عثرة القلم المرشش بين أثناء السطور
يا ليلة العريان غب عشية اليوم المطير
يا نومة في شمس آ * ب على التراب بلا حصير
يا بغاة المكروه في ال * يوم البوس القمطير
يا نهشة^(٥) الكلب الرضيع * ع ونكهة الليث المصور

(١) كذا في ينية الدهر . وفي الأصول : « مخافات » وهو تحريف .

(٢) الندور : ما يذرف العين وعلى الجرح من الأدوية .

(٣) كذا في ينية الدهر . وفي الأصول « يا دولة الحسن » .

(٤) كذا في الينية . وفي الأصول : « ... الضجر المصدع » جمع بالتنازع ... الخ .

(٥) كذا في الينية . وفي الأصلين : « يامة » . وفي النسخة الراحية : « يانهمة » .

١٠

١٥

٢٠

يا عَيْشَ حَاطٍ مَوْتِي * فِي الْقَيْدِ مَغْلُولٍ أَسِيرٍ
 يَا حِدَّةَ الرَّمْدِ الَّذِي * لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ الْقُطُورِ
 يَا مَيْشَةَ الْكَئَاسِ مِنْ * شَمِّ الذَّرَائِرِ وَالْمَبِيرِ^(١)
 يَا حَيْرَةَ الْعُطَّاشِينَ وَقَدْ * تَلَّ الظُّهْرُ فِي وَسْطِ الْمَجِيرِ
 مِنْ لِي بَأَن تَلْقَاكَ خِي * لُبِّي كَلَابِ بِلَا خَفِيرِ^(٢)
 وَأَرَى بَعْنِي لَحْمَكَ الشَّمْطُوبُخَ فِي نَارِ السَّمِيرِ
 فِي الْأَرْضِ مَا بَيْنَ الْبَا * عِ وَفِي السَّمَاءِ بَيْنَ النَّسُورِ

وقال المتنبي :

يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ * تَحْتَ السُّلُوجِ وَمِنْ وَرَاءِ يُلْجِمُ
 وَجْهَهُ مَا تَسْتَقَرُّ كَأَنَّهَا * مَطْرُوفَةٌ أَوْفَتْ فِيهَا حِصْرُ
 وَتَرَاهُ أَصْفَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا * وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُقْسِمُ
 وَإِذَا أَشَارَ مَكَلَّمًا فَكَأَنَّهُ * قَرْدٌ يُفْهِقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ
 يَقِيلُ مُفَارَقَةً الْأَكْفَ قَدَّالَهُ * حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدَيْهِ يَتَعَمَّمُ^(٣)



ومما يذم به الرجل أن يكون ثقيلا . فالبلغ ما قيل في ذلك قول بعضهم :

وَتَقِيلُ أَشَدَّ مِنْ غَضَبِ الْمَوْتِ * وَفِي زَفَرَةِ الْمَذَابِ الْأَلِيمِ
 لَوْ عَصَتْ رَبُّهَا الْجَحِيمُ لَمَّا كَا * نَ سِرَاهُ عَقُوبَةُ الْجَحِيمِ

(١) كذا في البنية . وفي الأصول : « في وسط المجير » .

(٢) كذا في البنية . وفي الأصول : « قد حرا المجير » .

(٣) كذا في ديوان المتنبي والنسخة الراجية . وفي الأصلين : « بلق » وهو تحريف .

وإبلغ ما قيل في هذا المعنى قول بشار :

ولقد قلت حين وتد في الأر * ض ثقل أربي على ثلاني
كيف لم تحمل الأمانة أرض * حملت فوقها إبا سفيان



ومما هجى به أهل الوقت على الإطلاق ! فن ذلك قول أبي هلال
المسكري :

كم حاجة أزلتها * بكرم قوم أو لسم
فإذا الكريم من اللب * أو اللب من الكريم
سبحان رب قادر * قد البرية من أديم
فشر يفهم ووضعهم * سيان في سفيه ولوم
قد قل خير غنيهم * فغنيهم مثل العديم
واذا آخبرت حيدهم * ألفتة مثل النميم



ومما قيل في هجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم : فن ذلك

قول أبي عينة يهجو خالد بن يزيد المهلبي ويمدح أباه :

أبوك لنا غيث نعيش بفضلِهِ * وأنت جرأ ليس يبقى ولا يذر^(١)
له أثر في المكرمات يسرنا * وأنت تُعفى دأبا ذلك الأثر
لقد قتعت لخطان خزيًا بخالد^(٢) * فهل لك فيه يُخزك الله يا مضر

(١) في الشعر والشعراء لابن قتيبة : « ... لست نقي ولا تذر »

(٢) في الشعر والشعراء : « لقد خزيت لخطان طرا الخ »

وله في قَيْصَةَ بن رَوْح ، يُفَضَّل عليه أَبْن عمه دَاوُد بن يَزِيد بن حاتم :
 أَقْبِصْ لِسْتَ وَإِنْ جَهَدْتَ بِيَالِغ * سَعَى أَبْنِ عَمِّكَ ذِي النَّدَى دَاوُدِ
 شَتَانُ بَيْنِكَ يَا قَيْصُ وَبَيْنَهُ * إِنِّ الْمُدَّمْ لَيْسَ كَالْحَمُودِ
 دَاوُدُ مَحْمُودٌ وَأَنْتَ مُدَّمٌ * عَجَبًا لَدَاكَ وَأَنْتَمَا مِنْ عُدُودِ
 وَلَرْبُ عُدُودٍ قَدْ يُسْقَى لِمَسْجِدٍ * نَصَفًا وَسَاثِرُهُ لِحَشٌّ يَهُودِي

وقال حسان في أبي سُفْيَان بن الحارث :

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ * وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانَ غَيْرَ نَجِيبِ
 فَلَا تَجِبْنَ النَّاسَ مِنْكَ وَمِنْهُمَا * فَمَا حَبَّتْ مِنْ رِقْصَةٍ بِمَجِيبِ

ذكر ما قيل في الحسد

١٠. ومما يذم به الرجل ، أن يكون حسودا . وقد أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ، أن يتعوذ من شر الحاسد إذا حسد .
 قال ابن السكيت :

أنزل الله تعالى سورة جعلها عُوذَةً لِمُخْلَقِهِ مِنْ صُنُوفِ الشَّرِّ ، فلما انتهى إلى الحسد جعله خاتما ، إذ لم يكن بعده في الشر نهاية . والحسد أول ذنب عُصِيَ الله تعالى به في السماء ، وأول ذنب عُصِيَ به في الأرض ؛ أما في السماء . لحسد إبليس ١٥
 لآدم ، وأما في الأرض لحسد قابيل لما بئيل . وذهب بعض أهل التفسير في قوله عز وجل إخبارا عن أهل النار : (رَبَّنَا آتِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّامَا مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ نَجْمَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) أن المراد بالجن إبليس ، وبالإنس قابيل ؛ وذلك أن إبليس أول من سَنَّ الكُفْرَ ، وقابيل أول من سَنَّ القَتْلَ . وأصل ذلك كله الحسد . ٢٠

وقال عبد الله بن مسعود : لا تُعَادُوا نِعَمَ اللَّهِ . فقيل له : ومن يُعَادِي نِعَمَ اللَّهِ؟ قال : الذين يُحْسُدُونَ النَّاسَ على ما آتاهم الله من فَضْلِهِ . يقول الله تعالى في بعض الكتب : « الْحَسُودُ عَدُوٌّ نِعَمَتِي ، مَسْخُوطٌ لِقَضَائِي ، غَيْرُ رَاضٍ بِقِسْمَتِي » .

وقالت الحكماء : إذا أراد الله أن يُسَلِّطَ على عبد عدواً لا يرحمه سَلَّطَ عليه حاسداً .

وكان يقال في الدعاء على الرجل : طَلَبَكَ مِنْ لَا يَقْصِرُ دُونَ الظُّفْرِ . وحسدك من لَا يَنَامُ دُونَ الشِّفَاءِ .

وقالوا : ما ظَنُّكَ بِعِدَاوَةِ الْحَاسِدِ ، وهو يرى زَوَالَ نِعْمَتِكَ عَلَيْهِ !

قال أبو الطيب المتنبي :

سوى وجع الحساد دأوَ فَنَانِهِ * إذا حَلَّ في قلب فليس يَحُولُ
ولا تَطْمَعَنَّ مِنْ حَاسِدٍ في مَوَدَّةٍ * وإن كُنْتَ تُبْلِغُهَا لَهُ وَتُؤَيِّلُ
وقال البيهقي :

ومن البلية أن تُدَاوِيَ حَقْدَ مَنْ * نِعِمَّ إِلَهِهِ عَلَيْكَ مِنْ أَحْقَادِهِ

وقال علي رضي الله عنه : لَا رَاحَةَ لِحَسُودٍ ، وَلَا أَخَ لِمَلُولٍ ، وَلَا حُبَّ لَسِيٍّ
الْحَلُوقِ .

وقال الحسن : ما رأيت ظالماً أشبهَ بِمَظْلُومٍ من حاسدٍ ؛ نفسٌ دائمٌ ، وحرزٌ لازمٌ ، وَغِيْرَةٌ لَا تَسْتَفِدُّ . ثم قال : لله دَرُّ الحسد ما أَعْدَلَهُ ! يَقْتُلُ الْحَاسِدَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلى الْمَحْسُودِ .

(١) كذا في البغد الفريد (ج ١ ص ٢٢١) من مسخطة الشيء : لم يرضه وبكرهه ، وفي الأصل :

« مسخط » .

(٢) كذا في ميون الأخبار (المجلد الثاني ص ٢١٦٤١٠) . وفي الأصل الشفاء . وهو تحريف .

(٣) كذا في ديوان المتنبي (ص ٢٧٣) . وفي الأصول : « دا » . وهو تحريف .

وقال الجاحظ : من العدل المحض والإنصاف الصحيح ، أن تَحُطَّ عن الحاسد
نِصْفَ عقابه ؛ لأنَّ أَلَمَ جسمه قد كفاكَ مَوْنَةُ شَطْرِ فِطْكَ عليه .

وقيل : الحسد أن تُنمِّي زوال نعمة غيرك ، والغبطة أن تُنمِّي مثل حال صاحبك .
وفي الحديث : ” الْمُؤْمِنُ يَغِيظُ وَالْمُنَافِقُ يَحْسُدُ ” .

وقال أرسطوطاليس : الحسد حسدان : محمود ومذموم ؛ فالمحمود : أن ترى
علما قستهي أن تكون مثله ، وزاهدا قستهي مثل فعله ؛ والمذموم أن ترى علما
وفاضلا قستهي أن يموتا . وقيل : الحسود غضبان على القدر ، والقدر لا يُعْتَبَرُ .

قال منصور الفقيه :

الْأَقْلُ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا * أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَاتَ الْأَدَبُ

أَسَاتَ عَلَى اللَّهِ فِي فَضْلِهِ * إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْضَ مَا قَدْ وَهَبَ

وقال المتنبي :

وَأَظْلَمَ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنْ بَاتِ حَاسِدًا * لِمَنْ بَاتَ فِي تَمَائِهِ يَتَقَلَّبُ

ومن أخبار الحسدة : ما حكى أنه اجتمع ثلاثة نفر منهم ، فقال أحدهم
لصاحبه : ما بلغ من حسدك ؟ قال : ما أشتيت أن أفعل بأحد خيرا قط ؛ فقال
الثاني : أنت رجل صالح ، أنا ما أشتيت أن يفعل أحد بأحد خيرا قط ؛ فقال
الثالث : ما في الأرض أفضل منك ، أنا ما أشتيت أن يفعل بي أحد خيرا قط .



ومما قيل من الشعر في تفضيل المحسود ومدحه ، وهجاء الحاسد وذمّه :

قال بعض الشعراء :

إِن يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ * قَبْلَ مَنْ النَّاسُ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا

قَدَامَ لِي وَلِهَسَمَ مَا بِي وَمَا بِهِمْ * وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَمًا بِمَا يَحْسُدُ

وقال آخر :

إِنَّ الْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مَشْيَةً * فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَحْوَالِ
حَسَدَ الْقَطَاةِ وَرَامَ يَمْشِي مَشْيَهَا * فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ^(١)

وقال آخر :

• حَسَدُوا لِقَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ * فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ
كَضَائِرِ الْحَسَنَاءِ قُلْنَ لَوْ جِهِهَا * حَسَدًا وَبَغْيًا إِنَّهُ لَذِمُّ^(٢)

وقال البحتري :

لَا تَحْسُدُوهُ فَضَّلَ رُبَّتَهُ الَّتِي * أَعَيْتُ عَلَيْكُمْ وَأَفْلَحُوا كِفَعَالَهُ

وقال البرقي الرفاء :

١٠ نَالَتْ يَدَاهُ أَفَاصِي الْمَجْدِ الَّذِي * بَسَطَ الْحَسُودُ إِلَيْهِ بَاعًا ضَيْقًا
أَعْدُوهُ هَلْ لِلْمَلِكِ جَرِيرَةٌ * فِي أَنْ ذَنُوتَ مِنَ الْحَضِيضِ وَحَلَقًا
أَمْ هَلْ لِمَنْ مَلَأَ الْيَدَيْنِ مِنَ الْعَلَا * ذَنْبٌ إِذَا مَا كُنْتَ مِنْهَا مُثْلَقًا

وقال أبو تمام الطائي :

• وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ^(٣) * يَوْمًا أُنَاحَ لَهَا لِسَانٌ حَسُودٍ
لَوْلَا أَشْتَعَالَ النَّارُ فِيمَا جَاوَرَتْ * مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبُ عُرْفِ الْعُودِ

١٥

وقال البحتري :

وَلَنْ تَسْتَيْنَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نَعْمَةٍ * إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ

(١) العقاب : ظلع يأخذ في قوائم الهابة .

(٢) كذا في الأصول ، وهي رواية تطلب ، قال صاحب اللسان : وقد رد ذلك عليه ، والأصح رواية

(إنه لضم) بالفتح المهملة .

٢٠

(٣) أثبتنا فيما تقدم ص ٩٢ من هذا الجزء أن رواية الديوان : « طويت » .

وقال محمد بن مناذر :

يَا أَيُّهَا الْعَاجِي وَمَا بِي مِنْ * عَيْبٍ إِلَّا تَرَعَوِي وَتَرَدِرُ
 هَلْ لَكَ عِنْدِي وَتَرْقُطَلْبُهُ * أَمْ أَنْتِ يَمَّا أَتَيْتِ مُعْتَذِرُ
 إِنْ يَكُ قَسَمُ الْإِلَهِ فَضَّلِي * وَأَنْتِ صَلَدٌ مَا فَيْكَ مُعْتَصِرُ
 فَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالنَّشَاءُ لَهُ * وَلِلْحَسُودِ التُّرَابُ وَالْجَحَرُ
 مَاذَا الَّذِي يَحْتَنِي جَلِيسُكَ أَوْ * يَسُدُّوْهُ مِنْكَ حِينَ يَحْتَرُ
 اقْرَأْ لَنَا سُورَةَ تَذَكَّرْنَا * فَإِنَّ خَيْرَ الْمَوَاعِظِ السُّورُ
 أَوْصِفْ لَنَا الْحُكْمَ فِي فَرَائِضِنَا * مَا تَسْتَحِقُّ الْأُنْثَى أَوْ الذَّكَرُ
 أَوْ أَرُوْقَهَا تَرَوِي الْقُلُوبَ بِهِ * جَاءَ بِهِ عَنْ نَيْفِ الْأَثَرِ
 أَوْ مِنْ أَحَادِيثِ جَاهِلِيَّتِنَا * فَإِنَّهَا حِكْمَةٌ وَمِفْتَخَرُ
 أَوْ أَرُوْهُنَّ عَنْ فَارِسٍ لَنَا مَثَلًا * فَإِنَّ أَمثالَنَا عِبْرُ
 أَوْ غَنِّ صَوْتًا تُسْجِي الثُّغُورَ بِهِ * وَذَنْبٌ مَا قَدْ أَتَيْتِ مُعْتَفِرُ
 فَإِنْ تَكُنْ قَدْ جَهِلْتَ ذَلِكَ وَذَا * فَفِيكَ لِلنَّاظِرِينَ مُعْتَبَرُ

ذكر ما قيل في السَّعَايةِ والبغْيِ والغِيبةِ والنِّمِمةِ

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) . وقال تعالى : (ثُمَّ
 بُنِيَ عَلَيْهِ لِتِمْثَرِهِ آتُهُ) . وقال تعالى : (هَمَّازٌ مَشَاءٌ يَنْمِي مَتَاعٍ لِّغَيْرٍ مُّعْتَدٍ أُنْثَمٍ عَثَلُ
 بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٣ ، وفي الأصل : « يَا أَيُّهَا الْعَاجِي ... » عتب ... »

(٢) رواية العقد الفريد : « ... نَحْيَا ... الخ »

(٣) رواية العقد الفريد : « أَوْ مِنْ أَعْجَابٍ ... ومعتبر »

الآخر فلا يرغم إلينا عورة أخيه المؤمن“ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” لا يراخ القنات راحة الجنة“ . وفي لفظ : ” لا يدخل الجنة قنات“ . والقنات : التمام .

قال بعض الشعراء :

فلا تسع على أحد ينبغي * فإن البنى مضرعه وخيم^(١)

وقال التتائي :

بنيت فلم تقع إلا صريحا * كذاك البنى مضرع كل باغي

وسأل رجل عبد الملك بن مروان الخلو، فقال لأصحابه : إذا شئتم قوموا^(٢) .

فلما تها الرجل للكلام قال له : إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسى منك ، أو تكذبني فإنه لا رأى ليكتوب ، أو تسعى إلى باحد ، وإن شئت أفلك ؛ قال :

أقلنى .

قال : ولما ولي عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك دمشق ، ولم يكن في بنى

أمية ألأ منه ، مع حدائه سنه ، قال أهل دمشق : هذا غلام شاب ، ولا علم له بالأمر ، وسيمع منا ؛ فقام إليه رجل فقال : أصلح الله الأمير ، عندى نصيحة ؛

فقال له : ياليت شعرى ما هذه النصيحة التى أبتدأتني بها من غير يد سبقت منى

إليك ؟ فقال : جأرلى عاص متخلف عن ثغره ؛ فقال له : ما آتيت الله ، ولا أكرمت

أميرك ، ولا حفيظ جوارك ؛ إن شئت نظرنا فيما تقول ، فإن كنت صادقا

لم ينفعك ذلك عندنا ، وإن كنت كاذبا عاقبتك ، وإن شئت أفلتك ؛ قال :

أقلنى ؛ قال : أذهب حيث شئت ، لا صحبك الله ! ثم قال : يا أهل دمشق ،

أما أعظمت ما جاء به الفاسق ! إن السعاية أحسب منه بحجة . ولولا أنه لا ينبغي

(١) دخل في هذا البيت الكف وهو حذف السابع الساكن . (٢) كذا في العقد الفريد ١

ص ٢٣٦ ، وفي الأصول : « إذا شئتم قوموا » . (٣) كذا في تذكرة الصفى . وفي الأصول : « فى » .

للوالى أن يعاقب قبل أن يعاتب ، كان لى فيه رأى . فلا يأتى أحد منكم بسعاية على أحد ؛ فإن الصادق فيها فاسق ، والكاذب بهات .

وسعى رجل برجل إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ؛ فقال : إن شئت نظرنا فى أمرك ، فإن كنت كاذبا فانت من هذه الآية : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ وإن كنت صادقا فانت من هذه الآية : ﴿ هَمَّازٍ مَشْأٍ نَجِيمٍ ﴾ وإن شئت عفونا عنك ؛ قال : العفو يا أمير المؤمنين ؛ قال : تلى الآ تمود .

وكتب محمد بن خالد إلى ابن الزيات أن قوما صاروا إليه مُتَنَصِّحِينَ ، فذكروا أن رؤسوما للسلطان قد عَفَّتْ ودرست ، وأنه توقف عن كشفها لى أن يعرف موقع رأيها فيها ؛ فوقع على رُفْعَتِهِ : قرأت هذه الرُقعة المذمومة ، وسوق السعاة مُكِيدٌ عندنا ، وأسنتهم تَكِلُّ فى أيامنا ؛ ناحل الناس على قانونك ، وخذهم بما فى ديوانك ؛ فلم ترد للناحية لكشف الرسوم العافية ، ولا لتُخَيِّ الأعلام الدائرة ، وجئتنى وتجنّب قول جرير :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بَدَارَ قَوْمٍ « رَحَلَتْ يَخْزِيَةٌ وَرَكَتَ عَارًا

قالوا : وكان الفضل بن يحيى يكره السعاة ، فاذا أتاه ساع قال له : إن صدقنا أبغضناك ، وإن كذبتنا عاقبناك ، وإن استقلتنا أقولناك .

وحكى صاحب المقصد قال : قال العُتْبِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ سَعِيدِ الْقَصْرِىّ قال : نظر لى عمرو بن عبّة ورجل يشتم بين يدى رجلا ، فقال لى : وبلك ! — وما قال لى وبلك قبلها — زه سمعك عن استماع الخنا ، كما تنزه لسانك عن الكلام به ؛ فإن السامع شريك القاتل ، وإنه عمد إلى شر ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك ؛ ولو

رَدَّتْ كَلِمَةً جَاهِلٌ فِي فِيهِ لَسَعِدَ رَأْدُهَا ، كَمَا سَنَى قَائِلُهَا ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى شَرِيكَ الْقَائِلِ ، فَقَالَ : (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْالُونَ لِلْسُّخْتِ) .



وَمِمَّا قِيلَ فِي الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ : رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " إِذَا قُلْتَ فِي الرَّجُلِ مَا فِيهِ فَقَدْ آغْتَبْتَهُ ، وَإِذَا قُلْتَ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَيَّتَهُ " .
إِغْتَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ قُتَيْبَةَ بْنِ مَسْلَمٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ، وَاللَّهِ لَقَدْ تَلَمَّضْتَ بِمُضْغَةٍ طَالَمَا لَفِظْتُهَا الْكَرَامَ .
وَذَكَرَ فِي مَجْلِسِهِ رَجُلٌ ، فَتَالَ مِنْهُ بَعْضُ جُلَسَاءِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، أَوْحَشْتَنَا مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَيَّاسَنَّا مِنْ مَوَدَّتِكَ ، وَدَلَلْتَنَا عَلَى عَوْرَتِكَ .

وَأَغْتَابَ^(٢) رَجُلٌ عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ اسْتَدَلْتُ عَلَى كَثْرَةِ عَيُوبِكَ بِمَا تَذَكَّرُ مِنْ عَيْبِ النَّاسِ ؛ لِأَنَّ الطَّالِبَ لِلْعَيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا ، أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَا تَهْتَكُنْ مِنْ مَسَاوِي الدِّائِسِ مَا سَتَرُوا * فَيَهْتَكَ اللَّهُ سِرًّا مِنْ مَسَاوِيكَ
وَأَذْكُرْ حَسَنَ مَا فِيهِمْ إِنْ أَدْرَكُوا * وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ

وَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَذْكُرْ أَخَاكَ إِذَا غَابَ عَنْكَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ ، وَدَعْ مِنْهُ مَا تُحِبُّ أَنْ يَدَعَ مِنْكَ .

(١) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٧ ، وَفِي الْأُمُودِ : وَطِيبُهُ .

(٢) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ٢ ص ١٤ وَعَيُونَ الْأَخْبَارِ ج ١ ص ٢٣٧ : « غَابَ رَجُلٌ رَجُلًا » .

(٣) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ وَعَيُونَ الْأَخْبَارِ : « بِمَا تَذَكَّرُ » .

(٤) فِي عَيُونَ الْأَخْبَارِ (مَجْلَدُ ثَانٍ ص ١٨) : « لَا تَقْنَسْ ... * فَكَيْشَفْ ... الخ » .



وقال بعض الملوك لولده وهو وليّ عهده : يا بُنَيَّ ، لِيَكُنْ أَبْغَضَ رَعِيَّتِكَ إِلَيْكَ أَشَدُّهُمْ كَشْفًا لِمَعَايِبِ النَّاسِ عِنْدَكَ ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَعَايِبَ وَأَنْتَ أَحَقُّ بِسِتْرِهَا ، وَإِنَّمَا تَحْكُمُ فِيهَا ظَهْرُكَ ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ فِيهَا غَلَبُ عَيْنِكَ ؛ وَآكْرَهُ لِلنَّاسِ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ، وَأَسْتَرُ الْعَوَظَةِ يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ ؛ وَلَا تَجِبَلْ إِلَى تَصَدِيقِ سَاعٍ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ قَالَ قَوْلٌ نَصَحَ .

وَوَشَّى وَاشٍ رَجُلًا إِلَى الإسْكَندَرِ ؛ قَالَ لَهُ : أُحِبُّ أَنْ يَقْبَلَ مِنْكَ مَا قُلْتَ فِيهِ ، عَلَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ مَا يَقُولُ فِيكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَكُفَّ عَنِ الشَّرِيكَفِ عَنْكَ .
وقال ذو الرِّيَاسَتَيْنِ ^(١١) : قَبُولُ النِّيمَةِ شَرٌّ مِنَ النِّيمَةِ ، لِأَنَّ النِّيمَةَ دَلَالَةٌ ، وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مَنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ كُنَّ قِيلُهُ وَأُجَازُهُ .

قال أبو الأسود الدؤليّ :

لَا يَقْبَلُ نِيْمَةً بُلَغَتْهَا * وَتَحْفَظُنَّ مِنَ الَّذِي أَنْبَاكَهَا

إِنَّ الَّذِي أَهْدَى إِلَيْكَ نِيْمَةً * سَيَنْمُ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكَهَا ^(١٢)

وقال رجل لعمر بن عبّيد : إِنَّ الْأَسْوَارِيَّ لَمْ يَزَلْ يَذْكُرُكَ وَيَقُولُ : الضَّالُّ ، فَقَالَ عَمْرُو : يَا هَذَا ! وَاللَّهِ مَا رَاعَيْتَ حَقَّ مَجَالِسَتِهِ حِينَ ثَقُلَتْ إِلَيْهَا حَدِيثُهُ ، وَلَا رَاعَيْتَ حَقَّ حِينَ أَبْلَغْتَنِي عَنْ أُنْحَى أَاكْرَهَةٍ ؛ إِعْلَمْ أَنَّ الْمَوْتَ يَمَعُنَا ، وَابْعَثْ يَحْمُسُنَا ، وَالْقِيَامَةَ تَجْمَعُنَا ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَنَا [وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ] . ^(١٣)

(١) وردت هذه العبارة في عيون الأخبار المجلد الثاني ص ٢٣ بتأخير في بعض كتاباتها مع زيادة عما هنا .

(٢) رواية القندل الفريد ج ١ ص ٢٣٧

إِنَّ الَّذِي أَنْبَاكَ عَنْهُ نِيْمَةٌ * سَيَدِبُ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكَهَا

(٣) كما في تذكرة الصفدى وإحياء العلوم للزّلال ج ٣ ص ١١٩ ، وقد ضبطه في المتن الذهبي بضم المهزلة نسبة إلى الأساورة من تميم ، وفتحها نسبة إلى قرية بأصمان . وفي الأصول : « الأساوري » وهو مخبر . (٤) كما في تذكرة الصفدى وإحياء العلوم للزّلال ، وفي الأصول : « حني » .

(٥) زيادة عن الإحياء .

وقال معاوية للأحنف في شيء بلغه عنه، فأنكره الأحنف : بلغني عنك الثقة؛ فقال الأحنف : إن الثقة لا يُبلغ .

قال بعض الشعراء :

لعمرك ما سبَّ الأميرَ عدوه * ولكننا سبَّ الأميرَ المُبلغ

وقال ابن المعتز^(١) : الساعي كاذب لمن سعى إليه، خائن لمن سعى عليه .

وقالوا : النمام شرٌّ من الساحر؛ فإن النمام يُفْسِد في الساعة الواحدة ما لا يفْسده الساحر في المدة الطويلة .

وقالوا : النيمة من الخلال الذميمة ، تدلُّ على نفس سقيمة ، وطبيعة لثيمة ؛ مشغوفة بهتك الأسرار ، وإفشاء الأسرار .

وقال بعض الحكماء : الأسرار يتبعون مساوى الناس ويتركون محاسنهم ، كما يتبع الذبابُ المواضع الآلئة من الجسد ، ويترك الصحيحة .

وقالوا : لم يَمْشِ ماش ، شرٌّ من واش . والساعي بالنيمة كشاهد الزور ، يُهلك نفسه ، ومن سعى به ، ومن سعى إليه .

وقالوا : "حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ" . وقد لُجج الشعراء بذهم النمام ، وجعلوه

من أهاجيم . قال بعض الشعراء :

من نَمَّ في الناس لم تُؤْمَنَ عقاربُه * على الصديق ولم تُؤْمَنَ أفاعِيه
كالسَّيلِ بالليل لا يدرى به أحدٌ * من أين جاء ولا من أين يأتيه

وقال السريُّ الرِّقَاء :

أَنْتُمْ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ مِنْ زُجَاجَةٍ * تَرَى الشَّيْءَ فِيهَا ظَاهِرًا وَهُوَ بَاطِنٌ

(١) في تذكرة الصفيدي : «قال على كرم الله وجهه : الساعي ظالم لمن سعى ، خائن لمن سعى إليه» . ٢٠

وقال محمد بن شرف :

وناصب نحو أفواه الورى أذناً * كالفعب يقط فيها كل ما سقطاً
يظلل يقطع الأخبار مجتهداً * حتى إذا ما وعاما زق ما لقطاً
وقال ابن وكيع :

يتم بسر مسترعيه لؤماً * كما تم الظلام بسر نار
أنتم من النصول على مشيب * ومن صافي الزجاج على عذار

وقال الحسن البصري : لا غيبة في ثلاثة : فاسق مجاهر ، وإمام جائر ،
وصاحب بدعة [لم يدع بدعته] ^(١)

وكتب الكسائي الى الرقاشي :

تركت المسجد الجامع * ع والترك له رية
[فلا نافلة تقضى * ولا تقضى لمكتوبه]
وأخبارك نائنا * على الأعلام منصوبة
فإن زدت من الغيب * زدت من الغيبة

ذكر ما قيل في البخل واللؤم

وبالبخل : منع الحقوق. وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْنِزُونَ﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِلُونَ بِمَا أَنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ دُورًا
خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلُقُوه يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خَلْتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ" .

وقال بعض السلف : منع الجود سوء ظن بالمعبود ، وتلا : (وَمَا أَفْقَرُكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) .

- وروى أبو بكر الخطيب في كتاب البخل بإسناده عن أبي هريرة ^(١) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها ترينني فتريت ، ثم قال لها أظهري أنهارك فأظهرت عين السلسيل وعين الكافور وعين التسليم ونهر الحمر ونهر العسل ونهر اللبن ، ثم قال لها أظهري حورك وحللك وسورك وحمالك ، ثم قال لها تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني ، فقال الله عز وجل أنت حرام على كل بحيل" .

١٠

وقال سقراط : الأغنياء البخلاء بمنزلة البغال والحمر ، تحمل الذهب والفضة ، وتمتص التبن والشعير .

وقالوا : البخل من سوء الظن ، ونحو المهمة ، وضعف الروية ، وسوء الاختيار ، والزهد في الخيرات .

- وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : البخل جامع للأساوي والميوب ، وقاطع للوقات من القلوب .

(١١)

وقالوا : حد البخل منع المسترفد مع القدرة على رفقده .

(١) ورد هذا الحديث في إحياء العلوم للقرال (ج ٢ ص ١٩١) مرويا عن ابن عباس ويختلف

وكان أبو حنيفة لا يقبل شهادة البخل ، ويقول محتجاً لذلك : إن البخل يمله
بخله على أن يأخذ فوق حقه خافة أن يُغبن ؛ ومن كان هكنا لا يكون مأمونا .

وقال بشر بن الحارث الحافي : لا رغبة لبخل ، ولشرطى سخي أحب إلى من
عابد ببخل .

وقالوا : البخل لا يستحق أسم الحرية ، فإن ماله يملكه .

ويقال : لا مال للبخل ، وإنما هو لاله .

وقال الحسن البصري : لم أر أشقى بئله من البخل ؛ لأنه في الدنيا يمتهم بجمعه ،
وفي الآخرة يحاسب على منعه ؛ غير آمن في الدنيا من هبه ، ولا ناج في الآخرة من
إثمه ؛ عيشه في الدنيا عيش الفقراء ، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء . ودخل
رحمه الله على عبد الله بن الأهمم يعود في مرضه ، فراه يصعد بصره ويصوبه إلى
صندوق في بيته ، ثم ألقت إليه ، فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول في مائة ألف دينار
في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل بها رجاً ؟ فقال له : نكثك أهلك !
ولم كنت تجمها ؟ قال : (روعة الزمان ، وجفوة السلطان ، وتكاثر العشرة . ثم مات
فشهد الحسن ؛ فلما فرغ من دفنه ، ضرب بيده على القبر ، ثم قال : انظروا إلى هذا ،
أناه شيطانه نخوفه روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ، بما استودعه الله إياه ، وعمره فيه ،
انظروا إليه كيف خرج مذموماً مدحوراً ! ثم ألقت إلى وارثه ، فقال : أيها الوارث
لا تخدعن كما خدع صوبيحك بالأمس ، أنك هذا المال حلالا ، فلا يكون عليك
وبالآ ؛ أنك عفوا صفوا ، ممن كان له جموعاً منوعاً من باطل جمعه ، ومن حق
منعه ؛ قطع فيه بلج البحار ، ومفاوز القفار ؛ ولم تكذحك فيه عين ولم يترق لك

فيه جبين، إن يوم القيامة يوم ذو حَسَرَات، وإن من أعظم الحسرات غذا أن ترى مالك في ميران غرك، فإلها حسرة لا تُقال، وتوبة لا تُتال ! .

ومن أخبار البغلاء : قيل : بخلاء العرب أربعة : الخطيئة، وحُميد الأرقط، وأبو الأسود الدؤلي، وخالد بن صفوان، وتُفِلت عنهم أمور دلت على بخلهم .

- أما الخطيئة : فقد حكى عنه : أنه مرَّ به ابن الحمame، وهو جالس بفناء بيته، فقال له : السلام عليكم، فقال : قلت ما لا يُنكر، فقال : إني خرجتُ من [عند] أهل بغيرزاد، قال : ما ضمنتُ لأهلك قِرَاك، قال : أفتأذن لي أن آتي ظلَّ بيتك فأتقيًا به؟ قال : دونك الجبل يعني، عليك، قال : أما ابن الحمame، قال : أنصرف وكن ابن أيت طائر شئت . قال : وأعرضه رجل وهو يرعى غنما، فقال له : يا راعي الغنم، وكان بيد الخطيئة عصا فرضها، وقال : عجراً من سلم، فقال الرجل : إنما أنا ضيف، فقال : للأضياف أعددتُها [فأنصرف عنه] . وكان الخطيئة أحد الحَقَق، أوصى عند موته أن يُحمل على حمار، وقال : لعلَّ إن حُمِلْتُ عليه لا أموت، فإني ما رأيت كريماً مات عليه قط . وقال : لكلَّ جديد لذة^(١)، إلا جديد الموت، فإني رأيت غير لذيذ . وقيل له : أوص، فقال : أوصي أن مالى للذكور دون الإناث، قالوا : فإن الله ليس يقول كذلك، قال : لكنني أقوله . وقالوا له : قل لا إله إلا الله، فقال : أشهد أن الشياخ أشعرُ غطفان .

(١) زيادة عن الأغاني ج ٤ ص ١٧١ طبع دار الكتب .

(٢) وردت هذه العبارة في الأغاني ج ٢ ص ١٩٧ برواية تختلف عما هنا .

(٣) رواية الأغاني : قال أبلغوا أهل ضابن أنه شاعر حيث يقول :

لكل جديد لذة غير أيتي * وأيت جديد الموت غير لذيذ

ومن أخباره : أن الزُّبرقان^(١) بن بدر بَقِيَه في سفر، فقال له : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا حَسَبُ موضوع ، أنا أبو مُلَيْكَة ؛ فقال له الزُّبرقان : إني أريد وَجْهًا ، فَصَرَ إلى منزلي ، وكن هناك حتى أرجع ؛ فصار الحُطَيْيَةُ إلى امرأة الزُّبرقان ، فأنزلته وأكرمته ، فحسده بنو عمه ، وهم بنو لَآيٍ ، فقالوا للحطيطه : إن تحولت إلينا ، أعطيناك مائة ناقة ، ونُشَدُّ إلى كل طُنْب من أطنا ببتك جُلَّةٌ هَجْرِيَّةٌ ، وقالوا لامرأة الزُّبرقان : إن الزُّبرقان إنما قدم هذا الشيخ ليقزوج بنته ، فَدَح ذلك في نفسها ؛ فلما أراد القوم النُجْمَةَ تخلف الحطيطه ، فتناظرت عنه امرأة الزُّبرقان ، فأحتمله القُرَيْيُون ووقفوا له بما قالوا ؛ فدحهم وهجا الزُّبرقان ، فقال :

أزمتُ يأساً مُبيناً من نوالكم * ولا يرى طارداً للحُرَّ كالبايس

دج المكارم لا ترحل لبغيتها * وأقعد فإنك أنت الطاعم الكايس

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستعدى الزُّبرقان عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحكَّم عمرُ حسانَ ابنَ ثابت ، فقال حسان : ما هجاء^(٢) ولكن سلَّح عليه ، فبس عمرُ الحطيطه فقال يستعطفه :

(١) ذكر هذا الخبر في الأغاني (ج ٢ ص ١٨٠) ببسط عما ها .

(٢) أى جهة ، والمراد بها المراق كما في الأغاني .

(٣) كذا في الأغاني . والجملة : وعاء يلخ من الخوص يوضع فيه التمر يكثر فيه . وفي الأصل :

«حلة» تحويه وهو تحريف .

(٤) رواية الأغاني : «قال عمر لحسان : أترأه هجاء ؟ قال : نعم وسلح عليه فبسه عمر .»

ماذا تقول لأفراخ يذى مريح ^(١) * حمير الحواصل لا ماء ولا شجر ^(٢)
 ألقيت كسبهم في قعر مظلمة ^(٣) * فأغفر عليك سلام الله يا عمر ^(٤)
 ما آثروك بها إذ قدموك لها * لكن لأنفسهم كانت بك الأثر ^(٥)

فأخرجه عمر وجلس على كرسي، وأخذ بيده شفرة، وأومأ أنه يريد قطع لسانه،
 فضج وقال : إني والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أبي وأُمِّي وأمرأتي ونفسي، فبسم
 عمر ثم قال : ما الذي قلت ؟ قال : قلت لأبي وأُمِّي :

(١٧)

ولقد رأيتك في النساء فسؤيتي * وأبأ بك فسأني في المجلس
 وقلت لأبي خاصة :

فلبس الشيخ أنت لدى تميم * ولبس الشيخ أنت لدى المالئ

وقلت لأُمِّي خاصة :

تحمي وأجلسي مني عبدا * أراح الله منك العالمينا
 أغربا ^(٦) إلا إذا استودعت ميرا * وكأوتنا ^(٧) على المتحدينا

وقلت لأمرأتي :

أطوف ما أطوف ثم آتي ^(٨) * إلى بيت قبيدته لكأج

- ١٥ (١) يروى «بذى أمر» . وذكر صاحب القاموس في مادة «مريح» أن ذا مريح بالحريرك
 واد بالجاز . وقال باقوت : هو راد بن فلك والواشية كثير الشجر، وأورد هذا البيت، ثم قال :
 والرواية المشهورة «بذى أمر» . وذا أمر : موضع ينجد من ديار غطفان .

(٢) في الأغاني : «زب الحواصل» .

(٣) رواية الأغاني : «لم يأثروك» .

(٤) الأثر : جمع أثرة وهي المكرمة المحاربة .

(٥) الغريال : يريد به التمام .

(٦) الكاتون : يريد به الثقل الوخم من الناس .

(٧) الرواية المشهورة في هذا البيت : «ثم آوى» .

وقلت لنفسى :

أبْتَ شَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمًا * بِسَوْءٍ فَمَا أَدْرَى لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا شَوْءَ اللَّهِ خَلَقَهُ * فَفَجَّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَقَبَّحَ حَامِلُهُ

نَفَلَ عَمْرُسَيْلَهُ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ إِلَّا يَهْجُو أَحَدًا ، وَجَصَلَ لَهُ ثَلَاثَةُ آلَافٍ أَشْتَرَى بِهَا مِنْهُ
أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَقَالَ يَذْكُرُ نَهْيَهُ إِيَّاهُ عَنِ الْمَجَاءِ وَيَتَأَمَّنُ :

وَأَخَذَتْ أَطْرَافَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَدْعُ * شَتْمًا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ
وَمَنْعَتْنِي عَمْرُسُ الْبَخِيلِ فَلَمْ تَخْفُ * شَتْمِي وَأَصْبَحَ آمِنًا لَا يَمْزَعُ

وَأَمَّا حَمِيدُ الْأَرْقُطِ : فَكَانَ هَجَاءً لِلضَّيْفِ ، فَخَافَ شَأْنَهُ عَلَيْهِ ، فَتَرَلَّ بِهِ ضَيْفَ ذَاتِ
لَيْلَةٍ ، فَقَالَ لَأَمْرَأَتِهِ : نَزَلَ بِكَ الْبَلَاءُ ، قَوْمِي فَأَعِدِّي لَنَا شَيْئًا ، فَفَعَلَتْ ؛ فَجَعَلَ
الضَّيْفُ يَا كُلَّ وَيَقُولُ : مَا فَعَلَ الْمَجَاجُ بِالنَّاسِ ؟ فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ حَمِيدُ :

يَجُوزُ عَلَى الْأَطْنَابِ مِنْ جَذَلٍ بَيْنَنَا * هِجْفٌ لِمُخْزَوْنِ النَّجِيَّةِ بَائِلُ
يَقُولُ وَقَدْ أَلْقَى الْمَرَايِسَ لِلْفَرَى * أَيْنَ لِي مَا الْمَجَاجُ بِالنَّاسِ فَاعِلُ
فَقُلْتُ لَعَمْرِي مَا لِهَذَا أَتَيْنَا * فَكُلُّ وَدِيعِ الْأَخْبَارِ مَا أَنْتَ أَكَلُ
مَكْبَرُكَفَاهُ وَيَحْدُرُ حَلْقُهُ * إِلَى الصَّدْرِ مَا حَازَتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ
أَنَا وَلَمْ يَكُنْ يَحْبَانُ وَائِلُ * بَيَانًا وَعِلًّا بِالَّذِي هُوَ قَائِلُ
فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَهُ * مِنْ الْعَيْ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِاقِلُ

(١) رواية الأغاني : « بشر » .

(٢) رواية الأغاني : « وحميتي ... الخيم ... ذوى ... فزع » .

(٣) له : « يعزل » . والمهجع : الجلفى القليل .

(٤) رواية العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٢٧) :

« يجهز ... إل الزور بما خفت ... إلخ »

ونزل به أضياف، فأطعمهم تمرا وهجاء، وادّعى عليهم أنهم يأكلونه بنواه، فقال:
 باتوا وجلت^(١) الصبياء حوْلَهُمْ * كأن أظفارهم فيها السكاكينُ
 فأصبحوا والنوى عَالِي مَعَرِّهِمْ * وليس كلّ النوى تُنْقِي المساكينُ

وأما خالد بن صفوان : فكان إذا أخذ جائزته، قال للدرهم : طالمَا سرتَ
 في البلاد ، أما والله لأطيلنَّ حبسك ، ولأديننَّ بُنْكَ . وقيل له : مالك لا تنفق ،
 فإن مالك عريض ؟ فقال : الدهر أعرّض منه، قيل : كأنك تؤمل أن تعيش
 الدهر كله، قال : ولا أخاف أن أموت في أوله .

وأما أبو الأسود الدؤليّ : فعمل دكانا عاليا يجلس عليه، فكان ربما أكل
 عليه فلا يتاله المجتاز ، فتربه أعرابيّ على جمل فعرض عليه أن يأكل معه ، وظنّ
 أنه لا يتاله ، فأناخ الأعرابيّ بعيره حتّى وازى الدكان ، وأكل معه ، فما جلس
 بعد ذلك على الدكان . وكان يقول : لو أطلعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا
 منهم . وقال لبنيه : لا تُطعموا المساكين في أموالكم ، فإنهم لا يَقْنَعُونَ منكم حتّى
 يروكم في مثل حالهم . ووقف عليه أعرابيّ وهو يتقدّى، فسلم عليه ، فردّ عليه، ثم
 أقبل على الأكل ولم يعرض عليه، فقال الأعرابيّ : أما إني قد مررتُ بأهلك ،
 قال : كان ذلك طريقك، قال : وهم صالحون، قال : كذلك فارتقتهم، قال :
 وأمرأتك حُبلى، قال : كذلك كان عهدي بها، قال : ولدت، قال : ما كان بدّها
 أن تلد، قال : ولدت غلامين ، قال : كذلك كانت أمّها ، قال : مات أحدهما ،
 قال : ما كانت تقوى على رضاع اثنين، قال : ثم مات الآخر، قال : ما كان

(١) الجلفة : فجة كبيرة لتسر .

(٢) كذا في المقد العريد . وفي الأصل : « ... طلق ... اتق ... الخ » .

(٣) في المقد الفريد : « قال : لا ، ولكن أخاف ألا أموت في أوله » .

لَيْتَنِي بَعْدَ أَخِيهِ ، قَالَ : وَمَاتَ الْأُمُّ ، قَالَ : جَزَعًا عَلَى وَلَدَيْهَا ، قَالَ : مَا أَطِيبَ طَعَامَكَ ! قَالَ : ذَلِكَ جَزَائِي عَلَى أَهْلِهِ ، قَالَ : أَفْ لَكَ مَا الْأَمَلُ ! قَالَ : مِنْ شَاءَ سَبِّ صَاحِبِهِ .

ونظير هذه الحكاية : مَا حُكِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا مَرَّ بِأَخْرَجَ ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا بَنَ عَمٍّ ؟ قَالَ : مِنَ الثَّنِيَّةِ ، قَالَ : فَهَلْ أَتَيْتَنَا مِنْهَا بِخَبْرٍ ؟ قَالَ : سَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ ، قَالَ : كَيْفَ عِلْمُكَ يَبْحِي ؟ قَالَ : أَحْسَنَ الْعِلْمِ ، قَالَ : هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِكُلِّي نَفَاعٍ ؟ قَالَ : حَارِصٌ الْحَيَّ : قَالَ : فَبَاتِمَ عَثَانٌ ؟ قَالَ : نَحْجُ نَحْجُ ! وَمَنْ مِثْلَ أُمِّ عَثَانٍ ! لَا تَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَّا مَنَحْرَفَةً بِالنِّيَابِ الْمُصْفَرَّاتِ ، قَالَ : فَبَعَثَانٌ ؟ قَالَ : وَأَيْبِكُ فَإِنَّهُ جَرَّوْا الْأَسَدَ وَيَلْبَسُ مَعَ الصَّبِيَّانِ وَيَبْدُوهُ الْكِسْرَةُ ، قَالَ : فَجَعَلْنَا السَّقَاءَ ؟ قَالَ : إِنْ سَنَامُهُ لَيَخْرُجُ مِنَ الْغَيْطِ ، قَالَ : فَبِالْدارِ ؟ قَالَ : وَأَيْبِكُ ، إِنَّهَا لَخَصِيْبَةُ الْجَنَابِ ، حَامِرَةُ الْفَنَاءِ ، ثُمَّ قَامَ عَنْهُ وَقَعَدَ نَاحِيَةً يَا كُلَّ فُلَا يَدْعُوهُ ، فَرَزَّ كَلْبٌ فَصَاحَ بِهِ وَقَالَ : يَا بَنَ عَمٍّ ، أَيْنَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ نَفَاعٍ ؟ قَالَ : يَا أَسْفَا عَلَى نَفَاعٍ ! مَاتَ ، قَالَ : وَمَا أَمَاتَهُ ؟ قَالَ : أَوْ كَلَّ مِنَ لَحْمِ الْجَمَلِ السَّقَاءَ ، فَخَصَّ بِعَظِيمٍ مِنْهُ فَتَاتَ ، قَالَ : إِنْ أَتَاهُ ، أَوْ قَدْ مَاتَ الْجَمَلُ ! فَمَا أَمَاتَهُ ؟ قَالَ : مَثَرُ بَقَرِ أُمِّ عَثَانٍ ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ ، قَالَ : وَيَلْمُكَ ! أَمَاتَتْ أُمُّ عَثَانٍ ؟ قَالَ : إِي وَآلِهِ ، أَمَاتَهَا الْأَسْفُ عَلَى عَثَانٍ ، قَالَ :

وَيْلَكَ ! أَمَاتَ عَثَانٌ ؟ قَالَ : إِي وَعَهْدُ اللَّهِ ! سَقَطَتِ الدَّارُ عَلَيْهِ ، فَرَمَى الْأَعْرَابِيَّ بِطَعَامِهِ وَثَرَهُ وَأَقْبَلَ يَنْتَفِلِحُ لِحَيْتِهِ وَيَقُولُ : إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ ! فَيَقُولُ الْآخَرُ : إِلَى النَّارِ . وَأَقْبَلَ يَنْتَقِطُ الطَّعَامُ وَيَا كُلَّهُ وَهَزَأَ بِهِ وَيَضْحَكُ ، وَيَقُولُ : لَا أَرْغِمُ اللَّهَ إِلَّا أَنْفَ الْإِنْسَانِ .

وَكَانَ أَحْيِيَّةُ بْنُ الْجَلَّاحِ مِنَ الْبُهْلَاءِ ، وَكَانَ إِذَا هَبَّتِ الْعُبَابُ طَلَعَ أَطْمَةً ، يَنْظُرُ إِلَى نَاحِيَةِ هُبُوبِهَا ثُمَّ يَقُولُ : هُبِّي هُبُوبُكَ ، فَقَدْ أَعْدَدْتُ لَكَ تَلْمِيزًا وَسِتِينَ صَاعًا مِنْ

(١) فِي الْأَمْوَالِ : « تَابِعْتَنِي » وَلَمْ يَرُدْ فِي كِتَابِ الْهَلَاكِ إِلَّا مَا أَتَيْنَاهُ .

تَجْوَةً، أدفع الى الوليد منها خمس تمرات ، فیرد علیّ منها ثلاثا ، أی لصلابتها بعد جهد ما یلوكُ منها .

والعرب تضرب المثل فی اللؤمِ بِمَادِرٍ، تقول : هو أَبْجَلُ من مَادِرٍ، ویزعمون أنه بنی حوضا وسقى إبله ، فلما أصدرها سَلَحَ فی الحوض ، لئلا یَسْقَى غیره فيه .

- وكان عُمَرُ بْنُ یَزِيدٍ الْأَسَدِيُّ مَبْخَلًا جَدًّا ، فأصابه الْقَوْلُجُ ففخته الطیب بِدُهن كثير، فَأَنخَلَ ما فی بطنه ، فلما أبرزه قال للغلام : ما تصنع به ؟ قال أَصْبُهُ ، قال : لا ، ولكن مِيزَ الدَّهْن منه وأستصبح به .

- وقال سلم بن أبی المعافى : كان أبی متنعياً عن المدينة ، وكان الى جنبه مزرعة فيها قَتَاءٌ ، وكنت صبياً بفاءنی صَبِيانَ أَقران لی ، فكَلَّمْتُ أبی لیهب لی درهما أشتري لهم به قَتَاءً ، فقال لی : أنصرف حال الدرهم ؟ كان فی حَجَرٍ فی جبل ، فَضْرِبْ بالمعاوِلِ ، حتى أَسْتَخْرِجَ ، ثم طعِن ثم ادْخِلِ الْقِدْرَ وَصَبَّ علیهِ المَاءَ ، وَجُمِعْ بِالزُّبْقِ ، ثم صَفِّ من رَقٍّ ، ثم ادْخِلِ النَّارَ فُسْـبِكْ ، ثم أَنْعِجْ فَضْرِبْ ، وَكُتِبْ فی أحدِ شِقَیهِ : لا إلهَ إلا الله ، وفی الآخر: محمد رسول الله ، ثم حُلْ الى أمير المؤمنين ، فأمر بإدخاله بیت ماله ، ووَكَّلَ به عُوْجُ الْقَلَانِسِ صُهَبَ السَّبَالِ ، ثم وهبه لجارية حسناء جميلة وأنت والله أقبح من قِرْدٍ ! أو رَزَقَهُ رجلاً ثَجَاعاً وأنت والله أجبن من صُرْدٍ ! فهل یبغی لك أن تَمْسَ الدرهم إلا بثوب ! •

ومثله قول سهل بن هارون ، وقد قال له رجل : هبني مالا مَرِزَةً طلیك فيه ، قال : وما ذاك ؟ قال : درهما واحداً ، قال : یأبنی أنخی لقد هَوَّنَتِ الدرهم ، وهو طابع

(١) كذا فی المحاسن والأضداد لمباحظ (ص ٨٧) وجمع الأمثال للبدانی (ج ١ ص ٩٧) وفی الأصول :

« الأم » .

الله في أرضه، والدرهم ويحك ! عشر العشرة، والعشرة عشر المائة، والمائة عشر الألف، والألف عشريّة المسلم، ألا ترى يابن أنى كيف انتهى الدرهم الذي هوته ؟ وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم ؟ .

وقال سليمان بن مزاحم وقد وقع بيده درهم، بفعل يقبله، ويقول : في شق، لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ وفي شق، قل هو الله أحد، ما ينبغي لهذا إلا أن يكون تعويذاً أو رقية، ويرى به في الصندوق .

كان بعضهم إذا صار الدرهم في يده يخاطبه ويقول : أبى وأمى أنت، كم من أرض قطعت، وكيس خرقت، وكم من حامل رفعت، ومن رفيع أحملت، لك عندي ألا تمرى ولا تضعى، ثم يلقيه في كيسه فيقول : أسكن على أسم الله في مكان لا تزول عنه، ولا تُزج منه .

ومن البخلاء "مُرَيْدٌ" وله حكاية نذكرها، قيل : كان بالمدينة جارية جميلة مَغْنِيَّةٌ، يقال لها : "بَصْبُصُ" وكانت الأشراف تجتمع عند مولاهما، فاجتمع يوماً عنده محمد بن عيسى الجعفرى وعبد الله بن مُصعب الزبيرى في جماعة من الأشراف، فتذاكروا أمر مزبد وبخله؛ فقالت الجارية : أنا أخذ لكم منه درهما، فقال لها مولاهما : أنت حرة إن فعلت إن لم أشترك مائة دينار وثوب وثى بمائة دينار، وأجعل لك مجلساً بالعقيق أنحر فيه بدنة، فقالت : جئ به ! وأرفع [عنى] الفيرة حتى أفعل، فقال : أنت حرة إن منعك منه، ولألوته عليك إن حصلت منه الدرهم، فقال عبد الله بن مُصعب : أنا آتيكم به، قال عبد الله : فصلت الصداة في المسجد، فإذا أنا به قد أقبل، فقلت : يا أبا إصحاق، أما تحب أن ترى

بصبص ؟ قال : بلى والله ، وأمرأته طالق إن لم تكن له سنة يشتهى أن يلقاها ، فقلت له : إذا صليت العصر ، فأتني هاهنا ، فقال : أمرأته طالق إن ربح من هاهنا إلى العصر قال : فانصرف في حوائجي ؛ فلما كان العصر جثت فوجدته فاخذت بيده وأيقظته به ، فأكل القوم وشربوا حتى صليت الغنمة ، ثم تساكروا وتناوموا ؛ فاقبلت بصبص على مزبذ ، فقالت له : يا أبا إسحاق ، كأن^(١) والله في نفسك تشتهى أن أغنيك الساعة :

لقد حثوا الجمال ليهشربوا منا فلم يثلوا

فقال لها : أمرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ ؛ ففتته إياه ، ثم قالت له : كأن^(٢) بك تشتهى أن أقوم من مجلسي فأجلس إلى جنبك فتدخل يدك في جبائي ؟ فقال : أمرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام ، وما تكسب^(٣) الأتس غدا ، قالت : قم ، فقام وجلس إلى جانبها وغنت له ، ثم قالت : أعلم أنك تشتهى أن أغنيك :

أنا أبصرت بالليل * غلاماً حسن الدل

كفصن البان قد أصب * مع مسقياً من الطل

فقال لها : أمرأته طالق إن لم تكوني نية مرسلة ، ففتته وقبلها ، ثم قالت : يا أبا إسحاق ، هل رأيت قط أنزل من هؤلاء ؟ يدعوئك ، ويخرجونني إليك ولا يسترون قهلاً ولا ريحاناً ، كأن^(٤) بك وفي جيبي درهم وأنت تقول : الساعة أنرجعه

(١٤)

(١) كذا في الأغاني : ج ١٣ ص ١١٧ . وفي الأصول : « كأن » .

(٢) رواية الأغاني : « كأن في حشك تشتهى أن أقوم من مجلسك فتجلس إلى جاني » .

(٣) كذا في الأغاني : وفي الأصول : « يدعوئك ويدعوك ... الخ » .

واعطيا لها ماء، وتشتري به ما تريد؛ فقام من جنبها وقال : أخطأت أَسْتُكَ الحُقْرَةَ،^(١)
وأقطع عنك الوحى ، ووثب وجلس ناحية ، فأنتبه القوم وعَطَمُوا عليها وعللوا^(٢)
أن حيلتها لم تَتِمَّ ، ونرجح من عندهم ولم يعد إليهم .

وقال بعضهم : بُتُّ عند رجل من اهل الكوفة من الموسرين وله صبيان نيام ،
فرايته في الليل يقوم فيقلبهم من جنب الى جنب ، فلما أصبحنا سأله عن ذلك ،
فقال : هؤلاء الصبيان يأكلون وينامون على اليسار ، فيمِرُّهم الطعام ، ويُصبحون
جياعا ، فانا أقلبهم من اليسار الى اليمين لئلا يَنْهَضَ ما أكلوه سريعا .

وكان زياد بن عبد الله الحارثي واليا على المدينة ، وكان فيه بُحْلٌ وجفاء ،
فأهدى اليه كاتب له سِلَالًا فيها أطعمة ، وقد تَنَوَّقَ فيها ، فوافته وقد تَغَدَّى فقال :
ما هذه ؟ قالوا : غداء بعته فلان الكاتب ، فغضب وقال : يبعث أحدهم الشيء
في غير وقته ، يا خَيْثَمُ بن مالك — يريد كاتبَ شُرطته — ادع لى أهل الصُّفَّةِ يا كَلُون
هذا ، فبعث خَيْثَمُ الحُرَمَ يدعونهم ، فقال الرسول الذى جاء بالسِّلَال : أصالح
الله الأمير ، لو أمرت بهذه السِّلَال تُفْتَحُ ويُنْظَرُ ما فيها ، قال : أكشفوها ، فإذا طعام
حسن من دَجَاجٍ وفراخٍ وجِذَاءٍ وسمكٍ وأَخِيصَةَ وحُلَّوَاءٍ ، فقال : أرضعوا هذه السِّلَال ؛
وجاء أهل الصُّفَّةِ فأخبر بهم ، فأمر بإحضارهم وقال : يا خَيْثَمُ ! أضرِبْهم عشرة
أسواط ، فإنه بلغنى أنهم يفسون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) هذا مثل يضرب لمن أراد شيئا فلم يله .

(٢) الطلعة : حكاية أصوات المجان اذا قالوا : عيط عيط .

(٣) وردت هذه الحكاية فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) والأغانى (ج ١٧ ص ١٠٢)

باختلاف فى العبارة مع اتفاق فى المعنى .

(٤) تنوَّق : فى الأمر نمجود وبالغ فيه كتنوَّق .

٥

١٠

٢٥

٢٠

ومن الخلفاء من يُنسب الى البخل، فنهى عبد الملك بن مروان كان يلقب برُئُح الحَجَر، ولبن الطير، لبخله .

ومنهى هشام ابنه، وكان ينظر في بيع الهدايا التي تُهدى اليه . حكي عنه أن أعرابياً أكل عنده فرفع اللقمة الى فيه، فقال له هشام: في لقمك شفرة يا أعرابي؟ فقال : وإنك تلاحظني ملاحظة من يرى الشفرة ، والله لا أكلتُ عندك أبداً ، ثم قام وأنصرف .

ومنهى أبو جعفر المنصور كان يلقب بأبى الدوانيق، لُقّب بذلك لأنه لما بنى مدينة بغداد كان يباشرها بنفسه ويحاسب الصناع ، فيقول لهذا : أنت نمتَ القائلة، ولهذا: لم تُبكر، ولهذا : أنصرفتَ قبل أن تُكملَ اليوم، فيسقط لهذا دافعا، ولهذا دافعين، فلا يكاد يعطى لأحد أجرة كاملة؛ وكان يقول : يزعمون أنى بخيل، وما أنا بخيل، ولكن رأيتُ الناس عبيدَ المال، فمنعتم عنه ، ليكونوا عبيداً لى . ويحكى عنه أنه قال لطباخه : لكم ثلاثة وعليكم آنتنان، لكم : الرعوس والأكارع والجلود، وعليكم : الحبوب والتوابل . ومن حكاياته الدالة على بخله : أن صاحبه الربيع بن يونس قال له يوما : يا أمير المؤمنين، إن الشعراء يباك وهم كثير، وقد طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم، فقال : اخرج إليهم وسلم عليهم، وقل : لهم من مدحتنا منكم فلا يصف الأسد فإنما هو كلب من الكلاب، ولا الحية فإنما هى دويبة متنتة تأكل التراب ، ولا الجبل فإنه حجر أصم، ولا البحر فإنه عطن بض لحب، فمن ليس فى شعره شئ من هذا فليدخل ، ومن كان فى شعره شئ منهُ فليَنصَرَف، فأبلغهم فأنصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هرمة فإنه قال : أنا له ياربيع، فأدخلنى عليه فأدخله، فلما مثل بين يديه، قال له : ياربيع قد علمت أنه لا يحبك غيره، فأنشده قصيدته التى منها :

له لحظات في حَقَاقِ سريره * إذا كَرَّمَا فيها عَقَابَ وِثَائِلٍ
قَامَ الَّذِي أَمِنْتَ آمِنَةً الردى * وأُمُّ الَّذِي خَوَّفَتْ بِالْثُكُلِ تَاكُلُ^(٢١)

فرفع له السَّتر وأقبل عليه وأصغى إليه ؛ فلما فرغ من إنشاده أمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال له : يا إبراهيم ، لا تلتقها طمعا في نيل مثلها منّا ، فما كلَّ وقت تصل إلينا ؛ فقال إبراهيم : ألقاك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة وعليها الجَهْدُ^(٢٢) .
ودخل المؤمل بن أميل على المهدي وكان بالرّى ، وهو إذ ذاك ولي عهد أبيه المنصور ، فامتدحه بأبيات يقول فيها :

هو المهديُّ إلا أن فيه * مَشَابَهَ صورة القمر المنير
تَشَابَهَ ذا وذا فهما إذا ما * أنا را يُشْكِلَانِ على البصير
فهذا في الضياء سراجٌ عدل * وهذا في الظلام سراجٌ نور
ولكن فضل الرحمنُ هنا * على ذا بالمنابر والسَّيرير
وبعض الشهر يخفى ذا وهذا * منير عند نقصان الشهر^(٢٣)

وجاء منها :

فإن سبق الكبيرُ فأهلُ سبقي * له فضلُ الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغيرُ مدى كبير * فقد خُلِقَ الصغير من الكبير

فأعطاه عشرين ألف درهم . فكتب بذلك صاحب البريد الى المنصور وهو ببغداد ، فكتب الى المهدي يلومه ويقول له : إنما كان ينبغي أن تعطى الشاعر إذا

(١) في ذيل الأمل ص ٤٠ طبع دار الكتب المصرية : « عن » .

(٢) رواية ذيل الأمل : « حاولت » .

(٣) الجهد : كاتب رسم استخراج المدد وقبضه .

(٤) في الأغاني (ج ١٩ ص ١٤٨) :

وبعض الشهر يقص ذا وهذا * منير ... الخ » وإن كان قد ورد فيه مجزأ

- أقام ببابك سنة أربعة آلاف درهم ؛ وأمره أن يوجهه إليه ؛ فطلب فلم يوجد ،
وتوجه الى بغداد فكتب الى المنصور بذلك ، فأمر بإرساله فمك ، وقيل له : أنت
بنيّة أمير المؤمنين وطلبته ؛ قال المؤمل : فكاد قلبي يخلع خوفاً وقرّاءاً ثم أخذ يدي
وأطلقني بي الى الربيع ، فدخلني على المنصور ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هذا المؤمل
• ابن أميل قد ظفّر به ؛ فسلمت عليه فردّ على السلام ، فسكن جاشي وأطمأن قلبي
وزال روعي ؛ ثم قال لي : آيت غلاماً غرضاً فغدّته فأغدّعه ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ،
إنما آيت ملكا جوادا كريما ، فدحت فحملته أريحيته على أن وصلني وبرزني ؛ فأعجبه
ذلك ، ثم قال : أنشدني ما قلت فيه ، فأنشدته ، فقال : والله لقد أحسنت ، لكن
ما يساوي عشرين ألفا ، ياربيع خذ المال منه ، وأعطه منه أربعة آلاف درهم .
فلما ولي المهدي الخلافة ، قدم عليه المؤمل فأخبره بما كان بينه وبين أبيه ، فضحك
١٠ وردّ عليه ما أخذ منه .

وحكى ابن حمدون في كتابه المترجم بالتذكرة : أن المنصور حجّ في بعض السنين
لخدا به سالم الحادي يوما بقول الشاعر :

ألجُ بين حاجيه نُورُهُ * إذا تَفدَّى رُفِعَتْ ستورُهُ
يَزِينُهُ حَيَاؤُهُ وخَيْرُهُ * وَمُسْكُهُ يَسُوبُهُ كَانُورُهُ

- ١٥ فطرب المنصور حتى ضرب برجله المحمل ، ثم قال : ياربيع ، أعطه نصف
درهم ؛ فقال سالم : لا غير يا أمير المؤمنين ! والله لقد حدثت بهشام بن عبد الملك
فأمر لي بثلاثين ألف درهم ؛ فقال المنصور : ما كان له أن يعطيك من بيت المال
ما ذكرت ، ياربيع وكلّ به من يستخرج منه هذا المال ؛ قال الربيع : فما زلت
أسفّر بينهما حتى شرط عليه أن يحدّو به في خروجه ورجوعه بغير مؤونة . وكان سالم
٢٠

هذا يُورد الإبل ثمان ولتسع وعشر، فيحدوها فيلُهبها حدوه عن ورود الماء .
ومن طريف ما حكي عنه : أن عبيد الله بن زياد الحارثي، كتب إليه رقعة بليغة
يستميحه فيها، فوقع عليها : إن الفنى والبلاغة اذا اجتماعا لرجل أبظراه ، وإن
أمير المؤمنين مشفق عليك، فاكتفِ بالبلاغة .

وقد ذمَّ الشعراء البخل وهجوا من آنصف به . فن ذلك، وهو أبلغ ما قاله محدث،
قول ابن الرومي :

[ما كنت أحسب أن الخيزفا كهة * حتى نزلت على أوفى بن منصور]
الحابس الزوث في أعفاج بقلته ^(٢) * خوفا على الحب من لقط المصافير
وقال المسكوي : أبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

يقتر عيسى على نفسه * وإس يساق ولا خالد
فلو يستطيع لتفتيره * تنفس من منحخر واحد
[عذرناه أيام إدامه * فاعذر ذى بخل واجد]
رضيت لتشتيت أمواله * يدي وارث ليس بالخامد

وقال أبو تمام :

صدق أليته إن قال مجتهدا * لا والرغيف فذاك البر من قسمة
وإن هممت به فافكك مجبته * فإن موقعها من لحمه ودمه
قد كان يسجني لو أن غيرته * على جرادقه كانت على حرمة

(١) الزيادة عن الحسن والأضداد لما حظ طبع لدين ص ٩٦ ، وقد نسب البيهقي لأحمد بن
ولم يوجد هذان البيتان في ديوان ابن الرومي .

(٢) الضج : ما يتقل اليه الطعام بعد المدة .

(٣) الزيادة عن ديوان ابن الرومي المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩ أدب .

(٤) كذا في القند الفريد . وفي الأصل : « لو كان » .

وقال دَعِيل :

اسْتَبَقِي وَدَّ ابْنُ الْمُقَا * تَلَّ حِينَ تَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِ
سَيَانُ كَسْرُ رَغِيفِهِ * أَوْ كَسْرُ عَظِيمٍ مِنْ عِظَامِهِ
وتراه من خوف التَّزِيدِ ، لَلَّ بِهِ يُرْوَعُ فِي مَنَامِهِ

وقال أبو هلال العسكري :

خُبْرُ الْأَمِيرِ عَشِيقُهُ : يَفْدُو عَلَيْهِ يُلَاعِبُهُ
وَإِذَا بَدَأَ الْجَلِيسَ * أَقْضَى إِلَيْهِ يُعَاتِبُهُ
وَتَحْوَطُهُ حِرَاسُهُ * وَتَذُبُّ عَنْهُ كَنَابَتُهُ
وَالزُّورُ يُصَفِّعُ عَنْده * وَالضَّيْفُ يُنْتَفِ شَارِبُهُ

وقال آخر :

فَتَى لِرَغِيفِهِ قُرْطٌ وَشَنْفٌ * وَإِكْلِيلَانِ مِنْ دُرٍّ وَشَدْرٍ
إِذَا كَسَرَ الرِّغِيفَ بَكَى طَيْبُهُ * بِكَاءِ الْخَنَسَاءِ إِذْ جُمِعَتْ بِصَخْرٍ
وَدُونَ رَغِيفِهِ قَلْعُ الثَّنَائَا * وَحَرْبٌ مِثْلُ وَقْعَةٍ يَوْمَ بَدْرٍ

وقال آخر :

إِنْ هَذَا الْفَتَى بِصَوْنٍ رَغِيفَا * مَا إِلَيْهِ لَا كَلِمٌ مِنْ سَبِيلِ
هُوَ فِي سَفَرَتَيْنِ مِنْ أَدَمِ الطَّا * نَفٍ فِي سَلَّتَيْنِ فِي زَنْبِيلِ
خُيِّمَتْ كُلُّ سَلَّةٍ بِرَصَائِصٍ * وَسُيُورٍ قُلْدَنَ مِنْ جَلْدِ فَيْلِ
فِي حِرَابٍ فِي جَوْفِ تَابُوتِ مُوسَى * وَالْمِفَاتِيحِ عِنْدَ مِيكَائِيلِ

وقال العسكري :

قُلْ خَيْرُ ابْنِ قَامٍ * فَنِصَاهُ كَمُدْمِهِ
كَأَدَمٍ مِنْ خَشْيَةِ الْقَرَى * يَجْتَنِي فِي حِرِّ أُمِّهِ

جازي اللؤم حده * كأيبه وعه
كاد يمدك لؤمه * لو تسميت باسمه

وقال أيضا :

لك برمة زهتها * من أن تُدسَّ بالسم
بيضاء يشرق نورها * كالبدن في غسق الظلم
لو كان عِرْضُك مثلها * كنت الممدح في الأثم
أو كان فعلك مثل قو * لك كنت تاريخ الكرم

وقال أيضا :

ضفت عمرا بفاني برغيف * زادني أكله على الجوع جوعاً
ثم ولَّى يقول وهو كئيب * لَمَف نفسي على رغيف أضيماً
كان خداعة الضيوف ولكن * ربما أصبح الخلوع خديماً
كنت أنزلته محلاً رفيماً * ففداك الرغيع وضيماً
عجبا منه إذ أيسح حماء * كيف لم يمتنع وكان منيماً

وقال آخر :

أرى ضيفك في الدار * وكرب الموت يقشاه^(١)
على خبرك مكتوب * « سيكر يكهم الله »

وقال بشار :

وضيف عمرو وعمرو ينهران معاً * عمرو لبطيته والضيف للجوع

وقال آخر :

نوالك دونه نحرط القناد * وخبرك كالثريا في العباد

(١) في المحاسن والأعناد : « الجوع » .

ولو أبصرت ضيفا في منام • لحزمت المنام الى التناد
أرى عمر الرغيف يطول جدا • لديك كأنه من قوم عاد
وما أهولك أنك كفه شعري • ولكني هويتك للكداد
وقال العسكري :

قد كان للال ربا • فصار بالخل عبده
وصحف الصيف ضيفا • فراح يطم خده
وقال أبو نؤاس في إسماعيل بن نوبخت، بعد أن نصب إسماعيل في محن داره
طارمة^(١)، وأصطحب فيها أربعين يوما ومعه جماعة، منهم أبو نؤاس، فبلغت نفقته
أربعين ألف درهم، ثم قال بعد ذلك :

خبر إسماعيل كالوث • بي إذا ما شق برقا
عجبا من أثر الصنعة • فيه كيف يخفى
إن رقامك هذا • أطف الأمة كفا
فلذا ألقى بالنص • ف من الجردق نصفا
أطف الصنعة حتى^(٢) • ما ترى مطعن إثنى
مثل ما جاء من التند • وور ما غادر حرقا
وله في الماء أيضا • عمل أبداع ظرقا
منزج العذب بماء ال • ينزكي يزداد ضعفا
فهو لا يشرب منه • مثل ما يسقيك صرقا

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة ، مغرب .

(٢) رواية العهد الفريد :

وقال فيه :

على خبز إسماعيل واقية البخل * فقد حلّ في دار الأمان من الأكل
وما خبزه إلا كعتاء مغرب * تصوّر في بسط الملوك وفي المثل
يحدث عنها الناس من غير رؤية * سوى صورة ما إن تُمر ولا تُحلي
وما خبزه إلا كأوى يرى أبنة * ولم ير أوى في الحزون وفي السهل
وما خبزه إلا كليب^(١) بن وائل * ليل يحيى عزّة منيت البقل
وإذ هو لا يستب خصمان عنده * ولا الصوت مرفوع يجذولا هزل
فإن خبز إسماعيل حلّ به الذي * أصاب كليالم يكن فاك عن ذل
ولكن قضاء ليس يُسطاع رده * بحيلة ذى مكّر ولا دعى ذى عقل

وقال ابن الرومي :

بجمل يصوم أضيافه * ويخلّ عنهم بأجر الصيام
بدس الغلام فيوليه^(٢) * هو أنا فهِشَمَ مولى الغلام
فهم مفطرون وهم صائمون * وما يطعمون وهم في أئام
فيحتال بخلا لأنّ يُفطروا * على رقيّ القول دون الطعام

١٥ (١) كليب بن وائل يضرب به المثل في العزّة فيقال « أعز من كليب بن وائل » وبلغ من عزّه أنه كان يحيى مواقع السحاب فلا ترى ، وإذا جلس لا يتر أحد بين يديه إجلالا له ، ولا يحيى أحد في مجلسه غيره ، ولا تورد إبل أحد مع إله ، ولا توقد نار مع ناره ، ولم يكن بكى ولا تطي يهجر رجلا أو يهرا أويحيى أحدا إلا بأمره ، وكان هو يهجر على الدهر فلا تخفّز منه . وجاءه كل هذا السلطان بعد أن قاد القبائل الزنارية لمحاربة القبائل اليمنية في عدّة مواقع كان التصرف فيها آخر الأمر حليفه ، فاجتمعت عليه عدّة كلها بالاحياء والطاعة .

(٢) في ديوان ابن الرومي : « جفا » .

وقال أحمد بن كُشَايِم :

- صديقٌ لنا من أبرع الناس في البخل • وأفضلهم فيه وليس بذى فضل
دعاني كما يدعو الصديقُ صديقه • بخت كما يأتي إلى مثله مثلي
فلما جلسنا للطعام رأيتُه • يرى أنه من بعض أعضائه أكل
ويتناظ أحيانا ويُسَمُّ عبده • وأعلم أن النبط والشم من أجل
فاقبلت استل الغداء مخافةً • والحظ عينه رقيبٌ على فصل
أمد يدي سِرًّا لأَسْرِقُ لُقْمَةً • فيلحظني شَرًّا فاعبثُ بالبقيل
إلى أن جئت كَفَى لحنى جنابةً • وذلك أن الجوع أعدنى عقي
بغزت يدي فحين رجل دجاجة • بقرت كما بقرت يدي رجلها رجل
وقدَّمَ من بعد الطعام حلاوةً • فلم أستطع فيها أمرٌ ولا أحلي
وقمت لو أتى كنت يث نيةً • رَمَحْتُ ثواب الصوم مع عدم الأكل
- وقال آخر :

ترام خشية الأضياف خُرسًا • يُقيمون الصلاة بلا أذان



- احتجاج البخلاء وتحسينهم للبخل على قبحه
- ١٥ قالت الحكماء : لكن عنايتك بحفظ ما آكتسبته كعنايتك باكتسابه .
- وقال أبو الأسود الدؤلي لبنيه : لا تجاودوا الله فإنه أكرم وأجود ، ولو شاء أن
يُنْفِي الناس كلهم لفعل ، ولكنه علم أن قوما لا يُصلحهم ولا يصلح لهم إلا الفقر ،
وقوما لا يُصلحهم ولا يصلح لهم إلا الثنى .

وقال رجل من قَلْب : أتيت رجلا من كُندة أسالهُ ، فقال : يا أخا بني قَلْب ،
إني لن أصْلَكَ حتَّى أحرَمَ من هو أقرب إلى منك ، [وإني^(١) والله لو مكنتُ من
دارى لتفضوها طوبة طوبة] ، وإنه لم يبقَ من مالى وعِرْضى وأهل إلا ما منعته
من الناس .

• وقيل : إن لقمانَ الحكيمَ قال لأبْنه : يا بُنى ، أوصيك بأثنين لن تزال بخير
ما تمسكتَ بهما : دِرْهَمَكَ لماعشك ، ودينك لمعادك .

وقال أبو الأسود : إمساكُك ما تبدل ، خير من طلبك ما يبذل غيرك ، وأنشد :
يلومونى فى البخل جهلاً وضلَّةً * وللبخل خيرٌ من سؤال بخيل
ونظيره قول المتاميس :

وَحَسْبُ الْمَالِ آتَسْرُ مِنْ بِنَاءٍ * وَضَرْبُ فِى الْبِلَادِ بَغِيرِزَادِ
وَإِصْلَاحُ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ * وَلَا يَتَّقِ الْكَثِيرُ عَمَّ الْفَسَادِ

وقال الجاحظ^(٢) : قلت للحرابي : يا بخيل ! قال : لا أعدمى الله هذا الاسم ، لأنه
لا يقال لى بخيل إلا وأنا ذومال ، فَسَلَّمْ لى المالَ وسَمِّىْ بآى أسم شئت ؛ قلت :
ولا يقال لك سحى ، إلا وأنت ذومال ، فقد جمع الله لهذا الاسم المال والحمد ،
وجمع لذلك المال والذم ؛ فقال : بينهما فرق عجيب ، وبون بعيد ، إن فى قولهم :
بخيل سببا لمكت المال فى ملكى ، وفى قولهم سحى سببا لخروجه عن ملكى ، وأسم

(١) زيادة عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٣٣

(٢) رواية العقد الفريد : إمساكك ما بيدك خير من طلبك ما بيد غيرك .

(٣) فى الأصل : «بناء» والبناء (بالضم والمد) : السعى والطلب .

(٤) ورد هذا الخبر فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٣) والبخلاء الجاحظ ص ٦٥ طبع ليدن ببغداد

البخل فيه حزم وذم، وأسم السخاء فيه تضييع وحمد؛ وما أقل غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه، وعيرى ظهره، وضاع عياله، وثبت به عدوه ! .

وقال محمد بن الجهم : من شأن من استغنى عنك ألا يقيم عليك، ومن أحاج إليك ألا يزول من عندك . ومن جُبَّكَ لصديقك وصَنَّتْ بمودته ألا تبدَّلْ له ما يُغْنِيه عنك، وأن تتلطف له فيما يُجِوِّهه إليك . وقد قيل في مثل هذا : « أجمع كَلْبِكَ يَتَبَعُكَ، وَتَمَنَّهُ بِأُكُلِكَ » . فمن أَغْنَى صديقه فقد أَطاعه على التَّغَدُّر، وقطع أسباب الشكر . والمعين على التَّغَدُّر شريك للغادر، كما أن المزيِّن للفجور شريك للفاجر .

وقال أبو حنيفة : لا خير فيمن لا يصبون ماله ليصون به عِرْضَه، ويَصِلَ به رحمه، ويستغنى به عن لئام الناس . قال عبد الله بن المعتز :

أَعَاذِلْ لَيْسَ الْبَخْلُ مَنِّي صِحَّةً * وَلَكِنْ وَجَدْتُ الْفَقْرَ شَرَّ سَبِيلِ
لَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ مِنَ الْبَخْلِ لِلْفَتَى * وَلِلْبَخْلِ خَيْرٌ مِنْ سَوَالِ بَخِيلِ

وكان داود بن علي يقول : لَأَنْ يَرْكَ الرَّجُلُ مَالَهُ لِأَعْدَائِهِ خَيْرٌ مِنَ الْحَاجَةِ فِي حَيَاتِهِ لِأَوْلِيَائِهِ . قال الشاعر :

مَالٌ يُحْفَظُهُ الْفَتَى * لِلشَّامِتِينَ مِنَ الْعِدَا
خَيْرٌ لَهُ مِنْ قَصْدِهِ * إِخْوَانُهُ مَسْتَرَفِدَا

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : لَأَنْ أُخْلَفَ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ أَحْسَبُ عَلَيْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْتَاجَ إِلَى النَّاسِ . وقال : كَانَ الْمَالُ فِيمَا مَضَى يَكُونُ، وَأَمَّا الْيَوْمُ فَهُوَ يَزِينُ الْمُؤْمِنَ . وجاءه رجل فقال له : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، تُنْسِكُ هَذِهِ الدَّنَائِرَ ! فَقَالَ : أَسَكَتَ، فَلَوْلَاهَا لَتَمَنَّدْتُنَا هَؤُلَاءِ الْمُلُوكُ، وَلَكِنْ مِنْ كَانَ فِي يَدِهِ مِنْهَا شَيْءٌ فَلْيَصْلَحْهُ، فَإِنَّهُ زَمَانٌ مِمَّنْ أَحْتَاجُ فِيهِ كَانَ أَوَّلَ مَا يَسْئَلُ دِينَهُ .

وقال المنصور لمحمد بن مروان التيمي : إنك لسيد لولا جهودك ؛ فقال :
يا أمير المؤمنين ، إني لأجد في الحق ، ولا أذوب في الباطل .

وكان محمد بن الجهم يقول : من وهب من عمله فهو أحق ، ومن وهب بعد
المزول فهو مجنون ، ومن وهب من جوائز ملوكه أو ميراثه فهو غنول ، ومن
وهب من كسبه وما استفاده بحيلة فهو المطبوع على قلبه ، الماخوذ ببصره وسمعه .

وسأل رجل زياد بن أبيه فأعطاه درهما ؛ فقال : صاحب المراقين أسأله
فيعطيني درهما ! فقال له زياد : من بيده خزائن السموات والأرض ربما رزق أخص
عباده عنده وأكرمهم لديه التمرة واللقمة ، وما يكبر عندي أن أصل رجلا بمائة ألف
درهم ، ولا يصغر أن أعطي سائلا رغيفا ، أن كان رب العالمين فعل ذلك .
قال الشاعر :

يأربُّ جودَ جرٍّ فقرَّ أمرى * فقام للناس مقامَ الذليل
فأشدُّ عِرا مالِكٌ وأسْتَبِقِه * فالْبخلُ خيرُ من سؤالِ البخيل

وقال الشريف بن المبارك :

لأصونَ درهمي * فهو لا شكَّ صانئ
لم يُعني أبْنُ والدي * وصححي أعطاني

وقال أيضا :

فه دَرِّ دراهمي * ففهي التي أعلت مكاني
لولا الفنى عن صاحبي * لأحطني دارَ الموان

وقال آخر :

صكن بما أوتيته مُتَبَطِّا * تَسْتَدِيمُ عَيْشَ الْقَنُوعِ الْمُكْنِي

إِنَّ نَبِيلَ الْمُنَى وَشَكَ الرَّدَى * وَاجْتَنَابُ الْقَصْدَيْنِ السَّرِفِ

كَيْسِرَاجِ تُهْنُهُ قُوْتُ لَهُ * فَإِذَا غَرَّقَتْهُ فِيهِ طَفَى

ومن ذلك رسالة كتبها سهل بن هارون، وقد عيب عليه أمور من البخل، فأعترض عنها وأحتج فقال :

- ٥ أصلح الله أمركم، وجمع شملكم، وعلمكم الخير، وجعلكم من أهله . قال الأحنف ابن قيس : يا بني تميم ، لا تُسرِعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى القتال أقلهم حياة من الفِرَار . وكانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب جمّة فتأمل عيَاباً ، فإنه يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب . وفيح أن تنهى مرشدا أو تُقرى بمُخْفِي . وما أريد بما قلت إلا هدايتكم وتقويمكم وإصلاح فسادكم، وإبقاء النعمة عليكم . ولئن أخطأ سبيل إرشادكم فما أخطأ سبيل
- ١٠ حسن النية فيما بيننا وبينكم . ثم قد تعلمون أننا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لأنفسنا قبلكم، وشهرنا به في الآفاق دونكم ؛ ثم قول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِسْلَامَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ ﴾ . فما كان أحقكم في كريم حرمتنا بكم أن ترعوا حق قصدا بذلك اليكم على مارعيناه من واجب حقكم ؛ فلا العذر المبسوط
- ١٥ بلفظ ، ولا بواجب الحرمة فتم . ولو كان ذكر العيوب براً ونفرا لرأينا في أنفسنا عن ذلك شغلا .

عُثْمُونِي بقولي لخادمي : أجيدي العجين فيكون أطيب لطعمه ، وأزيد

في ريعه ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "أملكوا العجين فانه أحد الرّبعين"^(٢) .

- (١) وردت هذه الرسالة في القصد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٥) والبعلاء لملاحظ (ص ١٠ طبع ليدن) وفي روايتهما بعض اختلافات يسيرة عن رواية الأصل .
- (٢) أملكوا : أجيّدوا محبة حتى يأخذ بعضه بعضا .

وعبتموني حين خمت على سَلِّ عظيم ^(١) ، وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة ،
ومن رطبة غريبة ، على عبدِهم ، وصبي جشع ، وأمة لكهاء ، وزوجة مُضيعة ؛
وليس بين أهل الأدب ، ولا في ترتيب الحكم ، ولا في عادات القادة ، ولا في تدبير
السادة ، أن يستوى في نفيس المأكول ، وغريب المشروب ، وثمان الملبوس ، وخطير
الركوب ، التابع والمتبوع ، والسيد والمسود ؛ كما لا تستوى مواضعهم في المجالس ،
ومواقع أسمائهم في العنوانات . ومن شاء أطعم كلبه الدجاجة السمينة ، وعَلَفَ حماره
السَّمِيمَ المَقْشَر !

٨٨

وعبتموني بالخم ، وقد ختم بعض الأئمة على مُدَّ مَبِيق ، وختم على كيس
فارغ ، وقال : طينة خير من طينة ، فامسكتم عن ختم على لا شيء ، وعبتم على من
ختم على شيء !

وعبتموني أن قلت للغلام : اذا زدت في المرق فرد في الإنضاج ، ليجمع مع
التأثم بالحم طيب المرق ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " اذا طَبَخَ أحدكم لحما
فليزد من الماء فن لم يُصب لحما أصاب مرقاً " .

وعبتموني بخَصَف النعل ، وبتصدير القميص ^(٢) ، وحين زعمت أن المخصوفة من
النعل أبقى وأقوى وأشبه بالنسك ، وأن الترقيع من الحزم ، والتفريط من التضييع ،
والاجتماع مع الحفظ ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يَخَصِفُ نعله ، وَيَرْقُعُ
ثوبه ، وَيَطْلَعُ أصابعه ، ويقول : " لو أُهْدِيَ إلى كُرَاعٍ لقبلت ولو دُعيت إلى ذراع ^(٣)
لأجبت " . وقال صلى الله عليه وسلم : " من لم يَسْتَجِ من الحلال خَفَّتْ مؤنته وقَلَّ

(١) السَل : الجوة وهي سلية مشاة بالأدم وتكون عند الطارين .

(٢) تصدير القميص : أن يجعل لصدرة بطاقة .

(٣) رواية الجامع الصغير : " لو أُهْدِيَ إلى كُرَاعٍ لقبلت ولو دُعيت عليه لأجبت " .

- كِبْرُهُ». وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يَلْبِسِ الخَلْقَ . وبعث زياد رجلا يرتاد له مُحَدَّثًا ، واشترط عليه أن يكون عاقلا ، فأتاه به موافقا ؛ فقال له : أكنتَ به ذا معرفة ؟ قال : لا ، ولكنِّي رأيته في يوم قائظ ، يلبس خَلْقًا ، ويلبس الناسُ جديدا ، فتفرست في العقل والأدب ، وقد علمت أن الخَلْقَ في موضعه مثل الجديد في موضعه . وقد جعل الله لكل شيء قَدْرًا ، وسمي له موضعا ؛ كما جعل لكل زمان حالًا ، ولكل مقام مقالا . وقد أحيا الله بالسَّم ، وأمات بالنِّدَاء ، وأغص بالماء ، وقتل بالدواء . وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكاسِبِينَ ، كما زعموا أن قَلَّةُ العيال أحد اليسارين . وقد جبر الأحنف بن قيس يد عتر ، وأمر مالك بن أنس بفرك البعر . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة ؛ وليس سالم بن عبد الله جلد أُنْحِيه . وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدى لك دجاجة ، قال : إن كان لا بدَّ ، فاجعلها بيوضًا .

- وعبتموني حين قلت : من لم يعرف مواضع السَّرَفِ في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في المتنع الغالى . وقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية ، وأشف من الكفاية ، فلما صرت الى تفريق أجزائه على الأعضاء ، والى التوفير عليها من وظيفة الماء ، وجدت في الأعضاء فضلا عن الماء ، فعلمت أن لو كنت سلكت (١) الاقتصاد في أوائله لخرج آخره على كفاية أوله ، ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر ؛ فعبتموني بذلك وشنتموه علي ؛ وقد قال الحسن — وذكر السرف — : أما إنه ليكون في الماء والكلاء ؛ فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه بالكلاء .

(١) أشف : أقل .

(٢) كذا في المقد القديم . وفي الأصل والبغلاء : « مكنت » .

وعبثوني أن قلت : لا يَدَنَّ أحد بطول عمره ، وتحويس ظهره ، ورقة عظمه ،
 ووهن قوته ، وأن يرى دخله أكثر من رزقه ، فيدعوه ذلك الى إخراج ماله من يده ،
 وتحويله الى ملك غيره ، أو تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ؛ فلهذا
 أن يكون معمرًا وهو لا يدري ، ومعدودًا له في السن وهو لا يشمر ؛ ولعله أن يرزق
 الولد على اليأس ، وتحدث عليه آفات الكبر ما لا يخطر على باله ولا يدركه عقله ،
 فيستدّه من لا يرده ، ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه ، أضعف ما كان عن الطلب ،
 وأفجع ما كان له أن يطلب ، فعبثوني بذلك ؛ وقال عمرو بن العاص : « اِعْمَلْ
 لدنياك عمل من يعيش أبداً ، واعْمَلْ لآخرتك عمل من يموت غدا » .

وعبثوني بأن قلت : إن التلف والتبذير الى مال الموارث ، وأموال الملوك
 [أسرع^(١)] . وإن الحفظ الى المال المكتسب ، والفني المحتلب ، والى ما يمرض فيه
 لذهاب الدين^(٢) ، واحتضام العرض ، ونصب البدن ، واهتمام القلب ، أسرع . ومن لم
 يحسب نفقته لم يحسب دخله ؛ ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع المال . ومن
 لم يعرف الغنى قدره فقد أذن بالفقر ، وطاب نفسا بالذل .

وعبثوني بأن زعمت أن كسب الحلال ، مُضْمَنٌ بالإفلاق^(٣) في الحلال ، وأن
 الخبيث يترع الى الخبيث ، وأن الطيب يدعو الى الطيب ، وأن الإفلاق في الهوى
 حجاب دون الحقوق ، وأن الإفلاق في الحقوق حجاب دون الهوى ؛ فعبثوني على هذا

(١) التكلفة عن البخل . لملاحظ ، وأصل الجملة فيه : « عبثوني حين زعمت أن التبذير الى مال القهار
 ومال الميراث والى مال الالتقاط وسبب الملوك ، أسرع » .

(٢) كذا في كتاب البخل . وفي الأصل : « بذهاب » .

(٣) في العقد الفريد : « يضمن الإفلاق » .

القول، وقد قال معاوية بن أبي سفيان : لم أر تبذيرا قط إلا والى جنبه حق مُضِيعٌ ؛
وقال الحسن : إذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا في أى شيء
ينفقه ، فإن الخبيث إنما يُنْفَقُ في السرف . وقلت لكم بالشفقة عليكم ، وحسن
النظر مني إليكم ، وأنتم في دار الآفات ، والجوائح غير مأمونات ، فإن أحاطت بمال
أحدكم آفة لم يرجع إلى بقية^(١) ، فاحذروا النقم باختلاف الأمكنة ، فإن البلية
لا تجرى في الجميع ؛ وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في العبد ،
والأمة ، والشاة ، والبعير : فزقوا بين المنايا ، واجعلوا الرأس رأسين . وقال ابن
سيرين [لبعض البحرين] : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قالوا : نفرقها في السفن ،
فإن عطب بعض سلم بعض ؛ ولولا أن السلامة أكثر ، ما حملنا أموالنا في البحر ؛
فقال ابن سيرين : « تَحْسَبُهَا خَرْقَاءَ وَهِيَ صَنَاعٌ » .

١٠

وعبتموني بأن قلت لكم عند إشتافي عليكم : إن لاغنى لسركا ، ولئال لتزوة ،
من لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد
أهمله ، فعبتموني بذلك ؛ وقد قال زيد بن جَبَلَة : ليس أحد أفصر عقلا من غني
أمن الفقر . وسكر الغنى أشد من سكر الخمر . وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد
ابن برمك :

١٥

وَهُوَ بِلَادِ الْمَالِ فَيَا يَسُوبُهُ * مَنُوعٌ إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْرَمًا
وعبتموني حين زعمتم أنني أقدم المال على العلم ، لأن المال به يُفَادِ العلم ،
وبه تقوم النفس قبل أن يُعرف فضل العلم ، فهو أصل ، والأصل أحق بالفضل
من الفرع ، فقلتم : كيف هذا وقد قيل لبعض الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟

٢٠

(١) كذا في الجلاء . وفي الأصول : « نقة » . وفي العقد الفريد : « إلا إلى ضمه » .

(٢) زيادة من كتاب الجلاء .

فَقُلْ : العلماء ؛ قيل له : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى
الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال ، وجهل الأغنياء
بحق العلم ؟ فقلت : حالهما هي القاضية بينهما ، وكيف يستوى شيء حاجة العامة
إليه ، وشيء يغني فيه بعضهم عن بعض ! وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء
بالتَّخَذِ الْعَمَ ، والفقراء بالتَّخَذِ الدَّجَاج . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : إني
لأُبْنِضُ أَهْلَ الْبَيْتِ يَنْفَقُونَ نَفَقَةَ الْأَيَّامِ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ . وكان أبو الأسود الدؤلي
يقول لولده : إِذَا بَسَطَ اللَّهُ لَكَ الرِّزْقَ وَأَبْسَطَ ، وَإِذَا قَبِضَ فَاقْبِضْ .

وَعَبَّئُونِي حِينَ قُلْتَ : إِنْ فَضَلَ الْغَنَى عَنِ الْقُوَّةِ أَمَّا هُوَ كَفَضَلَ الْآلَةَ تَكُونُ
فِي الْبَيْتِ إِنْ أَحْتِيجَ إِلَيْهَا اسْتُعْمِلَتْ ، وَإِنْ اسْتُغْنِيَ عَنْهَا كَانَتْ عُدَّةً ، وَقَدْ قَالَ الْحُصَيْنُ
ابْنُ الْمُنْذَرِ : وَدِدْتُ أَنْ لِي مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا لَا أَنْتَفِعَ مِنْهُ شَيْءٌ ؛ قِيلَ لَهُ : فَكَأَنْتَ
تَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ : لِكُرَّةٍ مَنْ كَانَ يَخْتِمُنِي عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الْمَالَ مَخْدُومٌ . وَقَالَ بَعْضُ
الْحِكَمَاءِ : عَلَيْكَ بِطَلَبِ الْغَنَى . فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ عَزَّ فِي قَلْبِكَ ، وَذُلٌّ فِي قَلْبِ
عَدُوِّكَ ، لَكَانَ الْحِظُّ فِيهِ جَسِيًّا ، وَالْفِعْ عَظِيمًا . وَاسْتَأْنَدَ سِيرَةَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَتَأَدَّبَ
الْخُلَفَاءَ ، وَتَعَلَّمَ الْحِكْمَاءَ ، لَا مَحْجَابَ الْهَوَى ، فَلَسْتُمْ عَلَى تَرْدُون ، وَلَا رَأْيَ تُغْنُون ؛
فَقَدِّمُوا النَّظَرَ قَبْلَ الْعِزِّ ، وَأَدْرِكُوا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْرِكُوا مَا لَكُمْ . وَالسَّلَامُ .



وَمِنْ نَوَادِرِ الْبَخْلَاءِ : قَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الْبَخْلَاءِ : لَمْ لَا تَدْعُونِي إِلَى طَعَامِكُمْ ؟
قَالَ : لِأَنَّكَ جَبَدٌ الْمَضْغِ مَرِجُ الْبَلْعِ ، إِذَا أَكَلْتَ لُقْمَةً هَيَّأَتْ أُخْرَى ؛ قَالَ : يَا أُنْحَى
أَتُرِيدُ إِذَا أَكَلْتُ عِنْدَكَ أَنْ أَصِلَّ رَكْعَتَيْنِ بَيْنَ كُلِّ لُقْمَتَيْنِ ! .

وقال آخرُ لبخيل : لِمَ لَا تدعوني الى طعامك ؟ قال : لَأَمَّا تُلَقِّقُ ، وتُسْتَقِّقُ ، وتُحْتَقِّقُ . أى تحمل واحدة فى يدك ، وأخرى فى شِدْقِكَ ، وتُنظر الى الأخرى بعينك .

وقال بعض البخلاء : أَنَا لَا أَكُلُ إِلَّا نَصْفَ اللَّيْلِ ؛ قِيلَ لَهُ : وَلِمَ ؟ قَالَ يَبْرُدُ الْمَاءُ ، وَيَنْقِمِعُ الذُّبَابُ ، وَأَمِنُ بَغَاةَ الدَّخَالِ ، وَصَرَخَةَ السَّائِلِ .

وطيخ بعض البخلاء قِدْرًا وجلس يأكل مع زوجته ، فقال : مَا أَطْيَبَ هَذَا الطَّعَامُ ، لَوْلَا كَثْرَةُ الزَّحَامِ ! فقالت : وَأَيُّ زَحَامٍ ، وَمَا تَمَّ إِلَّا أَنَا وَأَنْتَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَنَا وَالْقِدْرُ .

وقال بعض البخلاء لِفَلَامِهِ : هَاتِ الطَّعَامَ ، وَأَغْلِقِ الْبَابَ ؛ فقال : يَا مَوْلَايَ ، لَيْسَ هَذَا بِحَزْمٍ ، وَأَمَّا أَغْلِقُ الْبَابَ ، وَأَقْدِمُ الطَّعَامَ ؛ فقال لَهُ : أَنْتَ حُرُّ لَوْجِهِ اللَّهُ . وعزم بعضُ إِخْوَانِ أَشْعَبَ عَلَيْهِ لِيَا كُلَّ عِنْدِهِ ؛ فقال : إِنِّي أَخَافُ مِنْ تَقِيلَ يَأْكُلُ مَعَنَا فَيَنْفُصَ لِنَتْنَا ، فقال : لَيْسَ عِنْدِي إِلَّا مَا تُحِبُّ ، فَنَضِي مَعَهُ ؛ فَبَيْنَمَا هُمَا يَأْكُلَانِ إِذَا بِالْبَابِ قَدْ طُرِقَ ؛ فقال أَشْعَبُ : مَا أَرَانَا إِلَّا صِرْنَا لِمَا نَكْرَهُ ؛ فقال صَاحِبُ الْمَتَرَلِ : إِنَّهُ صَدِيقٌ لِي ، وَفِيهِ عَشْرُ خَصَالٍ ، إِنْ كَرِهَتْ مِنْهَا وَاحِدَةً لَمْ أَذَنْ لَهُ ؛ فقال أَشْعَبُ : هَاتِ ، قَالَ : أَوَلَمْآ ، أَنَّهُ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ ، فقال : التَّسْعُ لَكَ وَدَعَهُ يَدْخُلُ ، فَقَدْ أَمِنَّا مِنْهُ مَا نَخَافُهُ .

ذكر ما قيل فى التطفيل

ويتصل به أخبار الأكلة والمؤاكلة

والتطفيل من اللُّؤْمِ ، وهو التعرض الى الطعام من غير أن يدعى اليه . وسند ذكر

تله هذا الفصل آداب الأكل ، والمؤاكلة ، والاقتصاد فى المطامع ، والعفة عنها ،

وما يجرى هذا المعجزة، وإن كان خارجا عنه، وإنما الشيء يذكر بالشيء. والعرب تقول للطفلي: الوارش، والراش. قيل: هو مشتق من الطفّل وهو الظلمة، لأن الفقير من العرب كان يحضر الطعام الذي لم يدع إليه مستترا بالظلمة لئلا يعرف. وقيل: سُمي بذلك لإظلام أمره على الناس، لا يدري من دعاه. وقيل: بل من الطفّل لهجومه على الناس كهجوم الليل على النهار، فيكون من الظلمة؛ ولذلك قيل: أطفل من «ليل على نهار». وأول من سمي بهذا الاسم: طفيل العرائس، واليه ينسب الطفيلون. وكان يقول لأصحابه: إذا دخل أحدكم عرسا فلا يلتفت خلف المريب، ويتغير المجالس، وإن كان العرس كثير الزحام فليمض ولا ينظر في عيون الناس، ليظن أهل المرأة أنه من أهل الرجل، ويظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة؛ وإن كان البواب غليظا فاحشا، فليبدأ به، ويأمره وينهاه من غير أن يُعَفَّ عليه، ولكن بين النصيحة والإدلال.

وأشهر من نُسب إليه هذا الاسم وكثرت عنه الحكايات، بُنَان الطفيلي، وهو عبد الله بن عثمان، ويكنى أبا الحسن، ولقبه بُنَان، وأصله مروزي وأقام ببغداد، وكان نقش خاتمه «مَالَكُمْ لَا تَأْكُلُونَ». حكى أن رجلا سألَه أن يدعو له، فقال: اللهم ارزقه صحة الجسم وكثرة الأكل، ودوام الشهوة، وقواء المعدة؛ وأمتعته يضرس طحون، ومعدة هضوم؛ مع السعة والدعة، والأمن والعافية. وقال يوصي بعض أصحابه: إذا قعدت على مائدة وكان موضعك ضيقا فقل للذي يليك: لعل ضيقك عليك فإنه يتأخر إلى خلف، ويقول: موضعي واسع، فيتسع عليك موضع رجل. وقال له طفيلي: أوصني، فقال: لا تصادق من الطعام شيئا قترع يدك عنه وتقول: لعل أصادف ما هو أطيب منه، فإن هذا عجز وهن؛ قال: زدني، قال: إذا وجدت خبزا فيه قلة فكل الحروف، فإن كان كثيرا فكل الأوساط؛ قال: زدني، قال:

لا تتكثر شرب الماء وأنت تأكل، فإنه يصدك عن الأكل، ويمنعك من أن تستوفى؛ قال : زدنى، قال: اذا وجدت الطعام فكل منه أكل من لم يره قط، وتزود منه زاد من لا يراه أبداً؛ قال : زدنى، قال: اذا وجدت الطعام فاجعله زادك الى الله تعالى، وقال : إذا دعاك صديق لك فاقعد بمنّة البيت، فإنك ترى ما تحب، وتسودهم في كل شيء، وتسبقهم الى كل خير، وأنت أول من يغسل يده والمُنْدِيل جاف، والماء واسع، وانحوان بين يديك يوضع، والنبيذ أول القنينة ورأسها تشربه، والنقل متخب يوضع بين يديك، وتكون أول من يتبخّر؛ فإذا أردت أن تقوم لحاجة لم تمنح أن تخطاهم، وأنت في كل سرور الى أن تتصرف . قال البديع الحمذاني في طفليّين يشبههم بُنّان :

١٠ خلّفم بُنّانا فكم من أديب * من الفَيْظ عَصَّ عليكم بُنّانا
إذا ما النهار بدا ضوؤه * غدوئهم نِخاصا ورُحْمُهم عِطانا

ومنها : عثمان بن دزاج، قيل له : كيف كنت تصنع إذا لم يدخلك أهل العرس؟ قال : أنوح على الباب، فيتطيرون فيدخلوني . وحكى أبو العرج الأصفهاني : أن عثمان هذا كان يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطابي أحد ولد زيد بن الخطاب، فقال له : ويحك ! إني أبخل بأدبك وعلمك، وأضن بك عما أنت فيه من التطفيل ١٥ ولى وظيفة راتبه في كل يوم، فالزمني وكن مدعوا، أصالح لك مما تعمل، فقال : يرحمك الله، فأين لذة الحديد، وطيب التنقل كل يوم الى مكان^(١) ! وأين نيلك^(٢) ووظيفتك من احتفال العرس ! وأين ألوانك من ألوان الوليمة ! قال : فأتانا إذ أبيت ذاك فإذا ضاقت عليك المذاهب فأنتي؛ قال : أما هذا فنعم . قال وقال له رجل :

٢٠ ما هذه الصُفرة التي في لونك ؟ قال : من الفترة التي بين القُصَمَتين ، ومن خوف

(١) كذا في الأغاني (ح ١٥ ص ٣٧ طبع بولاق) . وفي الأصل : « حويناك » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « فاذا نبت » .

في كل يوم من فناد الطعام قبل أن أشبع . وقيل له مرة : هل تعرف بستان فلان؟ فقال : إى والله ، وإنه للجنة الحاضرة في الدنيا ؛ قيل له : فلم لا تدخل إليه فتأكل من ثماره ، وتقبل تحت أشجاره ، وتسبح في أنهاره ؟ قال : لأن فيه كلبا لا يتخضمض إلا بدماء عراقيب الرجال . وعثمان هذا الذى يقول :

لَنَّةَ التَّطْفِيلِ دُومَى • وَأَقِيمِ لَا تَرِي
أَنْتَ تَشْفِينِ غَلِيلِ • وَتَسْلِينِ هُمُومَى

ولم أخبر وحكايات ، منها : ما نقل عن نصر بن علي الجهمضى أنه قال : كان لى جار طفيل إذا دعيت الى مدعاة ركب معى وجلس حيث أجلس ، فياكل وينصرف ، وكان نظيفا عطرا ، حسن اللباس والمركب ؛ وكنت لا أعرف من أمره إلا الظاهر ، فاتفق لجمفر بن القاسم الهاشمى حتى دعا له أشراف البصرة ووجوهها ، وهو يومئذ أمير البصرة ، فقلت فى نفسى : إن تبعنى هذا الرجل الى دار الأمير لأخزيته ؛ فلما كان يوم الحضور جاءنى الرسول فركبت ، وإذا به قد تبعنى حتى دخل بدخولى ، وأرتفع حيث أجلس ؛ فلما حضرنا الطعام ، قلت : حدثنا دُرُسْتُ ابن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من دخل الى دار قوم بغير إذنهم دخل سارقا ونرجس مغيرا ومن دُعِيَ فلم يُجب فقد عصى الله ورسوله " ، فظننت أنى قد أشرفت على الرجل وقصرت من لسانه ؛ فأقبل على وقال : أعينك بالله من هذا الكلام فى دار الأمير ، فإن الأشراف لا يَحْتَمِلُونَ التمرىص باللؤم ، وقد حَفَرُ الدينُ التمرىص ، وعزَّر عليه عمر رضى الله عنه ؛ ووليمة الأمير دعاء لأهل مِصره فإنه سَلِيلُ أهل السقاية والزفادة ، والمطعمين

(١٠١)

(١) رواية فى تهذيب التهذيب فى ترجمة أبان بن طارق : « من دخل على عبد دعوة دخل سارقا ... الخ » .

الأفضليين الذين هَشَمُوا الثَّريدَ ، وأبرزوا الحَفَّانَ لمن غدا إليهما ؛ ثم لا تُوزَعُ وأنت في بيت من العلم معروف من أن تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف ، عن أبان ابن طارق وهو متروك الحديث ، بحكم رفعه الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ والمسلمون على خلافه ، لأن حكم السارق التقطع ، والمغير يُعزَّرُ على ما يراه الإمام ، وهذان حكمان لا ينفذان على داخل دارا في جمع فيتناول لُقْمًا من فضل الله الذي آتى أهلها ثم لا يُحَدِّثُ حدنا حتى يخرج عنها ؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ” طعامُ الواحد يكفي الاثنين وطعامُ الاثنين يكفي الأربعة “ ، حدَّثنا بذلك أبو عاصم النبيل عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فأين أنت عن هذا الحديث الصحيح الإسناد والمتن ؟ قال نصر : فأصابتني تَجَلَّةٌ شديدة ، فلما نظر الرجل إلى ما بي أكل ونهض قبل ، فلما خرجت وجدته واقفا على دابته بالباب ، فلما رآني تبعني ، ولم يكلِّني ولم أكلمه ، إلا أنني سمعته يتمثل :

وَمَنْ ظَنَّ مِنْ يَلَاقي الحروب « بالآ يُصاب فقد ظَنَّ عَجْزا

وقيل : مرة طفيلٌ بسكة النخع بالبصرة على قوم وعندهم وليمة ، فالتحم عليهم ، وأخذ مجلسه مع مَنْ دُعِيَ ، فأنكره صاحب المنزل ، فقال له : لو تأنيت أو وقفت حتى يؤذَنَ لك أو يُبْعَثَ إليك ! فقال : إنما اتُّخِذت البيوتَ ليدُخَلَ إليها ، ووُضِعَتِ الموائدُ ليؤكَّلَ ما عليها ، وما وجهت بهديةً فأتوقع الدعوة ؛ والحشمةُ قطعةٌ ، وأطراحُها صلةٌ ؛ وقد جاء في الأثر : « صلِّ مَنْ قطعك ، وأعطِ مَنْ حرمك » ؛ ثم أنشد :

كلُّ يومٍ أدورُ في عَرَصَةِ الدَّاءِ * رَأْسُ القَتَارِ شَمُّ الذُّبابِ

فإذا ما رأيتُ آثارَ عُرْسٍ * أدُخَّنا أو دُعَوَةُ الأصحابِ

لم أعرج دون التفحُّم لا أر * هب شتماً ولكثرة البواب
مستيناً بمن دخلت عليه * غير مُستأذن ولا هياب
فتراني أُلْف بالرمم منهم * كل ما قدّموه لَف العُقَاب
ووصف طفيل نفسه فقال :

نحن قومٌ إذا دُعينا أجبنا * ومتى نُنس يدعنا التطفيلُ
ونقل علنا دُعينا فنبنا * وأنا فلما يحدنا الرسولُ

وقال آخر :

نحن قومٌ يُحبُّ هدى رسول الله هدياً به الصواب أصبنا
فادعنا كلها بسطت فأننا * لو دُعينا إلى كراع أجبنا

وقال آخر :

نحن قومٌ إن جفا لنا * سُ وصلنا من جفانا
لأنبأى صاحب الداء * ر نسينا أم دعانا

وقال آخر وقد أقبل إلى طعام، من غير أن يدعى إليه، فقال له صاحب الصنيع :
مَنْ دعاك ؟ فأنشد :

دعوتُ نفسي حين لم تدعني * فالحمدُ لي لا لك في الدعوة
وكان ذا أحسن من موعدٍ * إخلافه يدعو إلى جفوه

وقد مدح أبو رَوْح ظفر بن عبد الله المروزي طفلياً ولم يُسبق إليه، فقال :
إنَّ الطفيليَّ له حُرمة * زادت على حُرمة تدماني
لأنه نجاء ولم أدعسه * مبتدئاً منه بإحسان

(١) رواية العقد الفريد : « لا أرب طنا » .

(٢) كذا في العقد الفريد : وفي الأصول : « قولاً » ... الخ .

ودخل طفيلي إلى قوم فقالوا له : ما دعوناك ! فوالذي جاء بك ؟ فقال :
إذا لم تدعوني ولم آت وقعت وحشة ، فضحكوا منه وقرّبوه .

وقيل : مرّ طفيلي على قوم يتنّدون ، فقال : سلام عليكم معشر اللّثام ، فقالوا :
لا والله بل كرام ؛ فغنى ركبته ونزل ، وقال : اللهم أجعلهم من الصادقين ،
وأجعلني من الكاذبين .

قال هشام أخو ذي الرزمة لرجل أراد سفرا : إن لكل رُفقة كلبا يشركهم في فضلة
الزاد ، فإن أستطعت ألا تكون كلب الرّفاق فأفعل .

ونظر طفيلي إلى قوم من الزنادقة يُسار بهم إلى القتل ، فظنهم يُدعون إلى صنيع ،
فتلطف حتّى دخل في لفيفهم وصار كواحد منهم ، فلما بلغوا صاحب الشرطة ، أمر
بضرب أعناقهم ، فشدّوا واحدا بعد واحد حتّى آتَوا إلى الطفيلي ، فلما قدّم للقتل
آتفت إلى صاحب الشرطة فقال له : إني والله ما أنا منهم ، ولا أعلم بما يدينون ؛
وانما أنا طفيلي ظننتهم يذهب بهم إلى صنيع ، فتلطفت حتّى دخلت في جلتهم ؛
فقال : ليس هذا مما ينبغي ، اضربوا عنقه ؛ فقال : أصالحك الله ، إن كنت عزمت
على قتل فأمر السيف أن يضرب بطني بالسيف ، فإنه هو الذي أوقعني في هذه
الورطة ، فضحك ؛ وكشف عنه فأخبر أنه طفيلي معروف ، فخلّى سبيله .

وحكى أن المأمون أمر أن يُحمل إليه عشرة من الزنادقة سُئِلوا له من أهل
البصرة ، فجمّعوا ، فابصرهم طفيلي فقال : ما أجمعوا إلا لصنيع ، فدخل في وسطهم
ومضى بهم الموكّلون ، حتّى آتَوا إلى زورق قد أُعدّ لهم ؛ قال الطفيلي : هي زُفّة ،
فدخل معهم الزورق ، فلم يكن بأسرع من أن قُيدوا ، وقيد معهم الطفيلي ، ثم سير بهم
إلى بغداد ، فأدخلوا على المأمون ، فجعل يدعوهم بأسمائهم رجلا رجلا ، ويأمر بضرب

أعناقهم، حتى وصل إلى الطفيل، وقد استوفى العدة؛ فقال للوكلين : ما هذا ؟ قالوا : والله ما ندري ، غير أننا وجدناه مع القوم ، فجئنا به ؛ فقال له المأمون : ما قصُّك ؟ وملك ! فقال يا أمير المؤمنين : أمراني طالق إن كنت أعرف من أقاويلهم شيئاً ولا مما يدينون به ، وإنما أنا رجل طفيل، رأيتهُم يجمعين فظننتُ صنيعاً يُدعون إليه فضحك المأمون وقال : يؤذّب ؛ وكان إبراهيم بن المهدي قائماً على رأس المأمون فقال : يا أمير المؤمنين، هب لي ذنبه^(١)، وأحدثك بحديث عجيب عن نفسي ؛ قال : قل يا إبراهيم ؛ قال : يا أمير المؤمنين، خرجتُ من عنديك يوماً فطُفْتُ في سِكَكِ بغداد متطرباً^(٢) حتى انتهيت إلى موضع كذا، فشممت منه قُتَارَ أبا زير قُدُور قد فاح^(٣) [طيبها] ، فتأقت نفسي إليها وإلى طيب ريحها، فوقفْتُ إلى خياط فقلت له : لِمَن هذه الدار ؟ فقال : لرجل من التجار [البزازين]^(٤) ، قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان بن فلان، فرميت بطرفي إلى الدار، فإذا شُبَّاك فيها مُطلٌ ، وإذا كُفٌّ قد خرج من الشُبَّاك ومِعَصَمٌ ، فشغلتني حسنُ الكُفِّ والمعصم عن رائحة القُدُور ، فَبُهِتُ ساعة ، ثم أدركني ذهني ، فقلت للخياط : أهو مِمَّنْ يشربُ النيذ ؟ قال : نعم ، وأحسب أن عده اليوم دعوة ، وهو لا ينادم إلا تجاراً مثله مستورين ؛ فإني لكذلك إذ أقبل رجلان نيلان راكبان من رأس الدَّرب ، فقال لي الخياط : هؤلاء منادماه ؛ فقلت : ما أسماهما وما كُناهما ؟ فقال : فلان وفلان ، فخرَّكتُ دابَّتي وداخلتهما وقلت : جُعِلَتْ فِدَا كِجَا ، قد استَبَطَّا كِجَا أبو فلان ،

(١) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل : « هب لي أذنه » .

(٢) كذا في أحد الأصلين والعقد الفريد . وفي الأصل الآخر : « متطرباً » .

(٣) التكلفة عن العقد الفريد .

(٤) في العقد الفريد : « فينا أنا كذلك » .

وسايرتهما حتى بلغنا الباب، فأجلاني وقدماني فدخلت ودخلا؛ فلما رآني صاحب المنزل معهما، لم يشك أني منهما، فَرَحَّبَ بي وأجلسني في أفضل المواضع؛ وفعي يا أمير المؤمنين بائدة عليها خبز نظيف وأتينا بتلك الألوان، فكان طعمها أَطْيَبَ من ريحها، فقلت في نفسي: هذه الألوان قد أكلتها؛ بَقِيَتِ الكَفَّ [والمعصم] ^(١)،

- كيف [أصل] ^(١) إلى صاحبيهما؟ ثم رُفِعَ الطعام، وجرى بالوضوء، ثم صرنا إلى مجلس المتأدمة، فإذا أشكلُ منزل، وجعل صاحب المنزل يُلطِّفُ بي، ويميل علي بالحديث، حتى إذا شربنا أقدا حارحت علينا جارية كأنها بدر، نثنتي يا أمير المؤمنين كانهيزران، فأقبلت وسلمت غير تجمل، وشئت لها وسادة جلست عليها، وأتي بالعود فَوَضِعَ في حجرها، بَغْسَتْه فاستبنتُ حَنَقَهَا في جَسَمِها، ثم أندفعتُ نَفْثِي:

- ١٠ تَوَهَّمَهَا طَرَفِي فَأَصْبَحَ حَذُّهَا * وفيه مكان الوم من نظري أثر ^(٢)
نُصَافُهَا كَفِّي فَنُؤِلِمُ كَفَّهَا * فَمِنْ مَسِّ كَفِّي فِي أَمَلِهَا عَقَرُ
فَهَبْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِلَالِي، وَطَرِبْتُ لِحَسَنِ شَعْرَهَا؛ ثُمَّ أُنْدَفَعْتُ نَفْثِي:

أَشْرْتُ إِلَيْهَا هَلْ عَرَفْتِ مَوَدَّتِي * فَوَدَّتْ بِطَرَفِ الْعَيْنِ إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ
قَدْتُ مِنَ الْإِظْهَارِ عَمْدًا لِسَرِّهَا * وَحَادَتْ عَنِ الْإِظْهَارِ أَيْضًا عَلَى عَمْدِ

- ١٥ فَصَبَحْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَاءَنِي مِنَ الطَّرَبِ مَا لَمْ أَمْلِكْ تَقْصِي مَعَهُ؛ ثُمَّ أُنْدَفَعْتُ نَفْثِي
الصوت الثالث:

أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يَتَنَا يَضُنِّي * وَإِيَّاكَ لَا نَخْلُو وَلَا تَتَكَلَّمُ
سَوَى أَمِينٍ تَشْكُو الْهَوَى يَجْفُونَهَا * وَتَقْطِيعُ أَكْبَادَ عَلَى النَّارِ تُضَرُّمُ
إِشَارَةُ أَفْوَاهٍ وَتَغْمِزُ حَوَاجِبٍ * وَتَكْسِيرُ أَجْفَانٍ وَكَفَّ تُسَلِّمُ

ففسدتها والله يا أمير المؤمنين على حذيقها ومعرفتها بالفناء، وإصابتها لمعى
الشعر، فقلت : بقى عليك إجازية ، فضربت بالعود على الأرض ، وقالت : متى
كنتم تُحضرُونَ مجالِسَكم البُغضاء ! فتدتمتُ على ما كان منى ، ورأيت القوم تغيروا لى ،
فقلت : أما عندكم عود غير هذا ؟ قالوا : بلى ، فأُتيت بعود فأصلحت من شأنه
ثم غنيت :

ما للنازل لا يُجيبَ حَرِينَا * أَصَمَّنَ أَمْ قَدُمَ الْمَدَى قَبْلِنَا ^(١)
راحوا العَشِيَّةَ رَوْحَةً مذكورة ^(٢) * إِنَّ مَتْنًا أَوْ حَيِّنَ حَيِّنَا

فما أَسْتَمْتُمُهُ يا أمير المؤمنين ، حتى قامت الجارية ، فأكبت على رجلتي فقبلتها ،
وقالت : معذرة يا سيدي ، فوالله ما سمعت أحدا يُغنى هذا الصوت غناءك ، وقام
مولاي وأهل المجلس ، ففعلوا كفعالها ، وطرب القوم وأستحوا الشرب فشرىوا ، ثم
أندفتُ أخى :

أَفِي الْحَقِّ أَنْ تَمْشَى وَلَا تَذْكُرْنِي * وَقَدْ هَمَمْتُ عَيْنَايَ مِنْ ذِكْرِهَا الدَّمَا ^(٣)
إلى الله أَشْكُو بُحْلَهَا وَسَمَاحَتِي * لَهَا عَسَلٌ مِنِّي وَتَبَذَلَ عَظْمَا
فَوَدَّى مُصَابَ الْقَلْبِ أَنْتِ قَتَلْتِهِ * وَلَا تَتْرَكِيهِ ذَاهِلَ الْعَقْلِ مُقَرَّمَا
فَطَرِبَ الْقَوْمُ حَتَّى نَخْرُجُوا مِنْ عَقُولِهِمْ ، فامسكتُ عنهم ساعة حتى تراجعوا ، ثم
غنيتُ الثالث :

(١) كذا في المقد الفريد . وفي الأصل : « البلى » .

(٢) في المقد الفريد : « روضة مكورة » .

(٣) رواية المقد الفريد :

أَبِي اللَّهِ أَنْ تَمْشَى وَلَا تَذْكُرْنِي * وَقَدْ هَمَمْتُ عَيْنَايَ مِنْ ذِكْرِكَ الدَّمَا

هَذَا تُحِيكِ مَطْوِيًّا عَلَى كَبِدِهِ * عَبْرَى مَدَامُكَ تَجْرَى عَلَى جَسَدِهِ
لَهُ يَدٌ تَسْأَلُ الرَّحْمَنَ رَاحَتَهُ * مِمَّا بِهِ وَيَدٌ أُخْرَى عَلَى كَبِدِهِ

بلغت الجارية تصبيح : هذا الفناء والله يا سيدي لا ما كنا فيه منذ اليوم ؛ وسكر القوم ، وكان صاحب المنزل حسن الشرب ، صحیح العقل ؛ فأمر غلمانہ أن يُخرجوهم ويحفظوهم إلى منازلهم ، وخلوتُ معه ؛ فلما شربنا أقداحا ، قال : يا سيدي ، ذهب ما مضى من أيامي ضياعا ، إذ كنتُ لأعرفك ، فمن أنت ؟ ولم يزل يُلحُّ عليَّ حتى أخبرته الخبرَ ، فقام وقبَّل رأسي وقال : وأنا أعجب أن يكون هذا الأدب إلا لملك ! وإني لجالس مع الخلافة ولا أشعر ؛ ثم سألني عن قصتي ، فأخبرته حتى بلغتُ إلى صاحبة الكف والمعصم ، فقال للجارية : قومي فقولی لعلانة تنزل ، فلم تنزل تنزل جواريه واحدةً واحدةً فانظر إلى كَفَّها ومِعَصَّها ، وأقول : ليس هي هذه ! حتى قال : والله ما بقى غيرُ أختي وأُمِّي ، والله لأنزَلْتِهما إليك ؛ فنجبتُ من كرمه وسعة صدره ، فقلت : جُعلتُ فداك ، إبدأ بالأخت قبل الأم فمسي أن تكون هي ؛ فبرزت ؛ فلما رأيتُ كَفَّها ومِعَصَّها قلت : هي هذه ؛ فأمر غلمانہ فساروا إلى عشرة مشايخ من جِلَّة جيرانه فأقبلوا بهم ، وأمر بتدريتين فيهما عشرون ألف درهم ، ثم قال للشافخ : هذه أختي فلانة ، أشهدكم أني قد زوجتها من سيدي إبراهيم بن المهدي ، وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم ، فرضيت وقيلت النكاح ، فدفع إليها البَدْرَةَ ، ووفَّق الأخرى على المشايخ وصرفهم ؛ ثم قال : يا سيدي ، أمهد بعضَ البيوت فقام فيه مع أهلك ؟ فأحسنى ما رأيت من كرمه ، فقلت : أحضر عَمَّارِيَّةَ (٢) وأحلها لي متلى ، ففعل ؛ فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد آتبعها من الجَهاز ما ضاقت عنه بيوتنا ؛ فأولدتها

هذا القائم على رأس أمير المؤمنين — يشير إلى ولده — فمجب المأمون من كرم الرجل وألحقه في خاصة أهله ، وأطلق الطفيل وأجازه .

ومن إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ، وهو الذي حاز قصبات السبق في فنّ الأدب على أتباعه ، وفاز من البلاغة بقدحها المعلى في عُقُوان شبابه ، رسالةً وضعها في هذا الفنّ ، وصار له بها على أهله غاية المنّ ؛ مع نزاهة نفسه الأنيّة ، وارتفاعه عن المطاعم الدنيّة ؛ وإنما وضعها تجربة لخاطره ، وضمها إلى فوائد دفاثه ، وهي :

هذا عهد عهده زارد بن لاقم ، لبالح بن هاجم ، أستفتمه بأن قال :

الحمد لله مسهل أوقات اللذات وميسرها ، وناظم أسباب الخيرات ومكثرها ، وجاعل أسواق الأفرح قائمة على ساق ، جابرة لمن ورد إليها بأنواع الإرفاد وأجناس الإرفاق ؛
أحمد على أن أحلّا في منازل السادات أرفع الدرجات ، وأحلّ لنا من الأطعمة الفائقة الطيبات ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تهدينا إلى المقام الرفيع ، وتخصّصنا بالمحلّ الجسم المنيع ؛ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رب المكارم الجسام ، ومعدن الجسارة والإقدام ، الجامع بين فضيلتي الطعان والطعام ؛ صلى الله عليه وعلى آله أهل السماحة والكرم والإكرام ، صلاة تُجِلُّ قائمها في غُرَفَات الحنان في دار السلام . وبعد ، فإن صناعة التطفيل صناعةٌ موهوبة ، وحرقة هي عند الظرفاء محبوبة ؛ لا يلبّس شعارها إلا كلُّ مقدم ، ولا يرفع خافقَ علمها إلا من عدّ في حرقته من الأعلام ؛ ولا يتلو أساطير شهادتها إلا من أرتضع أفابيق الصفاة ، ولا يهتدى لمثار علائقها إلا من نزع عن منكبّه رداء الرقاعة والحماقة ؛ وكنتُ والقودُ غدا في الإهاب ، والنصن ريان من ماء الشباب ؛ والقَدِّ يمس في حُلّة النشاط ، والقَدَم

١٠

١٥

٢٠

تَدْرَعُ الْأَرْضَ ذَرَعَ الْإِخْبَاطِ ؛ لَا يُقَامُ سَوْقٌ وَلِيْمَةٌ إِلَّا وَأَنَا السَّاعِي إِلَيْهَا ، وَلَا تَرْفَعُ
أَعْلَامَ نَارٍ مَأْدُوبَةٍ إِلَّا وَكُنْتُ الْوَاقِفَ لَدَيْهَا ؛ أَتَخَذُ الدَّرُوبَ شِبَاكَاً لِلْأَصْطِيَادِ ، وَجِبَائِلَ
أَبْلُغُ بِهَا لَذِيذَ الْإِزْدِرَادِ ؛ قَدْ جَعَلْتُ الْمُنْعَطَسَ حَلِيفَ الْمَوَاءِ ، وَالْقَلْبَ نَزِيلَ الْأَهْوَاءِ ؛
فَإِذَا عَبَقَتْ رَوَائِحُ الْأَبَازِيرِ مِنْ أَعْلَى تِلْكَ الْقُصُورِ ، وَتَمَسَّدَتْ تِلْكَ الشَّوَارِعَ^(١)
بِزَعْفَرَانِ الْبَرَمِ وَالْقُدُورِ ؛ أَتَقِيْتُ عَصَا الْمَسِيرِ عَلَى الْبَابِ ، وَخَلَبْتُ بِحَسَنِ أَدَبِي
قَلْبَ الْبُيُوتِ ؛ وَأَوْسَعْتُ فِي وَصُولِ أَلْفِ حِيلَةٍ ، وَجَعَلْتُهَا عَلَى مَا عِنْدِي مِنْ حَسَنِ
فَنُونِهَا حَيْلَةً ؛ فَلَا دَعْوَةَ إِلَّا وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ دَعْوَةً ، وَلَا وَلِيْمَةَ خِثَانٍ إِلَّا وَقَدْ طَلَعْتُ
عَلَى أَرْجَائِهَا مِثْلَ الْجَلْحَانِ ، وَلَا سِمَاطَ تَأْلِيْبٍ إِلَّا وَكُنْتُ إِلَيْهِ السَّاعِي الْمُنِيبَ ، وَلَا تَجْمَعُ
ضِيَاةٌ إِلَّا وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَشَدَّ آفَةً ، وَلَا مَلَكَ عُرْسٍ مَشْهُودٍ إِلَّا وَأَتَنَظَّمْتُ فِي سِلَاقِ
الشُّهُودِ ؛ يَحْسَنُ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ :

١٠

لَوْ طَلَبْتُ قَدْرَ بَطْمُورَةٍ * مَوْقُذَهَا الشَّامَ وَأَعْلَى الثُّغُورِ
وَأَنْتَ فِي الصِّينِ لَوَافِتِهَا * يَا عَالَمَ الْغَيْبِ بِمَا فِي الْقُدُورِ

وَالْيَوْمَ قَدْ مَالَ الْقَوِيْمُ إِلَى الْإِعْجَاجِ ، وَعَزَّ بَازِي الشَّيْبِ غُرَابَ الشَّعْرِ الدَّاجِ ؛
وَقَدْ زَمَنُ أَقْدَامَا ، وَمَنَعَتْ الشَّيْخُوخَةَ إِقْدَامَا ؛ وَصَرْتُ لَهَا عَلَى وَجْهِ ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُ
نَارًا عَلَى عِلْمٍ ؛ وَقَدْ أَفَادَتْنِي التَّجَرُّبَةُ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَنَوْنَا ، وَتَلَّتْ عَلَيَّ مِنْ مَحَاسِنِهَا مَتُونًا ؛
وَقَدْ أَبْقَيْتُ لِكُلِّ مَجْمَعٍ بَابًا ، وَقَدْ لَكْتُ لِكُلِّ مَشْهَدٍ حَسَابًا ؛ وَقَدْ آخَضْتُ حَسَنَ الرَّأْيِ
أَنْ أَفُوضَ إِلَيْكَ أَمْرَهَا ، وَأُودِعَ تَأْمُورَ قَلْبِكَ وَحَسَّكَ سِرَّهَا ؛ عَلِمْتُ بِأَنَّكَ الْكَبِيْسُ
الْفَعِيْنُ ، بَلِ الْأَلْمَى الدَّرِبَ الْمَرِيْنَ ؛ لَوْ عَقَدْتُ أَكْلَةَ الْوَلَانِمِ غَيَابٍ وَجَلَّهَ ، وَأَحْسَنَ بِنَاتِيهِ
الْجَمِيلِ مَذْخَلَهُ وَخَرَجَهُ ؛ وَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ أَعْمَالِكَ الصَّالِحَةِ ، مَا يُقَالُ عِنْدَ ذَهَابِي :

١٥

(١) تَمَسَّدَتْ : تَضَوَّعَتْ وَفَاحَتْ ، وَأَصْلُ التَّمَسُّدِ : التَّلَبُّدُ بِالْمِثَالِ .

٢٠

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَائِبٌ » .



ما أشبه الليلة بالبارحة؛ وقد عَهِدْتُ إِلَيْكَ، وَاسْتَخَرْتُ اللهَ فِي التَّعْوِيلِ عَلَيْكَ؛
فَتُفَكُّكَ مِنْ يُحْتَطَبِ لِلنَّاصِبِ، وَيَتَسَمَّى ذِرْوَةَ الْمَرَاتِبِ؛ وَدُونُكَ مَا أُتْلِقُ بِهِ مِنَ الْوَصَايَا،
وَأَحْفَظُ مَا يَسْرُدُهُ لِسَانُ الْقَلَمِ مِنْ جَمِيلِ الْمَزَايَا: إِيَّاكَ وَمَوَائِدَ الثَّامِ، وَأَنْزِلَ بِسَاحَاتِ
الْكَرَامِ؛ وَاتَّخَذَ الشَّرُوعَ فِي الشَّوَارِعِ حُرْفَةً، وَأَظْهَرَ عَلَى مَشِيكِ صَلَافَةِ وَعَقَّةٍ؛ وَمَيَّزَ
بَيْتَكَ حُسْنَ الْمَسَاطِبِ وَقَشَّ السُّتُورَ، وَجَمَالَ الْخِدْمَ وَقَعُودَ الصَّدُورِ؛ وَأَقْصَدَ
الْأَبْوَابَ الْعَالِيَةَ، وَالْأَكْلَةَ الْمَنْقُوشَةَ الْحَالِيَةَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى مَادَّةٍ نَصَبَهَا بَعْضُ
الْأَعْيَانِ، وَجَمَعَ إِلَيْهَا أَصْحَابُهَا [و] الْإِخْوَانُ؛ فَالْبَسَ مِنْ ثِيَابِكَ الْجَمِيلَةِ قَشِيهَا، وَضَوَّعَ
بِالْمُنْدَلِ الرُّطْبَ طَيِّبًا؛ وَأَتَقَنَ خُبْرَ صَاحِبِ الدَّارِ وَأَخْبَارَهُ، وَقَفَّ فِي صَدْرِ الشَّارِعِ
مِنْ الْحَارَةِ؛ فَإِذَا رَأَيْتَ الْجَمْعَ وَقَدْ تَهَادَّوْا بِالْهُوَادَى وَالْأَقْدَامِ، وَتَهَادَّوْا فِيمَا بَيْنَهُمْ لَذِيذَ
الْكَلَامِ؛ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِقَلْبٍ قَلَبَ الْأُمُورَ، وَعَلِمَ بِحَسَنِ تَطْلُعِهِ وَتَضَلُّعِهِ دَاءَ الْجُمْهُورِ؛ وَقَالَ
لَهُمْ: رَبُّ الدَّارِ قَدْ اسْتَبْطَأَكُمْ، فَاذْهَبُوا إِلَى أَجْزَائِكُمْ؛ حَتَّى إِذَا قَارَبُوا صُغُودَ الْعَتَمَةِ،
وَلَمْ يَبْقَ هُنَاكَ مَعْتَبَةٌ؛ تَقَدَّمَ رَافِعًا لَهَا السُّتُورَ، وَهَزَفًا بِمَقْدَارِ أُولَئِكَ الصَّدُورِ؛
فَالْأَضْيَافُ يَتَقَدُّونَ أَنْتَ غِلَامَ الْمُضَيَّافِ، وَرَبُّ الْحِلَّةِ يَتَقَدُّ أَنْتَ رَفِيقَ السَّادَةِ
الْحِلَّةِ؛ وَإِنْ وَبَحَّتْ مَجْتَمَعُ خَتَانٍ، وَقَدْ نَصَبَتْ فِيهِ مَوَائِدَ الْأَلْوَانِ؛ وَزُرْقَتِ الْأَبْوَابِ،
وَأَكْفَهَرَتْ وَجْهَهُ الْمُجَنَّبِ؛ فَاجْعَلْ تَحْتَ صِهْرِكَ الْجَمْعَ، وَأَخْذَعِ قُلُوبَهُمْ فَتُفَكِّكَ مِنْ
يَحْتَدِعُ؛ وَقَالَ: رَفِيقُ الْأَسْتَاذِ وَمَعِينُهُ، وَوَجْهُهُ الَّتِي يَسْعَى بِهَا بِلَ يَمِينُهُ؛ فَخَيْثُتْ تَرْفَعُ

(١) المندل: أجود العود.

(٢) زُرْقَت: أَعْقَت، قَالَ الشَّهَابُ الْخَلْعَاجِي فِي شِمْاءِ الطَّيْلِ: وَزُرْقَةُ كَلِمَةٍ مُوَلَّدَةٌ وَاسْتَشْهَدَ فَتُفَكِّكَ

بِقَوْلِ الشَّامِرِ:

خَلْعُودٌ فَهِيَ يَرْبَى * مِنَ الْأَسْفَامِ لَوْ أَسْكَنَ

فَمَا تَجِبْنِي وَحَارِسَهَا * بِقَوْلِ الصَّدُوقِ قَدْ زُرْقَتِ

وَقِيَ الْأَصْلَ «ذُرْنَ» بِالْقَدَالِ الْمُسَيِّمَةِ.

(٣) الضَّيْفُ: الْكَفْ - وَقِيَ الْأُمُورُ - «طَبِكْ».

- السُّور ، وتُقدِّمُ لك أطيبَ القُدور ؛ وإن رماك القَدْرُ على باب غفل عنه صاحبه ، وسها في غفله حاجبه ؛ وقد مدوا في أوانيه سِماطا ، وجعلوا لأوائل من يقدمه فِرَاطا ، وقد تقاربت الزبادي ، وأمتدت الأيادي ؛ ورأيت السَّماطَ رَوْضَةً تخالفت ألوانها ؛ وأمتدت أفنانها ، والموائد فيما بينها أفلاكٌ تدور بصحونها ، بل بروج ثابتة تُشعِرُ بسكونها ؛ فليج على غفلة من الرقيب ، وأبسُط بَنانَ الأكل وكُفِّ لسان المحيب ؛ فإن قيل لك : أما غلّى دونك باب ؟ فقل : ما على الكرماء من حِجاب ؛ وإياك والإطالة على الموائد ، فإنها مصايِدُ الشوارد ؛ وإياك والقَدَّارة عليها ، فإنها إمارة الحرمان لديها ؛ وإن وقعت على وليمة كثيرة الطعام ؛ قليلة الأزدحام ؛ فكبر اللقمة ولا تطل علكها ، ومُر الفك في سرعة أن يفكها ؛ فإنك ما تدرى ما تحدث الليالي والأيام ، خيفة أن يعثر عليك بعض الأقوام ؛ فتكتسى حُلَّة الخجل ، وتظهر على وجهك صُفرة الوجَل ؛ وأجعل من آدابك ، تطلعك الى أثوابك ؛ ولا ترفع لمستجل وجهها وجيبها ، وقل لمن يحادثك إبه ولا تقل إيبا ؛ وجاوب بنعم ، فإنها مُعينة على ألقيم ؛ وأجعل لكل مقام ما يناسبه من الحيلة ، ومل على أهل الولايم والمآدب مِيلَةً وأى مِيلَةً ؛ وأسأل عمن وِث من آبائه مالا ، وقد جمعه بوعثاء السفر وعآته حراما وحلالا ؛ أهل يُعقد مقاما ، أم يبلغ من دنياه بالقصف مراما ؟ فإن قيل : فلان العلافى رَبّ هذه المثابة ، وصاحب الدعوة المجابة ؛ فكن ناللة الاتاق لِبآيه ، وانتظم فى سلك عُشرائه وأترآيه ؛ وتفقّد الأسواق خصوصا اللّامين ، ومواطن الطبخ ومساطب المطربين ؛ وجمّع القراء ومعاهد محالّ الوعاظ ، وكلّ بقعة هى مِظَنّة فرح يعود عليك نفعه ؛ وكن أوّل داخل وآخر خارج ؛ ومل إلى الزوايا ، فهى أجمل ما لهذه الحِرقة من المزاي ؛ وتقلّ ركابك فى كلّ يوم . فسارة فى سوق اللحم وتارة فى سوق الثوم ؛ وغير

الحلية، وقصر الحية؛ وأبرز كل يوم في لباس، فهو أكثر للكتباس؛ وجدد البهت حتى تحبذ عصاك، وتجعله ذريعة لمن عصاك؛ وأتقن الفنون المحتاج إليها: من غناء ونجامة، وطب وكهانة^(١)؛ وتاريخ وأدب، وكرم أصل وحسب؛ وحاشى التوقيت والتزيل، فاجعلهما دأبك؛ فإذا عرفوك، وحضر الجمع وكشفوك؛ فطرز كل محفل بحاسن أقوالك، وكلل جيد كل مأدبة بجواهر أفعالك؛ وأعلم أنها صنعة دثرت معالمها، وقيل عالمها؛ ولو لم أر على وجهك مخايل بشرها، وعلى أعطاف أردانك روائح نشرها؛ لما ألقيت إليك كتاب عهدا، ولا حملت لبابك راية مجدها؛ فتلق راية هذا العهد بسايد مساعيد، وعضد في الولوج على الأسيطة معاضد؛ فوضت إليك أمر من تحلى بجواهرها المنظومة، وأيس حللها القشبية المرقومة؛ وبسطت لسان قلبك في رقم عهودها، وأذنت لك أن تجزيهم على سنن مهورها؛ وإياك أن تمهد إلا لمن ملك خصالها، وجاس خلاها؛ وأستجل هلالها، وأتقن أحوالها؛ ولاية عامة، وكلمة مبرمة تامة؛ حرس الله بك معقل الأدب والاطافة، ومحا بك معالم الثغالة والكثافة.

(١٠٥)

ذكر آداب الأكل والمواكلة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. وروى أن داود عليه السلام أمر مائة فتادى: أيها الناس، اجتمعوا لأعلمكم التقوى؛ فاجتمعوا، فقام في محرابه فبكى ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس، لا تدخلوا هاهنا إلا طيبا، ولا تخرجوا منه إلا طيبا؛ وأشار إلى فيه. قيل: أول آداب الأكل معرفة الحلال من الحرام، والخير من الطيب.

(١) في الأصل: «شهادة» وهي لا تتفق مع السياق، فربحنا ما وضعناه.

وأما الآداب في هيئة المؤاكلة وأعمالها، فقد رُوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه. ورُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَشْمُوا الطَّعَامَ كَمَا تَشْمُو الْبَهَائِمُ ^(١) مِنْ أَشْتَهَى شَيْئاً فَلْيَأْكُلْ وَمَنْ كَرِهَ فَلْيَسَدِّعْ". وقال أنس: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ، وَدَخَلَ دَارَنَا فَحَلَبْنَا لَهُ شَاةً فَتَرِبَ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ يَسَارِهِ وَأَعْرَابِيٌّ عَنْ يَمِينِهِ؛ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَعْطِ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْأَيْمَنُ فَالْأَيْمَنُ". وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

صَدَدْتُ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عُمَيْرٍ * وَكَانَ الْكَأْسُ تَجَرَّاهَا الْيَمِينَا

ورُوي عن أنس: أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ جُرْعَةً ثُمَّ قَطَعَ، ثُمَّ سَمَّى ثُمَّ شَرِبَ جُرْعَةً ثُمَّ قَطَعَ، ثُمَّ سَمَّى ثُمَّ قَطَعَ الثَّالِثَةَ، ثُمَّ جَرَعَ مَضْجاً حَتَّى فَرَّغَ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ. وَقَدْ نُدِبَ إِلَى غَسْلِ الْيَدِ قَبْلَ الْأَكْلِ فَإِنَّهُ يَنْفِي الْفَقْرَ، وَيَنْفِي اللَّعْمَ. وَمِنَ السُّنَّةِ: الْبَدَاءُ بِاسْمِ اللَّهِ، وَحَمْدُهُ عِنْدَ الْإِتِهَاءِ.

رُوي عن عمر بن أبي سلمة أَنَّهُ قَالَ: مَرَرْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَأْكُلُ، فَقَالَ: "اجْلِسْ يَا بُنَيَّ وَسَمِّ اللَّهَ وَكُلْ يَمِينُكَ مِمَّا يَلِيكَ".

وقال بعض السلف: إِذَا جَمَعَ الطَّعَامُ أَرْبَعًا فَقَدْ كُتِلَ كُلُّ شَيْءٍ: إِذَا كَانَ حَلَالًا، وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْيَدَيَّ، وَحَمِدَ اللَّهَ حِينَ يَفْرُغُ مِنْهُ.

ورُوي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ قَالَ عِنْدَ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ بِاسْمِ اللَّهِ خَيْرَ الْأَسْمَاءِ [بِاسْمِ اللَّهِ] رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ لَمْ يَضُرَّهُ مَا أَكَلَ وَلَا شَرِبَ".

(١) في الجامع الصغير: « كما تشمه البهائم ».

(٢) رواية البخاري: « يا علام سم الله وكل يمينك وكل مما يليك ».

(٣) الزيادة عن المستطرف في كل فن مستظرف للإيشي (ج ٢ ص ٢١٢).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها ، عنه صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فإن نسي في أوله فليقل بسم الله في أوله وآخره " . وقال صلى الله عليه وسلم : " إذا أكل أحدكم فليأكل كل يمينه [وإذا شرب فليشرب بيمينه] فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله " .

• وروى : أن المسيح عليه السلام كان إذا دعا أصحابه قام عليهم ، ثم قال : هكذا فأصنعوا بالفقراء .

ووصف شاعر قوما فقال :

جُلُوسٌ فِي مَجَالِسِهِمْ رِزَانٌ ، وَإِنْ ضَيْفُ أَلَمٍ بِهِمْ وَقُوفٌ

قال سهل بن حصّين : شهدت الحسن في وليمة ، فطعم ثم قام فقال : مد الله لكم في العافية ، وأوسع عليكم في الرزق ، وأستعملكم بالشكر .

• وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " تَحَالَلُوا فَإِنَّهُ نِظَافَةٌ وَالنِّظَافَةُ مِنْ (٢) الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي الْجَنَّةِ " .

وفي حديث عمر رضي الله عنه : " عَلَيْكُمْ بِالْخَشْيَةِ " يعني السَّوَالِكَ وَالْخِلَالَ .

• وكان بعضهم يقول لولده إذا رأى حرصه في الطعام : يَا بُنَيَّ ، عُدْ نَفْسَكَ الْأَثَرَةَ ، ومجاهدة [الهوى و] الشهوة ، وَلَا تَنْتَهَشْ نَهَشَ السَّبَاعِ ، وَلَا تَخْضِمَ خَضْمَ الْبَرَادِينِ [وَلَا تُكْذِبَنَّ الْأَكْلَ إِدْمَانُ الْعَاجِ ، وَلَا تَلْقَمْ لَقْمَ الْجَمَالِ] ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ لِنَاسًا ، فَلَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ بَهِيمَةً .

(١) التكلة عن الجامع الصغير والعقد الفريد والمسنون .

(٢) رواية الجامع الصغير : « والنظافة تدعو إلى الإيمان » .

(٣) الأثرة (بالضم) : اسم من الإيتار وهو تفضيل الإنسان غيره على نفسه .

(٤) الزيادة عن العقد الفريد .

وحكى عن بعض الكتاب قال : تفديت مع المأمون فالتفت إلى وقال : خلال قسيعة عند الجلوس على الطعام : كثرة مسح اليد ، والابتكباب على الطعام ، وكثرة أكل البقل . ومعنى ذم هذه الحلال الثلاث : أنه إذا أكثر مسح اليد فإنما ذلك من غمسه في الطعام ، والابتكباب يدل على شدة الحرص وزيادة الشره والنهم ، قال الشاعر :

لقد سترت منك الإخوان عمامة * دجوجية ظلماتها ليس تفلح

وأما البقل ، فإن الحاجة إلى البلغة منه ، وفي الإكثار منه تشبه بالبهائم لانه مراعاها .

وقيل : الأكل ثلاثة : مع الفقراء بالإيثار ، ومع الإخوان بالانسياط ، ومع أبناء الدنيا بالأدب .

وقيل لبعض الحكماء : أى الأوقات أحمد للأكل ؟ فقال : أما من قدر فإنما آتتهى ، وأما من لم يقدر فإنما وجد .

ذكر الاقتصاد فى المطاعم والعقة عنها

قال الله عز وجل : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ . وفى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من زاده أخوه المسلم فقرب إليه ما ييسر غفر له وجعل فى طعامه البركة ومن قرب إليه ما ييسر فاستحق ذلك كان فى مقت من الله حتى يخرج" . وقالت عائشة رضي الله عنها : أولم النبي صلى الله عليه وسلم على بعض نسائه مدين من شعير .

وقيل : كان عيسى بن مريم صلوات الله عليه يقول : اعملوا ولا تعملوا بطونكم ، وإياكم وفضول الدنيا ، فإن فضولكم رجز ، هذه طير السماء تغدو وتروح ، ليس معها

من أرزاقها شيء ، لا تحرث ولا تحصد ، والله يرزقها ؛ فإن قلتم : بطوننا أعظم من بطوننا ؛ فهذه الوحش تغدو وتروح ، وليس معها من أرزاقها شيء والله يرزقها .
وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لما دخل شهر رمضان كان يقطر ليلة عند الحسن ، ليلة عند الحسين ، وليلة عند عبد الله بن جعفر ، لا يزيد على لقمتين أو ثلاث ؛ ف قيل له : فقال : إنما هي أيام قلائل يأتي أمر الله وأنا تحيى ، فقتل من ليلته .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من قل طعمه ^(١) صح بدنه وصفا قلبه ومن كثر طعمه سقيم جسمه وقسا قلبه" . وعنه صلى الله عليه وسلم قال : "ما زين الله رجلا بنية أفضل من عفاف بطنه" . قال حاتم :

أبيت تحيى البطن مضطجرا الحشا * من الجوع أخشى الذم أن أتضلما
فإنك إن أعطيت بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وقال بعضهم : رأيت مجنونا يفسد ، وهو على باب دار فيها صنيع والناس يدخلون ، وكنت ممن دعى ، فقلت : ألا تدخل فأكل فإن الطعام كثير ؟ قال : وإن كثر فاني ممنوع منه ؛ فقلت : كيف والباب مفتوح ، ولا مانع من الدخول ؟ فقال : أأكل طعاما لم أدع إليه ! لقد أضطرتني الى ذلك غير الجوع ؛ فقلت : ما هو ؟ قال : دناءة النفس وسوء الغريزة . قال شاعر :

وإني للف عن مطاعيم جمية * إذا زين الفحشاء للنفس جوعها

وقال آخر :

وأعيرض عن مطاعيم قد أراها * فأتركها وفي البطن أنطواء
فلا وأبيك ما في العيش خير ^(٢) * ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

(١) الطعم (بالصم) : الطعام .

(٢) كذا في شرح ديوان الحماة طبع أوربا (ص ٥١٦) . وفي الأصول : « وفي الدنيا » .

قال الجعيد: مرّ بي الحارث بن أسد المحاسبي، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: يا عم، تدخل الدار وتناول شيئاً؟ قال: نعم، فدخل، وقدمت إليه طعاماً حُلّ إلى من عُرْس، فأخذ لقمة فلاكلها، ونَهَضَ فألقاها في الدَّهْلِيز ومضى، فالتقيت به بعد أيام، فقلت له في ذلك، فقال: كنت جائعاً، وأردت أن أسرك بأكلي، ولكن بيني وبين الله تعالى علامة، ألا يُسَوِّغني طعاماً فيه شُبُهَة، فن أين كان ذلك الطعام؟ فأخبرته، ثم قلت له: تدخل اليوم؟ قال: نعم، فقدمت إليه كِسْراً كانت لنا، فأكل وقال: إذا قدمت لفقير شيئاً، فقدم مثل هذا.

وروي أن عمرو بن العاص قال لأصحابه يوم الحَكِين: أكثرُوا لهم الطعام، فوالله ما بَطَنَ قوم إلا فقدوا بعض عقولهم، وما مضت عَزْمَةٌ رجل بات بطينا؛ فلما وجد معاوية ما قال صحيحاً، قال: «الْبَطْنَةُ تُدْهِبُ الْفِطْنَةَ»^(١).

١٠

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُمَيِّتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّ الْقُلُوبَ تَمُوتُ كَالزَّرْعِ إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ»^(٢).

ودخل عمر رضي الله عنه على ابنه عاصم وهو يأكل لحماً، فقال: ما هذا؟ قال: قَرِمْنَا إليه؛ قال: ويحك! قَرِمْتَ إِلَى شَيْءٍ فَأَكَلْتَهُ، كَفَى بِالْمَرْءِ شَرًّا أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ مَا يَشْتَهِي.

١٥

قال ابن دريد: العرب تُعَبِّرُ [بعضها]^(٣) بكثرة الأكل؛ وأنشد:

لَسْتُ بِأَكَّالٍ كَأَكْلِ الْعَبْدِ • وَلَا يَنَوِّامُ كَنَوْمِ الْفَهْدِ

(١) في جمع الأمثال: «البطنة تأمن الفطنة».

(٢) في الإحياء للزمزالي: «فإن القلب كالزراع يموت... الخ» وفي المستطرف: «فإن القلب

كالزراع إذا كثرت عليه المياه مات».

(٣) الزيادة عن المستطرف.

٢٠

وقال عمر رضى الله عنه : ما أجمع عند النبي صلى الله عليه وسلم إدامان إلا أكل أحدهما وتصدق بالآخر .

وقال أبو سليمان الداراني : خير ما أكون إذا لَصِقَ بطني بظهرى ، أجوعُ الجُوعَ فأخرج تَزَحْنِي المرأةُ فما التفت إليها ، وأَشْبَعَ الشَّبعَةَ فأخرج فأرى عيني تطمحن .

ذكر أخبار الأكلة

قد نُسِبَ ذلك الى جماعة من الأكابر وذوى الهمم ، فمن ذلك ما حكاه المحدثون في تذكرته : أن معاوية بن أبي سفيان أتى بِعَجَلٍ مَشْوِيٍّ ، فأكل معه دسًا من الخبز السميد ، وأربعَ قُرَاقِيٍّ ، وَجَدِيًّا حارًّا ، وَجَدِيًّا باردًا ، سوى الألوان ؛ وَوُضِعَ بين يديه مائة رطل من الباقلاء الرطب ، فَأَتَى عليه . وقيل : إنه كان يأكل كل يوم أربع أَكَلَاتٍ آخرهن أشدهن ، ثم يقول : يا غلام ، أرفع ، فوافقه ما شِيعت ، ولكنى مِلْتُ .

ومنهم عبيد الله بن زياد ، كان يأكل في اليوم خمسَ أَكَلَاتٍ آخرها جنبنة بقل ، وَيُوضَعُ بين يديه بعد ما يفرغ من الطعام عَنَاقٌ ^(١) أو جَدْيٌ فيأتى عليه وحده .

ومنهم الحجاج بن يوسف ، قال سلم بن قُتَيْبَةَ ^(٢) : كنت في دار الحجاج مع ولده ، وأنا غلام ، فقالوا : جاء الأمير ؛ فدخل الحجاج وأمر بِتَنُورٍ قُصِبَ ، وأمر رجلا بِخَبْزِ خبز الماء ودعا بِسَمَكٍ ، فأكل حتى أتى على ثمانين جاما من السمك بثمانين رغيفا من خبز الماء .

(١) القُرَاقِيّ : خبز مشوي ويروى سمنا ولبنا وسكرا .

(٢) العنّاق : الأنثى من أولاد الخنز .

(٣) هكذا في كتاب المعارف لابن قتيبة والطبري وابن الأثير . وفي الأصل : « سالم بن قتيبة » .

ومنها سليمان بن عبد الملك، روى أنه شوى له أربعة وثمانون خروفاً، فذريه إلى كل واحد منها فأكل ثمع أليته ونصف بطنه مع أربعة وثمانين رغيفاً، ثم أذن للناس وقدم الطعام، فأكل معهم أكل من لم يئق شيئاً.

وقال الشمردل ويكل عمرو بن العاص: قديم سليمان بن عبد الملك الطائف،

- فدخل هو وعمر بن عبد العزيز، فجاء حتى أتى صدره إلى غصن، ثم قال: يا شمردل، ما عندك شيء تطعمني؟ قلت عندى جدى تندو عليه حافل وتروح أخرى؛ قال: عجل به، فأتيته به كأنه عكة^(١) سم، بفصل يا كل، وهو لا يدعو عمر، حتى بقي منه فخذ قال: يا أبا حفص هلم، قال: إني صائم، فأتى عليه؛ ثم قال: يا شمردل ويك! ما عندك شيء؟ قلت: دجاجات ست، كأنهن رملان النعام، فأتيته بهن فأتى عليهن؛ ثم قال: ويك يا شمردل! ما عندك شيء؟ قلت: سويق كأنه قراضة الذهب، فأتيته^(٢) بسق يثيب فيه الرأس، فشربه؛ فلما فرغ تبحاً كأنه صارخ في جب؛ ثم قال: يا غلام، أفرغت من غدائنا؟ قال: نعم، قال: ما هو؟ قال: تيف وثمانون قدرا، قال: فأت بقدر قدر، ويقناع عليه رفاق، فأكل من كل قدر ثلاث لقم، ثم مسح يده وأستلقى على فراشه، فوضع الخوان وقعد يأكل مع الناس.

- ومن المشهورين بالأكل، هلال بن الأسعر المازني، قال المعتز بن سليمان: سأله عن أكله فقال: جعت مرة ومعى بيمرلى فتحرته وأكلته إلا ما حلت منه

(١) كذا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨٥): وفي الأصل: «حذع».

(٢) العكة: زقيق صغير السن.

(٣) رواية العقد الفريد: «خمس دجاجات هديات».

(٤) في العقد الفريد: «حريرة» وهو دقيق يطبخ بلبن أو دسم.

(٥) المس: التدح العظيم.

(٦) في العقد الفريد: «في حب» والحب: الخالية، فارسي معرب.

(٧) القناع (بالكسر): الطبق من عصب الخغل يوضع فيه الطعام.

على ظهري ، فلما كان الليل راودت أمة لي فلم أصل إليها ، فقالت : كيف تصل إلى
 وبني وبينك جمل ؟ فقلت له : كم تكفيك هذه الأكلة ؟ فقال : أربعة أيام .
 وحكى أبو سعد منصور بن الحسين الآبي في كتابه المترجم بنثر الدر : أن هلالا
 هذا أكل بهيرا ، وأكلت أمراؤه فصيلا وجامعها فلم يتمكن منها ؛ فقالت له : كيف
 تصل إلى وبني وبينك بهيران ! وله حكايات ذكرها الحمدوني في التذكرة ، والآبي
 في ثر الدر تركها اختصارا .

ومنها محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ذكر الجاحظ : أنه أكل يوما
 جنبي بكر شواء بعد طعام كثير .

ومن المشهورين بالنهم أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون ، وكان
 المأمون اذا وجهه في حاجة أمره أن يتغذى ويمضى ؛ فرُفِعَ الى المأمون في المظالم :
 إن رأى أمير المؤمنين أن يجرى على ابن أبي خالد بدلا ، وإن فيه كلفة ، إلا أن
 الكلب يحرس المنزل بكسرة ، وابن أبي خالد يقتل المظلوم ، ويُعين الظالم بأكلة ؛
 فأجرى عليه المأمون في كل يوم ألف درهم لمأنته ، وكان مع ذلك يشربه الى طعام
 الناس . ولما أنصرف دينار بن عبد الله من الجبل ، قال المأمون لأحمد بن أبي خالد :
 امض الى هذا الرجل وحاسبه وتقدم اليه بحمل ما يحصل لنا عليه ، وأتقدَّ معه خادما
 يُنهي اليه ما يكون منه ؛ وقال : إن أكل أحمد عند دينار عاد الينا بما نكره .
 ولما أتصل خبر أحمد بدينار قال للطباخ : إن أحمد أمره من نُفِخ فيه الروح ، فإذا
 رأيته فقل له : ما الذي تأمر أن يُتَّخَذَ لك ؛ ففعل الطباخ ، فقال أحمد : فراريج

(١) كذا في الأغاني (ج ٣ ص ٦٨ طبع دار الكتب) والمستلوف . وفي الأصول : « كم تلبثك » .

(٢) كذا في معجم ياقوت ونظم الدر لأبي سعد . وفي الأصول : « أبو سعيد منصور بن الحسن الآبي » .

وهو تحريف . والآبي نسبة الى آية قرية من أصهان .

(٣) البذل : العطاء ، وفي الأصل : « نزلا » .

- كُسْكِرِيَّة بِمَاءِ الرِّمَانِ تُقَدَّمُ مَعَ خِزْرِ الْمَاءِ بِالسَّمِيدِ، ثُمَّ هَاتِ بَعْدَهَا مَا شِئْتَ، فَابْتَدَأَ
الطَّبَاحُ بِمَا أَمَرَ، وَأَخَذَ أَحْمَدُ يُكَلِّمُ دِينَارًا، فَقَالَ لَهُ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ لَنَا
قَبْلُكَ مَا لَا قَدْ حَبَسْتَهُ عَلَيْنَا ؟ فَقَالَ : الَّذِي لَكُمْ ثَمَانِيَةَ آلَافِ أَلْفٍ، قَالَ : فَاحْمِلْهَا،
قَالَ : نَعَمْ، وَجَاءَ الطَّبَاحُ فَاسْتَأْذَنَ فِي نَصَبِ الْمَائِدَةِ، فَقَالَ أَحْمَدُ : تَحْمِلُ بِهَا فَوَاقِي
أُجُوعٍ مِنْ كَلْبٍ ؟ فَقَدَّمَتْ وَعَلَيْهَا مَا اقْتَرَحَ، وَقَدَّمَ الدَّبَاجَ وَعِشْرِينَ فُرُوجًا كُسْكِرِيَّةً،
فَاكَلَ أَكْلًا جَائِعٍ نَهْمٌ، مَا تَرَكَ شَيْئًا مِمَّا قَدَّمَ، فَلَمَّا فَرِغَ وَقَدَّرَ الطَّبَاحُ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ،
لَوْحَ بَطِينُورِيَّةٍ فِيهَا خَمْسُ سَمَكَاتٍ شَبَابِيضَ كَأَنَّهَا سَبَاكُ الْفِضَّةِ، فَأَنكَرَ أَحْمَدُ عَلَيْهِ
أَنْ لَا قَدَمَهَا، وَقَالَ : هَاتَهَا، وَأَعَادَ أَحْمَدُ الْخَطَّابُ ؟ فَقَالَ دِينَارٌ : أَلَيْسَ قَدْ عَرَفْتُكَ
أَنْ الْبَاقِيَ لَكُمْ عِنْدِي سَبْعَةَ آلَافِ أَلْفٍ ؟ قَالَ : أَحْسِبُكَ اعْتَرَفْتَ بِأَكْثَرِ مَنَاهَا ؟ فَقَالَ :
مَا اعْتَرَفْتُ إِلَّا بِهَا ؟ فَقَالَ : هَاتِ خَطِّكَ بِمَا اعْتَرَفْتَ بِهِ، فَكَتَبَ بِسِتَّةِ آلَافِ أَلْفٍ ؛
فَقَالَ أَحْمَدُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَلَيْسَ قَدْ اعْتَرَفْتَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : مَا لَكُمْ قَبْلِي
إِلَّا هَذَا الْمَقْدَارُ فَأَخَذَ خَطَّهُ بِهَا ؛ وَتَهَدَّمَ الْخَادِمُ فَأَخْبَرَ الْمَأْمُونُ بِمَا جَرَى . فَلَمَّا وَرَدَ
أَحْمَدُ نَاولَهُ الْخَطَّ، فَقَالَ : قَدْ عَرَفْنَا مَا كَانَ مِنْ أَلْفِ الْأَلْفِ بِتَنَاوُلِ الْغَدَاءِ، فَمَا بِالِ
أَلْفِ الْأَلْفِ الْآخَرِ ! فَكَانَ الْمَأْمُونُ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ : مَا أَعْلَمُ غَدَاءَ قَامَ عَلَى أَحَدٍ
بِأَلْفِي أَلْفٍ إِلَّا غَدَاءَ دِينَارٍ، وَأَقْتَصَرَ عَلَى الْخَطِّ وَلَمْ يَتَعَقَبْهُ كَرَمًا وَنُبْلًا .

١٥

وَمِنْهُمْ أَبُو الْعَالِيَةِ، حُكِيَ أَنَّ أَمْرَأَةً حَمَلَتْ لِحَفْلَتِ إِنْ وَلَدَتْ غُلَامًا لِأَشْرَمَيْنِ
أَبَا الْعَالِيَةِ خَيْصًا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَاطْعَمَتْهُ، فَكَانَ سَبْعَ جَفَانٍ ؛ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهَا
حَلَفَتْ أَنْ تُسَبِّحَكَ خَيْصًا ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتَ لِمَا شَبِعْتَ إِلَى اللَّيْلِ .

- وَمِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْعَلَّافُ الشَّاعِرُ، دَخَلَ يَوْمًا عَلَى الْوَزِيرِ
الْمُهَلَّبِيِّ بِقَدَادٍ، فَانْفَذَ الْوَزِيرُ مِنْ أَخَذِ حِمَارِهِ الَّذِي كَانَ يَرْكَبُهُ مِنْ غُلَامِهِ، وَأَدْخَلَ

٢٠

المطبخ وذُبح وطبخ لحمه بماء وملح، وقُدِّم بين يديه، فأكله كله وهو يظن أنه لحم
بقر، فلما خرج [و] طلب الحمار، قيل له: قد أكلته. وعوضه الوزير عنه ووصله.
فهذا كافي أخبار الأكلة .

ذكر ما قيل في الجبن والفرار

ومن أقيح ما هُجِيَ به الرجل أن يكون جباناً فراراً، وقد نهانا الله عز وجل عن
الفرار، فقال: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ**
وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دَرَبُهُ إِلَىٰ مَا كَفَرُوا إِلَىٰ فَتَنَةٍ قَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ
وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَفِيهَا الْمَصِيرُ . وقال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ**
إِنَّمَا أَسْتَرْهُمْ الشَّيْطَانُ بَعْضُ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) .
وقالت عائشة رضي الله عنها: إن لله خلقاً قلوبهم قلوب الطير، كلما خَفَّتِ
الريح خَفَّتْ معها، فأف الجبناء! أف الجبناء!

وقال خالد بن الوليد عند موته: **[لقد] لقيت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي**
موضع [شبر] إلا فيه طعنة برُخ أو ضربة بسيف أو رمية بسهم، وهانذا أموت
على فراشي خنق أتمى. كما يموت العير؛ فلا نامت أعين الجبناء! .

وقيل: كتب زياد إلى ابن عباس: أن صف لي الشجاعة والجبن والحدود والبخل؛
فكتب إليه: كتبت تسألني عن طبائع رُكبت في الإنسان تركيب الجوارح، أعلم أن
الشجاع يقاتل عمن لا يعرفه، والجبان يفر عن عِرسه، وأن الجواد يعطي من
لا يلزمه، وأن البخيل يمسك عن نفسه . وقال شاعر:

يَفِرُّ جَبَانُ الْقَوْمِ عَنْ عِيرِ نَفْسِهِ * وَيَجِيءُ شُجَاعُ الْقَوْمِ لَا يَنْبَاسِبُهُ

(١) الزيادة عن العقد الفريد وتذكرة الصفدى . (٢) هو أبو يعقوب الخريزمي كما في كتاب
هبة المجالس وأنس المجالس تأليف أبي عمرو يوسف بن عبد الله بن عبد البر الهنزي الأندلسي ورقة ١٣٣
(٣) كذا في الأصل وهبة المجالس . وفي العقد الفريد: «عن أم تهم» .

وقالوا : الجبن غريزة كالشجاعة بضعها الله فيمن شاء من خلقه .

قال المتنبي :

يرى الجبناء أن الجبن حرم * وتلك خديعة الطبع اللثيم

وقالوا : حد الجبن : الضم بالحياة ، والحرص على النجاة .

وقالت الحكماء في الفراسة : من كانت فزعته في رأسه فذاك الذي يفر منه .
أمه وأبيه ، وصاحبه وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه .

ويقال : أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم حياء من الفرار .

وقال هاني الشيباني لقومه يوم ذي قار يحرضهم على القتال : يا بني بكر ! هالك معذور خير من ناج فرور .^(٢) المنيّة ولا الدنيّة . استقبال الموت خير من استدباره .

التفر في غمور النحور ، حيرته في الأعجاز والظهور . يا بني بكر ! قاتلوا ، فما من المنايا بد ، الجبان مبغض حتى لأقربه ، والشجاع محبب حتى لمدوّه .^(٣)

ويقال : الجبن خير أخلاق النساء ، وشر أخلاق الرجال .

وقال يعلّى بن منبه لقومه حين فروا من عليّ يوم صفّين : إلى أين ؟ قالوا : ذهب الناس ، قال : أف لكم ! فراراً واعتذاراً !

قال : ولما قاتل أبو الطيّب المتنبي ورأى الغلبة عليه فر ، فقال له غلامه :
أترضى أن يُحدث الناس بهذا الفرار عنك ؟ وأنت القاتل :

الخيّل والليل والبيداء تعرفني * والطنن والضرب والفرطاس والقلم

فكرّ راجعاً ، وقاتل حتى قُتل ، واستبجح أن يُعيّر بالفرار .

(١) في ديوان المتنبي : « اد المجزعقل ... الخ » .

(٢) في العقد المرید : « قال الأحف » .

(٣) ورد هذا الخبر في تذكرة الصفدي بسط عما هنا .

(٤) في تذكرة الصفدي : « حاسوا » .

وقال المنصور لبعض الخوارج عليه وقد ظفربه : أخبرني عن أصحابي ، أيهم كان أشد إقداما في المبارزة ؟ قال : لا أعرف وجوههم مقبلين وإنما أعرف أفتيهم مُدبرين ، قلل لهم يُدبروا لأعرتك أيهم كان أشد فرارا .

وقال ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

قِرْنُ سُلَيْمَانَ قَدْ أَضْرَبَهُ * شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيَدْنُهُ
لَا يَعْرِفُ الْفِرْنَ وَجْهَهُ وَيَرَى * قَضَاءَ مَنْ فَرَّخَ فِعْرَهُ

وقال حسان بن ثابت يُعير الحارث بن هشام بفراره يوم بدر :

إِنْ كُنْتُ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي * فَتَجَوَّيْتُ مَنَجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
تَرَكَ الْأَحْبَةَ لَمْ يُقَاتِلْ دُونَهُمْ * وَبَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِحَامٍ
مَلَأَتْ بِهِ الْفَرَجَيْنِ فَارْمَدَتْ بِهِ * وَتَوَى أَحَبَّهُ^(١) بِشَرِّ مَقَامٍ

وقال أبو الفرج الأصفهاني : وكان أبو حبة النخعي ، وهو الهيثم بن الربيع ابن زُرارة ، جباناً بخيلاً كذاباً . قال ابن قتيبة : وكان له سيف يسميه : أعاب المنية ، ليس بينه وبين الخشب فرق . قال : وكان أجبن الناس ؛ قال : لحدثني جار له قال : دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصاً ؛ فأشرفت عليه ، وقد آتضى سيفه ، وهو واقف في وسط الدار يقول : أيها المعتزبنا ، المجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ؛ خير قليل ، وسيف صقيل ، لعاب المنية الذي سمعت به ، مشهورة ضربته ، لا تخاف نبوته ؛ أنخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ؛ إني والله إن أدعُ قيساً إليك لا تقم لها ؛ وما قيس ؟ تملأ والله الفضاء خيلاً ورجلاً ، سبحان الله !

(١) أرمزت به : أسرعت وعدت مثل عدو الرمداء ، وهي النعام .

(٢) يقال : نصي السيف من غمده وأكتضاه إذا أخرجه .

ما أكثرها وأطيبها! فينا هو كذلك، إذا الكلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذي مسخك كلبا، وكفانا [فيك] ^(١) حرا .

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم، قول الشاعر :
ولو أنها عصفورة لحسبتها * مسومة تدعو عبيدا وأزمتا ^(٢)

ومثله قول عروة بن الورد :
وأشجع قد أدركتهم فوجدتهم * يخافون خطف الطير من كل جانب
وقال آخر :

مازلت تحسب كل شيء بعدهم - خيلا تكثر عليهم ورجلا
وقول أبي تمام :

١٠ موكّل يفاع الأرض بشرفه * من خفة الخوف لا من خفة الطرب
وقال ابن الرومي :

وفارس أجبن من صفر ^(٤) * يحوّل أو يعوّز من صفره ^(٥)
لوصاح في الليل به صائح * لكانت الأرض له طفرة
يرحمه الرحمن من جنبه * فيرزق ^(٦) الجند به النصرة

- ١٠ (١) الزيادة عن تذكرة الصمدى .
(٢) في كتاب التفاض (ص ٥٨٤) ولسان العرب هو العوام بن شاذب النشيانى .
(٣) كذا في التفاض ص ٥٨٥ ولسان العرب مادة «زعم» ؛ وعبيد وأزمت : بطلان من بنى يربوع .
وفي الأصلين (أرنا) بالراء المهملة وهو تحريف .
(٤) الصفر : طائر يقال له : أبو الملح وهو طائر جبان .
(٥) في ديوان ابن الرومي : "أويشول" .
(٦) في ديوان ابن الرومي : "فطعم الله به نصره" .

١٠٩ ومن أخبار الفرّارين الذين حسّنوا الفرار على قبّحه
قال صاحب كلیلة ودمنة : إن الحازم يكره القتال ما وجد بدا منه ، لأن الثقة
فيه من النفس ، والثقة في غيره من المال .

وقالوا : من توفّي سلم ، ومن تهور ندّم .

وقال عبد الله بن المقفّع : الشجاعة متّلفة ، وذلك أن المقتول مُقبلاً أكثر من
المفتول مُدبراً ، فن أراد السلامة فليؤثّر الجُن على الشجاعة .

وليم بعض الجبناء على جنبه ، فقال : أوّل الحرب شكوى ، وأوسطها تجوى ،
وآخرها بلوى .

وقال آخر : الحرب مقتلّة للمباد ، مذهبة للطارف والتلاد .

١٠ وقيل لبیان : لم لا قتال ؟ فقال : « عند النطاح يُتّاب الكباش الأجم » .

وقالوا : الحياة أفضل من الموت ، والفرار في وقته ظفر .

وقالوا : الشجاع ملقّ ، والجبان موقّ . قال البديع الحمّداني :

ماذا فهما كاشجاع ولاخلا ، بمسرّة كالعاجز المتسواني

وقالوا : الفرار في وقته ، خير من الثبات في غير وقته .

١٥ وقالوا : السّلم أذكى لئال ، وأبقى لأنفس الرجال .

وقالوا : الحما في الإقدام ، والسلامة في الإحجام .

وقال المتوكل لأبي العيّن : إني لأفوق من لسانك ، قال : يا أمير المؤمنين ، الكريم
ذو فرق وإحجام ، واللّيم ذو وقّاحة وإقدام .

وقيل لأعرابي: ألا تعرف القتال فإن الله قد أمرك به؟ فقال: والله إنى لأبغض الموت على فراشي في عافية، فكيف أمضى إليه ركضاً! قال شاعر:

تمشى المنايا الى قورم فأبغضها * فكيف أعدو إليها عارى الكفن^(٢)؟

وقيل ليزيد: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا رأيت شخصاً بالليل فكُن

- للإقدام عليه أولى منه عليك"، فقال: أحاف أن يكون قد سمع الحديث قبل، فأقع معه فيما أكره، وإنما الهربُ خير.

وسَمِعَ سَلْيَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَارِئًا يَقْرَأُ: يَقُولُ أَنْ يَنْقَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْتَحُونَ إِلَّا قَلِيلًا، فقال: ذلك القليل يزيد.

ولما قَرَأَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ بْنُ أَسِيدٍ يَوْمَ مَرَدَاءَ هَجَرَ بِالْبَحْرَيْنِ^(٣) مِنْ

- أَبِي قُدَيْكٍ الْخَارِجِيِّ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ أَهْلُهَا، فَلَمْ يَدْرُوا كَيْفَ يَكُونُهُ وَلَا مَا يَلْقَوْنَهُ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ، أَيْهِنُونَهُ بِالسَّلَامَةِ أَمْ يَعْزُونَهُ بِالْفِرَارِ، حَتَّى دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ الْأَثَمِ، فَاسْتَشْرَفَ النَّاسَ لَهُ، ثُمَّ قَالُوا: «عَسَى أَنْ يَقُولَ لِمَنْهَزِمٍ! فَلَمْ يَنْقَلِبْ قَالَ: مَرْحَبًا بِالصَّابِرِ الْمُخْذُولِ [الَّذِي خَذَلَهُ قَوْمُهُ]، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَظَرْنَا عَلَيْكَ، وَلَمْ يَنْظُرْ لَكَ عَلِيًّا. فَقَدْ تَعَرَّضْتَ لِلشَّهَادَةِ جَهْدَكَ. وَلَكِنَّ اللَّهَ عَلِمَ حَاجَةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَيْكَ فَأَبْقَاكَ لَمْ يَخْذُلْنَا مِنْ مَعَكَ لَكَ. فَقَالَ أُمَيَّةُ: مَا وَجَدْتُ أَحَدًا أَخْبَرَنِي عَنْ نَفْسِي غَيْرَكَ.

(١) في تذكرة الصفدى والمقد البريد (ج ١ ص ٤٠ طبع يولاء): «الأتعزو الصدوق فان الله... الخ».

(٢) في تذكرة الصفدى: «عارى الكفن».

(٣) في معجم البلدان لياقوت — بعد أن شرح «مرداء» هجر بأنها دولة دونها لا تنت شيئا —

- قال: «مرداء» مصر أيضا قرية كان بها يوم بين أبي قديك الخاريجي وأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد هجر أمية أفصح مراد «ه» (٤) الزيادة عن المقد البريد.

وقال الحارث بن هشام وأحسن في اعتذاره عن الفرار :

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا مهري بأشقر مزيد
وعلمت أني إن أقاتل واحدا * أقتل ولا يصرر عدوى مشهدي
فصدفت عنهم والأجبة فيهم * طمعا لم يعقاب يوم سرميد

وقال زفر بن الحارث وقد فر يوم مرج رَاهِط^(١) عن رَفِيقِهِ^(٢) :

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ واحد إن أسأته * بصلاح أياي وحسن بلائيا
فلم ترمني زلة قبل هذه * فإراي وتركي صاحبي ورايا

وهي أبيات نذكرها إن شاء الله في التاريخ . ونظير ذلك قول عمرو بن معد يكرب من أبيات يخاطب بها أخته رَجْحَانَةَ ، وقد فر من بني عبس :

أَجَاعِلُهُ أُمُ الثَّوِيرِ نَحْرَايَةً * على فِرَارِي إِذْ لَقِيتُ بَنِي عَبْسِ
ولبسُ عَابِ الْمَرْءِ من جبن يومه إِذَا عُرِفَتْ مِنْهُ الْجَمَايَةُ بِالْأَمْسِ

وعكس هذا البيت عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي . وكان قد فر يوم الحرة من جيش مسلم بن عقبة ، فلما حاصر الحجاج عبد الله بن الربيع بمكة جعل يقاتل أهل الشام ويرتجز :

أما الذي فررت يوم الحرة * والشيخ لا يفتر إلا مرة
فاليوم أجزي كربة يفرة * لا بأس بالكربة بعد الفرة
ولم يزل يُقاتل حتى قُتِلَ . قال القزاز السلمي :

(١) مرج رَاهِط : موضع صوفة دمشق ، سمي باسم رجل من قصيدة ، كانت به وقعة مشهورة بين قيس وفضل (راجع معجم ياقوت) في اسم رَاهِط .

(٢) في العقد المبريد : « عن أبيه وأخيه » .

(٣) في حسانة العنبري (ص ٦٧ طبع أدربا) : « أم الحصين » .

(٤) في العقد المبريد : « ... إذا عرفت منه الشجاعة ... الخ » .

(٥) الذي في حسانة البعري ص ٦٥ « وقال حيان بن الحكم السلمي » .

وفواريس لَبَسَتْهَا فِوَارِس * حَتَّى إِذَا أَتَبَسَتْ أَمَلْتُ بِهَا يَدِي ^(١)
وَرَزَكْتُهُمْ نَقَصَ الرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ * مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وَآخِرِ مَسْنَدٍ
هَلْ يَنْفَعُنِي أَنْ يَقُولَ نَسَائِهِمْ * وَقُلْتُ دُونَ رَجَالِهِمْ : لَا تَبْعِدْ ؟

وقال آخر :

قَامَتْ تُسَجِّعُنِي هِنْدٌ قُلْتُ لَهَا * إِنْ الشَّجَاعَةُ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطْبُ ^(٢)
لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارُ رُؤْيَايَهُ * مَا يَسْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهْ أَرْبُ ^(٣)
لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ * إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَثَبُّوا ^(٤)
وقيل لبلبان في بعض الوقائع : تَقَدَّمَ ، فقال :

وَقَالُوا تَقَدَّمَ قُلْتُ لَسْتُ بِفَاعِلٍ * أَخَافُ عَلَى نَخَارَتِي أَنْ تَحْطُمَا
فَلَوْ كَانَ لِي رَأْسَانِ أَتَلَفْتُ وَاحِدًا * وَاصْكَرْ رَأْسٌ إِذَا زَالَ أَعْقَمَا
وَأَوْثَمُ أَوْلَادًا وَأَرْمِلُ نِسْوَةً * فَكَيْفَ عَلَى هَذَا تَرَوْنَ التَّقَدَمَا

ذكر ما قيل في الحق والجهل

قالوا : الحقُّ قَلَّةٌ الْإِصَابَةُ ، وَوَضَعَ الْكَلَامُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . وقيل : هُوَ فَقْدَانُ
مَا يُجِدُّ مِنَ الْعَاقِلِ . وقيل لعمربن هُبَيْرَةَ : مَا حَذَّ الْحَقُّ ؟ قَالَ : لَا حَذَّ لَهُ كَالْعَقْلِ .

(١) ورد هذا البيت في حاشية البحري ص ٢٦٥ هكذا :

وَكَثِيرَةٌ لَبَسَتْهَا بِكَيْتَةٍ * حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ ضَمَعَتْ بِهَا يَدِي

(٢) كذا في حاشية البحري ، وتقص : تذوق وتكرس . وفي الأصل : «نقص» وهو تحريف .

(٣) في تذكرة الصفدي : * بَاتَتْ تُسَجِّعُنِي عَرَبِيٌّ وَقَدْ عَلِمَتْ *

(٤) رواية تذكرة الصفدي : * ضَمَعَتْ الْأَنْصَارُ كَيْبَةً *

(٥) في تذكرة الصفدي : ... إِلَى آفَاتِهَا ... الخ .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الأحق أبعض الخلق إلى الله ،
لأنه حرّمه أعزّ الأشياء عليه وهو العقل» .

١١٢

وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى : أتدري لم رزقتُ الأحق ؟ قال : لا يارب ،
قال : ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاجتهاد .

وقال الشعبي : إذا أراد الله أن يُزيل عن عبد نعمة كان أول ما يُصلمه عقله .

وقالوا : الحق داءٌ ودواءه الموت . وقد بين الله تعالى خيبة من لم يعقل بقوله : (لِيُنذِرَ
مَنْ كَانَ حَيًّا) قيل : عاقلاً ، وبقوله : (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتني قومٌ على رجل عند النبي صلى الله
عليه وسلم حتى بَاتُوا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كيف عقلُ

الرجل» ؛ فقالوا : نُحْبِرُكَ عَنْ أَجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَصْنَافِ الْخَيْرِ وَنَسألُنَا عَنْ

عقله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ الْأَحْقَّ يَصِيبُ بِحُفَّتِهِ أَعْظَمَ مَنْ
بُحُورِ الْفَاجِرِ وَتَرْتِفِعُ الْعِبَادَةُ عِنْدَ فِي الدَّرَجَاتِ [زَلَنِي مِنْ رَبِّهِمْ] عَلَى قَدَرِ عَقُولِهِمْ» .

وَمِنْ كَلَامٍ لِقَهْلَانَ لَأَبْنَيْهِ أَنْ تَكُونَ أَحْرَسَ عَاقِلًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ نَطُوقًا جَاهِلًا .

ولكل شيء دليل ، ودليل العقل النقل ، ودليل النقل الصمت^(١) . وكفى بك جهلاً

أَنْ تَنْهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ وَتَرْكِبُهُ .

وقال عيسى عليه السلام : عَالِجْتُ الْأَكْثَرِ وَالْأَبْرَصَ فَأَبْرَأْتُهُمَا ، وَعَالِجْتُ الْأَحْقَّ

فَأَعْيَانِي . قال شاعر :

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطْبُ بِهِ . إِلَّا الْجَاهِلَةَ أَعِثْ مِنْ يَدَاوِيهَا

(١) الزيادة عن تذكرة الصفدي .

(٢) رواية الصفدي : « ودليل النقل الفكر ، ودليل الفكر الصمت » .

وقال آخر :

وعلاجُ الأبدانِ أيسرُ خطباً • حينَ تعتَل من علاجِ العقولِ

وقال آخر :

المُحقُّ داءٌ ما له حيلةٌ • تُزجى كبعدِ النجمِ من مسِه

وقيل إذا قيل لك : إن فقيراً استغنى ، وغنياً افتقر ، وحياتاً مات ، أو ميتاً عاش ،
فصدّق ؛ وإذا بَلَغَكَ أن أحقَّ استغنى عفاً فلا تصدّق .

وقالوا : الأحقُّ نَحْنُ أمَّهُ أنْهَا به مُشْكَلَةٌ ، ونَحْنُ زَوْجُهُ أنْهَا مِمَّ أَرْمَلَةٌ ؛ ويَتَنَحَّى
جَارُهُ مِنَ الْعِزَّةِ ، وَرَقِيقُهُ مِنَ الْوَحْشَةِ ، وَأَخُوهُ مِنَ الْفُرْقَةِ .

وقال سهل بنُ هارونَ : وَجَدْتُ مَوَدَّةَ الْجَاهِلِ ، وَعَدَاوَةَ الْعَاقِلِ ، أَسْوَدَ فِي الْخَطَرِ ؛
وَوَجَدْتُ الْأَنْسَ بِالْجَاهِلِ ، وَالْوَحْشَةَ مِنَ الْعَاقِلِ ، سَيِّئِينَ فِي الْغَيْبِ ؛ وَوَجَدْتُ غِشَّ
الْعَاقِلِ أَقْلَ ضَرراً مِنْ بَصِيحَةِ الْجَاهِلِ ؛ وَوَجَدْتُ طُغْيَانَ الْعَاقِلِ أَوْقَعَ بِالْصَوَابِ مِنْ
يَقِينِ الْجَاهِلِ ؛ وَوَجَدْتُ الْعَاقِلَ أَحْفَظَ لِمَا لَمْ يُسَكِّمْ مِنَ الْجَاهِلِ لِمَا اسْتَكْبَمَ .
وقال لقمان لأبيه : لَا تُعَانِبِرِ الْآحَقَّ ؛ وَإِنْ كَانَ ذَا بَهِالٍ ، وَأَنْظُرْ إِلَى السَّيْفِ ،
مَا أَحْسَنَ مَنَظَرَهُ وَأَقْبَحَ أَثَرَهُ ! .

وقال عليُّ رضي الله عنه : فَطِيعَةُ الْجَاهِلِ نَعْدِلُ حِمْلَةَ الْعَاقِلِ . وقال : صديق
الجاهل في تعب .

وقال آخر : لَأَنَا لِلْعَاقِلِ الْمُدْبِرِ أَرْجَى مَنِّي تِلْكَ الْمُقْبِلِ . وقال شاعر :
عَدُوُّكَ دُو الْعَفْلِ خَيْرٌ مِنَ الصَّدِيقِ لَكَ الْوَامِقِ الْآحَقِ

(١) كذا في تذكرة السعدى . وفي الأصل : « أَرْجَى نَحْنُ مِنَ الْآحَقِّ » وهو محريف .

والبيت المشهور السائر :

وَلَا نَ يُعَادِي عَاقِلًا خَيْرُ لَهُ • مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحَقُّ

وقيل : الحق يَسْلُبُ السلامة ، ويورث الندامة . وقد ذقوا مَنْ له أدب
بلا عقل .

• ووصف أعرابي رجلا فقال : هو ذو أدب وافر ، وعقل نافر . قال شاعر :

فَهَبْكَ أَخَا الْآدَابِ أَىْ فَضِيلَةٍ • تَكُونُ لَدَى عِلْمٍ وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ



ومن صفات الأحمق وعلاماته . قيل : ما أعْدَمَكَ مِنَ الْأَحْمَقِ فَلَا يُعْذَمُكَ
منه كثرة الاكتفات وسرعة الجواب . ومن علاماته الثقة بكل أحد .

وَيُقَالُ : إِنَّ الْجَاهِلَ مُوَلِّعٌ بِمَحَلَاةِ الْعَاجِلِ ، غَيْرَ مَالٍ بِالْعَوَاقِبِ ، وَلَا مُعْتَبِرٍ
بِالْمَوَاقِظِ ، لَيْسَ يُجِبُّهُ إِلَّا مَا ضَرَّهُ ؛ إِنْ أَصَابَ فَعَلَّ غَيْرَ قَصِيدٍ ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَهُوَ
الَّذِي لَا يَحْسُنُ بِهِ غَيْرُهُ ؛ لَا يَسْتَوْحِشُ مِنَ الْإِسَاءَةِ ، وَلَا يَفْرَحُ بِالْإِحْسَانِ .

وقالوا : سَتْ خِصَالٌ تُعَرِّفُ فِي الْجَاهِلِ : الْغَضَبُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ، وَالْكَلَامُ
فِي غَيْرِ نَفْعٍ ، وَالْقِطْنَةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ، وَلَا يَعْرِفُ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ ، وَإِفْشَاءُ السَّرِّ ،
وَالثُّقَّةُ بِكُلِّ أَحَدٍ .

وقالوا : غَضَبُ الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ ، وَغَضَبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ . وَالْعَاقِلُ إِذَا تَكَلَّمَ
بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا مَثَلًا ، وَالْأَحْمَقُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا حَلِيفًا ^(١) . الْأَحْمَقُ إِذَا حَدَّثَ ذَهَلًا ،
وَإِذَا تَكَلَّمَ عَجَلًا ، وَإِذَا حِيلَ عَلَى الْقَبِيحِ فَعَلَّ .

وقال أبو يوسف : إثْبَاتُ الْحُجَّةِ عَلَى الْجَاهِلِ سَهْلٌ ، وَلَكِنْ إِقْرَارُهُ بِهَا صَعْبٌ .

(١) كَذَا فِي الذِّكْرَةِ • وَفِي الْأَصُولِ : « خَلِيفًا » بِأَلْهَاءِ الْمَجْمُوعَةِ .

وقال وهب بن منبه : كان يقال للأحقق : اذا تكلم فضحه محقه ، واذا سكنت فضحه عيه ، واذا عمل أفسد ، واذا ترك أضاع ؛ لا علمه يحينه ، ولا علم غيره ينفعه ؛ تؤذ أمه أنها تكلته ، وتنتى أمراته أنها علمته ؛ ويتمنى جاره منه الوحدة ، وتأخذ جلسه منه الوحشة .

- ويُسْتَدَلُّ على الأحقق بأشياء ، قالوا : من طالت قامته ، وصغرت هامته ، وأنسدلت لحيته ، كان حقيقا على من يراه أن يهرته عن عقله السلام .
- ويقال في الثوراة : الحية تخرجها من الدماغ ، فن أفرط عليه طولها قل دماغه ، ومن قل دماغه قل عقله ، ومن قل عقله فهو أحمق .

وقالت أعرابية لقاض قضى عليها : صغر رأسك ، فبعد فهمك ، وأنسدلت

- ١٠ الحيتك ، فتكويج علك ، وما رأيت ميتا يقضى بين حيتين غيرك .

وقال مسامة بن عبد الملك جلسائه : يعرف حق الرجل في أربع : طول لحيته ، وبساعة كنيته وإفراط شهوته ، ونقش خاتمه ؛ فدخل عليه رجل طويل الحية ، فقال : أما هذا فقد أناكم بواحدة ، فانظروا أين هو من الثلاث ؛ ف قيل له : ما كنيته ؛ فقال : أبو الباقوت ، ف قيل له : ما نقش خاتمك ؟ فقال : وَتَقَدَّ الطيرُ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْمُنْعَدَّ . قيل : فأى الطعام أحب إليك ؟ قال : ^(١)الجلنجين ، فقال مسامة : فيه ما بعد كنيته ، مع طول لحيته ، مع نقش خاتمه شك يُعْتَبَرُ .

- ١٠ قال الشعبي : خطب الجحاج يوم جمعة فأطال ، فقام إليه أعرابي فقال له : إن الوقت لا ينتظرك وإنَّ الربَّ لا يَنتَظِرُكَ ؛ فأمر به فحبس ، فأتاه أهله يشفون فيه

(١) في عيون الأخبار (ج ٢ ص ٣٩ طبع دار الكتب المصرية) : « هشام بن عبد الملك » .

٢٠ (٢) في كتاب الاقطاف الفارسية المربة لادى شيخ وأقرب الموارد أن الجلنجين : مجرور يعمل من الورد والعسل ، فارسي معرب عن كلمة "كل" ومعناها ورد ، وعن كلمة "أنكين" ومعناها عسل .

وقالوا : إنه مجنون ؛ فقال المجالج : إن أقر بالجنون خليتُ سبيله ؛ فاتوه وسألوه ذلك ، فقال : لا والله ، لا أقول إن الله آبتلاني وقد عافاني ؛ فبلغ كلامه المجالج فعظم في نفسه وأطلقه .

وقال الأصمعي : قلت لغلام من أبناء العرب : أيسرك أن يكون لك مائة ألف وأنت أحمق ؟ قال : لا والله ! قلت : ولم ؟ قال : أخاف أن ينجي على حمقى جنابة فتذهب مئتي ويبقى حمقى .

والعرب تضرب المثل في الحق يعجل بن الحميم ، ويزعمون أنه قيل له : إن لكل فرس جواد أسما ؛ وإن فرسك هذا سابق فسمه ؛ ففقا عينه وقال : سميتُه الأعور . وفيه يقول الشاعر :

رَمَتْنِي بَنُو عَجَلٍ بِدَاءِ أَيِّمٍ * وهل أحدٌ في الناس أحمق من عجل ١٠

أليس أبوهم عارٌ عين جواده * فسارت به الأمثال في الناس بالجهل
ويضربون المثل في الحق بهبقة القيسي ، وهو يزيد بن زروان ، ويكنى أبا نافع ، حكى أنه شرد له بعير ، فقال : من جاء به فله بعيران ؛ فقيل له : اتجمل في بعير بعيرين ؟ فقال : إنكم لا تعرفون فرحة الوجدان .

وقد رضى قومٌ بالجهل فقالوا : ضعف العقل أمانٌ من النعم . وقالوا : ما سر عاقل قط . قال أبو الطيب المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعم بعقله * وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

(١) رواية ميون الأخبار (ج ٢ ص ٤٣) :

* رأى عباد الله أنك من عجل *

(٢) عاره : صيره أعور .

وقال حكيمٌ : ثمرة الدنيا السرور، ولا سرور للعقلاء . وقال المغيرة بن شعبه :
ما العيشُ إلّا في إلقاء الحشمة . وقال بكر بن المتتمر : اذا كان العقل سبعة أجزاء^(١)
احتاج الى جزء من جهل يُقَدِّم على الأمور، فإن العاقل أبداً متوأن متوقّف
متخوّف . قال النابغة الجعدي :

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ اذا لم تكن له * بواذر تَحْيى صفوه أن يُكذِّرا
وقال آخر :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفائكُ اللّهِجُ
أخذه آخر فقال :

من راقب الناس مات غمًّا * وفاز باللذة الجسورُ
وقالوا : الجاهلُ ينالُ أغراضه، ويظفرُ بأرائه، ويطيغُ قلبه، ويمجى في عِنانِ
هواه، وهو برئٌ من اللوم، سليمٌ من العيب، مغفورُ الزلات .
وقالوا : الجاهلُ رنحُ الدرع، خالٍ البال، عازبُ الهم، حسنُ الظن، لا يخطرُ
خوفُ الموت بفكره، ولا يجرى ألمُ الإشفاق على ذكره .

وقالوا : الجهلُ مِطْيئةُ المِراج والمسرّة، ومسرّحُ المِزاج والفكاهة، وحليفُ الهوى
والتصايب، صاحبُهُ في ذِمّام من عهدة اللوم والعتب، وأمان من قوارص الذم والسب .
قال بعضُ الشعراء :

ورأيتُ الممومَ في صحّةِ العقلِ قد أويئها بإمراضِ عقلِ

وقالوا : لو لم يكن من قُصيلةِ الجهلِ غيرُ الإقدام، وورودِ الحِمام، إذ هما من
الشجاعة والبسالة، وسببِ تحصيلِ المهابة والجلالة، لكفاه . قال أبو هلال العسكري :
سألني بعضُ الأدباء : أيّ الشعراء أشدُّ حمقا ؟ قلت الذي يقول :

(١) في تذكرة الصفي : "تسمة" .

أَتَيْهِ عَلَى إِنْسِ الْبِلَادِ وَجَنِّهَا وَلَوْ لَمْ أَجِدْ خَلْقًا لَتَيْتُ عَلَى نَفْسِي
أَتَيْهِ فَلَا أَدْرِي مِنَ التَّيِّبِ مَنْ أَمَّا * سَوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي وَفِي جَنَسِي
فَإِنْ صَدَقُوا أَمِي مِنَ الْإِنْسِ مِثْلَهُمْ . فَمَا فِي عَيْبٍ غَيْرَ آتِي مِنَ الْإِنْسِ

ذكر ما قيل في الكذب

قال الله عز وجل : ﴿وَلَا يَكُلُّ أُولَئِكَ أَثِيمٌ﴾ . وقال : ﴿إِنَّمَا يَقْتَرَى الْكَذِبَ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ . وقال في الكاذبين : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾ . كَمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى
الْفُجُورِ وَالْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ “ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” الْكَذِبُ مُجَانِبُ
الْإِيمَانِ “ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مَنَاقِبٌ وَإِنْ صَلَّى
وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَحْلَفَ وَإِذَا أَوْثَقَ حَانَ “ .
وقال صلى الله عليه وسلم : ” لَا يَجُوزُ الْكَذِبُ فِي حَدٍّ وَلَا هَزْلٍ “ . وقال : ” لَا يَكُونُ
الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا “ .

وقالت الحكماء : ليس للكاذب ثروة .

وقالوا : مَنْ عُرِفَ بِالْكَذِبِ لَمْ يَحْسُنْ صَدَقُهُ .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : حَلَفَ الْوَعْدُ ثَلَاثُ انْفِاقٍ .

وقال بعض الحكماء : الصَّدَقُ مُتَجِيكُ وَإِنْ خِفْتَهُ ، وَالْكَذِبُ مُرْدِيكَ وَإِنْ أَمِنتَهُ .

قال أبو عمرو بن العلاء القاري : سَادَّ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَكَانَ مَلِيقًا ، وَسَادَّ أَبُو جَهْلٍ وَكَانَ

(١) في تذكره الصفي زيادة في هذا الحديث نصها : ” وَتَحَرَّوْا الصَّدَقَ مَاذَا الصَّدَقُ يَهْدِي إِلَى الْبَرِّ

حَدَّثَنَا ، وساد أبو سفيان وكان بَجَلًا ، وساد عامر بن الطفيل وكان عاهراً ، وساد
كُتَيْب بن وائل وكان ظلوماً ، وساد عَيْنَةُ وكان مُحَمَّماً ، ولم يَسُدْ قطُّ كَذَابٌ ؛ فصلح
السُّودُّد مع الفقر والحداثة والبخل والمهر والظلم والحق ، ولم يصلح مع الكَذِب ؛
لأن الكَذِب يعم الأخلاق كلها بالفساد .

وقال يحيى بن خالد : رأيت شَرِيبَ نَعْرِ نَزَع ، ولصاً أَقْلَع ، وصاحبَ فَوَاحِش .
رجع ، ولم أَرِ كَذَاباً رَجِع .

ويقال : الكَذِبُ مِفْتَاحُ كُلِّ كَبِيرَةٍ ، والخمرِ جَمَاعُ كُلِّ شَرٍّ .

وقيل : لا تَأْمَنَنَّ مَنْ يَكْذِبُ لَكَ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيْكَ .

وقيل : الكَذِبُ والنَّفَاقُ والحسدُ أَثَانِي النَّفْلِ .

وقال ابنُ عباس : حَقِيقٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ لِلْكَذِبِ دَرَجَةً ، وَلَا يُثَبِّتَ لَهُ حِجَةً .

وقال سليمانُ بن سَعْدٍ : لو صَحِبْنِي رَجُلٌ وَقَالَ : لَا تَسْتَرْطِ عَلَيَّ إِلَّا شَرْطاً وَاحِداً
لَقُلْتُ : لَا تَكْذِبْنِي .

وقال أبو حيان التَّوْحِيدِيُّ : الكَذِبُ شِعَارُ خَلْقٍ ، وَمَوْرِدُ رَنَقٍ ، وَأَدَبُ سَيِّئٍ ،
وَعَادَةُ فَاحِشَةٍ ؛ وَقُلْ مَنْ أَسْرَسَلَ فِيهِ إِلَّا إِلَهَهُ ، وَقُلْ مَنْ أَلْفَهُ إِلَّا أَلْفَهُ .

وقال غيره : الكَذِبُ أَوْضَعُ الرِّذَالِ خُطَّةً ، وَأَجْمَعُهَا لَذْمَةً وَالْمَحْطَةَ ، وَأَكْبَرُهَا دُلاً
فِي الدُّنْيَا ، وَأَكْثَرُهَا خُزْياً فِي الْآخِرَةِ ؛ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ عِلَامَاتِ النِّفَاقِ ، وَأَهْوَى الدَّلَائِلِ
عَلَى دَنَاءَةِ الْأَخْلَاقِ وَالْإِعْرَاقِ ؛ لَا يُؤْتَمَنُ حَامِلُهُ عَلَى حَالٍ ، وَلَا يُصَدَّقُ إِذَا قَالَ .

وقيل : لِكُلِّ شَيْءٍ أَفَةٌ ، وَالْكَذِبُ أَفَةُ النَّطْقِ .

وقال بعضُ الكرماء : لو لم أَدِيعِ الْكَذِبَ تَأْتِماً ، لَتَرَكْتُهُ تَكَرُّماً .

وقال أرسطاطاليس : فَضِّلِ النَّاطِقُ عَلَى الْآخَرِسِ بِالنَّطْقِ ، وَزَيْنُ النَّطْقِ الصِّدْقُ ؛
فَإِذَا كَانَ النَّاطِقُ كَاذِباً فَلَا خَيْرَ مِنْ خَيْرِهِ .

وقال بعض الحكماء لولده : يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَالْكَذْبَ ، فَإِنَّهُ يُزْرِى بِقَائِلِهِ ، وَإِنْ كَانَ شَرِيفًا فِي أَصْلِهِ ، وَيُذَلُّهُ وَإِنْ كَانَ عَزِيزًا فِي أَهْلِهِ .

وقال الأحنف بن قيس : إِتَّانٍ لَا يَجْتَمَعَانِ : الْكَذْبُ وَالْمَرْوَةُ .

وقال بُزْرَجِيهْرُ : الْكَاذِبُ وَالْمَيْتُ سَوَاءٌ ، لِأَنَّ فَضِيلَةَ النُّطْقِ الصَّدْقُ ، فَإِذَا لَمْ يُوَثَّقْ بِكَلَامِهِ بَطَلَتْ حَيَاتُهُ .

وقال معاوية يوما للأحنف : أَتَكْذِبُ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ مُذْ عَلِمْتُ أَنَّ الْكَذْبَ شَيْنٌ .

وقيل : لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكْذِبَ لِصَلَاحِ نَفْسِهِ ، فَمَا عَجَزَ الصَّدْقُ عَنْ إِصْلَاحِهِ كَانَ الْكَذْبُ أَوْلَى بِفَسَادِهِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

مَا أَحْسَنَ الصَّدْقَ وَالْمَغْبُوطُ قَائِلُهُ * وَأَقْبَحَ الْكَذْبَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ ١٠

وَقَالُوا : إِحْذَرِ مَصَاحِبَةَ الْكَذَابِ ، فَإِنْ أَضْطَرَّرْتَ إِلَيْهَا فَلَا تَصَدِّقْهُ ، وَلَا تَعْلَمْهُ أَنْكَ كَذَّبْتَهُ ، فَيَنْتَقِلَ عَنْ مَوْدَعِهِ ، وَلَا يَنْتَقِلَ عَنْ كَذِبِهِ .

وَقَالَ هُرْمَسٌ : اجْتَنِبْ مَصَاحِبَةَ الْكَذَابِ ، فَإِنَّكَ لَسْتَ عَلَى شَيْءٍ يُحْتَصِّلُ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ مَعَ عَلَى مِثْلِ السَّرَّابِ يَأْمَعُ وَلَا يَنْفَعُ .

وَقِيلَ : الْكَذَابُ شَرٌّ مِنَ النَّعَامِ ، فَإِنَّ الْكَذَابَ يَخْلُقُ عَلَيْكَ ، وَالنَّعَامَ يَنْقُلُ عَنْكَ . قَالَ شَاعِرٌ :

إِنَّ النَّعْمَ أَفْغَى دُونَهُ خَبَرِي * وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ فِي مُقَرِّى الْكَذِبِ

وَقَالَ آخَرُ :

لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنْمِي وَلَيْسَ فِي الْكَذَابِ حِيلَةٌ

مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُو * لُ خَلْقِي فِيهِ قَلِيلَةٌ ٢٠

ووصف أعرابي كذابا فقال : كَذِبُهُ مِثْلُ عَطَاسِهِ : لَا يُمْكِنُهُ رَدُّهُ .

وقال بعض الأعراب : جِبت من الكَذَّابِ المِشِيدِ بكَذِبِهِ ، وإِغَاوِهِ يَدُلُّ النَّاسَ عَلَى عَيْبِهِ ، وَيَتَمَرَّضُ لِلْعِقَابِ مِنْ رَبِّهِ ، فَلَا تَأْمَ لَهُ عَادَةٌ ، وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ مُتَضَادَّةٌ ؛ إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدَّقْ ، وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُؤْفَقْ ؛ فَهُوَ الْخَانِي عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ ، وَالْدَّالُّ عَلَى فَضِيحَتِهَا بِعِقَالِهِ ؛ فَمَا صَحَّ مِنْ صَدَقَةٍ تُسَبِّبُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبٍ غَيْرِهِ تُسَبِّبُ إِلَيْهِ .

وَيُقَالُ : الْكَذِبُ جَمَاعُ النِّفَاقِ ، وَعِمَادُ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ ؛ عَارٌ لَزِمَ ، وَنَذْلٌ دَائِمٌ ؛ يُخَيِّفُ صَاحِبَهُ نَفْسَهُ وَهُوَ آمِنٌ ، وَيَكْشِفُ سِتْرَ الْحَسَبِ عَنْ لُؤْمِهِ الْكَامِنِ .
وقال بعض الشعراء :

١٠ لَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَاتِهِ * أَوْ عَادَةِ السُّوءِ أَوْ مِنْ قِلَّةِ الْوَرَعِ
وقال الأصمعي : قِيلَ لِرَجُلٍ مَعْرُوفٍ بِالْكَذِبِ : هَلْ صَدَقْتَ ؟ قَالَ : أَخَافُ أَنْ أَقُولَ : «لَا» فَاصْتُقَ .

وَأَفَى الْكَذِبِ النَّسِيَانُ . قَالَ شَاعِرٌ :

وَمِنْ أَفَى الْكَذَابِ نَسْيَانُ كَذِبِهِ * وَتَقْصَاهُ ذَا نَهْيٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا

١٥ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ شَاعِرُ الْيَتِيمَةِ :

تَكْذِبُ الْكَذِبَةُ يَوْمًا * ثُمَّ تَنْسَاهَا قَرِيبًا
كَنْ ذَكُورًا يَا أَبَا يَحْيَى * إِذَا كُنْتَ كَذُوبًا

وقال أبو تمام :

يَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَعَدًا حَشَوُهُ خُلْفٌ * وَأَكْثَرَ النَّاسِ قَوْلًا حَشَوُهُ كَذِبٌ

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

صَحِيفَةٌ أَقِيتُ "لَيْتَ" بِهَا وَ"عَسَى" * عَنْوَانُهَا رَاحَةُ الرَّاحِ إِذَا يَلَسَا
وَعَدَ لَهُ هَاجِسٌ فِي الْقَلْبِ قَدْ يَرِمْتُ ^(١) * أَحْشَاءُ صَدْرِي بِهِ مِنْ طَوْلِ مَا أَحْبَبَا
يِرَاعَةٌ غَرَّ بَنِي مِنْهَا وَيَمِضُ سَنًا * حَتَّى مَلَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَّ مُقْتَبِسَا
فَصَادَفْتُ سَجَرًا لَوْ كُنْتَ تَضْرِبُهُ * مِنْ لُؤْمِهِ بَعْضًا مُوسَى لَمَّا أَتَجَبَا

وقال آخر :

وَتَقُولُ لِي قَوْلًا أَظْنُكَ صَادِقًا * فَاجِئْ مِنْ طَمَعِ الْيَكِ وَأَنْهَبُ
فَإِذَا أَجْتَمَعْتُ أَنَا وَأَنْتَ يَجْلِسُ * قَالُوا مُسْلِمَةٌ وَهَذَا أَشْعَبُ

ذكر ما قيل في الغدر والخيانة

١٠ قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾

﴿١١٢﴾

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من آمن رجلا ثم قتله
وجبت له النار وإن كان المقتول كافرا " . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا
جمع الله الأولين والآخرين رُفِعَ لكل غدير لواء وقيل هذه غديره فلان " .

(١) رواية العقد المرید (ج ١ ص ٢٤٩ طبع بولاق) :

«وعده له هاجس في القلب قد يرمي ... * ... من طول ما أحببا»

(٢) في العقد المرید : «مواعد» .

(٣) في العقد المرید : «صادمات» .

(٤) رواية الجامع الصغير : «من آمن رجلا على دمه قتله ما يرى من القاتل وإن كان المقتول كافرا» .

(٥) في تذكرة الصفدى رواية ابن عمر : «النادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال هذه عذرة فلان» .

وقالوا : من نقض عهده ، ومنع رِفْده ، فلا خيرَ عنده .

وقالوا : الغالب بالفدر مغلول ، والناكث للمهد ممقوت مخنول .

وقالوا : من علامات النفاق ، نقضُ العهد والميثاق .

وقالوا : لا عذر في الفدر . والعذر يصلح في كلِّ المواطن ؛ ولا عذر لفسادر

ولا خائن .

وفي بعض الكتب المتّلة : إن مما تُعجل عقوبته من الذنوب ولا تُؤخر : الإحسان

يُكفر ، والذمة تُخفّر . قال شاعر :

أَخْلِقْ بِنَ رَضَى الْخِيَانَةَ شِيمَةً * أَلَا يَرَى إِلَّا صَرِيحَ حَوَادِثِ

مَا زَالَتِ الْأَرْزَاءُ تُلْحِقُ بِؤْسَهَا * أَبَدًا بِنَادِرِ ذِمَّةٍ أَوْ نَاكِثِ

وقالوا : الفدر ضامن العثرة ، قاطع ليد النصرة .

١٠

ويقال : من تعدى على جاره ، دَلَّ على لُؤْمِ جَارِهِ .

وذكر أن عيسى صلوات الله عليه مرَّ برجل وهو يُطارِد حَيَّةً وهي تقول له :

والله لئن لم تنهب عني لأُنْفَخَنَّ عليك نَفْخَةٌ أَقْطَعُكَ بِهَا قِطْعًا ؛ فبُغِيَ عِيسَى

عليه السلام في شأنه ، ثم عاد فرأى الحية في جُونة الرجل محبوسة ، فقال لها :

ويحك ! أين ما كنتِ تقولين؟ قالت : يَا رُوحَ اللَّهِ ، إِنَّهُ حَلَفَ لِي وَغَدَرَ ، وَإِنْ سَمَّ

١٥

غَدْرَهُ أَقْتُلْ لَهُ مِنْ سُمِّي .

ذكر أخبار أهل الغدر وغدراتهم المشهورة

أعرف الناس في الغدر آل الأشعث بن قيس بن معديكرب ، وقد عدت لهم غدرات ، فنها : غدر قيس بن معديكرب بمراد ، وكان بينهم عهد ألا يغزوم إلى أنقضاء شهر رجب ، فوافاهم قبل الأمد بكتفة ، وجعل يحمل عليهم ويقول :

أقسمت لا أنزل حتى تهزموا • أنا ابن معديكرب فاستسلموا

• فارس هيبا ورئيس مضم •

فقتل قيس بن معديكرب • وأردت الأشعث عن الإسلام • وغدر الأشعث بنى الحارث بن كعب ، وكان قد غزاهم فأسرّوه ، ففدى نفسه بمائتي بعير ، فأعطاهم مائة وبقي عليه مائة فلم يؤدها ، وجاء الإسلام فهدم ما كان في الجاهلية •

وغدر محمد بن الأشعث بن قيس بمسلم بن عقيل بن أبي طالب • وغدر أيضا بأهل طبرستان ، وكان عبيد الله بن زياد ولّاه إياها ، فصالح أهلها على ألا يدخلها ورحل عنهم ، ثم عاد إليهم عادرا ، فآخذوا عليه الشّهاب ، وقتلوا ابنه أبا بكر •

وغدر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالمحتاج لما ولّاه خراسان ، وخرج عليه وأدعى الخلافة ، وكان بينهم من الوقائع ما ذكره في التاريخ في أخبار المجاج إن شاء الله تعالى • وكانت الدائرة على عبد الرحمن • وكلّهم ورثوا الغدر عن معديكرب ، فإنه غدر مهرة ، وكان بينه وبينهم عهد إلى أجل ، فنزاهم نائضا لعهدهم فقتلوه وبقرّوا بطنه وملّثوه بالحصى •

وغدرت أبنة الصيّز بن معاوية بإيها صاحب الحضرم وذلت سابور على طريق قمه ، فقتله وقتل أباهما وتزوجها ، ثم قتلها • وقد ذكرنا ذلك في الجزء الأول

من هذا الكتاب في المباني . ومن ذلك ما فعله النعمان بسنمار ، وقد ذكرناه أيضا في خبر بناء الخوَزَنَق .

ومن أشهر بالغدر عمرو بن جُرَوز : غدر بالزبير بن العوام ، وقتله بوادي السباع . ونذكر ذلك إن شاء الله تعالى في حرب الجمل .

- ومن الغدر الشنيع ما فعلته عَصَل والقارة ، روى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عَصَل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاما وخيرا ، فابحث معنا نفرا من أصحابك يفقهونا في الدين ، ويُقرئونا القرآن ، ويعلمونا شرائع الإسلام ؛ فبعث بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبي مرثد المصوي ، وخالد بن أبي البكير حليف بني عدي ابن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدي أخو بني بَجَجَبِي بن كُلفَة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة أخو بني بَيَاضَة بن عامر ، وعبد الله بن طارق ، ومُتَّسَب بن عُبيد أخو عبد الله لأُمّه ، وأمر عليهم مرثد ابن أبي مرثد ؛ وقيل أمر عليهم عاصم ؛ فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع — ماء لذيذ — غدروا بهم وأستصرخوا عليهم هذيانا . فلم يرج القوم وهم في رحالهم إلا الرجال في أيديهم السيوف ؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ؛ فقالوا : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نُنصبَ بكم شيئا من أهل مكة [ولكم عهد الله وميثاقه لا نقتلكم] ؛ فاما مرثد وخالد وعاصم ومُتَّسَب فقالوا : والله ما نقبل من مشرك عهدا

(١) في تذكرة الصمدى : « ستة هم » روى طبقات ابن سعد بيان لحسان بن ثابت ذكر فيها الستة

ولم يذكر معتب بن حيد .

(٢) التصويب عن الصفدى والطبقات الكبرى .

(٣) الزيادة عن تذكرة الصفدى .

١١١

ولا عقدا ، فقالوا حتى قتلوا ؛ وأما زيد وخبيب وعبد الله فلانوا ورجبوا في الحياة ، وأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ونحروا بهم إلى مكة ليعصمهم بها ؛ حتى إذا كانوا بتر الظهران أترع عبد الله بن طارق يده من القرآن^(١) ، ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم ، فرموه بالجحارة حتى قتلوه ؛ وقدموا بخبيب وزيد إلى مكة فباعوهما ، فابتاع خبيبا عَجْرُ بْنُ أَبِي إِيَّادٍ التيمي حليف بنى نوفل لعقبه بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقته بالحارث ؛ وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقته بأمية بن خلف . وروى أن خبيبا لما حصل عند بنات الحارث استعار من إحداهن موسى ليستعد بها [للقتل]^(٢) ، فأراغ المرأة إلا صبي لها يدريج ، وخبيب قد أجلس الصبي على عنقه ، والموسى في يده ؛ فصاحت المرأة ، فقال خبيب : أتحسين أنى أقتله ؟ إن الغدر ليس من شأننا ؛ فقالت المرأة : ماريت بعد أسيرا قط خيرا من خبيب ! لقد رأيته وما بمكة من ثمرة ، وأن في يده قطعا من عنب يأكله ، إن كان إلا رزقا رزقه الله خبيبا . ولما أخرج بخبيب من الحرم ليقتلوه قال : ذروني أصل ركنين ، ثم قال : لولا أن يقال : جزع لِدنت ، وما أبالي على أى شئ كان مصرعى . وهذه القصة نذكرها إن شاء الله تعالى بما هو أبسط من هذا في السيرة النبوية في سيرة مرفد إلى الرجيع .

١٥ قيل : أغار خبيصة بن مالك الجعفي على حمى من بنى القين ، فاستاق منهم إبلا فاحرقوه ليستبقذوها منه ، فلم يعلموا فيه ؛ ثم ذكر يدا كانت لبعضهم عنده ، فغلى عما كان في يده ، وولى منصرفا ؛ فتأدوه وقالوا : إن المفازة أمامك ، ولا ماء معك ، وقد فعات جيلا ، فأنزل ولك اللذام والحياء ، فزل ؛ فلما أطمأنت وسكن واستمكنا منه ، غدروا به فقتلوه . ففى ذلك قول عمرة أبته :

(٢) الزيادة من تذكرة العفدى .

(١) القرآن : حبل فقاد به البحر .

غَدَرْتُمْ بَيْنَ لَوْ كَانَ سَاعَةً غَدَرَكُمْ * بِكَفِّهِ مَفْتُوقُ الْفِرَارِ بْنِ قَاضِبُ

أَذَادَكُمْ عَنْهُ بِضَرْبِ كَأَنَّهُ * سَهَامُ الْمَنَابِيا كُلِّهِمْ صَوَائِبُ

وَتَلَاخَى بَنُو مَفْرُوقٍ^(١) بِنِ عَمْرُو بْنِ عِمَارِبَ، وَبَنُو جَهْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ عِمَارِبَ، عَلَى مَاءٍ لَهُمْ، فَغَلِبَتْهُمْ بَنُو مَفْرُوقٍ فَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ؛ وَكَانَ فِي بَنِي جَهْمِ شَيْخٌ لَهُ تَحْرِيبَةٌ وَسِنَّ، فَلَمَّا رَأَى ظُهُورَهُمْ قَالَ: يَا بَنِي مَفْرُوقَ، نَحْنُ بَنُو أَبِ وَاحِدٍ، فَلِمَ نَتَفَانِي؟ هَلُمُّوا إِلَى الصَّلَاحِ، وَلَكُمُ عَهْدُ اللَّهِ تَعَالَى وَمِيثَاقُهُ وَذِمَّةُ آبَائِكُمْ أَلَّا نَهْجِيَكُمْ أَبَدًا وَلَا نَزَاحِمَكُمُ فِي هَذَا الْمَاءِ؛ فَأَجَابَتْهُمْ بَنُو مَفْرُوقَ إِلَى ذَلِكَ؛ فَلَمَّا أَطْمَأَنَّنُوا وَوَضَعُوا السِّلَاحَ عَدَا عَلَيْهِمْ بَنُو جَهْمِ فَتَالُوا مِنْهُمْ مَنَالًا عَظِيمًا، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْ أَشْرَافِهِمْ. فَقَبِيَ ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو ظَفَرٍ الْحَارِثِيُّ:

هَلَّا غَدَرْتُمْ بِمَفْرُوقٍ وَأَسْرَيْتُهُ * وَالْيَيْضُ مُصَلَّةٌ وَالْحَرْبُ تَسْتَعْرِ^(٢)
لَمَّا أَطْمَأَنَّنُوا وَشَامُوا مِنْ سِيوفِهِمْ * ثُرْتُمْ إِلَيْهِمْ وَعُرَّ الْغَدْرُ مَشْتَهَرُ^(٣)
غَدَرْتُمُوهُمْ بِأَيْمَانٍ مُؤَكَّدَةٍ * وَالْوَرْدُ مِنْ بَعْدِهِ لِلْغَادِرِ الصَّدْرُ
هَذَا مَا قِيلَ فِي الْغَدْرِ.

وَأَمَّا الْخِيَانَةُ، فَقَدْ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ " .

وَقِيلَ: مِنْ ضَمِّعِ الْأَمَانَةَ، وَرَضِيَ بِالْخِيَانَةِ، فَقَدْ بَرَّيَ مِنَ الدِّيَانَةِ .

(١) كَذَا فِي تَذَكُّرَةِ الصَّفْدِيِّ . وَفِي الْأَصْلِ: « بَنُو مَقْرُون » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي تَذَكُّرَةِ الصَّفْدِيِّ: « هَلَّا ظَهَرْتُ » .

(٣) كَذَا فِي تَذَكُّرَةِ الصَّفْدِيِّ . وَفِي الْأَصْلِ: « قِي » .

(٤) رَوَايَةُ الْجَمَاعِ الصَّغِيرِ: « لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا طَهْرَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ وَبِوَضْعِ الصَّلَاةِ مِنَ الدِّينِ كَوَضْعِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ » .

وقال حكيم : لو علم مُضَيِّعُ الأمانة ، ما في النكث والخيانة ، لقصّر عنهما عَنَانَهُ .
وقالوا : من خان مان ، ومن مان هان ، وتبرأ من الإحسان .

قيل : دخل شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ وهو من جِلَّةِ القراء وأصحاب الحديث على معاوية ،
وبين يديه خرائطُ فيها مال ، قد جُمِعَتْ لتوضع في بيت المال ، فقعد على خريطة
منها وأخذها ، ومعاوية ينظرُ إليه ؛ فلما رُفِعَت الخرائطُ فُقد من عندها خريطة ،
فأعلم الخازنُ بذلك معاويةَ ؛ فقال : هي محسوبة لك فلا تسأل عن أخذها . فقيه يقول
بعض الشعراء :

لقد باع شَهْرٌ دِينَهُ بِخَرِيطَةٍ * فَنَ يَأْمَنَ الْقِرَاءَ بِعَدْلِكَ يَا شَهْرُ

وقال المنصور لعامل بلغه عنه خيانة : يا عدو الله وعدو أمير المؤمنين وعدو
المسلمين ! أَكَلْتَ مَالَ اللَّهِ ، وَخُنْتَ خَلِيفَةَ اللَّهِ ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن عيالُ
الله ، وأنت خليفةُ الله ، والمال مالُ الله ، فقال من ناكل إذاً ! فضحك وأطلقه ،
وأمر ألاَّ يُؤْتَى عملاً بعدها .

وسرق رجل في مجلس أنو شروان جاماً من ذهب وهو يراه ، ففتقده الشرابي
فقال : والله لا يخرج أحد حتى يُفَقَّشَ ؛ فقال له أنو شروان : لا تتعرض لأحد ،
فقد أخذه من لا يردّه ، ورآه من لا يَنْمُ عليه .

وحكى أن بعض التجار أودع عند قاضٍ بَمَرَّةَ النعنان وديعةً ، وغاب مدّةً ، فلما
رجع طالبها ، فأنكرها القاضى ، فتشَقَّقَ إليه برؤساء بلده في ردّها ، فما زالوا به
حتى أقرّ بها ، وأدعى أنها سُرقَت من حُرْزِه ؛ فاستحلفه المودع لخلف . فقال ابن
السيدي في ذلك :

⑪

لَا يَصْدُقُ الْقَاضِي الْخَوُونَ إِذَا أَدْعَى * عَدَمَ الْوَدِيعَةِ مِنْ حَصْبَنِ الْمَوْدَعِ
 إِنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فَيَصْدُقُ، إِنَّمَا * ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ بَعْنِي لَوْ تَبَعِي
 أَوْ قَالَ قَدْ وَقَعَتْ فَيَصْدُقُ، إِنَّمَا * وَقَعَتْ وَلَكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْضِعٍ
 وَقَالَ ابْنُ الْمَجَاجِ :

وَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْقَاضِي عَسَاهُمْ * إِذَا وَقَعَ الْيَمِينُ يُحَقِّقُونِي
 وَأَضْعُجُّ مَا يَكُونُ الْحَقُّ عِنْدِي * إِذَا عَزَمَ الْغَرِيمُ عَلَى الْيَمِينِ

ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ
 جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ . وَقَالَ : ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
 لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ . وَقَالَ : ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جُبَّارًا﴾ . وَقَالَ :
 ﴿مَّا صَرِفَ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ . وَنَاهَيْكَ بِهَذَا زَجْرًا .
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ
 تَحَدُّلٍ مِنْ كِبَرٍ" . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ تَعَطَّيَ فِي نَفْسِهِ وَأَخْتَلَى فِي مِثْقَلِ
 لُقْيَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ" . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ جَرَّ قَوْبَهُ
 خِيَلًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ]" .

وَرَوَى : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ ، مَرَّ بِالسُّوقِ يَحْمِلُ حُرْمَةً حَطَبٍ ، فَقِيلَ لَهُ :
 أَلَيْسَ قَدْ أَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْ هَذَا؟ قَالَ : بَلَى ! وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْعَ بِهِ الْكِبَرَ ،
 سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ
 مِنْقَلَبٌ حَبَّةٍ [مِنْ تَحَدُّلٍ] مِنْ كِبَرٍ" .

(١) التَّكَلُّفُ عَنْ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ .

(٢) التَّكَلُّفُ عَنْ الصَّغِيرِ .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ما وجد أحد في نفسه كبرا إلا من مهانة يجلدها في نفسه .

وقالوا : مَنْ قَلَّ لُبُّهُ كَثُرَ عَجْبُهُ .

وقالوا : يُعْجِبُ المرء بنفسه أحد حساده .

وقال أردشير بن بابك : ما الكبر إلا فضل حُمق لم يدرك صاحبه أين يضعه فصرفه إلى الكبر .

ومن كلام لابن المعتز : لما عرّف أهل التقصير حاتم^(٢) ، عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا ، ويرفع حقيرا ، وليس بفاعل .

وقال أكرم بن صيفي : من أصاب خطأ من دنياه فأصاره ذلك إلى كبر وترفع فقد أعلم أنه نال فوق ما يستحق ، ومن أقام على حاله فقد أعلم أنه نال ما يستحق ؛ ومن تواضع وغادر الكبر فقد أعلم أنه نال دون ما يستحق .

وقال علي رضى الله عنه : عيبت للكبر الذى كان بالأمس نطفة ، وهو غدا جيفة .
وقيل : مرّ بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يحيطر ، فقال له : يا بني ، لو خففت بعض هذه الخيلاء لم يكن أحسن بك من هذه الشهرة التى قد شهِرت بها نفسك ؟ ! فقال له الفتى : أو ما تعرف من أنا ؟ قال : بلى ! والله أعرفك معرفة جيدة ، أولئك نطفة مَذِرَة ، وأحرك جيفة قَذِرَة ، وأنت بين ذلك حامل عَذِرَة ؛ فأرخی الفتى رُذْنِيه وكَفَّ مما كان يفعله ، وطأطأ رأسه ، وهضى مستريلا .

(١) كذا في تذكرة الصفدى . وفي الأصل « عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله » والظاهر أن كلمة « عقله » مقححة من النسخ .

(٢) في أدب الدنيا والدين وتذكرة الصفدى : « لما عرف أهل القص » .

(٣) الدتان : المكان .

وقال الواقدي : دخل الفضل بن يحيى ذات يوم على أبيه [وأنا عنده] وهو يتبخر في مسبته ، [فكره ذلك منه] ، فقال لي يحيى : يا أبا عبد الله ، إن البخل والجمل مع التواضع أزين بالرجل من الكبر مع السخاء والعلم ؛ فإلها حسنة غطت على عيبي عظيمين ؛ وإلها سيئة غطت على حسنتين كبيرتين ؛ ثم أوما إليه بالجلوس وقال : أحفظه يا عبد الله ، فإنه أدب كبير أخذناه عن العلماء .

ومن الكبر المستهجن ما روى : أن وائل بن حجر أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأقطعته أرضا ، وقال لمعاوية : "اعرض هذه الأرض عليه وأكتبها له" ، فخرج مع وائل في هاجرة شامية ، ومشى خلف ناقته ، وقال له : أردفني على عجز راحلتك ؛ فقال : لست من أرداف الملوك ؛ قال : فأعطني نعلك ؛ فقال : ما بخسل يعنني .
يا بن أبي سفيان ، ولكن أكره أن يبلغ أقبال أيمن أنك لبست نعلي ، ولكن أمش في ظل ناقتي ، فحسبك به شرفا . وقيل : إن وائلا أدرك زمن معاوية ودخل عليه فأقدمه معه على السرير وحادثه .

والعرب تجعل جذيمة الأبرش الغاية في الكبر ، وروى : أنه كان لا ينادم أحدا ترفعًا وكبرًا ؛ ويقول : إنما ينادمني الفرقدان . ومنه قول منم :

* وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيمَةَ حَقْبَةٍ *

قيل : إنما أراد الفرقدن ، لا كما ذكره الرواة أنهما مالك وعفيل .
وقيل : كان ابن ثوبة من أقبح الناس كبرًا ، روى : أنه قال لغلامه : أسقني ماء ، فقال : نعم ، قال : إنما يقول : "نعم" من يقدر على أن يقول : "لا" ، وأمر

(١) الزيادة عن تذكرة الصفدي .

(٢) كذا في الأصل والتذكرة . ولعلها : «يا أبا عبد الله» .

(٣) كذا في الصمدى والطبرى . وفي الأصول : «أبو» وهو تحريف . وفي المستطرف (ج ١ ص ٥٥)

«كان ابن عروة» .

بضربه . ودعا أكاراً بكلمه، فلما فرغ [من كلامه] ^(١) دعا بقاء وتمضمض استغذارا لمخاطبته . قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

ولا تمنجبا أن تؤتيا فتكلما * فاحشى الأقوام شر من الكبر

قال الجاحظ : المذكورون بالكبر من قريش : بنو غزوم، وبنو أمية؛ ومن العرب : بنو جعفر بن كلاب، وبنو زارة بن عدس؛ وأما الأكرسة فكانوا لا يعتدون الناس إلا عبيدا، وأنفسهم إلا أربابا، والكبر في الأجناس الذليلة أرفع، ولكن القلة والذلة مانعتان من ظهور كبرهم؛ ومن قدر من الوضعاء أدنى قدرة ^(٢) ظهر من كبره ما لا خفاء به؛ و[شيء قد قتله علما وهو أني] لم أر ذا كبر قط إلا من دونه إلا وهو يدل لمن فوّه بمقدار ذلك ووزنه . قال : أما بنو غزوم،

و بنو أمية، و بنو جعفر بن كلاب، واختصاصهم بالثب، فإنهم أبطروهم ما وجدوا لأنفسهم من المضيئة؛ ولو كان في قوى عقولهم فضل عن قوى دواعي الحيية فيهم لكانوا كبنى هاشم في تواضعهم وإنصافهم من دونهم .

وقال أبو الوليد الأعرابي ^(٣) :

ولست ببياه إذا كنت مثريا * ولكنه خلق إذا كنت موعيا

وإن الذي يعلو من المال ثروة * إذا كان نذل الوالدين تعظا

ومن التكبرين، عمار بن حمزة، حكي عنه : أنه دخل على المهدي، فلما استقر به الجلوس، قام رجل كلب المهدي قد أمّله له ليتهكم به؛ فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال : من ظلمك؟ قال : عمار غصيني ضيعتي، وذكر ضيعة من

(١) زيادة عن الصفي .

(٢) رواية الصفي : «والجدة أن من قدر الخ» .

(٣) في الصفي : «قال أبو الياء» .

أحسن ضياع عمارة وأكثرها تراجاً؛ فقال المهديّ لعمارة: قم فأجلس مع خصمك، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هولي بخصم، إن كانت الضيعة له فليست أنازعها فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، ولا أقوم من مجلس شرفي به أمير المؤمنين؛ فلما أنصرف المجلس، سأل عمارة عن صفة الرجل، وما كان لبأسه، وأين كان موضع جلوسه. وكان من تيمه أنه إذا أخطأ يمز على خطئه تكبرا عن الرجوع، ويقول:

نقض وإبرام في ساعة واحدة، الخطأ أهون منه.

ومنهم من أهلكه الكبر وأذله. كان خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القميريّ أميراً على العراق، وبلغ من هشام بن عبد الملك محلاً رفيحاً، فافسد أمره السُّجُب والكِبَرُ، وأُدياهُ إلى المَلَكَةِ، وعُدبَ حتّى مات؛ وذلك أنه كان إذا ذُكر هشام عنده قال: ابن الحمقاء! فسمعها رجل من أهل الشام، فقال لهشام: إن هذا البطر الأشر الكافر لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك، يذكرك بأسوأ الذِّكر؛ قال: لعله يقول: الأحوّل، قال: لا، ولكنه يقول: ما لا تلتقي به الشفتان؛ قال: لعله يقول: ابن الحمقاء، فأمسك الشاميّ؛ فقال هشام: قد بلغني كلّ ذلك عنه. وكان خالد يقول: والله ما إمارة العراق مما تُشرفني، فبلغ ذلك هشاماً [فغاضبه]، فكتب إليه: بلغني أنك يا ابن النصرانية تقول: إن إمارة العراق لا تُشرفك وأنت دحى^(٢) [إلى] بحيلة القليلة الدليلة، والله إنى لأظن أن أول من يأتيك صيفي بن قيس فيشد يدك إلى عنقك. قال خالد بن صفوان بن الأهم: لم تزل أفعال خالد حتى عزله هشام وعذبه، وقتل ابنه يزيد بن خالد؛ فرايت في رجله شريطاً قد شدّه به الصبيان يمزونه، فدخلت إلى هشام يوماً فحدثته فاطلت؛ فتنفس وقال: يا خالد [رب خالد]! كان أحبّ إلى قُرْباً وألذّ

(١) كذا في تذكرة المعدي. وفي الأصول: «أدناه».

(٢) الزيادة عن المعدي.

عندى حديثنا منك - يعنى خالدًا القسري - قال: فانتهرتها ورجوت أن أشفع فتكون
لى عند خالد يدا، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما يمنعك من استئناف الصنعة فقد
أدبته بما قرط منه؟ فقال: هيهات! إن خالدًا أوجف فاعجف، وأدل فامل، وأفرط
فى الإساءة فافرطنا فى المكافأة؛ ^(١) فحلم الأديم، ونفل الجرح، وبلغ السيل الزبى،
والجزم الطيب، ولم يبق فيه مستصلح، ولا للصنعة - عنده موضع - عُد إلى حديثك.
ومنهم: من أفرط به الكبر إلى الكفر. حكى: أن سعيد بن زُرارة مررت به
أمرأة فقالت له: يا عبد الله، كيف الطريق إلى مكان كذا؟ فقال لها: أمثلى يكون
من عبيد الله!

ومنهم: عبيد الله بن زياد بن ظبيان، قال له رجل من قومه وقد رأى منه
ما أعجبه: كثر الله فينا مثلك، فقال: لقد كلّمت الله شططا.

ومن أشعار المتكبرين التباهين قول بعضهم:

• أتبه على جنّ البلاد وإنسها •

الأيبات، وقد تقنعت فى الحق.

وقال آخر:

ألفى فى لظى فإن أحرقتنى • فتيقن أن لست بالياقوت

صنع النسخ كل من حاك لكن • ليس داود فيه كالمنكبوت

قال ابن صابر الخزاز^(٢) المنجنيق يرد عليه:

أيها المدعى الفخار دغ الفعخ • ر لذى الكبرياء والجبروت

نسج داود لم يفد ليله الفا • ر وكان الفخار للمكبوت

٢٠ (١) حلم الأديم: صد، وهو ما بعده تخاية عن اليأس من إصلاح الأمر بعد أن أوصله المصاد إلى
حيث لا يرجى إصلاحه. (٢) فى الأصل « ابن جبارة » والتصويب عن وفیات الأعيان لابن
حلكان (أنظر ترجمته فى الجزء الثانى ص ٥٠٠ - ٥٠٧ طبع بولاق).

وبقاء السَّمَدِ في لَهَبِ السَّاءِ * رِزِيلُ فَضِيلَةَ الْيَاقُوتِ
وكذلك النِّعَامُ يُلْقِمُ الْجَمْدَ * وَرَوَا الْجَمْرُ لِلنِّعَامِ بُقُوتِ



ومما جئى به أهل التكبير ، قول جعفر بن يعقوب سعيد بن سلم بن قتيبة :

أَمْ سَعِيدٍ لَمْ وَلَدْتِيهِ * مَلُوتًا بِالْكَبْرِ وَالْتِيهِ
لَيْتَكَ إِذْ جِئْتَ بِهِ هَكَذَا * حِينَ تَعْرِيبِهِ أَكَلْتِيهِ

(١١٧)

ذكر ما قيل في الحرص والطمع

قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : **وَلَا تَمُدَّدْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى** .

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«أُرْبِعُ مِنَ الشَّقَاءِ ... الْخُحُّ عِنْدَ مَنْهَا**^(١)
الْبُرْصُ وَالْأَمْلُ . وقال : **«مَا ذُبَابَانِ جَاءَتَا أُرْسِلَا فِي غَمٍّ فَأَفْسَدَاهَا أَشَدَّ مِنْ حَرَصِ**
الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ» . وقال : **«يَنْشِبُ ابْنُ آدَمَ وَتُسَبُّ^(٢) مِنْهُ اثْنَتَانِ الْحَرَصُ عَلَى الْمَالِ**
وَالْحَرَصُ عَلَى الْعَمْرِ» . وقال : **«لِمَا كَمَ وَالطَّمَعُ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ»** .

(١) السمند : فائر يستند بالدار ولا يحترق بها .

(٢) تمام الحديث كما في الجامع الصغير والصحاح : **«... جود العين وقسوة القلب والحرص وطول الأمل»** .

(٣) الذي في الجامع الصغير : **«ما ذبان جائعان أرسلتا في غم فأفسدا لما من حرص المرء على المال والشرف لنفسه»** . وقد ساق الحديث في اللسان مادة (شرف) برواية فيها بعض مخالفة عما هنا وعلق على قوله **«والشرف لنفسه»** بقوله : يريد أن يتشرف بالبرادة والمخاطرة والمساماة .

(٤) رواية الجامع الصغير : **«يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنتان الحرص وطول الأمل»** .

ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الطعمُ مُورِدٌ غير مُصْدِرٍ ، وضامنٌ غير وفٍّ . [وربما شِرق شارِبُ الماء قبل رِيهِ] ؛ ولما عَظُمَ قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقدته . والأمانى تُعَمِّي البصائر . أزرى بنفسه من أَسْتَشعر الطعم ، واستولت عليه الأمانى .

وقال بعضهم : الحرص ينقص من قدر الإنسان ، ولا يزيد في رزقه .
وقال قُتَيْبَةُ : إن الحرص أَسْتَجِلَّ القِلَّة ، قبل إدراك البغية .
وقيل : لا راحةَ لحرص ، ولا غنىَ لذي طَمَع .

وقيل : إن كُتِبَ لي عبد الله بن سلام ، فقال : يا بن سلام ، مَنْ أَرَبَابُ العلم ؟ قال : الذين يعملون به . قال : فما أَذهب العلم من قلوب العلماء بعد إِذْ عَلِمُوهُ ووعَوْهُ ؟ قال : الطَّمَعُ ، وَشَرُّهُ النفس ، وطلب الخواجِجِ الى الناس . قال الأَصْمَعِيُّ : سمعتُ أعرابياً يقول : عجبتُ للحرص المستكبر ، المستقل لكثير ما في يده ، المستكثر لقليل ما في يد غيره ، حتى طلب الفضل بذهاب الأصل ؛ فركبَ منافوز البرارى ، وكنجَ البحار ؛ معرضاً نفسه للهلكة ، ومالاً للآفات ؛ ناظراً الى من سَلِمَ ، غير معتبر بمن عِلِمَ .

قال يزيد بن الحكم التَّمَنِّي :

رَأَيْتُ السَّخَى النفس يَأْتِيهِ رِزْقُهُ * هَنِئًا وَلَا يُعْطَى عَلَى الْحِرْصِ جَاشِعُ
وَكُلَّ حَرِصٍ أَنْ يُجَاوَزَ رِزْقُهُ * وَلَمْ مِنْ مُوَفِّ رِزْقِهِ وَهُوَ وَادِعُ
وقالوا : مصارعُ الألباب تحت ظلال الطعم . ويقال :
الحرَّ جِدُّ ما طَمِعَ * والمبد حُرٌّ ما قَنِعَ

(١) الزيادة عن الصنفى .

(٢) لم يذكر الصنفى كلام علي بن أبي طالب فيه الفقرة الأخيرة ، وإنما ذكرها لأرسطاطاليس وعبارته : « لا غنى لمن ملكه الطعم واستولت عليه الأمانى » .

وقالوا : أخرج الطمع من قلبك ، تحل القيد من رجلك .

وقال عمرو بن مالك الحارثي :

الحرصُ للنفسِ قفرٌ والقنوعُ غنى * والقوتُ إن قنت بالقوت يحزبها

والنفسُ لو أن مافي الأرض حيزَها * ما كان إن هي لم تقنع بكافها

وقال ابن هرمة :

وفي اليأس عن بعض المطامير راحة * ويأرب خسر أدركنه المطامير

وقال هذبة بن خشم :

وبعض رجاء المرء ما ليس تأيلاً * عناء وبعض اليأس أعنى وأروح

وقال مكثف بن معاوية التميمي :

ترى المرء يأمل ما لا يرى ^(١) * ومن دون ذلك ريب الأجل

وكم آيس قد أناه الرجاء * وذى طمع قد لواه الأمل

وقال آخر :

طمعت فيما وعدتك المنى * وليس فيما وعدت مطمع

ونفقت بالباطل من قولها * وليس حقاً كل ما تسمع

وإنما موعدها بارئ * في كل حين خلْب يلْمع

ويضرب المثل في الطمع "بأشعب" . قيل له : ما بلغ من طمعك ؟ فقال

للقائل له : لم تقل هذا إلا وفي نفسك خير تصنعه بي . وقيل : إنه لم يمت شريف

(١) كذا في تذكرة الصفدي وكتاب الشعر والشعراء وحاسة البحري . وفي الأصول : « هرمة بن

خشم » وهو تحريف .

(٢) كذا في الصفدي وحاسة البحري . وفي الأصول : « التيمي » .

(٣) في الصفدي وحاسة البحري « ما لن يرى » .

قط من أهل المدينة إلا استعدى أشعب على وصيه أو وارثه وقال له : أحلف أنه لم يؤص لي بشيء قبل موته . ووقف على رجل يعمل طبقا من الخبز ران ، فقال له : وسعه قليلا ؛ قال الخيزراني : كأنك تريد أن تستريه ؟ قال : لا ، ولكن ربما يشتريه بعض الأشراف فيهدي إلى فيه شيئا . وسأله سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن طمعه ؛ قال : قلت لصبيان مرة : أذهبوا ، هذا سالم قد فتح بيت صدقة عمر حتى يطعمكم تمرا ، فلما أحضروا ظننت أنه كما قلت لهم ، فعدوت في إثرهم . وقيل له : ماذا بلغ من طمعك ؟ قال : أرى دخان جاري فأثرد عليه . وقيل له أيضا : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت عروسا بالمدينة تُرَفِّ إلا كنست بيتي ورششته طمعا أن تُرَفِّ إلي . وقيل له : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، كلب أُم حوَمَل ، تبغي فرسخين ، وأنا أمضغ كُنْدُرًا^(١) ، ولقد حسدته على ذلك . ١٠

ذكر ما قيل في الوعد والمطل

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العِدَّةُ دِينٌ »^(٢) . وقال بعض القرشيين : من خاف الكذب أقل من المواعيد . وقيل : أمران لا يسلمان من الكذب : كثرة المواعيد ، وشقة الاعتذار . وقالوا : خُلف الوعد ، خُلِّق الوعد . ١٥

وقال المهلب لبنيه : يَا بَنِيَّ ، إذا غدا عليكم الرجل أو راح مُسَلِّمًا فكفى بذلك تقاضيا .

(١) نرد الخبز : فقه .

(٢) الكندر : ضرب من البك ، وهو البان الذكر .

(٣) رواية الجامع الصغير : « عدة المؤمن دين » .

قال الشاعر :

أروح لتسليم عليك وأغتدى * فحسبك بالتسليم منى تقاضيا
كنى بطلاب المرء ما لا يناله * عناه وباليأس المصرح ناهيا

وقيل : الوعد إذا لم يشفعه إنجاز يحققه كان كلفظ لا معنى له ، وجسم لأروح فيه . وقالوا : الخلف الأثم من البخل ، لأنه من لم يفعل المعروف ، لزمه [ذم اللؤم وحده ، ومن وعد فأخلف لزمه ثلاث مذقات] : ذم اللؤم ، وذم الخلف ، وذم العجز .

قال بعض الشعراء :

وعدت فأكذبت المواعيد جاهدا * وأقلت إقلاع الجهام بلا وبلا
وابحررت لى حبلا طويلا تبعته * ولم أدري أن اليأس فى طرف الحبلا

وقال أبو تمام :

وما نفع من قد مات بالأمس صاديا * إذا ما سماء اليوم طال أنهارها
وما العرف بالتسويق إلا كخلة * تسليت عنها حين شط مزارها

والعرب تضرب المثل بمواعيد عرقوب ، وكان رجلا من الهالقي وله فى ذلك حكايات . فنها : أنه أتاه أخ له : يسأله شيئا ، فقال له عرقوب : إذا أطلعت هذه النخلة فك طلعتها ، فلما أطلعت ، أتاه الرجل للعدة ، فقال : دعها حتى تصير بلما ، فلما أبلعت ، أتاه ، فقال : دعها حتى تصير زهوا ، فلما أزهرت ، قال : دعها حتى تصير رطبيا ، فلما أرتبطت ، قال : دعها حتى تصير تمرا ، فلما أثمرت ، عمد إليها عرقوب فجذها ، ولم يعط أخاه منها شيئا .

وفيه يقول الأتخمي :

وعذت وكان الخلف منك بحية * مواعيد عُرقوب أخاه يسترب^(١)

وقال كعب بن زهير بن أبي سلمى :

كانت مواعيد عُرقوب لها مثلاً * وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

وقال السكيت للمهدي : يا أمير المؤمنين ، لو كان الوعد يُستزل بالإهمال والسكوت لشكرتك القلوب بالضمير ، وانظرت إلى فضلك العيون بالأوهام ؛ فقال المهدي : هذا جزء التفريط فيما يكسب الأجر ، ويدخر الشكر ؛ وأمر بقضاء حاجته .

وقال أعرابي : العُدُّ الجليل أحسن من المَطْل الطويل ، فإن أردت الإنعام فأتَّجِّع ، وإن تمدتِ الحاجة فافصح .

وقال بعض كُرماء العرب : لأن أموت عطشاً أحبُّ إلى من أن أخلف مَوْعداً . ١٠

وقالوا : من وعد فأخلف لزمته ثلاثُ منمات : ذمُّ التَّوَم ، وذمُّ الخلف ، وذمُّ الكذب . وقال بعض الشعراء^(٢) :

ولا خيرَ في وعدٍ إذا كان كاذباً * ولا خيرَ في قول إذا لم يكن فعلُ

فإن تُجمَع الآفاتُ فالبخلُ شرُّها * وشرُّ من البخلِ المواعيدُ والمطلُّ

قال بعض الأعراب : فلان له مواعيدُ عواقبها المَطْلُ ، ونَمَارُها الخلفُ ، ومحصولُها اليأسُ . ١٥

(١) يرب (بالاء المثناة وفتح الراء) : قرية بالجماعة . أنظر اللسان والقاموس . وفي الأصول : يرب بالاء المثناة .

(٢) هو صالح الحمي كافي المستطرف ج ١ ص ٢٣٤

وقال آخر: فلان له وعد مُطعم . ومطلُّ مؤيس ، وأنت منه أبدا بين ياس وطعم ، فلا بطلُّ مُريح ، ولا منعٌ صريح .

وقال الثعالبي : أقل من أخلف المواعيد ولم يف بشيء منها إسماعيل بن صبيح كاتب الرشيد ، وما كان الرؤساء يعرفون قبله المواعيد الكاذبة .

ذكر ما قيل في الـمـي والحـصـر

قال الله عز وجل : ﴿ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ . وقال تعالى إخبارا عن فرعون عند اقتضاره على موسى بالبيان : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ . قال أهل التفسير : إن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول قال : ﴿ رَبِّ أَتَسْرِخُ لِي صَدْرِي وَيَسْرِي أَمْرِي وَأَحْلُلُ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ الآية ، فقال الله تعالى : ﴿ قَدْ أُوتِيَْتَ سُلْكَ يَا مُوسَى ﴾ : ١٠

وقيل : حد الـمـي معنى قصير يحويه لفظ طويل . وقال أكرم بن صبيح : هو أن نتكلم فوق ما تقتضيه حاجتك . وقالوا : الفقير الناطق أغنى من الغني الساك .

وقال كسرى : الصمت خير من عي الكلام .

وقالوا : فضل الإنسان على ما عداه من الحيوان بالبيان ، فإذا نطق ولم يفصح ١٠ عاد بهيما .

وقالوا : الـمـي داء دواؤه الخرس . ومن علامات الـمـي الاستماعة ، وهي أن ترى المخاطب إذا كل لسانه عند مقاطع كلامه يقول للمخاطب : اسمع مني ، أو سمعت لي ، وأفهم عني ، وأشبه ذلك .

ومنهم من يقول : قولي كذا، أخى به كذا، ولا يريد التفسير، ولكنه يعيد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الأول ليفهم عنه .

ومن عيوب اللسان التمتة ، والفافأة ، والعقلة ، والحبسة ، واللفف ، والرثة ، والنممة ، والطمطة ، والأكنة ، والفنة ، والثنة . فالتمة ، قال الأصمعي : إذا تفع في التاء فهو تتمام ، وإذا تردد في الفاء فهو فافاء . قال الراجز :

ليس بفافاء ولا تمام * ولا كثير المحجير في الكلام^(١)

والعقلة : آتواء اللسان عند الكلام . والحبسة : تصدّر النطق ، ولم تبلغ حد الفافاء ولا التمام . ويقال : إنها تعرض أول الكلام ، فإذا مر فيه انقطعت . واللفف : إدخال بعض الكلام في بعض . وقال الراجز :

كأن فيه لفا إذا نطق * من طول تحجيس وهم وأرق

والرثة : اتصال بعض الكلام ببعض دون إفادة . والنممة : أن تسمع الصوت

❦

ولا يتبين لك تقطيع الحروف ، ولا تفهم معناه . والطمطة : أن يكون الكلام شبيها بكلام العجم ، وهي خميرية ، وقالوا : هي إبدال الطاء بالياء لأنهما من مخرج واحد ؛ فيقول : السلطان والشيطان ، وأشباه ذلك . قيل : وكانت في لسان زياد بن سلمى ، وكان خطيبا شاعرا كاتبا . والأكنة : إدخال بعض حروف العرب في حروف العجم ، وتشترك فيها اللغة التركية والنبطية ؛ وهي إبدال الماء حاء ، وأقلاب العين همزة ، وكانت في لسان عبيد الله بن زياد ، وصيب الرومي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن مولى لزياد ، قال له : أيها الأمير ، أهدوا لنا حمار وحيش : يريد : أهدوا لنا حمار وحيش ؛ فلم يفهم زياد عنه ، وقال : ويلك ! ماذا تقول :

(١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤) في هذا النطر :

* ولا يحب سقط الكلام *

- قال : أحذروا لنا آيًّا : يريد عيًّا ، فقال زياد : أرجعنا إلى الأول فهو خير . والفئة أن يشرب الصوت انخيشوم . والخنة : ضرب منها . والترخيم : حذف بعض الكلمة لتعذر النطق بها . والثقة : إبدال ستة حروف بغيرها ، وهي : الهمزة والراء والسين والقاف والكاف واللام ، أما آلى تعرض للهمزة فهي إبدالها عينا ، فإذا أراد أن يقول : أنت ، قال : عنت ، وهي مستعملة في لسان التكرور . وأما التي تعرض في الراء ، فهي ستة أحرف ، فمنهم من يجعلها عينا معجمة فيقول (عمن) : يريد عمر ، وهي غالبية على لسان أهل دمشق ، وإذا اجتمعت الراء والسين في كلمة كقولهم : رغيف ، قالوا : (غريف) ، وفترت بمكان فرغت ، فيبدلون كل حرف بالآخر . قيل : وكانت في لسان محمد بن شبيب الخارجي ، وواصل بن عطاء المعتزلي ، وكان لاقتداره على الكلام ، وغزارة مادته منه يتجنب النطق بها . وفيه يقول الشاعر
- من أبيات :

ويجعل البرقعا في تصرُّفه * وجانب الرأ حتى آحتال للشعرِ

ولم يُطقْ مطراً والقولُ يُعجِله * فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطرِ

ومنهم : من يجعلها عينا مهملة ، فيقول في أزرق : أزق ، وهي في لسان عوام

- أهل دمشق . ومنهم : من يجعلها ياءً ، فيقول في عمر : عَمي . ومنهم : من يبدلها بالطاء أخت الطاء . ومنهم : من يبدلها همزة ، فإذا أراد أن يقول : رأيت ، قال : آيت . وأما التي تعرض للسين فإنهم يبدلونها ثاء ، فيقولون : باسم الله ، ويُسرة الله ، إذا أرادوا باسم الله ، ويسرة الله ، أو أشباه ذلك ؛ وهي مستحسنة في الجوارى والغلمان . قال الشاعر :

- وأهيف كالللال شكوتُ وجدي * إليه لحسنه وأطلتُ بجي
- وقلت له فدنك النفسِ صِلني * تحز في الشوابِ فقال بجي

وأما التي تعرض للقاف ، فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول :
 نال ، وقلت ، تطلق : يَطَالُ ، وَطُلْتُ ، وهي نبطية ؛ وكانت في لسان أبي مُسلم صاحب
 الدعوة ، وعُيِّد الله بن زياد . ومنهم من يجعلها كافا فيقول : كَال وكُلْتُ . وأما التي
 تعرض للكاف ، فمنهم من يجعلها همزة ، فيقول : أَأَف . ومنهم من يبدلها تاء ،
 فيقول : تَان ، إذا أراد : كان . وأما التي تعرض في اللام ، فمنهم من يبدلها ياء ،
 فيقول : اعْتَيَّتُ ، بمعنى اعتلت ، ويقول في جَمَل : جَمِ ، وإذا أقسم بالله ،
 يقول : وَيَاه . ومنهم من يبدل الخاء المعجمة حاءً مهملة ، فيقول في خَوْخ : حَوْخ ،
 ويُستحسن في الغلمان والحواري . ومنهم من يبدل الجيم ضاداً ، فإذا اجتمع لأحد
 في كلمة جيم وضاد ، مثل شجر ، ونضج ، قال : جضر ، ونجض . والحمد لله وحده !

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث في أحد الأصولين الفتوغرافيين

كل الجزء الثالث من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الرابع منه : ”الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني في المحبون والنوادر والفكاهات والملح“ والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث في الأصل الآخر الفتوغرافي

كل الجزء الثالث من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد مؤلفه، فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التيمي القرشي المعروف بالتويري عفا الله عنه . ووافق الفراغ من كتابته في يوم الثلاثاء المبارك لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر عام اثنتين وعشرين وسبعمائة ، يتلوه — إن شاء الله تعالى — في أول الجزء الرابع : الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني في المحبون والنوادر والفكاهات والملح .
والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

(طبعة الفار ٤٨٣ / ١٩٢٧ / ١٠٠٠)
